

الأمم
والدول
والشعوب
والأقوام
والعراق الطموح

تطكت
دار الكتب
مكتبة
مكتبة

**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ



لجنة نشر التراث الصوفي



اللمعة

للأبي نصر السراج الطوسي

حققه، وقدم له، وخسرج أحديته

الدكتور عبد الحكيم محمود طه عبد الباقي سرور

١٣٨٠ - ١٩٦٠

ملتزم الطبع والنشر
دار الكتب الحديثية بمصر
مكتبة المثنى ببغداد

129603

مطبعة السعدية
صيفان احمد ماهر انسا (الاسم المسمى)
٥ شارع العداوى - ٧٩١٢٩ - ت ٥٠٧٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



لجنة نشر التراث الصوفي

باسمك اللهم ومحمدك ، ولا إله إلا أنت ، ولا إله غيرك ، لا نستطيع أن
نحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

إليك سبحانك يصعد الكلام الطيب ، والعمل الصالح ترفعه وتباركه ،
وليس أطيب من كلم يشرق بحبك ، ويتعطر بذكرك ، ويدور حول
رضاك وهداك .

وليس أركى من عمل ، يقصد به وجهك ، ويستهدف به عزة هذه الأمة
التي ارتضيها لدينك ، واختتمها لقرآئك ، وباركتها بنبيك ، ولا يصاح أمر
هذه الأمة إلا به صلح به أولها .

ولهذا وضعنا المنهج العلمي ، لنشر الأصول الصوفية القديمة ، تلك الأصول
التي أضاعت أفق الحياة الإسلامية في أزهى عصورها ، وصنعت الأخلاق الإسلامية
في أنبل عهودها ، وصاغت لأمتنا في وثيقها الأولى ، فلسفتها الروحية ، وآفاقها
المثالية ، وخطوطها العريضة ، في المعرفة والتربية ، ومناهجها في السلك والطريق ،
ومعارجها في الحب والمناجاة ، وما إلى الحب والسجادة ، من فري إلى الله ،
ووسيلة إلى هداه ورضاه .

وإننا نستهدف من نشر هذه الأصول الصوفية ، أن تكون زادا طيباً
صالحاً مباركاً ، يمثل في نهضتنا عزماً أياً ، وإيماناً قوياً ، وخلقاً مثاباً ،
وتوحيداً نقياً .

فإذ أعاد إلى القلب الإسلامي ، نوره القبراني ، وخلقه المحمدي ، وعزمه الإلهي ،
عاد من جديد إلى الحياة ، ليقودها سعيدة مطمئنة إلى الله .

* * *

ولقد قدمنا من قبل لقرائنا ، كتاب « الرعاية لحقوق الله » للإمام الحارث
المحاسبي ، وكتاب « التعرف لمذهب أهل التصوف » لتاج العلماء العارف
الكلاباذي .

وإننا ليسعدنا اليوم أن نقدم لقرائنا في العالمين العربي والإسلامي ، أكبر
موسوعة صوفية عرفها التاريخ .

نقدم كتاب « اللمع » لأبي نصر السراج الطوسي ، أعظم مؤرخ صوفي ،
في تاريخنا قديمه وحديثه .

قدمه محرراً محققاً ، بعد أن استكملنا النقص الكبير الذي كان في طبعته
الأوربية التي قام بها المستشرق « نيكلسون » (١) .

كما قمنا بضبط أعلامه ، وتخريج أحاديثه ، والتقديم له والتعقيب عليه .

* * *

وبعد ، فإننا نوجه الشكر خالصاً موفوراً للأساتذة الأصدقاء الذين ساهموا
بعلمهم في إخراج هذا الكتاب .

(١) كان في طبعة نيكلسون قسم مفقود ، ابتداء من (باب في ذكر أبي الحسن
النوري رحمه الله ، ثم أبواب : ذكر أبي حمزة الصوفي . ذكر جماعات المشايخ الذين
رموهم بالكفر . ذكر أبي بكر علي بن الحسن . ذكر محمد بن موسى الفرغاني .
بيان ما قاله الواسطي) وقد أثبتنا هذا القسم المفقود .
وبهذا ينشر كتاب اللمع كاملاً لأول مرة في التاريخ .

نشكر فضيلة الأستاذ العالم المحدث السيد محمد الحافظ التيجاني ، فقد تولى فضيلته تخریج أحاديث « كتاب اللمع » بما عرفناه من علم وأمانة ، فأضاف عملاً صالحاً نافعا مباركاً بإذن الله .

ونشكر الأستاذ السيد محمد عبد الشافي الذي بذل جهداً مشكوراً في جمع المصادر الخاصة بتاريخ السراج الطوسي مؤلف « كتاب اللمع » .

ونشكر الصفة المختارة من العلماء والأدباء ورجال الفكر ، الذين انهمالت علينا كتبهم مشجعة ومقدرة لعملاً .

وإننا لنضرع إلى الله الكبير المتعال ، أن يتقبل عملنا ، وأن يباركنا ، ويمن علينا بالتوفيق والسداد ، ويمدنا بعزم من لده لنواصل جهادنا في نشر الأصول الصوفية الكبرى .

وما توفيقاً إلا بالله ، عابه توكلنا ، وإياه ما نخط أقلامنا ، وصدقات الله على المصطفى ، الذي أرسل هادي ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

ط عبد الباقى - رور - دكتور عبد الحلیم محمود

الجمعة / ٢٨ محرم عام ١٤١٠ هـ
٢٢ يونيو عام ١٩٩٠ م

كِتَابُ اللَّمَعِ

وَمَكَانَتُهُ مِنَ التَّصَوُّفِ الْإِسْلَامِيِّ

مدرستان صوفيتان ، اعتصمتا بالكتاب والسنة ، واتخذتا من سيد المرسلين
إماماً وقدوة ، وجعلتا من أشرف الحب الإلهي ، ومن إلهامات الروح القرآني ،
ومن مثاليات الخالق المحمدي ، منبجاً في المعرفة ، وطريقاً في السلوك ، ومعراج
لوصول ، فقدمتا للعالمين ، أروع وأقوى روحانية إيمانية متمسكة مهتدية ،
قدمتا التصوف الإسلامي مشرقاً مبيناً ، فه هدى ، وفيه نور ، يرسم الطريق
للمستقيم المضيء ، طريق الخبتين المتبتلين ، الذين أحاروا الكون ، محاربين للمناجاة
والطاعات ، وجعلوا من مشاهد صفحات ناطقت مليمات ، الطريق المضيء الصاعد
إلى رضوان الله وقربه ، وأناه وحبه ، وحداه وعاءه وفيضه .

مدرستان هما قلب التصوف ولسانه وبيانه ، وإليهما الفتوى والفيصل في ما هدجه
وقواعده ، وسلوكه ومعارجه .

مدرستان تميزتا بالمعرفة الكاملة الصادقة ، الابعة من الكتاب والسنة ،
لم تتشرف بهما السبل ، ولم تجنح بهم الأذوان والأشوان ، قلما يعترفان أبداً ،
بالسبحة الفلسفية ، والشطحات المترنمة ، والكلمات الغامضة ، التي تسربت
إلى الأقب الصوفي ، وحارلت أن تنتسب إليه ، وأن تستر بأشواقه وأذرافه .

أما المدرسة الأولى ، فهي مدرسة الإمام أبو القاسم الجيد ببغداد ، وهي مدرسة
أخذت من المسجد ما بر لدعوتها ، وجعلت من حلقة بها معاهد لتخريج الرجال . .

الرجال الذين تخرج بهم كتب الأصول الصوفية، كأعلام تضيء كلماتهم الطريق وترسمه وتحدده.

والمدرسة الثانية، هي مدرسة الإمام أبو نصر السراج الطوسي نيسابور، وهي مدرسة اتخذت من الكتب منابر لبيان دعوتها، وشرح رسالتها، ونشر علومها وأذواقها ومعارفها ومعارجها.

وجلت من صفحات هذه الكتب معاهد لتخريج الفحول من الرجال، وخرائن خالدة، تحفظ للأجيال، هذا التراث المضيء العظيم.

وصاحب اللمع، أبو نصر السراج الطوسي، هو بحق، أكبر المؤلفين الصوفيين وأستاذهم جميعاً بلا استثناء.

اقتفى أثره الهجویری فی كتابه « كشف المحجوب » (١)، وتلمذ عليه، أبو عبد الرحمن السلمي، صاحب الطبقات (٢)، وعلى السلمي، تلمذ عبد الكريم ابن هوازن أبو القاسم القشيري، صاحب الرسالة القشيرية (٣).

فهؤناب اللمع إذن، قد أنجبت مدرسته الأقلام العكبيرة التي حفظت لنا، ورسمت أمامنا، مناهج الطريق وصانته وحمته من الدخيل والغريب.

كما احتضنت هذه المدرسة وحفظت لنا أيضاً، تراث الجذيد وتلاميذه ورجاله. فأصبحت مدرسة السراج وحدها عبر التاريخ المحجة التي يلوذ بها، ويهتدى بنورها، عباد الرحمن الذين استهدفوا وجهه سبحانه، وصعدوا بقومهم من السافل إلى الأفق الأعلى، مع الملائ الأعلى، لا يستنكفون عن عبادة ربه ولا يفترون عن ذكره وحمده.

(١) علي بن عثمان الجلابي الهجویری توفی عام ٤٦٥ هـ.

(٢) توفی السلمي عام ٤١٢ هـ.

(٣) توفی القشیری عام ٤٦٥ هـ.

قوتهم طاعة ، وحياتهم عبادة ، ومناجاتهم حب ، ووجودهم قرب ، وذوقهم علم ، وبساطتهم أنس ، وخلقهم قرآن .
 إنهم أمناء الله جل وعز في أرضه ، وخزينة أسرارهِ وعلمه ، وصفوته من خلقه ، كما يقول السراج الطوسي في اللمع .
 إنها مدرسة المعرفة الصوفية النقية ، حمل اللواء فيها السراج ، والقشيري ، والمجويري ، والسلمي والكلاباذي (١) .
 المدرسة التي حاربت في عنف وفي قسوة ، كل انحراف فلسفي ، أو شطح ذوقي ، تسرب إلى جوهر التصوف الإسلامي .

يقول المستشرق « نيكلسون » (٢) :

« ... ولهذا نجد أوائل المؤلفين في التصوف يرددون الأنداز والتحذير من الوقوع في وحدة الوجود ، ويكررون القول : بأن الله تعالى مخالف للحوادث مخالفة تامة ، وأن أي اتصال به يوصف بأنه اتحاد بذاته كفر وضلال » .
 ولا جدال في أن التصوف الإسلامي ، منذ فجره الأول ، قد ابتلى كما ابتليت المعارف الإسلامية كافة ، بالدخلاء الأذعياء سوكا وقولا .
 ولهذا نجد أئمة التصوف ، منذ القرن الثالث الهجري ، وهم يحذرون وينذرون ، وكان أكبر المنذرين وأسبقهم الإمام السراج الطوسي .

يقول السراج في مقدمته لكتاب اللمع (٣) :

« ... وأعلم أن في زمننا هذا قد كثرت الخائضون في علوم هذه الطائفة ، وقد كثرت أيضاً المتشبهون بأدیان التصوف والمشبهون إليها ، والمجيبون عنها وعن

(١) صاحب التعرف لمذهب أهل التصوف

(٢) في التصوف الإسلامي ص ١٠١

(٣) اللمع ص ١٩ طبع دار الكتب الحديثة

مسائرها ، وكل واحد منهم يضيف إلى نفسه كتاباً قد زخرقه ، وكلاماً ألفه ،
ولبس بمستحسن منهم ذلك ؛ لأن الأوائل والمشايخ الذين تكلموا في هذه المسائل
وأشاروا إلى هذه الإشارات ، ونطقوا بهذه الحكم ، إنما تكلموا بعد قطع العلائق ،
وإماتة النفوس بالمجاهدات والرياضات والمنازلات والوجد والاحتراف ، والمبادرة
والاشتياق إلى قطع كل علاقة قطعهم عن الله عز وجل مارقة عين ، وقاموا بشرط
العلم ، ثم عملوا به ، ثم تحققوا في العمل فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل .

وإذن فانحاضون في عبور التصوف ومسائله ، والمتشبهون الدخلاء المحجبون ،
قد كثروا في الأفق الصوفي ، منذ القرون الأولى في الإسلام .

والسراج يحذر منهم ويشير إليهم ، ثم يضع قاعدة ذهبية للتصوف والصوفية .
إنهم علماء قاموا بشرط العلم ، ثم عملوا به ، ثم تحققوا في العمل ، ثم عبر
بذلك بين العلم ، والحقيقة والعمل .

ولهذا كان الصوفية عبر التاريخ ، نماذج للرجال الخلق والروحي ، ونماذج
للكمال التعبدي والإيماني ، ونماذج عالية سامية ، في أفق العلم والمعرفة .

وكما يقول « ماسنيون » :

« إن رجال المعرفة الصوفية في الإسلام ، كانوا دائماً النماذج التي تقدم لنا
الصورة الحية المفكرين الكبار في الإسلام » .

ويقول شاعر الإسلام « محمد إقبال » :

« إن الإسلام عند الصوفية يأخذ طابعاً من الكمال والانسداد العائلي
والأخوة العالمية ، لا تجده في إسلام النقيض أو المالكانيين » .

وكتاب « اللمع » هو الكتاب الأم ، في تاريخ التصوف الإسلامي ، وقد اجتمعت له خصائص ما نحسبها توافرت لغيره من كتب الحياة الروحية الإسلامية .

فهو أقدم مرجع صوفي إسلامي ، وهو فوق هذا أكبر هذه المراجع وأوثقها وأغزرها مائة ، وأناقها جوهرًا وانظًا .

ومن مادته الخصلة انقبس كافة من أرخ للتصوف ، وعلى ضوء مناهجه وأبوابه وقواعده ، جرت الأفلام التي قدمت لنا عبر التاريخ علوم الطريق ورجاله .

وهو كتاب تاريخ ، ومدرسة علم ، وطرق ذوق ، وإشعاع يرشد السالكين ، ويعلم العلماء ، أو كما يقول « نيكسون » : « هو مدرسة عليا لتخريج الفحول من المتصوفة الصادقين » .

وكتاب « اللمع » قد استهدف في كل حرف فيه ، غاية قصد إليها ، وحرص عليها .

وهي رسم المبادئ الصوفية القوية ، تلك المبادئ التي تعبر عن روح القرآن ، وجوهر السنة .

المبادئ الخلقية والإيمانية التي تلامذت لفعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهدية .

المبادئ التي تحيط بكل شيء في الحياة ، فتطوق فيد النور ، وتطلق فيه الروح ، وتطلق فيه الحب ، وتعمق فيه الاحساس المقدس ، الإحساس بالقرب من الله ، قرب ذوق ووجدان ، ومشاهدة ذوق ووجدان . . . فإن لم تكن تراد فإنه يراك .

المبادئ التي تتحقق فيها كلمات الله التي صدرت الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس .

فإذا صور السراج في « اللمع » تلك المبادئ فأحسن تصويرها، وأبدع رسمها، وأشاع الروح والحياة في ألقها، مدعماً لها بالأدلة القرآنية والنبوية والعلمية والذوقية، عمد إلى أدق وأنبأ ما في كتابه .

عمد إلى بيان كامل، وحصر شامل، للأخطاء التي وقع فيها السالكون للطريق، إما عن سوء نية، أو عن قصد .

وهنا يتفوق السراج على نفسه، فهو عالم نفساني، وهو حكيم رباني، وهو مبصر ببصيرة علوية يتسأل بها إلى خفايا الصدور، وخفقات القلوب، كما يتسأل إلى دقائق المعرفة، ورقائق الذوق، فيكشف عن أخطاء العابدين، كما يكشف عن عقد الذاكرين، وتلميحات المحبين، ووسوسة الزاحدين، وهي أخطر عقبات الطريق ومزالمة .

فيجاء لنا بذلك كله وجه التصوف الإسلامي، كما جاء به القرآن، وكما صدره الرسول وهديه، وكما عاشه رجاله وأعلامه، وهم السفوة من خلق الله، وإخيرة من عباده، وخزان العلم والمعرفة، علم الشريعة، وذوق الحقيقة، وفرض العطاء الرباني الذي تتلمذ عليه من اصطفى الله من عباده .

* * *

ذلك هو « كتاب اللمع » أو بمعنى أدق، ذلك بعض ما في كتاب اللمع، ليدل على « اللمع » فكل تقديم « اللمع » لا يرضى عنه، ولا يفي بقتله، ولا يصور عامه وذوقه .

إنه جامعة لتخريج النحول والأئمة الكبار، جامعة لا يعرف قدرها، إلا من تذوق منهجها وعاش في صنعائها... وتلك، سألتكم أيها القاري، الكريم .

التَّهْرِيفُ بِصَاحِبِ اللَّمَعِ

أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي ، الملقب : بطاروس الفقراء .
توفي سنة ٣٧٨ هـ .

يقول عنه صاحب الفتح :

« . . . هو عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى الصوفي الزاهد ، صاحب
« كتاب اللمع » في التصوف ، وقد تكون له مؤلفات أخرى لم تصل إلينا .
سمع جعفر الخلدي ، أبا بكر محمد بن داود الدقي ، وأحمد بن محمد السايح » .

ويقول صاحب تذكرة الحفاظ :

« . . . أبو نصر السراج عبد الله بن علي الطوسي الزاهد شيخ الصوفية ،
وصاحب « كتاب اللمع » في التصوف ، روى عنه جعفر الخلدي ، وأبي بكر
محمد بن داود الدقي . . . قال « الذهبي » كان المنظور إليه في ناصيته ، في الفتوة
واسان القوم ، مع الاستظهار بعنوم الشريعة » .

ويقول العلامة السخاوي :

« . . . كان على طريقة أهل السنة . قال : خرجت مع أبي عبد الله
الروزباري ، التقي - انباليا - الراهب بصور ، فنفذ بنا إلى ديره ، وقلنا له :
ما الذي حبسك ها هنا ؟ قال : أسرني حلاوة قول الناس : يا راهب ،
وتوفي في رجب عام ٣٧٨ هـ (١) » .

(١) شذرات الذهب ج ٣

ويقول العلامة المستشرق « نيكسون » :

« . . . ليس لدينا إلا القليل عن تاريخ حياة السراج ، فإن مؤلفي التصوف القديم مروا عليه في سكوت ، وأول ما ورد ذكره حسب علمي ، في ملحق لتذكرة الأولياء ، كما عرض لذكره عرضاً قصيراً ، أبو المحاسن الذهبي في تاريخ الإسلام ، وأبو الفلاح في شذرات الذهب ، وغيره من المؤلفين في سنيته الأولياء . »

ثم يقول : « ومن العجيب أن يغفل مؤلفو التصوف القديم شأنه ، فلم يؤلفوا عنه أسفراً تحوى لنا تاريخه وتراجمه وأحواله ، مع أنه كان فريد عصره ، راسخ القدم في علوم القوم ، وشيخاً لمذهبيهم في الزهادة والتصوف . »

وكم كنت أتمنى لو سبق وجودي إلى عصره الذهبي أو الذي يليه لأترسم خطاه ، وأتبع آثاره وأخبره وأحواله ، فأبيط اللثام عن مستور لو كشف اعجب غيره ، وطيب شدا عرفه الأنام .

على أني لو أتيت لي أن أكون أحد معاصري المؤلفين ما أظنني واقفاً عند هذا الحد من النعت والتعريف ، واعمرى ما كنت إلا جاهد نفسي لكشف القب عن حياة وأعمال هذا الإمام الجليل ، عساني أكون قد افتتحت مدرسة عليا لتخريج النحول من الزهاد المتصوفة من أدل الرقعة النقراء المخلصين . »

وتروى لنا كتب السير الفارسية ، أن السراج كان يقب بطاووس القفص . كما تروى كما يقول المعجزي في « كشف المحجوب » : « إن السراج كان في بغداد وقد حضره في رمضان إلى بغداد ، وفرد له غرفة خاصة في جامع « الشريفة » وأعطى رئاسة الدراويش ، وأنه كان في صلاة الزاوية ينتم القرآن خمس مرات ، وكان الخادم يحضر له رغيفا كل ليلة ، فيضعه في غرفته ، وفي يوم اليوم ، وكان السراج قد رحل ، وجد الخادم الثلاثين رغيفا دون أن تمس . »

وتروى لنا قصة أخرى ، أنه خلال محادثاته في التصوف أخذه الحُل فقذف
بنفسه في نار موقدة ، وهو يدعو الله ، فلم تفتح له وجهها ، ولم تحرق له ثوباً .

وكتاب اللمع كما يقول « نيكلسون » يعطى صورة ناطقة عن السراج الرحالة ،
الذي تجول في أرجاء الإمبراطورية الإسلامية ، وتنقل بين القاهرة وبغداد ودمشق
والرملة ودمياط والبصرة وتبريز ونيسابور ، سالكاً طريق القوم ، ناشراً لعلومهم
ومعارفهم مجداً في الاجتماع بأعلام التصوف الإسلامي في عصره الذهبي ، ضارباً
اللائل الأعلى لمهجم بنفسه سلوكاً وذوقاً وفتوة .

ويقول أبو عبد الرحمن السلمي في طبقاته :

« . . . كان أبو نصر من أولاد الزهاد ، وكان المنظور إليه في ناحية الفتوة
ولسان القوم ، مع الاستظهار بعلم الشريعة ، وهو فقيه مشايخهم اليوم ،
ومات أبوه ساجداً » .

توفي رضوان الله عليه في رجب سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة هجرية « أكتوبر
سنة ٩٨٨ م » .

كتاب الأئمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

كتب إليما أبو القاسم علي بن الإمام أبي العرج عبد الرحمن بن علي بن محمد
 ابن الجوزي، وأبو... إسماعيل بن علي بن باتكين الخوهري، وأبو عبد الله محمد
 ابن عبد الواحد بن أحمد بن المتوكل على الله، وأبو المجدى عبد الله بن عمر بن علي
 ابن زيد بن لثي، وغيرهم من بغداد. وكتبت إلينا أم الفضل كريمة ابنة
 عبد الوهاب بن علي بن الخضر القرشي من دمشق. كلتم من أبي الوفاء
 عبد الأول بن عيسى بن شعيب بن إسحاق السجزي الصوفي كروى ما بيني،
 قال: أنبأنا أبو نصر أحمد بن أبي نصر الكوفي قراءة عليه في شهر ربيع
 وستين وأربعمائة، قال: أنبأنا أبو محمد الحسن بن محمد الكلبى قراءة عليه،
 قال: أنبأنا أبو نصر عبد الله بن علي الخواري السمرقندي، قال:

الحمد لله الذي خلق الخلق بقدرته، ودسهم على معرفته بأمره من عباده
 ربوبيته، واختار منهم صفوة من عباده وخير كذا من خلقه، وخص بهم من شانه
 بما شاء كيف شاء، وقسم لهم من العلم والفهم حسب ما قسم، وخلق لهم في كتاب
 ما حكم، وجعلهم في منحهم من الهداية والتوفيق، وهدواهم كنهاتهم في الآيات
 والأردى والآجال والأعمال، فلا علم معهم ولا شيء يذكرونها إلا ما
 في كتاب الله عز وجل، أو ما نزل من رسال الله صلى الله عليه وسلم، وما
 على قلوب أولياء الله، يهلك من هلك من بيننا ويحيى من حيى من بيننا، وإن الله
 سميع عليم.

والصلاة على المقدم العظيم المكرم من أميئة شمس الأولاد، وفي الألفية
 محمد عبده ورسوله وعلى آله وسلم كثيرا.

أما بعد : فإني قد استخرتُ الله تعالى وجمعتُ أبواباً في معنى ما ذهب إليه أهل التصوف ، وتكلمتُ مشايخهم المتقدمين في معاني علومهم وعمدة أصولهم وأساس مذهبهم وأخبارهم وأشعارهم ومسائلهم وأجوبتهم ومقاماتهم وأحوالهم ، وما انفردوا بها من الإشارات اللطيفة والعبارات القصيحة ، والألفاظ المشككة الصحيحة على أصولهم ، وحقائقهم ومواجيدهم وفصولهم .

وذكرتُ من كل فصل طرفاً ، ومن كل أصل طرفاً ونثفاً ، ومن كل باب لمعاً ، على حسب ما سفتح به الحال ، وممكن منه الوقت ، وجاد به الحق جل ذكره ، مقتدياً بالأُسوة والقُدوة والبيان والحجة .

فينظر الناظر فيه عند تيقظ وتنبه وحضور قاب وفراغ نفس ، بحسن التوقف والتفكير والتأمل والتدبر ، بخلوص النية وطهارة القلب وضحة القصد ، متقرباً إلى الله تعالى ذكره ، وشاكراً له على ما منحه من تسديده وتوفيقه وهدايته إلى ، والاة هذه العصاية (١) ، ومناوأة من بسط لسانه فيها بالوقعة فيهم والإنكار عليهم وعلى سلفهم الماضين ، رحمة الله ورضوانه عليهم أجمعين ، لأهم العصاية القليل عددها ، العظيم عند الله قدرها وخطرها .

وينبغي للعاقل في عصرنا هذا أن يعرف شيئاً من أصول هذه العصاية وتصودم (٢) ، وطريقة أهل الصحة والفضل معهم ، حتى يميز بينهم وبين المشبهين بهم (٣) ، والمتلبسين بلبسهم ، والمتسمين باسمهم . حتى لا يغلط ولا ياتم ، لأن هذه

(١) يقصد أهل التصوف .

(٢) جمع قصد بمعنى الاتجاهات والنوايا

(٣) أن ادعاء التصوف قديم وها هو ذا المؤلف المتوفى في القرن الرابع الهجري

يخبر من المرجين باسم التصوف ، أما في عصرنا الحاضر فقد أصبح ادعاء التصوف أمراً عادياً ولعلنا بنشر هذا الكتاب نساهم في إعطاء الفكرة الصحيحة عنه حتى لا يراه الناس طيلاً وزمراً وبيارقاً وأساطير وجزى الله المؤلف خير الجزاء .

العصابة أعنى الصوفية، هم أمناء الله، صل وعز، في أرضه، وخزينة أسرارهِ وعلمهِ، وصفوته من خلقهِ، فهم عباده المُخلصون، وأولياؤهُ المنتقون، وأحبّاءهُ الصابِقون الصالحون، منهم الأخيار والسابقون، والأبرار والمقرَّبون، والبُدلاء والصدِيقون، هم الذين أحيا اللهُ بمعرفته قلوبهم، (وزين) بخدمته جوارحهم، وألهج بذكرهِ ألسنتهم، وطهر بمراقبته أسرارهم، سبق لهم منه الحسنى بحسن الرعاية ودوام العناية، فتوجههم بتاج الولاية، وألبسهم حُلَّ الهداية، وأقبل بقلوبهم عليه تعطفاً، وجمعهم بين يديه تطفلاً، فاستغنوا به عما سواه، وآثروا على ما دونه، وانتظروا إليه، وتوكلوا عليه، وعكفوا ببابه، ورضوا بقضائه، وصبروا على بلائه، وفارتوا فيه الأوطان، وهجروا له الإخوان، وتركوا من أجله الأنساب، وقنعوا فيه العلائق، وهرَبوا من الخلائق، مستأنسين به مستوحشين ممسّوسين: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاءُ والله ذو الفضل العظيم) (١) الآية: (فمنهم ظالم لنفسه) (٢) الآية: (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) (٣) الآية.

واعلم أن في زماننا هذا قد كثرت الخاطئون في علوم هذه الطائفة، وهم أيضاً المشبهون بأهل التصوف والمشيرون إليها والمجيبون عنها ومن مساكنها، وكل واحد منهم يضيف إلى نفسه كتاباً قد زخر فيه، بكلام الله، وليس يستقصي منهم ذلك، لأن الأوثان والمشايخ الذين تكلموا في هذه المسائل، أشاروا إلى هذه الإشارات ونطقوا بهذه الحكيم، إنما تكلموا بعد قطع العلائق، والتمسوا بالجاهدات والرياضات والمنازلات والوجد والاحتراس، ولم يهتموا بالعلم.

(١) الجمعة : ٤

(٢) تكملة الآية : ومنهم مقصدوا ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير . فاطر : ٣٢ .

(٣) تكملة الآية : الله خير أما يشركون (النمل : ٥٩) .

كل علاقة قطعهم عن الله عز وجل طرفة عين ، وقاموا بشرط العلم ، ثم عملوا به ،
ثم تحققوا في العمل فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل .

قال أبو نصر رحمه الله : وقد حذفُ الأسانيد عن كثير مما ذكرت في هذا
الكتاب ، واقتصرت على متون الأخبار والحكايات والآثار للاختصار ، فما أصبتُ
من ذلك فبعمارة الله عز وجل ، والحمدُ لله على ذلك ، وما أخطأتُ في ذلك ووقع
فيه شيء من لزيادة والقصان فهو لارم لي ، وأنا أستغفر الله من ذلك ، وإنما
ذكرتُ في كتابي هذا أجوبة هؤلاء المتقدمين وأنفاظهم لأن لي فيها عناية عن
تكلفي كتكلف المتأخرين في زماننا هذا إذ تكلموا في هذه المعاني بكلام
أو أجابوا عنها بجواب أو أضافوا ذلك إلى أنفسهم وهم متعرون عن حقائقهم
وأحوالهم .

وكل من أخذ من كلام المتقدمين لدين وصفناه بمعنى من معانيهم التي هي
أحوالهم ووحدتهم ومستطاتهم ، وحلاها من عنده بخلية غير ذلك ، أو كساها
عبارة أخرى ، أو أضافها إلى نفسه حتى يشار إليه بذلك ، أو يظن بذلك جاهلاً
عند الإمامة ، أو يريد أن يصرف بذلك وجوه الناس إليه لجر منفعة أو لدفع
مفسدة ، فإنه عز وجل خصه في ذلك وهو حسبيد ، لأنه قد ترك الأمانة وعمل
بالخيانة . وهذه أعظم [وآكبر من] الخيانة التي في أسباب الدنيا : (وأن الله
لا يهدي كيد الخائنين) (١) ، وبالله التوفيق .

(١) من الآية ١٣ من سورة يوسف .

باب البيان عن علم التصوف ، ومذهب الصوفية ، ومنزاتهم
من أولى العلم القميين بالقسط

قال الشيخ أبو نصر : سألتني سائس^١ عن البيان عن علم التصوف . ومذهب الصوفية ، وزعم أن الناس اختلفوا في ذلك : فمنهم من يفلو في تفضيله ورفع فرق مرتبته ، ومنهم من يُخرجه عن حدّ المقبول والتحصيل ، ومنهم من يرى أن ذلك ضرب من اللهو واللعب وقلة المبالاة بالجهل ، ومنهم من ينسب ذلك إلى التنوي والتشّف واللبس الصوف والتكلم في تنوي^(١) الكلام واللباس وغيرها ، ومنهم من يسرف في الطعن وقُبْح المقول فيهم حتى ينسبهم إلى الزندقة والضلالة . فسألتني أن أشرح له من ذلك ما صحّ عندي من أصول مذهبهم الموثق بالنوط ثمّ كتبت الله عز وجل ، والافتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتخلق بأخلاقه ، والتعبير والتعبير ، والتأدب بأداب عبادة الله العالين ، وأقيد ذلك بالكلام في ذلك بالحجة ، ليحق الحق ويبطل الباطل ، ويعرف الجهد من الخلال ، والصدق من السقيم ، ويرتب كلّ وع منه في موضعه إذ كان ذلك عاملاً من عام المصطفى . وبالله التوفيق .

إن الله تبارك وتعالى ، أحكم أسس الدين ، وأزكى السبل عن الناس ، وما أمرهم به من الاعتناء بكتابه ، والتمسك بما وحى به من كتابه ، وما أمرهم به من كتابه : «وَأَعْتَمِدُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا خَلَالَاتٍ بَيْنَهُمْ وَمِنَ الْبَنَاتِ يُرْتَبْنَ بَيْنَهُمْ» . «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ» . ثمّ ذكر آيات من كتابه .

(١) ترتيبه وتسميته

(٢) تكلة الآية : «وَأَذِّنُوا لِعِبَادِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِذْ يُنَادُونَكُم بِالصَّلَاةِ فَاسْتَجِبُوا لَهُمْ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُزْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ آل عمران : ١٠٥

الدين رتبة فذكرهم بعد ملائكته وشهد على شهادتهم له بالوحدانية بعد ما بدأ بنفسه
وثنى ملائكته فقال عز وجل : «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم
فأما بالتقسيم (١)» وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «العلماء ورثة الأنبياء» .

وعندي ، والله أعلم ، أن أولى العلم الثمانيين بالتقسيم الذين هم ورثة الأنبياء ، هم
المتصرون بكتاب الله تعالى ، المجتهدون في متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
متمسكون بالصحة والتأهين ، النماكون سبيل أوليائه المتقين وعباده الصالحين ،
هم ثلاث أصناف : أصحاب الحديث ، والعقلاء ، والصوفية ، فهؤلاء هم الأصناف الثلاثة
من أولى العلم الثمانيين بالتقسيم الذين هم ورثة الأنبياء ، وكذلك أنواع العلوم كثيرة :
فعلم الدين من ثلاث علوم : علم القرآن ، وعلم السنن والبيان ، وعلم حقائق الإيمان ،
وعلى العلوم المتداولة بين هؤلاء ، الأصناف الثلاثة وحمله علوم الدين لا تخرج عن ثلاث :
آيات من كتاب الله عز وجل ، أو خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو حكمة
بسيطة حطرت على قلب ولي من أولياء الله تعالى .

وأصل ذلك حديث الإيمان حيث سأل جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه
وسلم عن أصول ثلاثة : عن الإسلام والإيمان ، والإحسان الظاهر والباطن ، والحقيقة ،
والإسلام ظاهر ، والإيمان ظاهر وباطن ، والإحسان حقيقة الظاهر والباطن ، وهو قول
النبي صلى الله عليه وسلم : الأحسان ، أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه
يراك ، وصدقته على ذلك جبريل ، والعلم مقرون بالعمل ، والعمل مقرون بالإخلاص ،
والإخلاص أن يريد العبد بعلمه وعمله وجهه ، الله تعالى ، وهؤلاء الأصناف الثلاثة في
العلم والعمل متفوتون ، وفي مقاصدهم ودرجاتهم متفاضلون ، وقد ذكر الله تعالى
تفاضلهم ودرجاتهم فقال عز وجل : «والذين أرتوا العلم درجات» (٢) ، وقول :
«والكل درجات مما عملوا» . وقال : «انظروا كيف فضّلنا بعضهم

(١) سورة آل عمران ١ : ١٨

(٢) الاحقاف : ١٩

(٢) سورة المجادلة : ١١

تَعَلَى بَعْضٍ (۱) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الناس أكفأ متساوون كماستان
المشط (۲) ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالعلم والتقى » .

فكل من أشكل عليه أصل من أصول الدين وفروعه وحقوقه وحقائمه
وحدوده وأحكامه ظاهراً وباطناً فلا بد له من الرجوع إلى هؤلاء الأئمة الثلاثة :
أصحاب الحديث ، والفقهاء ، والصوفية ، وكل صنف من هؤلاء متوسم بتوسع من العلم
والعمل والحقيقة والحال ، والكل صنف منهم في معناه علم ، وعمل ، وصدق ومقال ،
وفهم ، ومكان ، وفتنة ، وبيان علمته من غيبته وجهاته من جبايته ، ولا يرجع أحد
إلى كمال يحوى جميع العزم والأعمال والأحوال ، وكل واحد فقه مدعيه بفتنه
الله تعالى ومحلده حيث حبسه الله عز وجل ، وأد أرباب تلك من ذلك إلا أن الله تعالى
على حسب الطاقة أن كل صنف من هؤلاء بأي نوع من العلم والعمل
ترسموا وبأي حال تفضلوا ، وأبهم أعلى طائفة لا يدفعه عن ذلك إلا ما يشاء الله تعالى .
إن شاء الله تعالى .

باب في نعت طبقات أصحاب الحديث ، ورسهم في النقل

ومعرفة الحديث ، وتخصيصهم بعلمه

قال الشيخ رحمه الله : فأما أصحاب الحديث فإنهم تعلقوا بظاهر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : هذا أساس الدين لأن الله تعالى يقول : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » فله خراطيموا بذلك جؤلوا (١) البلاد ، وطلبوا رواة الحديث ، فزمنهم حتى نقلوا عنهم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجمعوا ما روى عن الصحابة والتبعين ، وضبطوا ما وصل إليهم من سيرهم وآثارهم ومذاهبهم واختلافهم في أحكامهم وأقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم وأحوالهم ، وجمعوا رواياتهم بسامع الأذن وحفظ القلب والمسطح من أصول النقات من النقات العدول عن العدول ، فأتقنوا ذلك ، وعرفوا أما كن الرواة في النقل والضبط ، ودونوا أسماءهم وكنائهم وموالدهم ووفاتهم ، وأرحوا ذلك حتى عرفوا أن كل رجل من هؤلاء كم من حديث رواه ؟ وعمتن رواه ؟ وعن نقل إليه ؟ ومن أخطأ منهم في النقل ؟ ومن غلط منهم في زيادة حرف أو نقصان نمطة ، ومن تعد منهم في ذلك ، ومن سومح له بفاطحة أو هجوة ، حتى عرفوا أسماء المهمين منهم بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفوا من تصح عنه الرواية ومن لا تصح ، ومن انفرد منهم بحديث لا يرويه غيره ، أو انفرد بلنظمة است عند غيره ، فحفظوا أن كل حديث من ذلك كم من نفس روه ؟ وما العلة في ناقله ؟ حتى جمعوا الأبواب ، وبوأوا السنن ، وميزوا ما يدخل في الصحيح وما يختلف في صحته ، وما كان في روايته رجل ضعيف ، وواتوا على رواية المقلين والمكثرين ، وفهموا أحاديث أئمة الأمصار ، وطبقات الرواة : التابع من المتبوع ، والكبير من الصغير .

وأحاط عليهم بعلل اختلاف الرواة ، وزياداتهم ونقصاتهم ، وأما كتبهم ، في رواية السنن والآثار ، إذ كان ذلك أساس الدين .

وهم في ذلك متفاضلون حتى يستحق أحدهم بزيادة علمه وإتقائه وحفظه قبول الشهادة على العلماء في العدل والتجريح ، والرد والقبول ، وتكون شهادته مقبولة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال وفعل وأمر ونهى وندب ودعا ، قال الله تعالى : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا » أي عدولاً « لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » (١) ، يقول : إنهم أصحاب الحديث : يشهدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى الصحابة والتابعين فيما قالوا وفعلوا ويكون الرسول عليك شهيداً فيما شهدوا عليه من أفعاله وأقواله وأحواله وأخلاقه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « نضر الله وجه امرئ سمع مني حديثاً فبلغه » الحديث . يقول : إن كل واحد من أصحاب الحديث إلا وفي وجهه نضرة لموضع دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولأصحاب الحديث في معاني علومهم ورسوماتهم حقائق ولم يكن لهم من [كل منهم] قد أجمع أهل عصره على إمامته ، بفضل علمه وورعه وفهمه ودينه وأمانته ، وشرح ذلك يعادل ، وهي ذات كبرياء وبالله التوفيق

باب ذكر طبقات النقياء

ونخصيصهم بما ترسموا به من أنواع العلوم

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله : وأما طبقات النقياء فإنهم فضلوا على أصحاب الحديث [يقبول علوم أصحاب الحديث] والاتفق معهم في معاني علومهم ورسومهم .

ثم أخذوا بالنهم والامتنباط في فقه الحديث والتعمق بدقيق النظر في ترتيب الأحكام وحدود الدين وأصول الشرع ، فبينوا ذلك ، وميزوا الناسخ من المنسوخ ، والأصول من الفروع ، والخصوص من العموم ، بالكتاب والسنة والإجماع والقياس .

وبينوا للخلق في أحكام دينهم من القرآن والأمر ما نسخ حكمه وبقي كتابته ، وما نسخ كتابته وبقي حكمه ، وما كان لفظه عاماً والمراد به خاص ، أو كان لفظه خاصاً والمراد به عام ، أو كان خطاب جماعة والمراد به واحد ، أو خطاب واحد والمراد به جماعة ، وتكسروا بالألـ تجاجات العقلية على المخالفين ، واستدلوا بأبراهيم البينة على أهل الضلالة بصرة للدين ، وتمسكوا بنص الكتاب ، أو نص السنة ، أو قياس على النص ، أو إجماع الأمة ، وناظروا من خالفهم برسم النظر ، وجادلوا من جادلهم بأدب الجدل ، وعارضوا خصمهم بالمعارضات ، واغترضوا عليهم برد الاعتراضات واطراد العلل في المعلومات ، فوضعوا كل شيء في مواضعه ، ورتبوا كل حد في مراتبه ، وفرقوا بين المقايسة والمشاكلة والمجانسة والمقارنة ، وميزوا في الأوامر والنواهي ما كان منه حتماً وما كان منه ندباً ، وما كان منه ترغيباً وترهيباً ، وما كان [منه] محثوفاً عليه ومدعوفاً إليه ، فبينوا المشكل ، وحدوا العقد وأوضحوا الطرق ، وأزالوا الشبهات ، وفرغوا على الأصول ، وشرحوا المَجْمَل ، وبسطوا المجموع ، وأخذوا

حدود الدين بالاحتياط ، حتى لا يقدر العلم عالماً ، ولا الجاهل جاهلاً ، ولا الخاص
خاصاً ، ولا العام عاماً في ظاهر الأحكام وحدود الشريعة .

مهم يحفظ على المسلمين حدودهم ، وقد ذكره الله تعالى في كتابه فقال عز
وجل : « قَدْ لَوْ لَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَسَفَّيْنَا فِي الْبَيْنِ الْآيَةَ ،
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » .

وللنقهاء في معاني علومهم ورسوماتهم أيضاً مصنفات ، ولهم أئمة مشهورون ، قد
أجمع أهل عصرهم على إمامتهم ، وزيادة علمهم وفهمهم ودعوتهم وأمانتهم ، وتشرح
ذلك بطون ، والنقل بسند متصلين عن الكثير ، وبالله التوفيق .

باب ذكر الصوفية ، وطبقاتهم

وما ترسموا به من العلم والعمل ، وما خصوا به من الفضائل ، وحسن الشئثل

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله : ثم إن طبقات الصوفية أيضاً انفتحت مع الفقهاء وأصحاب الحديث في معتقداتهم وقبلوا علومهم ، ولم يخالفوهم في معانيهم ورسومهم ، إذا كان ذلك مجانباً للبدع واتباع الأوى ، ومنوطاً بالأسوة والافتداء ، وشاركونهم بالقبول والموافقة في جميع علومهم .

ومن لم يبلغ من الصوفية مراتب الفقهاء وأصحاب الحديث في الدراية والفهم ، ولم يُحِط بما أحاطوا به علماً فإيهم راجعون إليهم في الوقت الذي بُشِكل عليهم حكم من الأحكام الشرعية أو حدث من حدود الدين ، فإذا اجتمعوا فيهم في جهاتهم فيما اجتمعوا عليه ، فإذا اختلفوا فاستجاب الصوفية في مذاهبهم الأخذ بالأحسن والأولى والآتم احتياطاً للدين وتعظيماً لما أمر الله به عباده واجتناباً لما نهى الله عنه .

وليس من مذاهبهم النزول على الرُحَص وطلب التأويلات [والميل إلى] الترفه والسعات وركوب الشبهات ، لأن ذلك تهاون بالدين ، [وتخلف عن الاحتياط] وإنما مذاهبهم التمسك بالأولى والآتم في أمر الدين [، فهذا الذي عرفنا من مذاهب الصوفية ورسومهم في استعمال العلوم الظاهرة المبدولة المتداولة بين طبقات الفقهاء وأصحاب الحديث .

ثم إنهم [من] بعد ذلك ارتقوا إلى درجات عالية ، وتعلموا بأحوال شريفة ومنازل رفيعة من أنواع العبادات وحقائق الطاعات والأخلاق الجميلة ، ولهم في معاني ذلك تخصيص أعبرهم من العلماء والفقهاء وأصحاب الحديث وشرح ذلك يطول ، غير أني أبين لك من كل شيء ، طرفاً حتى تستدل بما أذكره على ما لا أذكره إن شاء الله تعالى .

باب ذکر تخصیص الصوفیة بالمعانی التي قد رسموها

من الآداب والأحوال والعلوم التي تفرّج دواها من جملة العباد

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله : فأول شيء من التخصیصات الصوفیة وما تفردوا بها عن جملة هؤلاء الذين ذكروهم من بعد أداء الفرائض واجتناب المحرم : ترك ما لا يعنيههم ، وقطاع كل علاقة تحول بينهم وبين مطربهم ومقصودهم ؛ إذ ليس لهم مطرب ولا مقصود غير الله تبارك تعالی ؛ ثم لهم آداب وأحوال شتى ، فمن ذلك : القناعة بقليل الدنيا عن كثيرها ، والاكتفاء بالقوت الذي لا بد منه ، والاختصار على ما لا بد منه من مهنة الدنيا : من الملبوس ، والمفروش ، والركوب ، وغير ذلك ؛ واختيار النقر على المعنى اختياراً ، ومعانقة القربة ، ومجبة الكبر ، وإيثار الجوع على الشبع ، والتقليل على الكثير ، وترك العسر والترحم ، وترك الحزن ، والشنقة على الخلق ، والتواضع للصغير والكبير ، والإسراع في وقت الحاجة ؛ وأن لا يمانى من أكل (۱) الشيء ، وحسن (۲) الظن بالله ، والإحسان في المسئلة إلى الطاعات ، والمسرعة إلى جميع الخيرات ، والتوجه إلى الله تعالى ، والانتفاع باليه ، والعكوف على بلائه والرضا عن قضائه ، والصبر على حوائج الدنيا ، والتهوى ، ومجانبة حظوظ النفس ، والمخافة لله ، والإحسان إلى من يكرهه بالسوء ، والنظر إليه بثبات أعين عدوك التي بين يديك ، والرضا بالله ، والله اعلم .
الله صلى الله عليه وسلم .

(۱) لا يمانى بمن يستمتع بها من المترفين أو من يجري وراءها من أصحاب الثراء ، أى لا ينبطه ولا يحسه ، ولا ينظر إليه نظره تقدير .
(۲) أى ومن آدابهم حسن الظن بالخلق .

فصل آخر

ثم إن من آدابهم وشمائلهم أيضاً مراعاة الأسرار، ومراقبة المملك الجبار، ومداومة المحفظة على القلوب بنفي الخواطر المذمومة، ومساكنة الأفكار الشاغلة التي لا يعلمها غير الله عز وجل، حتى يعبدوا الله تعالى بقلوب حاضرة، وهموم جامعة، ونيات صادقة، وقصود خالصة، لأن الله عز وجل، لا يقبل من عبادة من أعمالهم إلا ما كان لوجهه خالصاً قال الله عز وجل: (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) (۱)

[فصل آخر]

ومن آدابهم وشمائلهم وتخصيصهم أيضاً الاعتراض استوك سبيل أونيته، والنزول في منازل أصفياثه، ومباشرة حقيقة الحقوق ببذل الروح وتلف النفس، واختيار الموت على الحياة، وإيثار الذل على العز واستجباب الشدة على الرخاء، طمعاً في الوصول إلى المراد، وأن لا يريد إلا ما يريد (۲).

وهذا في أول باد من بوادي الحقائق وحقيقة الحقوق، أما ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم، حيث سأل حارثة [فقال]: « لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ » [بأى شيء أجابه] فقال: عرفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش رقي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة: كيف يتزاورون، وإلى أهل النار في النار: كيف يتعاونون. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: عرفت فالزم. « أو كما روى في الحديث. والله أعلم

(۱) الزمر: ۳

(۲) أي ما يريد، الله.

باب في تخصيص الصوفية من طبقات أهل العلم

في معانٍ خَر من العلم

قال الشيخ [أبو النصر] رحمه الله : وللصوفية أيضاً تخصيص من طبقات آدمي العلم باستعمال آيات من كتاب الله تعالى متلوه ، وأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مروية ، ما نسختها آية ، وما رفع حكمها خبر ولا أثر ، يدعو ذلك إلى مكاره الأخلاق ، ويبحث عن معالي الأحوال وفضائل الأعمال ، وينبئ عن مقامات عالية في الدين ، ومنازل رفيعة خص بذلك طائفة من المؤمنين ، وتعلق بذلك جماعة من الصحابة والتابعين ، وذلك آداب من آداب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخلق من أخلاقه إذ يقول صلى الله عليه وسلم : إن الله أدبني فأحسن أدبي ، وإذا يقول الله عز وجل : (وإليك لعلى خلق عظيم) وذلك موجود في دواوين العلماء والفقهاء . وليس لهم في ذلك تفقه واستنباط كتفقههم في سائر العلوم ، وليس تغير الصوفية من أولى العلم القائمين بالقسط في ذلك نصيب غير الإقرار به والإيمان بأنه حق ، وذلك مثل حدث في النبوة وصفاتها ، ودرجات التائبين وحقائقهم ، ودقائق الورع وأحوال الدرجين ، ومطبقات المتوكلين ، ومقامات الراضين ، ودرجات الصابرين ، وكذلك في باب الحبس والخضوع ، والمحبة والخوف ، والرجاء والشوق والمشهدة ، [والإسبة] والطمع والطمع (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجات قلوبهم) (١) . واليقين والتقدمية . ومن أكثر من أن يحصى عددها ، ولكل حال من ذات أهل طبقات ، منهم في حقائق [ومشاهدات ، وأحوال وأمرائيات ، وأسرار وحجرات ، ومنازل] متباينات [، وإرادات متفاوتة ، وتفاضل في قوة الإرادات ، وتفاضل في قوة الوجد ، ولكل واحد من ذلك حد ومنتهى ، ومنه ومنه ، ومنه ومنه ، ومنه ومنه] عز وجل .

ومن أعظم النعم التي اختصوا بها دوام اليقظة وهي الاحتفال بذكر الإسلام .

فصل

والصوفية أيضاً تخصيص في معرفة الحرص والأمل ودقائقهما ، ومعرفة النفس وأماراتها وخراطرها ، ودقائق الرياء والشهوة الخفية والشرك الخفي ، وكيف الخلاص من ذلك ، وكيف وجه الإنابة إلى الله عز وجل ، وصدق الاتجاه ، ودوام الافتقار والتسليم والتفويض ، والتبري من الحول ونقود .

فصل آخر

والصوفية أيضاً مستنطات في علوم مشككة على فهم التقية والعلماء ، لأن ذلك لطائف مودعة في إشارات لهم تخفي في العبارة من دقتهم ولطافتها ، وذلك في معنى العوارض والعوائق والعلائق والحب وخبايا السر ومقدمات لإخلاص . وأحوال المعارف وحقائق العبودية ، ومحو الكون بالأزل ، وتلاشي الخدث إذا قورن بتقديم وفاء رؤية الأعراض وبقاء رؤية المعطى [ببناء رؤية العطاء] ، وعبور الأحوال والمقدمات ، وجميع المنفرقات ، وفناء رؤية الفصد ببقاء رؤية المقصود [والإعراض عن رؤية الأعراض] ، وترك الاعتراض ، والهجوم على سرك سبل منطمتة ، وعبور مندور مهلكة .

فانصومية مخصوصون من أولى العلم الثمانيين بالنقسط نحل هذه العقد ، والوقوف على المشكل من ذلك ، والممارسة لها بالمنازلة والمباشرة ، والنجوم عليها ببذل السهيج ، حتى يخبروا عن طعم وذوقها ونقصانها وزيادتها ، وبطالبرا من يدعى حلامها بدلائلها ، ويتكلموا في صحيحها وسقيمها ، وهذا أكثر من أن يتهبياً لأحد أن يذكر قلبه ، إذ لا سبيل إلى كثيره .

وجميع ذلك موجود علمه في كتاب الله عز وجل ، وفي أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم مفهوم عند أهله ولا ينكره العلماء إذا استبحشوا عن ذلك .

وإنما أنكر على التصوف جماعة من المترسمين بعلم الظاهر ، لأنهم لم يعرفوا من كتاب الله تعالى ، ولا من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا ما كان في الأحكام الظاهرة وما يصلح للاحتجاج على المخالفين ، والناس في زماننا هذا إلى مثل ذلك أميل لأنه أقرب إلى طب الرياسة واتخاذ الجاه عند العامة والوصول إلى الدنيا .

وقل من تراه يشتغل بهذا العلم الذي ذكرنا ، لأن هذا علم الخصوص ممزوج بالمرارة والغصص ، وسماءه يضعف الركبتين ، ويحزن القلب ويدمع العين ، ويصفر العظيم ويعظم الصغير ، فكيف استعماله ومباشرته ، ودوقه ومنازلته ، وليس للنفس في منازلته حظ ، لأنه منوط بأمانة النفوس ، وفقد الحسوس ، ومجانبة المراد ، فمن أجل ذلك ترك العلماء هذا العلم ، واشتغلوا باستعمال علم يخفف عليهم اللؤن ، ويخففهم على التوسيع والرخص والتأويلات ، وقد يكون أقرب إلى حظوظ البشرية ، وأخف تحملاً على النفوس التي جيلت على متابعة الحظوظ وللنافرة عن الحقوق . والله تعالى أعلم .

باب الرد على من زعم أن الصوفية قوم جهلة ، وليس

لعلم التصوف دلالة من الكتاب والأثر

قال الشيخ [الإمام أبو نصر] رحمه الله : لا خلاف بين الأئمة في أن الله تبارك وتعالى ذكر في كتابه الصادقين والصادقات ، والقانتين والقانتات ، والخاشعين ، والموقنين ، والمخلصين ، والمحسنين ، والخائفين ، والراغبين ، والواجلين ، والعابدين ، والسائحين ، والصابرين ، والزاهدين ، والمتوكلين ، والمحبتين ، والأولياء ، والمتقين والمصطفين ، [والمجتبين] ، والأبرار والمقربين .

وقد ذكر الله تعالى المشاهدين فقال : ([أولئك السمع] وهو شبيه) (١) .
وذكر الله المعامنين فقال : (الأيدي كرا لله تطمئن القلوب) (٢) . وذكر الله تعالى السابقين ، والمقتصدين ، والمسارعين إلى الخيرات .

٦ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من أمتي مكلمين ومحدثين ، وإن
٧ عمر منهم » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « رب أشعث أغبر ذي طمرين
٨ لو أقسم على الله لأبره ، وإن البراء منهم » . وقال لوابصة : « استفت قلبك »
ولم يقل لأحد غيره ذلك .

٩ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يدخل يشفاعة رجل من أمتي الجنة مثل
١٠ ربيعة ومضر ، يقال له أويس القراني » وفي الحديث : إن في أمتي من إذا قرأ
ريت أنه يخشى الله تعالى ، وإن طلق بن حبيب منهم ، وقول النبي صلى الله
١١ عليه وسلم : « يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بلا حساب ، قيل : من هم
يا رسول الله ؟ قال : هم الذين لا يكتبون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون »
والآثار والأخبار في مثل هذا تكثر .

(٢) سورة الرعد : ٢٨

(١) سورة ق : ٣٧

ولا خلاف أن هؤلاء كلهم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يكونوا في الأمة موجودين ، واستحال كونهم في كل وقت ، لم يذكرهم الله تعالى في كتابه ، ولم يصفهم رسول الله صل الله عليه وسلم .

ولما رأينا أن اسم الإيمان قد شمل جميع المؤمنين ، وأفرد هؤلاء بأسماء مختصة من ذلك ، دل ذلك على تخصيصهم من عامة المزمعين الذين شملهم اسم الإيمان ، ولا يختلف أحد من الأئمة في أن الأنبياء عليهم السلام الذين هم أعلى درجة من هؤلاء ، وأقرب منزلة عند الله تعالى منهم ، أنهم كانوا بشرأ يجري عليهم ما يجري على سائر البشر من الأكل والنوم والحواشي .

وإنما وقع التخصيص للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، وأسائر هؤلاء الذين ذكرتهم ليرتبينهم وبين معبودهم ، وازدياد يقينهم وإيمانهم بما خاطبهم الله تعالى به وندبهم إليه ، إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنهم ينفردون عن هؤلاء بتخصيص الوحي والرسالة ودلائل البيوة ، فلا يجوز لأحد أن يزاحمهم في ذلك ، والله أعلم .

باب في ذكر اعتراض الصوفية على المتفقه ، وبيان التفقه ،

في الدين ، ووجه ذلك بالحجة

قال الشيخ [أبو نصر] رحمه الله : روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » وبلغني عن الحسن البصري رحمه الله : أنه قيل له : فلان فقيه ، فقال الحسن : وهل رأيت فقيهاً قط ؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا ، الراغب في الآخرة ، البصير بأمر دينه . وقول الله تعالى « لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ » (١) فالدين اسم يشتمل على جميع الأحكام ظاهراً وباطناً .

وليس التفقه في أحكام هذه الأحوال ومعاني هذه المقامات التي تقدم ذكرها بأقل فائدة من التفقه في أحكام الطلاق والعتاق والظهار والقصاص والقسامة والحدود ، لأن تلك أحكام ربّما لا تقع في العمر حادثة تحتاج إلى علم ذلك ، فإذا وقعت تلك الحادثة فمن سأل عنها قلّد في ذلك ، ولأخذ بقول بعض الفهاء ، فقد سقط عنه فرض ذلك إلى أن تقع به حادثة أخرى ، وهذه الأحوال والمقامات والمجاهدات التي يتفقه فيها الصوفية ويتكلمون في حقائقها . فالؤمنون مفتقرون إلى ذلك ، ومعرفة ذلك واجبة ، وليس لذلك وقت مخصوص دون وقت ، وذلك مثل الصدق والإخلاص والذكر ومجانبة الغفلة وغير ذلك ليس لها وقت معلوم ، بل يجب على العبد في كل لحظة وخطرة أن يعلم ايش قصده وإرادته وخاطره ، فإن كان حقاً من الحقوق فواجب عليه أن يلزمه ، وإن كان حظاً من الخلوّ فواجب عليه مجانبة ، قال الله تعالى لنبيه وصفه محمد صلى الله عليه وسلم : « وَلَا تَطِيعُ مَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا » (٢) فمن ترك حالاً من هذه الأحوال ما تركها إلا من غلبة الغفلة على قلبه .

(٢) الكهف : الآية ٢٨

(١) التوبة : ١٢٠

واعلم أن مستنبطات الصوفية في معاني هذه العلوم ومعرفة دقائقها وحقائقها ينبغي أن تكون أكثر من مستنبطات الفقهاء في معاني أحكام الظاهر ، لأن هذا العلم ليس له نهاية ، لأنه إشارات وبوادٍ وخراطير وعطايا وهبات يعرفها أهلها من بحر العطاء ، وسائر العلوم لها حدٌ محدود ، وجميع العلوم يؤدّي إلى علم التصوف ، [وعلم التصوف لا يؤدّي إلا إلى نوع من علم التصوف] وليس له نهاية ، لأن المقصود ليس له غاية ، وهو علم الفتوح يفتح الله تعالى على قلوب أوليائه في فهم كلامه ومستنبطات خطابه ما شاء كيف شاء ، قال الله عزّ وجلّ : (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْتُمْ بِمِثْلِهِ مَدَدًا) (۱) . وقال : (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) (۲) ، والزيادة من الله تعالى لا نهاية لها ، والشكر نعمة تستوجب شكراً مستوجباً لمزيد لا نهاية له .
وبالله التوفيق .

(۲) إبراهيم : ۷

(۱) الكهف : ۱۰۰

باب ذكر التخصيص في علوم الدين وتخصيص كل علم

بأهله ، والرد على من أنكر علماً برأيه ولم يدفع ذلك

إلى أهله وإلى من يكون ذلك من شأنه

قال الشيخ [الإمام أبو نصر] رحمه الله أنكرت جماعة من العلماء أن يكون في علم الشريعة تخصيص ولا خلاف بين [هذه] الأمة في أن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بإبلاغ ما أنزل عليه فقال: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ [مِنْ رَبِّكَ]) (١).

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » فلو كان الذي علم مما لا يعلمون من العلوم التي أمره بالإبلاغ لأبلغ ولو جاز لأصحابه أن يسألوه عن ذلك العلم لسألوه .

ولا خلاف بين أهل العلم أن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان مخصوصاً بنوع من العلم ، كما كان حذيفة مخصوصاً بعلم أسماء المناققين كان قد أسرّه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كان يسأله عمر رضي الله عنه فيقول : هل أنا منهم؟

وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين باباً من العلم لم يعلم ذلك أحداً غيري » .

وقد ذكر هذا الباب بتمامه في آخر الكتاب والمراد من تكراره هاهنا أن العلم الكسب بين أصحاب الحديث ، والفقهاء ، والصوفية ، هو علم الدين .

ولكل صنف من أهل العلم في علمه دواوين ومصنفات [وكتب] وأقوال ، ولكل صنف منهم أئمة مشهورون قد أجمع أهل عصرهم على إمامتهم ، لزيادة علمهم وفهمهم .

(١) المائدة : ٦٧

ولا خلاف في أن أصحاب الحديث إذا أشكل عليهم علم من علوم الحديث وعَدَل الأُخبار ومعرفة الرجال لا يرجعون في ذلك إلى الفقهاء ، كما أن الفقهاء لو أشكل عليهم مسألة في الخليفة والبرية والدور والوصايا لا يرجعون في ذلك إلى أصحاب الحديث ، وكذلك من أشكل عليه علم من علوم هؤلاء الذين تكلموا في مواجيد القلوب ومواريث الأسرار ومعاملات القلوب ، ووصفوا العلوم واستنبطوا في ذلك بإشارات لطيفة ومعان جليلة فليس له أن يرجع في ذلك إلا إلى عالم ممن يكون هذا شأنه ، ويكون ممن قد مارس هذه الأحوال ونازلها واستبحث عن علومها ودقائقها ، فمن فعل غير ذلك فقد أخطأ ، وليس لأحد أن يبسط لسانه بالوقعة في قوم لا يعرف حالهم ، ولم يعلم علمهم ولم يقف على مقاصدهم ومراتبهم فيهلك ويظن أنه من الناصحين ، أعادنا الله تعالى وإياكم .

باب الكشف عن اسم الصوفية

ولم يُسموا بهذا الاسم ، ولم نسبوا إلى [هذه] اللبسة

قال الشيخ رحمه الله : إن سأل سائلٌ فقال : قد نسبت أصحاب الحديث إلى الحديث ، ونسبت الفقهاء إلى الفقه فلم قلت : الصوفية ولم تنسبهم إلى حال ولا إلى علم ، ولم تُضيف إليهم حالا كما أضفت الزهد إلى الزهاد والتوكل إلى المتوكلين والصابر إلى الصابرين ؟ فيقال له : لأن الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع ، ولم يتسموا برسم من الأحوال والمقامات دون رسم ، وذلك لأنهم معدن جميع العلوم ، ومحل جميع الأحوال المحمودة ، والأخلاق الشريفة ، سالفاً ومستافئاً ، وهم مع الله تعالى في الانتقال من حال إلى حال ، مستجلبين للزيادة ، فلما كانوا في الحقيقة كذلك لم يكونوا مستحقين اسماً دون اسم ، فلأجل ذلك ما أضفت إليهم حالا دون حال ، ولا أضفتهم إلى علم دون علم ، لأنني لو أضفت إليهم في كل وقت حالا [هو] ما وجدت الأغلب عليهم من الأحوال والأخلاق والعلوم والأعمال وسميتهم بذلك ، لكان يلزم أن أسميتهم في كل وقت باسم آخر ، وكنت أضيف إليهم في كل وقت حالا دون حال على حسب ما يكون الأغلب عليهم ، فلما لم يكن ذلك نسبتهم إلى ظاهر (١) اللبسة ، لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء ، ويكثر في ذلك الروايات والأخبار ، فلما أضفتهم إلى ظاهر اللبسة كان ذلك اسماً

(١) هل الصوفية إلى الصوف؟ ذلك ما اختلف فيه مؤرخو التصوف فبعضهم ينسبها إلى الصوف وبعضهم يرجعها إلى الصفة ، وآخرون جعلونها إلى الصغاء ويريد بعض المتأخر أن ينسبها إلى كلمة : « سيوزوفى » التي تعنى الإشراق وسيد كر المؤلف بعض هذه الآراء فيما بعد .

مُجْمَلًا عَامًّا مُخْبِرًا عَنْ جَمِيعِ الْعُلُومِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَحْوَالِ الشَّرِيفَةِ
 الْمَحْمُودَةِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ طَائِفَةً مِنْ خَوَاصِّ أَصْحَابِ عَيْسَى عَلَيْهِ
 السَّلَامِ قَنَسَهُمْ إِلَى ظَاهِرِ اللَّبْسَةِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : «وَإِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ [الْآيَةُ] (١)
 وَكَانُوا قَوْمًا يَلْبَسُونَ الْبِيضَ قَنَسَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى ذَلِكَ وَلَمْ يَنْسِبَهُمْ إِلَى نَوْعٍ مِنْ
 الْعُلُومِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي كَانُوا بِهَا مَتْرَسَمِينَ ، فَكَذَلِكَ الصَّوْفِيَّةُ عِنْدِي
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

نُسِبُوا إِلَى ظَاهِرِ اللَّبَاسِ ، وَلَمْ يَنْسِبُوا إِلَى نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي هُمْ
 بِهَا مَتْرَسَمُونَ ، لِأَنَّ لِبْسَ الصَّوْفِ كَانَ دَابَّ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالصَّادِقِينَ وَشُعَارَ
 [لِلْسَّاكِينِ] الْمَتْنَسِكِينَ .

باب الرد على من قال :

لم نسمع بذكر الصوفية في القديم وهو اسم مُحدث

إن سأل سائلٌ فقال : لم نسمع بذكر الصوفية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم أجمعين ، ولا فيمن كان بعدهم ، ولا عرف إلا العباد والزهاد والسيّاحين والفقراء ، وما قيل لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : صوفيٌّ ، فتقول وبالله التوفيق :

الصُّحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لها حرمة ، وتخصيص من شمله ذلك ، فلا يجوز أن يعلق عليه اسم على أنه أشرف من الصحبة ، وذلك اشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرمة ، ألا ترى أنهم أئمة الزهاد والعباد والمتوكلين والفقراء والراضين والصابرين والمحبتين ، وغير ذلك ، وما نالوا جمع ما نالوا إلا ببركة الصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نسبوا إلى الصحبة التي هي أحلُّ الأحوال استحال أن يفضلوا بفضيلة غير الصحبة التي هي أحلُّ الأحوال وبالله التوفيق .

وأما قول المائل : إنه اسم محدث أحدثه البغداديون ، فمحال ، لأن في وقت الحسن البصرى رحمه الله كان يُسرف هذا الاسم ، وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم ، وقد روى عنه أنه قال : رأيتُ صوفيًّا في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال : معي أربعة دوانيق فيكفيني ما معي .

وروى عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال : لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت بدقوق الرباء ، وقد ذكر في الكتاب الذي أُجمع فيه أخبار مكة عن محمد بن إسحاق بن يسار ، وعن غيره يذكر فيه حديثاً : أنه قبل الإسلام قد

خلت مكة في وقت من الأوقات ، حتى كان لا يطوف بالبيت أحد ، وكان يحىء من بلد بعيد رجل صوفي فيطوف بالبيت وينصرف ، فإن صح ذلك فإنه يدل على أنه قبل الإسلام كان يعرف هذا الاسم ، وكان يُنسب إليه أهل الفضل والصلاح ، والله أعلم .

باب إثبات علم الباطن

والبيان عن صحة ذلك بالحجج

قال الشيخ رحمه الله : أنكرت طائفة من أهل الظاهر وقالوا : لا يعرف إلا علم الشريعة الظاهرة التي جاء بها الكتاب والسنة ، وقالوا : لا معنى لقولكم علم الباطن وعلم المتصوف ، فتقول ، وبالله التوفيق .

إن علم الشريعة علم واحد ، وهو اسم واحد يجمع معنيين : الرواية والدراسة ، فإذا جمعتَهما فهو علم الشريعة الداعية إلى الأفعال : الظاهرة والباطنة ، ولا يجوز أن يجرّد القول في العلم : أنه ظاهر أو باطن ، لأن العلم متى ما كان في القلب فهو باطن فيه إلى أن يجرى ويظهر على اللسان ، فإذا جرى على اللسان فهو ظاهر ، غير أننا نقول :

إن العلم ، ظاهر ، وباطن ، وهو علم الشريعة الذي يدل ويدعو إلى الأفعال الظاهرة والباطنة ، والأعمال الظاهرة كالأعمال الجوارح الظاهرة ، وهي الصلاة والأحكام ، مثل الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وغير ذلك ، وهذه العبادات ، وأما الأحكام فالحدود والطلاق والعنف والبيع والقرائن والتصالح وغيرها ، فهذا كله على الجوارح الظاهرة التي هي الأفعال ، وهي الجوارح ، وأما الأعمال الباطنة فكأعمال القلوب وهي التمسك بالأحكام ، مثل التصديق والإيمان واليقين والصدق والإخلاص والمعرفة والنوكل والمحبة

والرضا، والذكر، والشكر، والإنابة، والخشية، والتقوى، والمراقبة، والفكرة
والاعتبار، والخوف، والرجاء، والصبر، والقناعة، والتواضع، والتفويض، والقرب،
والشوق، والوجد، والوجل، والحزن، والندم، والحياء، والخجل، والتعظيم،
والإجلال، والهيبة، ولكل عمل من هذه الأعمال الظاهرة والباطنة علم وفقه وبيان
وفهم وحقيقة ووجد، ويدل على صحة كل عمل منها من الظاهر والباطن آيات
من القرآن وأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم علمه من علمه وجهله من جهله؛
فإذا قلنا: علم الباطن أردنا بذلك علم أعمال الباطن التي هي على الجارحة الباطنة،
وهي القلب، كما أما إذا قلنا: علم الظاهر أشرنا إلى علم الأعمال الظاهرة التي هي على
الجوارح الظاهرة، وهي الأعضاء، وقد قال الله تعالى: «وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً
وَبَاطِنَةً» (١) فالنعمة الظاهرة ما أعم الله تعالى بها على الجوارح الظاهرة من فعل
الطاعات، والنعمة الباطنة ما أعم الله تعالى بها على القلب من هذه الآيات،
ولا يستغنى الظاهر عن الباطن، ولا الباطن عن الظاهر، وقد قال الله عز وجل:
«وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَبْطِئُونَ
مِنْهُمْ» (٢)؛ فالعلم المستبطن هو العلم الباطن، وهو علم أهل التصوف، لأن لهم
مستبطنات من القرآن والحديث وغير ذلك، ونحن نذكر إن شاء الله طرفاً من
ذلك؛ فالعلم ظاهر وباطن، والقرآن ظاهر وباطن، وحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ظاهر وباطن، والإسلام ظاهر وباطن، ولأصحابنا في
معنى ذلك استدلالات واحتجاجات من الكتب والسنة والعقل، وشرحه يطول
ويخرج على حد الاختصار إلى حد الإكثار، وفيما قلنا كفاية، وبالله التوفيق.

(١) لقمان: ٢٠

(٢) النساء: ٨٣

باب التصوب : ماهو ونعته وماهيته ؟

قال الشيخ رحمه الله : فأما التصوف ونعته وماهيته فقل سُئِلَ محمد بن علي القصاب ، وهو أستاذ الجنيد رحمه الله عن التصوف : ماهو؟ قال : أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام .

وُسئِلَ الجنيد رحمه الله عن التصوف ، فقال : أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة .

وسئِلَ رُوَيْمُ بن أحمد رحمه الله عن التصوف ، فقال : استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد .

وسئِلَ سمنون رحمه الله عن التصوف ، فقال : أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء .

وسئِلَ أبو محمد الجريري رحمه الله عن التصوف ، فقال : الدخول في كل خلق سنى والخروج من كل خلق ذنى .

وسئِلَ عمرو بن عثمان المكي رحمه الله عن التصوف ، فقال : أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى في الوقت .

وسئِلَ علي بن عبد الرحيم التناد رحمه الله عن التصوف ، فقال : نشر مقام واتصال بدوام .

باب صفة الصوفية ، ومن هم ؟

قال الشيخ رحمه الله : وأما صفة الصوفية ومن هم : فقد قيل لعبد الواحد بن زَيد ، كما بلغني ، وكان ممن يصحبه الحسن رحمه الله . وكان من آجلة أعباده : من الصوفية عندك ؟ فقال : القاتنون بعقولهم على همومهم والعاكفون عليها بقلوبهم ، للعتصون بسيدهم من شر نفوسهم ، هم الصوفية .

وسئِلَ ذو الون المصري رحمه الله عن الصوفى ، فقال : هو الذى لا يتعبه طلب

ولا يزعمه سلب، وقال أيضاً، هم قوم آثروا الله تعالى على كل شيء، فأثرهم الله على كل شيء.

وقيل لبعضهم: من أحب؟ فقال: أصحاب الصوفية، فإن للقبیح عندهم وجوهاً من المعاذير، وليس للكثير عندهم موقع فيرفعوك به فتعجب نفسك. وسئل الجنيد بن محمد رحمه الله عن الصوفية: من هم؟ فقال: أثره الله في خلقه يخفيها إذا أحب ويظهرها إذا أحب.

وقيل لأبي الحسين أحمد بن محمد البوري رحمه الله: من الصوفي؟ فقال: من سمع السماع وآثر بالأسباب.

وأهل الشام يسمون الصوفية فقراء، ويقولون قد سماهم الله تعالى فقراء فقال: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ» (١) «وَقَوْلُهُ تَعَالَى «لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٢)».

وقيل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن يحيى الجلاء رحمه الله ما معنى الصوفي؟ قال: ليس نعرفة في شرط العلم، ولكن نعرف فقيراً مجرداً من الأسباب كان مع الله عز وجل بلا مكان ولا يمنعه الحق من علم كل مكان سمي صوفياً.

وقد قيل: كان في الأصل صفوى فاستعمل ذلك فقيل: صوفي.

وسئل أبو الحسن القناد رحمه الله عن معنى الصوفي فقال: مأخوذ من الصفاء وهو القيام لله عز وجل في كل وقت بشرط الوفاء.

وقال بعضهم: من إذا استقبله حالان أو خلتان حسنان فيكون مع الأحسن والأعلى.

(١) تكملة الآية: «وَأَمْوَالُهُمْ يُبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيُنصَرُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ الصَّادِقُونَ»، ٢٢ الحشر: ٨

(٢) تكملة الآية: «وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّصَوُّفِ فَعَرَفَهُمْ بِسِيَاهِمُ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ لِلْحَافَا وَمَا تَنْفَقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ»، البقرة ٢٧٥

وسئل آخر عن معنى الصوفي فقال : معناه أن العبد إذا تحقق بالعبودية وصافاه الحق حتى صفا من كدر البشرية نزل منازل الحقيقة وقارن حكام التريفة ، فإذا فعل ذلك فهو صوفي ، لأنه قد صوفي .

قال الشيخ رحمه الله : فإذا قيل لك : الصوفية من هم في الحقيقة ؟ صنفهم لنا فقل : هم العلماء بالله وبأحكام الله ، العاملون بما علمهم الله تعالى ، المتحققون بما استعلمهم الله عز وجل ، الواجدون بما تحققوا ، القانون بما وجدوا ، لأن كل واحد قد فنى بما وجد .

وقال القناد رحمه الله : التصوف اسم قد وقع على ظاهر اللبسة ، وهم مشغولون في معانيهم وأحوالهم .

وسئل الشبلي رحمه الله : إجماعاً سميت الصوفية بهذا الاسم ؟ فقال : لثبوتها بقية عليهم من نفوسهم ، ولولا ذلك لما لافقت بهم الأسماء ، ولا تعنت بهم .
وفد قيل أيضاً : إن الصوفية هم بقية من بقيا أهل الصفة .

وأما من قول : إنه اسم واقع على ظاهر اللبسة فقد روي في ذلك أخبار في ذلك من لبس الصوف ، واختار لبسه من الأنبياء والصالحين وذكره يطول .

وقد أجاب عن التصوف : ما هو ؟ جماعة بأجوبة مختلفة ، منهم إبراهيم بن المنجد الرقي ، قد أجاب عنها بأكثر من مائة جواب ، وفي ذلك كفاية ، وقد قال علي بن عبد الرحيم القناد رحمه الله في التصوف واندراس أهل شعراً :

أهل التصوف قد مضوا أصار التصوف محرقه

صار التصوف صيحة وقد كثر في

مفتت العموم فلا علوم ولا قلوب مشرقه

كذبتك نفسك ليس ذاك سنن الطريق المستند

حتى تكون بعين من عند العيون المجدفة

تجزي عليك امرؤ فقه وهموم سرك منظر قد

ولبعض المشايخ في التصوف ثلاثة أجوبة : جواب بشرط العلم ، وهو تصفية
القلوب من الأكدار ، واستعمال الخلق مع الخليفة ، واتباع الرسول في الشريعة ،
وجواب بلسان الحقيقة ، وهو عدم الأملاك ، والخروج من رِق الصفات والامتغناء
بخلق السموات ، وجواب بلسان الحق ، أصفهم بالصفاء عن صفاتهم ، وصفاهم من
صفاتهم ، فسموا صوفيةً .

وقلت للحصري رحمه الله : من الصوفي عندك ؟ قال : الذي لا تقله الأرض
ولا تظله السماء ، معناه : أنه ، وإن كان على الأرض وتحت السماء فالله عز وجل الذي
يقله بالأرض ويظله بالسماء ، لا السماء ولا الأرض .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقول أي أرض تقلني ، وأي سماء
تظلي ، إذا قلت في كتاب الله عز وجل برأيي .

باب التوحيد ، وصفة الموحّد ، وحقيقته وكلامهم في معنى ذلك

قال الشيخ رحمه الله : بلغني عن يوسف بن الحسين الرازي رحمه الله أنه قال :
قام رجل بين يدي ذي النون المصري رحمه الله فقال : خبرني عن التوحيد : ما هو ؟
قال : هو أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج ، وصنعة للأشياء بلا علاج ،
وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه ، وليس في السموات العلى ولا في الأرضين السفلى
مدبر غير الله تعالى ، ومبها تصور وهمك فالله تعالى بخلاف ذلك ، أو قال غير ذلك .

وقال الجنيد رحمه الله ، وقد سئل عن التوحيد ، فقال : أفراد الموحّد بتحقيق
وحدانيته بكمال أحديته بأنه الواحد الذي لم يلد ولم يولد بنى الأضداد والأنداد
والأشباه وما عبد من دونه ، بلا تشبيه ولا تكليف ولا تصوير ولا تمثيل ، إنشأ
واحدًا صمدًا فردًا ليس مثله شيء ، وهو السميع البصير .

وسئل جنيد رحمه الله عن التوحيد مرة أخرى ، فقال : معنى تضمحل فيه الرسوم
وتندرج فيه العلوم ، ويكون الله تعالى كما لم يزل .

قال أبو نصر رحمه الله : فالجوابان اللذان لدى النون والجنيد رحمهما الله في
التوحيد هما ظاهران ، أجابا عن توحيد العام ، وهذا الجواب الذي ذكرته أشار إلى
توحيد الخاصة .

وقد سئل الجنيد رحمه الله عن توحيد الخاصة ، فقال : أن يكون العبد ساجدًا
بين يدي الله عز وجل تجري عليه تصاريف تدبيره في مجاري أحكام قدرته في جميع
بخار توحيدته بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له وعن الساجدين بعبادته ووجود
وحدانيته في حقيقة قربته بذهاب حسد وحرارة ، تقيّم الحق له في أراء منه ، وهو أن
يرجع آخر العبد إلى أوله ، فيكون كما كان قبل أن يكون ، وقال أيضًا : التوحيد
هو الخروج من ضيق رسوم الزمانية إلى سعة فناء البرمديّة .

فإن قال قائلٌ : ما معنى قوله : يرجع آخر العبد إلى أوله فيكون كما كان قبل أن يكون ، فيقول : بيان ذلك فيما قال الله عز وجل : « وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ . الْآيَةَ (١) » .

قال الجنيد رحمه الله في معنى ذلك : فمن أين كان وكيف كان قبل أن يكون ؟ وهل أجابت إلا الأرواح الظاهرة بإقامة القدرة وإنفاذ الشيئة ؟ فهو الآن في الحقيقة كما كان قبل أن يكون ، وهذا غاية حقيقة التوحيد للواحد : أن يكون العبد كما لم يكن ، ويمتني الله تعالى كما لم يزل ، قال رجل للشبلي رحمه الله ، وسمه دُأب بن جردز : يا أبا بكر أخبرني عن توحيد مجرد بلسان حق مفرد ، فقال : ويحك ! من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد ، ومن أشار إليه فهو تـكـرـي ، ومن سكت عنه فهو جاهل ، ومن وهم أنه واصل فليس له حاصل ، ومن أو ما إليه فهو عابد وثن ، ومن نطق فيه فهو غافل ، ومن ظن أنه قريب فهو بعيد ، ومن تواجد فيه فهو فاقد ، وكما ميزتموه بأوهامكم وأدر كتموه بعتولكم في أتم معانيكم فهو معصوف معدود إليكم محدث ، مصنوع مثلكم . وإن أخذنا في شرح ما قال الشبلي رحمه الله كما يجب فيطول ذلك ، ولكن على الإيجاز والاختصار كأنه يريد بما أجاب عن التوحيد : إفراد القديم عن المحدث ، وأن ليس للخلق طريق إلا ذكره ووصفه وسمته ، على مقدار ما أتى إليهم ورسم لهم .

قال الشيخ رحمه الله : ووجدت ليوسف بن الحسين في التوحيد ثلاث أجوبة : جواب منها في توحيد العمارة ، وهو الإفراد بالوحدانية بذهاب رؤية الأضداد والأنداد والأشباه الأشكال مع السكون إلى معارضة الرغبة والرغبة بذهاب حقيقة التصديق لأنه ببقاء حقيقة التصديق لا يسكن إلى معارضة الرغبة والرغبة .

(١) التسمية : وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة -

إنا كنا عن هذا غافلين . الأعراف ١٧٢ .

والجواب الثاني : توحيد أهل الحقائق على الظاهر، وهو الإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية الأسباب والأشياء بإقامة الأمر والنهي في الظاهر والباطن بإزالة معارضة الرهبة والرغبة مما سواه بقيام شواهد الحق مع قيام شواهد الدعوة والاستجابة، فإن قيل : ما معنى قوله : إزالة معارضة الرهبة والرغبة وهما حقان ؟ فيقال : هما حقان، هما في موضعهما كما هما، ولكن قَبْرَهُمَا سلطان الوحدانية كما قَبْرُ سلطان ضوء الشمس ضوء الكواكب وهي في مواضعها .

والجواب الثالث : توحيد الخاصة، وهو أن يكون العبد بسره ووجوده وقبده كأنه قائم بين يدي الله عز وجل تجري عليه تعاريف تدييره، وتجرى عليه أحكام قدرته في محار توحيد بالانفناء عن نفسه وذهب حسد بقيام الحق له في مراده منه، فيكون كما كان قال أن يكون يعني في جريان أحكام الله عليه وإيقاد مشيئته به .

وبيان ذلك كما قال الجَدِيدُ رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بَنِي آدَمَ » الآية وقد ذكرناه .

قال الشيخ رحمه الله : وذل في حقيقة التوحيد لسان آخر، وهو لسان الوحيين، وإشارتهم في ذلك تبعد عن التعميم ونحن نذكر من ذلك طرفاً كما يمكن تفرجه . وهذا العلم أكثره إشيرة لا تخفى على من يكون أهله، فإذا صدر إلى الترحيح والبرية يخفى ويذهب روثته، وإيما دعاني إلى سرحه لأنى وضعت في الكتابين والكتب ربما ينظر فيه فيد من يفهم ومن لا يفهم فيهلك، وهذا من كلام الشيخ أحمد بن يزيد البغدادي رحمه الله، حين سأل عن التوحيد، فقال : هو العلم بالوحدانية البشرية، وتجرد الألوهية، وإنما يريد بقوله : العلم بالوحدانية العلم بالنسب إلى النفس، لأنها تدعى الربوبية بنظرها إلى أماني، فتقال البدن : أنا، لا بد من إلا الله، إذ الإنية لله عز وجل، فهذا معنى علم آثار الشريعة، ومعنى قوله : العلم بالألوهية يعني إفراد القديم عن المحدثات .

وقال آخر التوحيد نسين ما سوى التوحيد بالتوحيد ، يعني فيما يوجب حُكْمَ الحقيقة ، وقال : الوجدانية بقاء الحق بفناء كل مادون ، يعني : فناء يوجب فناء ، يوجب حُكْمَ الحقيقة ، وفيل : الوجدانية بقاء الحق وفناء كل ما دونه ، يعني : فناء العبد عن ذكر نفسه وقلبه بدوام ذكر الله تعالى وتعظيمه .

وقال آخر : ليس في التوحيد خلق ، وما وجد الله غير الله ، والترديد للحق من الخلق طفيلي ، قلنا وبيان ذلك وما أشار إليه هؤلاء والله أعلم في قول الله تعالى : (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِاتِّسَاطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (١) فقد شهد لنفسه بالوجدانية قبل الخلق فحقيقة التوحيد من حيث الحق ما شهد الله لنفسه بالوجدانية قبل الخلق ، ومن حيث الخلق فقد وحدوه حقيقة ووجدوا على مقدار ما قسم لهم وأرادهم بذلك ، وهو قوله تعالى : « وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ » وأما من طريق الإقرار فأهل القبلة متساوون فيها ، والمعول على ما في القلب لا على ما في اللسان ، وقد قال الشبلي رحمه الله : ملئهم روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد وشاهد المعاني وأثبت الأسماء وأضاف الصفات وألزم العوت ، ومن أثبت هذا كله ونفى هذا كله فهو موحد حكماً ورسماً لا حقيقة ووجداً .

قال الشيخ رحمه الله : معناه والله أعلم : أنه يثبت الصفات والنعوت على رسم ما رسم له من ذلك ، ولا يشبهها من حيث الإدراك والإحاطة (٢) والتوهم .
وقال غيره من العارفين : أما التوحيد : فهو الذي يُعَمِّي البصير ، ويحير العاقل ، ويدهش الثابت .

قلت : لأنه من تحقق بذلك وجد في قلبه من عظمة الله تعالى وهيبته ما يدهشه ويخبر عقله إلا من ثبته الله تعالى .

(١) آل عمران : ١٨

(٢) في نسخة أخرى والتوهم

وقال أبو سعيد أحمد بن عيسى الحرّاز رحمه الله :

أول مقام لمن وجد علم التوحيد وحقق بذلك : فناء ذكر الأشياء عن قلبه وانفراده
بالله عز وجل .

وقال ، أيضاً : أول علامة التوحيد : خروج العبد عن كل شوء ، ورد جميع الأشياء
إلى متوليها ، حتى يكون المتولى بالتولى ناظراً إلى الأشياء قائماً بها متمكناً فيها .
تم تخفيفهم في أنفسهم من أنفسهم ، وتميت أنفسهم في أنفسهم ويعطونهم لنفسه .
فهذا أول دخول في التوحيد من حيث ظهور التوحيد بالديومية .

قال : وبيان ذلك ، والله أعلم : فناء ذكر الأشياء بذكر الله تعالى ، ومعنى خروجه
عن كل شيء يعني لا يضيف إلى نفسه واستطاعته شيئاً ، ويرى قوام الأشياء بالله
في الحقيقة لا بهم ، ومعنى قوله : حتى يكون المتولى بالتولى ناظراً إلى الأشياء قائماً
بها يشير إلى تولية الحق له وما يستولى عليه من صفات التوحيد ، حتى يرى قوام الأشياء
بالله عز وجل لا بذواتها ، ألا ترى إلى قول القائل :

وفي كل شيء له شاهد

وأما قوله : « متمكناً فيها » يريد بذلك أن العبد لا يتبرى عنه في غيره ، إلى
الأشياء ، فإن قوامها بالله عز وجل ، ثم قال : « يمتهم في أنفسهم من أنفسهم »
وتميت أنفسهم في أنفسهم ، يعني لا يمتهمون حسدهم ، ولا يلاحظون حواسهم ، ولا يفتنونهم
الظاهرة والمخفية يوماً ، أي في الحقيقة إلا وهم ، يمتهمون أنفسهم من أنفسهم ، ولا يفتنونهم
المشقة وإن أضحت إلى المضاف إليه .

وقال الشبلي ، رحمه الله لرجل : تدري ، لا تصح لك العبادة .

قال : لا .

قال : لأدك تطابه ببيانك .

وقال ، أيضاً : لا يصح التوحيد إلا لمن كان جحدُه إثباته ، فسئل عن الإثبات فقال : إستناط الياءات .

معناه ، والله أعلم ، أن الموحّد في الحقيقة يجحد إثباته إياه : يعني إثبات نفسه في جميع الأشياء بسرّه كقوله : بي ولي ومنى وإلى وعلى وفيّ وعنى ، فيستط هذه الياءات ويحجدها بسرّه ، وإن كانت جارية ، من حيث الرسم على لسانه .

وقال الشبلي رحمه الله ، الرجل ، أيضاً : توحيدُ توحيد البشرية أو توحيد الإلهية؟ فقال : فيهما فرق ؟ فقال : عم .

توحيد البشرية : خوف العقوبات . وتوحيد الألوهية توحيد العظيم .

قال الشيخ رحمه الله : قلتُ : إن معناه أن صفة البشرية طلب العوض ورؤية الفعل والظلم في غير الله عز وجل ، وليس من وحد الله تعالى إجلالاً لله كمن وحده خوفاً من عقوبته ، وإن كان تخوف من عذاب الله عز وجل حالة شريفة .

وقال الشبلي رحمه الله : من اطّلع على ذرة من علم التوحيد ضعف عن حمل بقية ثقل ما حمل .

وقال ، مرة أخرى : من اطّلع على ذرة من علم التوحيد حمل السموات والأرض على شعرة من جنن عيذه .

وقال : معناه ، والله أعلم أن السموات والأرض وجميع ما خلق الله عز وجل . يتصاغر في عينه ، عند ما يشهد بقلبه بأوار التوحيد من عظمة الله عز وجل .

١٥ ود روى : « أن جبريل عليه السلام سئله جناح ، جناحان منها إذا نشرهما غطى بهما المشرق والمغرب » .

١٦ وند روى ، أيضاً في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه : « أن صور جبريل عليه السلام في فائمة الكرمي مثل الزردة في الجوشن » .

ويقال: « إن جبريل عليه السلام والعرش والكرسي، كل هذا مع الملكوت ١٧ الذي ظهر لأهل العلم بالله عز وجل، وإنما هي كرملة فيما وراء الملكوت بل أقل من ذلك ».

وقال أبو العباس أحمد بن عطاء البغدادي رحمه الله في بعض كلامه: علامة تحقيقة التوحيد نسيان التوحيد، وصدق التوحيد أن يكون التمسك به واحدا يريد بذلك: أن ينسى العبد رؤية توحيدته في توحيدته برؤية قيام الله عز وجل له بذلك قبل خلقه، لأنه لو لم يرد لهم بذلك ما أرادوه (١) ولا وحدوه.

ولمشاينا في التوحيد مصنفات. وقد قصدنا إلى القليل المشكل من أنماظهم يُستدرك به ما ألم أذكره، إن شاء الله.

(١) يناسب هذا قول الله تعالى: وما تشاءون إلا أن يمشاء الله.

باب ما قالوا في المعرفة ، وصفة العارف

وحقيقة ذلك بيانها

سئل أبو سعيد الخراز رحمه الله عن المعرفة فقال :

المعرفة تأتي من وجهين : من عين الجود ، وبذل (١) المجهود .

وسئل أبو تراب النخشي ، رحمه الله ، عن صفة العارف فقال :

هو الذي لا يكدره شيء ، ويصفو به كل شيء .

وقال أحمد بن عطاء ، رحمه الله :

المعرفة : معرفتان : معرفة حق ، ومعرفة سقيمة فمعرفة الحق : معرفة وحدانيته ،

على ما أبرز الخاق من الأسمى والصفات . ومعرفة الحقيقة على أن لا سبيل إليها ،

لامتناع الصمدية وتحقيق الربوبية ، أقوله ، عز وجل :

« وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (٢) »

قال أبو نصر ، رحمه الله : معنى قوله : لا سبيل إليها يعني إلى المعرفة على الحقيقة ،

لأن الله تعالى أبرز خلقه من أسمائه وصفاته ما علم أنهم يطيقونه ، ذلك لأن حقيقة

معرفة لا يطيقها الخاق ، ولا ذرة منها ، لأن الكون بما فيه يتلاشى ، عند ذرة من

أول باد يبدو من بوادي سطوات عظمته . فمن يطيق معرفة من يكون هذا صفة من

صفاته ؟ فذلك قال القائل :

ما عرفه غيره ولا أحبه سواه ، لأن الصمدية ممتعة عن الإحاطة والإدراك . قال الله

عز وجل :

« وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ (٣) » .

(١) هذه الفكرة الصحيحة فيما يتعلق بالمعروف : فبعضها لاشك هبة من الله .

وبعضها كسب للعبد

(٢) البقرة : ٢٥٤

(٣) طه : ١١٠

وقد حكى في هذا المعنى عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، أنه قال :

« سبحان من لم يجعل للخلق طريقاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته » .

وسئل الشبلي :

متى يكون العارف بمشهد من الحق ؟ قال :

إذا بدا الشاهد ، وفى الشواهد ، وذهب الخواس ، واطمحل الإحساس .

وسئل أيضاً :

ما بدؤ هذا الشأن وما انتهائه ؟ قال :

بدؤه معرفته ، وانتهائه توحيده وقال :

من علامة المعرفة : أن يرى نفسه فى قبضة العزة ، ويجرى عليه تصريف القدرة .

ومن علامة المعرفة : المحبة ، لأن من عرفه أحبه .

وبلغنى عن أبي يزيد طيفور بن عيسى البسطامى ، رحمه الله أنه سئل عن صفات

العارف ، فقال :

لون الماء لون إنائه إن صببته فى إناء أبيض خيلته أبيض ، وإن صببته فى إناء أسود

خيلته أسود ، وكذلك الأصفر والأحمر ، وغير ذلك . ينداوله الأحوال ، وروى

الأحوال وإليه .

وقال الشيخ ، رحمه الله : معناه ، والله أعلم : أن الماء على قدر قدرته يصبغ لون

إنائه ، ولا يغيره لون إنائه عن صفته وحاله ، وينال المظهر ينداوله أحوال

وهو فى الإناء بمعنى واحد ، وكذلك العارف ومنه معناه ، وهو على قدر قدرته

الأحوال يكون سره مع الله تعالى بمعنى واحد .

وسئل الجتيد رحمه الله عن معتدل العارفين ، فقال :

ذهبوا عن وصف الراجحين .

وسئل بعضهم عن المعرفة فقال : مطالعة القلوب لإفرادها على طائفة من العارفين .

وسئل الجنيد ، رحمه الله ، فقيلاً له : يا أبا الناسم ما حاجة العارفين [إلى الله تعالى] ؟
قال حاجتهم إليه : ثلاثة ورعاية لهم .

وقال محمد بن المفضل السمرقندي ، رحمه الله ، بل لا حاجة لهم ولا اختبار ، إذ بغير
الحاجة والاختيار نالوا ما نالوا ، وإن قيام العارفين بموجودهم وبقائهم بموجودهم
وفناءهم بموجودهم .

وقيل لمحمد بن المفضل ، رحمه الله : حاجة العارفين إلى ماذا ؟ قال : حاجتهم
إلى الخصلة التي كات بها المحاسن كلها ، وبفقدها قبحت المقامح كلها وهي
الاستقامة (١) .

وسئل يحيى بن معاذ رحمه الله ، عن صفة العارف ، فقال : داخل معهم
بأن منهم .

وسئل مرة أخرى عن العارف فقال : عبد كان فبان .

وقيل لأبي الحسين النووي ، رحمه الله : كيف لا تدركه العقول ولا يعرف
إلا بالعقول ؟ فقال :

كيف يدرك ذو أمد من لا أمد له ، أم كيف يدرك ذو عاهة من لا عاهة له
ولا آفة ، أم كيف يكون مكيفاً من كيف الكيف ، أم كيف يكون محبباً من
حيث ألحيت فساه حيثاً ، وكذلك أول الأول ، وآخر الآخر ، فساه أولاً وآخره ،
فلولا أنه أول الأول وآخر الآخر ما عرف ما الأولية وما الآخريّة .

ثم قال وما الأزلية في الحقيقة إلا الأبدية ، ليس بينهما حاجز ، كما أن الأولية
هي الآخريّة والآخريّة هي الأولية ، وكذلك الظاهرية والباطنية إلا أنه يفقدك
وقتاً ويشهدك وقتاً لتجديد الذة ورؤية العبودية ، لأن من عرفه بالخلقة لم يعرفه
بالمباشرة ، لأن الخلقة على معنى قوله : كن ، والمباشرة وإظهار حرمة الاستهانة فيه .

(١) يقول الله لرسوله فاستقم كما أمرت والرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي

يقول الله له : . وإفك لعل خلق عظيم . :

قلتُ : معني قوله : مباشرة يعني مباشرة يقين ومشاهدة انقلاب بحقائق الإيمان بالغيب .
فإن الشيخ رحمه الله : والمعنى ، فيما أشار إليه والله أعلم ، أن التوقيت والتعبير
لا يجوز على الله تعالى ، فهو فيما كان كيهو فيما يكون ، وهو فيما قال كيهو فيما يقول ،
والأدنى عنده كالأقصى ، والأقصى عنده كالأدنى ، وإنما يقع (١) التفاوت للخلق من
حيث الخلق (٢) والتووين في الترب والبعد والسخط والرضا صفة للخلق وليس ذلك
من صفات الحق ، والله أعلم .

وقال أحمد بن عطاء ، رحمه الله ، في كلام له في معنى المعرفة : وبحسبى أيضاً
عن أبي بكر الواسطي رحمه الله والصحيح لابن عطاء رحمه الله قال : إنما قبحت
المستقبحات باستتاره وحسنت المستحسنت بتجليه ، فوهمنا نعتان يجران على الأيد
بما جرى به في الأزك يظهر التوسمين على المتبرزين والمطرودين ، فقد بان شمد بعد تبايه
على المتبرزين بضمهم كما بان شراهد استرة على المرودين بظاههم . فليس بعد ذلك
الألوان المصفرة ولا الأكم المقصرة ولا التدرء بالمطيقه ومرقعة :

قلت : وهذا الذي قال ابن عطاء ، رحمه الله ، معه قريب من قول أبي سيار
عبد الرحمن بن أحمد الداراني ، رحمه الله ، حيث يقول :

ليس أعمال الخلق بالذي يسخطه ولا بالذي يرضيه ، وإنما رضى عن قوم فاستعملهم
بعمال أهل الرث ، وسخط على قوم فاستعملهم بعمال أهل السخط .

ومعنى قول ابن عطاء رحمه الله : قبحت المستحسنت بظاهها ، وحسنت المستحسنت
بتجليه يعني يرقده عايناً ، وقدم له ذلك ، وهو في ذلك في جهاد
في الحديث :

(١) في نسخة أخرى التعارف .

(٢) في نسخة أخرى التكوين .

«خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ويده كته بان : كتاب يمينه وكتاب بشمله ،
فقال : هذا كتاب أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم ، وهذا كتاب أهل النار بأسمائهم
وأسماء آبائهم » الحديث .

وقال أبو بكر الواسطي رحمه الله ، لما تعرف بنفسه إلى خاصته : امتحمت
نفوسهم فلم يشهدوا وحشة بشواهد الأول مما يبدو لهم من شواهد الحظوظ ،
وكذلك كل من أعقب بمعنى ، وهذا معناه ، والله أعلم أن شاهد الأولية ، فيما عرف
بما تعرف إليه معبوده لم يشهد وحشة مع معرفته بذلك فيما سواه ولا أنسائهم .

باب في صفة العارف

وما قالوا فيه

قال يحيى بن معاذ الرازي ، رحمه الله : مادام العبد يتعرف فيقال : لا تخترشيناً ولا تكن مع اختيارك حتى تعرف ، فإذا عرف وصار عارفاً فيقال له : إن شئت اختر وإن شئت لا تختتر ، لأنك إن اخترت فباختيارنا اخترت ، وإن تركت الاختيار فباختيارنا تركت الاختيار ، فإنك بنا في الاختيار وفي ترك الاختيار .

وقال يحيى بن معاذ ، رحمه الله : الدنيا عروس ومن يطلبها ما شطمها ، والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويحرق ثوبها ، والعارف بالله مشغول بسيدته لا يلتفت إليها .

وقال : إذا ترك العارف أدبه عند معرفته فقد هات مع الهانكين .

وقال ذو النون ، رحمه الله : علامة العارف ثلاثة : لا يظفي ، نور معرفته نور ورعه ، ولا يعتقد باطلاً من العلم ينقض عليه ظهراً من الحكمة ، ولا يحمله كثرة نعم الله تعالى عليه وكرامته على هتك أستار محارم الله تعالى .

وقال بعضهم : ليس بعارف من وصف المعرفة عند أهل الآخرة ، فكيف عند أبناء الدنيا ؟

وقال : إن التفت العارف إلى الخلق عن معرفته بعير أدبه ، فهو مخذول . بين خلقه .

وقال : كيف تعرفه وليس في قلبك سلطان هيئته ؟ وكيف تذكره وتحميه وليس في قلبك وجود الطافه وأنت غافل عما ذكرك به قبل خلقه ؟

سمعت محمد بن أحمد بن حمدون الفراء يقول : سمعت عبد الرحمن الفارسي وقد سئل عن كمال المعرفة فقال : إذا اجتمعت المنفردات واستوت الأحوال والأماكن وسقطت رؤية التمييز .

وقال أبو نصر ، رحمه الله : معنى ذلك أن يكون وقت العبد وقتاً واحداً بلا تغيير ، ويكون السبد في جميع أحواله بالله والله مأخوذاً عما سوى الله فبعد ذلك يكون هذا حاله .

باب في قول القائل بسم عرفت الله ؟ والفرق

بين المؤمن والعارف

قيل لأبي الحسين النورى ، رحمه الله : بسم عرفت الله تعالى ؟ فقال : بالله قيل :

فما بال العقل ؟ قال العقل عاجز لا يدل إلا على عاجز مثله ، « لما خاق الله العقل قال له : من أنا فسكت ، فكحلته بنور الوجدانية فقال : أنت الله » فلم يكن للعقل أن يعرف الله إلا بالله .

وسئل عن أول فرض افترض الله تعالى على عباده ما هو ؟ فقال : معرفته .

لقوله تعالى : « وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » (١) وقال ابن عباس ، رضى الله عنه : لِيَعْرِفُونِ .

وسئل بعضهم ما المعرفة ؟ فقال :

تحقيق القلب بثبوت وحدانيته بكل صفاته وأسمائه ، فإنه المنفرد بالعز والقدرة والسلطان والعظمة الخى الدائم الذى ليس كمثل شئ ، وهو السميع البصير بلا كيف ولا شبه ولا مثل ، بنفى الأضداد والأنداد والأسباب ، من التوهم .

وقد قيل ، أيضا : إن أصل معرفة موهبة ، ومعرفة برهان لايمان .

وجدد ، والإيمان عطاء ، والفرق بين المؤمن والعارف :

المؤمن ينظر بنور الله ، والعارف ينظر بنور الله من عينه .

العارف قلب ، وقاب المؤمن يطمئن بالله لا يطمئن له .

والمعرفة على ثلاثة أوجه : معرفة إقرار ، ومعرفة حقيقة ، ومعرفة مشاهدة ،
وفي معرفة المشاهدة بدرجة الفهم والعلم والعبارة والكلام ، والإشارات في المعرفة
ووصفها كثير ، وفي القليل كفاية وغنية للمستدل والمسترشد ، وبالله التوفيق .

وعن الحسن بن علي بن حيويه الدامغانى قال : سئل أبو بكر الزاهر اباذى عن
المعرفة فقال : المعرفة اسم ، ومعناه وجود تعظيم في القلب يمنعك عن
التشبيه والتعطيل .

كتاب الأحوال والمقامات

باب في المقامات وحقايقها

قال الشيخ ، رحمه الله : فإن قيل : ما معنى المقامات ؟ يقال : معناه مقام العبد بين يدي الله عزّ وجلّ ، فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانتقاع إلى الله عزّ وجلّ ، وقال الله تعالى :

« ذَلِكَ لِمَنْ ، خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدَ » (١) وقال :

« وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ » (٢) .

وقال : سئل أبو بكر الواسطي رحمه الله عن قول ، النبي صلى الله عليه وسلم : « الأرواح جنود مجنّدة » .

قال « مجنّدة » على قدر المقامات ، والمقامات مثل التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والرضا والتركل وغير ذلك .

(١) إبراهيم : ١٤

(٢) الصافات : ١٦٤

باب في معنى الأحوال (١)

قال الشيخ، رحمه الله: وأما معنى الأحوال فهو ما يحل بالقلوب، أو تحل به القلوب: من صفاء الأذكار.

وقد حُكي عن الجنيد، رحمه الله: أنه قال: الحال بارئة تنزل بالقلوب فلا تدوم.

وقد قيل، أيضاً: إن الحال هو الذكر الخفي.

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خير الذكر الخفي».

وليس الحال من طريق المجاهدات والعبادات والرياضات كالتمائم التي ذكرناها، وهي (٢) مثل المراقبة والتقرب والمحبة والخوف والرجاء والشوق والأنس والطمأنينة والمشاهدة واليقين وغير ذلك.

وقد حُكي عن أبي سليمان الداراني رحمه الله، أنه قال: إذا صارت المعاملة إلى القلوب استراحت الجوارح.

وهذا الذي قال أبو سليمان، يحتمل معنيين:

أحدهما: أنه أراد بذلك: إستراحت الجوارح من المجاهدات، والمكابدات من الأعمال: إذا اشتغل بحفظ قلبه ومراعاة سره من الخواطر المشغلة، والعوارض المذمومة التي تشغل قلبه عن ذكر الله تعالى.

ويحتمل أيضاً أنه أراد بذلك: أن يتمكن من المجاهدة والأعمال والعبادات،

(١) في هامش إحدى النسخ الفرق بين المقام والحال: أن الحال ينزل بالقلوب يدوم -

والمقام: مقام الرجل بظاهره وباطنه في - قائق الطاعات -

(٢) أي الحال.

وتصير وطنه حتى يستلذها بقلبه ، ويجد حلاوتها ، وينسقط عنه التعب ، ووجود
الأم الذي كان يجد قبل ذلك .

كما قال بعضهم ، وأظننه محمد بن واسع ، رحمه الله ، قال : كابدت الليل
عشرين سنة فتعمت به عشرين سنة .

وقال آخر ، وأظننه مالك بن دينار ، رحمه الله مضفت القرآن عشرين سنة
ثم تعمت بتلاوته عشرين سنة .

وقال الجنيد ، رحمه الله : لا يوصل إلى رعاية الحقوق إلا بحراسة القلوب .
ومن لم يكن له مرٌّ فهو مُصِرٌّ ، والمصرٌّ لا تصفو له حسنة .

وأجوبة الشيوخ في المقامات تكثر ، وكذلك في الأحوال ، وقد ذكرته
على الاختصار ، والله الموفق .

باب مقام التوبة

قال أبو يعقوب يوسف بن حمدان السوسى ، رحمه الله : أول مقام من مقامات الملقطين إلى الله تعالى التوبة .

وسئل السوسى عن التوبة فقال : التوبة الرجوع من كل شىء ذمه العلم إلى ما مدحه العلم .

وسئل سهل ابن عبد الله عن التوبة فقال : أن لا تنسى ذنبك .

وسئل الجنيد رحمه الله عن التوبة فقال : هى نسيان ذنبك .

قال الشيخ ، رحمه الله : فالذى أجاب السوسى رحمه الله عن التوبة أجاب عن

توبة المرئيين والمتعرضين والطالبيين والماصدين ، وهم الذين تارة لهم وتارة عليهم .

والذى قال سهل بن عبد الله أيضاً فكذلك .

وأما ما أجاب الجنيد رحمه الله عن التوبة : أن ينسى ذنبه : أجاب عن توبة

المتحققين : لا يذكرون ذنوبهم ؛ لما غلب على قلوبهم من عظمة الله تعالى

ودوام ذكره .

وهو مثل ما سئل رؤيم بن أحمد رحمه الله التوبة فقال : التوبة من التوبة .

كذلك سئل ذو النون رحمه الله عن التوبة فقال : توبة العلوام من الذنوب

وتوبة الخواص من الغفلة .

فأما لسان أهل المعرفة والواجدين وخصوص الخصوص فى معنى التوبة فهو :

ما قاله أبو الحسن النورى رحمه الله ، حين سئل عن التوبة فقال : التوبة : أن

تتوب من كل شىء سوى الله تعالى .

والى هذا أشار الذى أشار بقوله : ذنوب المقربين حسنات الأبرار وهو

ذو النون .

والذى قال أيضاً : رياء العارفين إخلاص المرئيين ، لأن الذى كان يتقرب به العارف إلى الله عزّ وجلّ في وقت قصده وبتدائه وتعرضه من القربات والطاعات فلما تمكن وتحقق بذلك ، وشملتة أنوار الهداية ، وأتته العناية ، وحوته الرعاية ، وشاهد ما شاهده بقلبه من عظمة سيده ، والتفكير في صنع صانعه ، وقديم إحسانه ، تاب عن الملاحظة والسكون ، والالفات إلى ما كان من طاعاته وأعماله وقربانه في حين إرادته وبدأياته ، فشتان بين نائب وتائب : فتائب يتوب من الذنوب والسيئات ، وتائب يتوب من الزلل والغفلات ، وتائب يتوب من رؤنة الحسنات والطاعات .

والتوبة تقتضى الورع .

باب مقام الورع

قال الشيخ رحمه الله . ومقام الورع مقام شريف .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ملاك دينكم الورع » .

٢٣

وأهل الورع على ثلاث طبقات : فهم من تورّع عن الشبهات التي اشتبهت عليه ، وهي ما بين الحرام البين والحلال البين ، وما لا يقع عليه اسم حلال مطلق ولا اسم حرام مطلق ، فيكون بين ذلك فيتورّع عنهما .

وهو كما قال ابن سيرين رحمه الله : ليس شيء أهون على من الورع ، إذا راى شيئاً تركه .

ومهم من يتورّع عما يقف عنه قلبه ويحيك في صدره عند تناولها (١) وهذا لا يعرفه إلا أرباب القوب والمتحققون .

وهو كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الإثم ما حاك في صدرك »

٢٤

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله : الورع أن تبرأ من مظالم الخلق من مثاقيل شذر ، حتى لا يكون لأحدهم قبلك مظلمة ولا دعوى ولا طلبية .

وكما حكى عن الحارث المحاسبي رحمه الله أنه كان لا يمد يده إلى طعام فيه شبهة .

وقال جعفر الخالدي رحمه الله : كان على طرف أصبعه (٢) الوسطى عروفاً إذا مد

يده إلى طعام فيه شبهة ضرب عليه ذلك العرق .

وكما حكى عن بشر الحافي رحمه الله : أنه حيل إلى دعوة ، فوضع بين يديه

(١) عند تناول الشبهات .

(٢) يريد أصبع الحارث المحاسبي رضي الله عنه .

طعام ، فجهد أن يمد يده إليه فلم تمتد ، ثم جهد فلم تمتد ثلاث مرات ، فقال رجل ممن كان يعرفه : إن يده لا تمتد إلى طعام حرام أو فيه شبهة ، ما كان أغنى صاحب هذه الدعوة أن يدعو هذا الرجل إلى بيته .

وتتقوى هذا حكاية سهل بن عبد الله : سمعت أحمد بن محمد بن سالم بالبصرة يقول : سئل سهل بن عبد الله عن الحلال فقال : الحلال الذي لا يعصى الله فيه .
 قل أبو نصر رحمه الله : والذي لا يعصى الله فيه لا تنهياً لأحد الوقوف عليه إلا بإشارة القلب .

فإن قال قائل : هل تجد لذلك أصلاً يتعلق به من العلم فيقال : نعم ، قول النبي صلى الله عليه وسلم لو ابصرت : « أَسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ » . والذي قال أيضاً : « الإثم ما حاك في صدرك » ألا ترى أنه قد رده إلى ما يشير به عليه قلبه ؟

وأما الطبقة الثالثة في الورع فيهم : العارفون والواجدون ، وهو كما قال أبو سليمان الندراوى رحمه الله : كل ما شغلك عن الله فهو مشغوم عليك .

وكما قال سهل بن عبد الله حين سئل عن الحلال الصافي فقال : الحلال الذي لا يعصى الله فيه ، والحلال الصافي الذي لا ينمى الله فيه .

فالورع فيما لا ينمى الله فيه هو الورع الذي سئل عنه الشيبلى رحمه الله ، فقيل له : أبا بكر ما الورع ؟ فقال : أن تتورع ألا يتشذت قلبك عن الله عز وجل .
 طرفه عين .

فالأول ورع العموم ، والثانى ورع الخصوص ، والثالث ورع خصوص الخصوص .
 والورع يقتضى الزهد .

باب مقام الزهد

قال الشيخ رحمه الله : والزهد مقام شريف ، وهو أساس الأحوال الرضية والمراتب السنية ، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل ، والمنقطعين إلى الله ، والراضين عن الله ، والمتوكلين على الله تعالى ، فمن لم يُحْكَمْ أساسه في الزهد لم يصح له شيء مما بعده ، لأن حُب الدنيا رأس كل خطيئة ، والزهد في الدنيا رأس كل خير وطاعة .

ويقال : إن من سُمِّيَ باسم الزهد في الدنيا فقد سُمِّيَ بألف اسم محمود ، ومن سُمِّيَ باسم الرغبة في الدنيا فقد سُمِّيَ بألف اسم مذموم .

وهو ما اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه باختيار الله له ، والزهد في الحلال الموجود .

وأما الحرام والشبهة فتركه واجب .

والزهد على ثلاث طبقات :

فمنهم المبتدئون ، وهم الذين خلت أيديهم من الأملاك ، وخلت قلوبهم مما خلت منه أيديهم .

كما سئل الجنيد رحمه الله عن الزهد فقال : تخلى الأيدي من الأملاك ، وتخلت القلوب من الطمع .

وسئل سري السقطي ، رحمه الله عن الزهد فقال : أن يخلو قلبه مما خلت منه يده .

وفرقه منهم متحققون في الزهد .

ووصفهم ما أجاب رُوَيْم بن أحمد رحمه الله ، حين سئل عن الزهد فقال :
ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ، فهذا زهد المتحققين ، لأن في الزهد في
الدنيا حظاً لنفس ، لما في الزهد من الراحة والثناء والمحمدة واتخاذ الجاه عند
الناس ، فمن زهد بقلبه في هذه الحظوظ فهو متحقق في زهده .

والفرقة الثالثة : علموا وتيقنوا : أن لو كانت الدنيا كلها لهم ملكاً حلالاً ، ولا
يحاسبون عليها في الآخرة ، ولا ينقص ذلك مما لهم عند الله شيئاً ثم زهدوا فيها لله
عز وجل ، لكان زهدهم في شيء منذ خلقها الله تعالى ما نظر إليها ، ولو كانت
الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة من ماء ، فعند ذلك
زهدوا في زهدهم وتابوا من زهدهم .

كما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الزهد فقال : الزهد غفلة ، لأن الدنيا لا شيء ،
والزهد في لا شيء غفلة .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : الدنيا كالعروس ، ومن يطالبها ماتتحتها والزاهد
فيها بسنم وجهها ، وينتف شعرها ، ويخرق ثوبها ، والعرف مشغول بالله
لا يلتفت إليها .

والزهد يقتضى معنقة الفقر واختياره .

باب مقام الفقر وصفة الفقراء

قال الشيخ ، رحمه الله ، والفقر مقام شريف ، وقد وصف الله تعالى الفقراء وذكرهم في كتابه فقل : « الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » (١) تكملة الآية .
وقال صلعم : (الفقر أزين بالعبد المؤمن من العذآر الجيد على خد الفرس) .
وقل إبراهيم بن أحمد الخواص رحمه الله : الفقر رداء الشرف ، ولباس المرسلين ، وجلباب الصالحين ، وتاج المتقين ، وزين المؤمنين ، وغنيمة العارفين ، ومنبه المريدين ، وحصن المطيعين ، وسجن المذنبين ، ومكفر للسيئات ، ومعظم للحسنات ، ورائع للدرجات ، ومبلغ إلى الغايات ، ورضا الجبار ، وكرامة لأهل ولايته من الأبرار ، والفقر هو شعار الصالحين ، ودأب المتقين .

والفقراء على ثلاث طبقات :

فهم من لا يملك شيئاً ، ولا يطلب بظاهره ولا يباطه من أحد شيئاً ، ولا ينتظر من أحد شيئاً ، وإن أعطى شيئاً لم يأخذ ، فهذا مقامه المقربين .
كما حكى عن سهل بن علي بن سهل الأصهباني : أنه كان يقول : حرامٌ على كل من يسمى أصحابنا الفقراء ، لأنهم أغنى خلق الله عز وجل .
وكما سئل أبو عبد الله بن الجلاء عن حقيقة الفقر فقال : اضرب بكُميك على الخائط وقل : ربى الله .

وكما قل أبو علي الروزبارى : سألتني أبو بكر الزقاق فقال : يا أبا علي ، لم ترك الفقراء أخذ البُغاة في وقت الحاجة ؟ قل : فقلت : لأنهم مستغنون بالمُعطى عن العطاء ، فقال : نعم ، ولكن وقع لى شيء آخر ، فقلت : هات ، أقدنى ،

(١) البقرة : ٢٧٤ وتكملة الآية كالاتى : ولا يستطيعون ضرباً فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم ، لا يسألون الناس الخافاً وما تنفقوا من شيء .
فإن الله به عليم .

ما وقع لك؟ فقال: لأنهم قوم لا يفهمون الوجود، إذ الله فاقهم، ولا تضرهم الفاقة، إذ الله وحودهم.

وسمعت أبا بكر الوجيبي يقول: سمعت أبا علي يقول: هذا.

وسمعت أبا بكر الطوسي يقول: كنت مدة طويلة أسأل عن معنى اختيار أصحابنا لهذا الفقر على سائر الأشياء، ولم يُجِبني أحد بجواب يُقنعني، حتى سألت نصر بن الحامى، فقال لي: لأنه أول منزلة من منازل التوحيد، ففقت بذلك.

ومنهم من لا يملك شيئاً، ولا يسأل أحداً، ولا يطلب، ولا يمرض، وإن أعطى شيئاً من غير مسألة أخذ.

وقد حُكي عن الجنيد، رحمه الله، أنه قال: علامة الفقير الصادق أن لا يسأل، ولا يعارض، وإن عورض سكت.

وكما حُكي عن سهل بن عبد الله، رحمه الله، أنه سئل عن الفقير الصادق فقال: لا يسأل ولا يرد، ولا يجبس.

وكما سئل أبو عبد الله بن الجلاء، رحمه الله، عن حقيقة الفقر فقال: هو أن لا يكون لك، فإذا كان لك لا يكون لك، ومن حيث لم يكن لك لم يكن لك. وكما سئل إبراهيم الخواص رحمه الله عن علامة الفقير الصادق فقال: ترك الشكوى وإخفاء أثر البؤس، ولهذا قد قيل: إن هذا مقمده مقم الصدّيقين.

ومنهم من لا يملك شيئاً، وإذا احتاج البسط إلى بعض إخوانه ممن يعلم أنه يفرح بانبساطه إليه، فكثرة مسألتهم صدقته.

وهذا كما سئل الجريري مسألته، رحمه الله، عن حقيقة الفقر فقال: لا يطلب المعلوم حتى يفقد الموجود.

وكما سئل رُويم رحمه الله عن الفقر فقال: عدم كل موجود، ويكون دخوله في الأشياء لغيره لاله، وهذا مقامه مقام الصديقين في الفقر.

والفقر يقتضى مقام الصبر.

باب مقام الصبر

قل الشيخ ، رحمه الله : والصبر مقام شريف وقد مدح الله تعالى الصابرين
وذكرهم في كتابه فقال : (١)

« إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » .

وقد سئل الجنيد عن الصبر فقال : حملُ المؤمن لله تعالى حتى تنقضى
أوقات المكروه .

وقل إبراهيم الخواص رحمه الله : هرب أكثر الخلق من حمل أثقل الصبر
فالتجئوا إلى الطلب والأسباب واعتمدوا عليها كأنها لهم أرباب ؛ قال .
ووقف رجل على الشبلي رحمه الله ، فقال له : أي صبر أشد على الصابرين .

فقال : الصبر في الله تعالى .

فقال : لا .

فقال الصبر لله .

فقال الرجل : لا .

فقال : الصبر مع الله .

فقال : لا .

قال : فغضب الشبلي رحمه الله وقال : ونحك فأيش ؟

فقال الرجل : الصبر عن الله عز وجل ، قال : فصرخ الشبلي رحمه الله صرخة
كاد أن يتلف روحه .

وسألت ابن سالم بالبصرة عن الصبر فقال : على ثلاثة أوجه : متصبر ، وصابر ،

وصبار ، فالمتصبر من صبر في الله تعالى ، فمرة يصبر على المكروه ، ومرة يعجز .

وهذا كما سئل القناد ، رحمه الله ، عن الصبر فقال : ملازمة الواجب في الإعراض عن المنهى عنه ، والمواظبة على الأمور به ، والصابر من يصبر في الله ، والله ، ولا يجزع ، ولا يتمكن منه الجزع ، ويتوقع منه الشكوى .

كما حكى عن ذو النون ، رحمه الله ، أنه قال : دخلت على مريض أعوده ، فبينما كان يكلمني أن أنه ، فقلت له ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه .
قال : فقال : بل ليس بصادق في حبه من لم يتلذذ بضربه .

وكما قال الشبلي ، رحمه الله ، لما أدخل المارستان ، ووقيد ، فدخل عليه بعض أصدقائه ، فقال لهم : أيش أنتم ؟ فقالوا : نحن قوم نحبك فأخذ يرميهم بالآجر ، فهربوا ، فقال : يا كذابون ، تدعون محبتي ولم تصبروا على ضربى ؟ !

وأما الصبار : فذاك الذي صبره في الله ، والله وبالله ، فهذا لو وقع عليه جميع البلائ لا يعجز ولا يتغير من جهة الوجوب والحقيقة ، لا من جهة الرسم والخلقة .

وكان يتمثل الشبلي ، رحمه الله ، بهذه الآيات إذا سئل عن الصبر .

عبرات خططن في الخد سطرأ قد قرأها من ليس يحسن يقرأ

إن صوت المحب من ألم الشوق ق وخوف الفراق يورث صرا

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر : صبرا

وحجة هذا في العلم ماروى في الخبر : « أن زكريا عليه السلام لما وضع على

[رأسه المنشار أن أنه واحدة فأوحى الله تعالى إليه أن صعدت منك إلى يد أخرى

لأقرب السموات والأرضين بعضها على بعض » .

والصبر يقتضى التوكل .

باب مقام التوكل

قال الشيخ ، رحمه الله : والتوكل مقام شريف ، وقد أمر الله ، تعالى ، بالتوكل وجعله مقروناً بالإيمان ، بقوله تعالى :

« وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١) » .

وقال ، في موضع آخر : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون (٢) » فخص توكل المتوكلين من توكل المؤمنين ، ثم ذكر توكل خصوص الخصوص فقال :

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه (٣) » لم يردهم إلى شيء سواه كما قال السيد المرسلين وإمام المتوكلين :

« وتوكل على الحى الذى لا يموت وكفى به (٤) » « وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم » الآية فهم على ثلاث طبقات :

فأما توكل المؤمنين فشرطه ما ثلاث قل أبو تراب النخشبى ، رحمه الله ، حين سئل عن التوكل ، فقال :

التوكل : طرح البدن فى العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية ، والطمأنينة إلى الكفاية ، فإن أعطى شكر ، وإن منع صبر راضياً موافقاً للقدر .

وكما سئل ذو النون رحمه الله عن التوكل فقال : التوكل ترك تدبير النفس ، والانخلاع من الحول والقوة .

وكما قال أبو بكر الزقاق رحمه الله : التوكل رد العيش إلى يوم واحد ، وإمعة طمّ غد وسئل رويم رحمه الله ، عن التوكل فقال : الثقة بالوعد .

وسئل سهل بن عبد الله رحمه الله ، عن التوكل فقال : الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد .

وأما توكل أهل الخصوص فكما قال أبو العباس بن عطاء ، رحمه الله : من

(١) إبراهيم : ١٣ (٢) المائدة : ١١ (٣) الطلاق : ٣ (٤) الفرقان :

وتكلمة الآية : « بذنوب عباده خبيراً » : ٥٨ .

توكل على الله لغير الله لم يتوكل على الله في توكله حتى يتوكل على الله بالله الله ،
ويكون متوكلاً على الله في توكله لا لسبب آخر .

أو كما قال أبو يعقوب النهرجوري ، رحمه الله ، وقد سئل عن التوكل ، فقال :
موت النفس عند ذهاب حظوظها من أسباب الدنيا والآخرة .

وقد قل أيضاً أبو بكر الواسطي : أصل التوكل الفاقة والافتقار ، وأن لا يفارق
التوكل في أمانيه ، ولا يلتفت بسرّه إلى توكله لحظّة في عمره .

وسئل سهل بن عبد الله ، رحمه الله أيضاً عن التوكل ، فقال : التوكل وجهه
كلّه وليس له قنماً ، ولا يصح إلا لأهل المقابر .

فهؤلاء أشاروا إلى حقيقة توكل المتوكلين وهم الخصوص .

وأما توكل خصوص الخصوص فعلى ما قل الشبلي رحمه الله ، حين سئل عن
التوكل فقال : أن تكون لله كما لم تكن ويكون الله تعالى لك كما لم يزل .

وكما قل بعضهم : حقيقة التوكل لا يقوم له أحد من خلقه على الكمال ، لأن الكمال
بالكامل لا يكون إلا لله ، جل جلاله .

وسئل أبو عبد الله بن الجلاء عن التوكل فقال : الإيوان ، إلى الله وحده .

في جميع الأحوال .

وسئل الجنيد رحمه الله عن التوكل فقال : اعتمد القلب على الله تعالى .

وقد حكى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله أنه قال لأحمد بن محمد بن محمد بن

رحمه الله : يا أحمد ، إن طرق الآخرة كثيرة وشبهك من طرق الآخرة لا تعد
التوكل المبارك فإني ما سمعت منه راحة ، وليس لي منه مشقة أبداً .

وقل بعضهم : من أراد أن يقوم بحق التوكل فيحفر نفسه قبراً ويدفن فيه .

وينسى الدنيا وأهلها ، لأن حقيقة التوكل لا يقوم له أحد من الخلق على كماله .

والتوكل يقتضي الرضا .

باب مقام الرضا وصفة أهله

قال الشيخ رحمه الله : ارضا مقام شريف ، وقد ذكر الله عز وجل الرضا في كته به فقل :

« رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا (١) عَنْهُ » ، وقال :

« ورضوان من الله أكبر » (٢) فذكر أن رضا الله عز وجل ، عن عباده أكبر وأقدم من رضاهم .

والرضا باب الله الأعظم ، وجنة الدنيا ، وهو أن يكون قاب العبد ساكناً تحت حكم الله عز وجل .

وسئل الجنيد رحمه الله عن الرضا ، فقال : الرضا رفع الاختيار .

وسئل القناد رحمه الله عن الرضا فقل : سكون القلب بمر القضاء .

وسئل ذو النون عن الرضا فقال سرور القلب بمر القضاء .

وقال ابن عطاء رحمه الله : الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله ، تعالى ، للعبد ، لأن يعلم أنه اختار له الأفضل فيرضى به ويترك السخط .

وقال أبو بكر الواسطي ، رحمه الله استعمل الرضا جهداً ، ولا تدع الرضا يستعملك فتكون محجوباً ببلدته ورؤية حقيقته .

غير أن أهل الرضا في الرضا على ثلاثة أحوال :

فمنهم من عمل في إسقاط الجزع حتى يكون قلبه مستويًا لله عز وجل فيما يجري عليه من حكم الله من المكاره والشدائد والراحات والمنع والعطاء .

(١) المائة : ١١٩

(٢) التوبة : ٧٢

ومنه من ذهب عن رؤية رضائه عن الله عز وجل ، برؤية رضا الله عنه ،
 أقوله ، تعالى : « رضى (١) الله عنهم ورضوا عنه » ، فلا يثبت لنفسه قدم في الرضا
 وإن استوى عند الشدة والرخاء والمنع والعطاء .

ومنه من جاوز هذا وذهب عن رؤية رضا الله عنه ورضاه عن الله لا سبق من
 الله تعالى خلقة من ارضا ، كما قل أبو سليمان الداراني ، رحمه الله : ليس أعمال
 الخلق بالذي يرضيه ولا بالذي يسخطه ، ولكنه رضى عن قوم فاستعملهم بعمل
 أهل ارضا ، وسخط على قوم فاستعملهم بعمل أهل السخط .

والرض آخر المقامات ثم يقتضى من بعد ذلك أحوال رباب القلوب ، ومطابقتها
 الغيوب ، وتهذيب الأسرار لصفاء الأذكار وحقائق الأحوال .

فأزل حل من أحوال رباب القلوب حل المراقبة .

(١) الأنفال : ١١٩

باب حل المراقبة وحقائقها وصفة أهلها

قال الشيخ ، رحمه الله : والمراقبة حل شريف ، قال الله ، تعالى :

« وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَاقِبًا » (١) ، وقال عز وجل : « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » (٢) ، وقال : « أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَلْمُ سُرَّهُمْ وَيَجُوبُهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ » (٣) ومثله في القرآن كثير .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « أعبدا لله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »

والمراقبة : لعبد قد علم وتيقن أن الله تعالى مطاع على ما في قلبه وضميره وعالم بذلك ، فهو يراقب الخواطر المدمومة المشغلة للقلب عن ذكر سيده

كما قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : كيف يخفي عليه ما في القلوب ! ولا يكون في القلوب إلا ما يلقي فيها ، أف يخفي عليه ما هو منه ؟!

قال الجنيد رحمه الله : قال لي إبراهيم الأجرى رحمه الله : يا غلام ، لأن ترد من همك إلى الله تعالى ذرة ، خير لك مما طلعت عليه الشمس

وقال الحسن بن علي الدامغانى ، رحمه الله : عليكم بحفظ السرائر ، فإنه مطلع على الضمائر

وأهل المراقبة على ثلاثة أحوال في مراقبتهم :

فأما ما قال الحسن بن علي ، فهذا حل الابتداء في المراقبة

وأما الحال الثانى في المراقبة ، فكما حكى عن أحمد بن عطاء رحمه الله : أنه قال :

(١) الأحزاب : ٥٢

(٢) ق : ١٠

(٣) التوبة : ٧٨

خيركم من رانب الحق بالحق في فناء ما دون الحق وتابع المصطفى صلعم ، في أعماله وأخلاقه وآدابه

وأما الخال الثالث فحل الكبرياء من أهل المراقبة : فإنهم يراقبون الله تعالى ويسألونه أن يرعاهم فيها ، لأن الله عز وجل قد خص بمجاهده وخاصته بالألا يكلمهم في جميع أحوالهم إلى أحد وهو الذي يتولى أمرهم فقال عز وجل :

« وَهُوَ يَتَوَكَّلُ الصَّالِحِينَ » (١).

وقال ابن عطاء ، رحمه الله ، لبعض حكماء خراسان ممن قد ولع بالجهل وفنون التفتش ، أو ما علمت أن ما تقارن بيدتك أقدار في جنب ما تطالع بقلبك ؟ وما تطالع بقلبك هباء في جنب ما تراقب في شرك ! فراقب الله تعالى في شرك وعملاتك ، فإن خير مما تقارن من عملك وعبادتك والمراقبة تنضي حال القرب ،

(١) الاعراف : ١٩٥

(٢) بمعنى صاحب ولازم

باب حال القرب

قال الشيخ ، رحمه الله : قال الله تعالى : « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ » (١) ، وقال : وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (٢) ، وقال : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَنَكِينٌ لَا تَبْصِرُونَ » (٣) ، ثم قال في صفة ملائكته : « أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ ذُرِّيَّتِهِمُ الْمَوْتَةَ أَوْ سِيلَةَ أَنفُسِهِمْ أَقْرَبُ » (٤) ، أه سيلة يعنى القرب ، وقال : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِن لَّا تَبْصِرُونَ » (٥) ، فذكر الله تعالى قريبهم منه ، ثم ذكر قريبهم بمعنى توسلهم إلى الله تعالى بأقرب أيهم أقرب .

وحال القرب : لعبد شهيد بقابله قرب الله منه فتقرب إلى الله تعالى بطاعته ، وجمع همه بين يدي الله تعالى بدوام ذكره في علابنه وسره .

وهم على ثلاثة أحوال :

فمنهم المتقربون إليه بأنواع الطاعات نعامهم بعلم الله تعالى بهم وقربه منهم وقدرته عليهم .

ومنهم من تحقق بذلك ، كما قال عامر بن عبد القيس ، رحمه الله : ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله تعالى أقرب إليه مني .

وهو (٦) كما قال القائل :

وتحققتك في السر ففناجك لساني
فاجتمعنا لعان وافترقنا لمعاني
إن يكن غيبك التعظيم عن لحظعياني
فلقد صيرك الوجد من الأحشاء داني

(٢) ق : ١٦

(٤) الإسراء : ٥٧

(١) البقرة : ١٨٦

(٢) الواقعة : ٨٥

(٥) أي حال القرب

وقال الجنيد رحمه الله : واعلم أنه يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب قلوب عباده منه ، فانظر ماذا يقرب من قلبك ؟

وقال آخر : إن لله تعالى عبدا قريههم الله عز وجل بما هو به قريب منهم ، وكانوا قريبين منه بما هو به قريب إليهم ، وهذه الدرجة الثانية من حل القرب .

فأما حال الكبراء وأهل النبوات : فهو على ما قال أبو الحسين البصري . رحمه الله ، لرجل دخل عليه فقال : من أين أنت ؟ قال : من بغداد ، قال من صحبت بها قال : أبا حمزة ، قال : إذا رجعت إلى بغداد فقال لأبي حمزة : قرب القرب في معنى ما نحن نشير إليه : بعد البعد .

وكما قال أبو يعقوب السومري ، رحمه الله : ما دام العبد يكون باقرا لم يكن قرب حتى يغيب عن القرب باقرب . فإذا ذهب من رؤية القرب باقرا فلا قرب . يعني عن رؤية قربه من الله عز وجل بقرب له منه . وحال القرب يقتضى حل المحبة وحل نخوف ،

باب حال المحبة

قال الشيخ ، رحمه الله : فأما حال المحبة فقد ذكر الله تعالى المحبة في مواضع من كتابه ، فقل : « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » (١) وقل : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله » (٢) ، وقل في موضع آخر :
« يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله » (٣)

قد ذكر في الآية الأولى محبته قبل محبتهم ، وفي الآية الثانية ذكر محبتهم له ومحبته لهم ، وفي الآية الثالثة ذكر محبتهم له .

وحال المحبة : لعبد نظر بعينه إلى ما أنعم الله به عليه ، ونظر بقلبه إلى قرب الله تعالى منه وعنايته به وحفظه وكلايته له ، فنظر بإيمانه وحقيقته يقينه إلى ما سبق له من الله تعالى من العناية والمداية وقديم حب الله له ، فأحب الله عز وجل

وأدلى المحبة على ثلاثة أحوال :

فأول الأهل من المحبة : محبة العامة ، يتولد ذلك من إحسان الله تعالى إليهم وعطفه عليهم

وقد روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها » الحديث .

وهذا الحال من المحبة شرطيا ما سئل سمنون ، رحمه الله ، عن المحبة فقال : صفاء الود مع دوام التذكر ، لأن من أحب شيئا أكثر من ذكره

(١) المائدة : ٥٤

(٢) آل عمران : ٣١

(٣) البقرة : ١٦٥

وكما سئل سهل ابن عبدالله رحمه الله عن المحبة فقال : موافقة القلوب لله ،
والتزام الموافقة لله ، واتباع الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، مع دوام الاستمثار (۱)
بذكر الله تعالى ووجود حلاوة المناجاة لله عز وجل .

وسئل الحسن بن علي رضي الله عنه عن المحبة فقال : بذل المجهود والمحب
يفعل ما يشاء .

وكما سئل بعض المشايخ عن المحبة فقال : استمثار (۲) القلوب بالثناء على المحبوب ،
وإيثار طاعته ، والموافقة له كما قل التامل :

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع
والحل الثاني من المحبة ، وهو يتولد من نظر القلب إلى عظمة الله وجلاله
وعظمته وعلمه وقدرته ، وهو حب الصادقين والمتحقتين .

وشرطها ووصفها كما حكى عن أبي الخمين النوري ، رحمه الله : أنه سئل عن
المحبة قال : هتك الأستار ، وكشف الأسرار .

وسئل أيضاً ، إبراهيم الخواف عن المحبة فقال : محبة لإرادته ، وحقائق
جميع الصفات والحاجات .

وقد سئل أبو سعيد الخزاز ، رحمه الله ، عن محبة فقال : طوبى لمن أحب
كأساً من محبته ، وذات نعيم من مناجاة الجبال وقربه ، ووجد من الكلمات
فلى ، قلبه حراً وطار بالله طرباً ، وهام إليه الشيق ، فله من عسل
بريه ، كلف دنف ، ليس له سكن غيره ولا مأوف سواه .

وأم الحال الثالث من المحبة فهو محبة الصديقين والمؤمنين ، وطلب من غيرهم
ومعرفتهم بتدبير حب الله تعالى بلا غلظة ، فكلمات أحمد بلا غلظة .

(۱) يقل : استمثار بالشيء إذا أولع به

(۲) استمثار القلوب بالثناء : شفعها وحبها له وشغف به

وصفة هذه المحبة ما سئل ذو النون المصري ، فقيل له : ما المحبة الصافية التي لا كدرة فيها ؟ قل : حب الله الصافي الذي لا كدرة فيه : سقوط المحبة عن القلب والجوارح ، حتى لا يكون فيها المحبة ، وتكون الأشياء بالله والله ، فذلك المحب لله .

وقال أبو يعقوب السوسى ، رحمه الله : لا تصح المحبة حتى يخرج من رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب : بفناء علم المحبة من حيث كان له المحبوب فى الغيب ، ولم يكن هو بالمحبة ، فإذا خرج المحب إلى هذه النسبة كان محبا من غير محبة .

وسئل الجنيد رحمه الله عن المحبة فقال : دخلت صفت المحبوب على البطل من صفات المحب ، فهذا على معنى قوله : « حتى أُجِبَّه فإذا أُجِبَّه كنت عينه التي يبصر بها اسمه الذى يسمع به ، ويده التى يبطش بها » .

كما قال أبو سعيد الخراز ، رحمه الله في كلام له قل : شكوت إلى بعض العارفين الخوف قل : لى ؛ إلى أشهى أن أرى رجلا يدري أيش الخوف من الله ؟ ثم قل : إن أكثر الخائفين خافوا على أنفسهم من الله شفقة منهم على أنفسهم ، وعملا في خلاصها من أمر الله عز وجل .

وقال ابن خبيق ، رحمه الله : الخائف عندي : أن يكون بحكم الوقت : فوقت بخافه المخلوق ووقت يأمنه .

وقال القناد ، رحمه الله : علامة الخوف : أن لا يغفل نفسه بعسى وسوف .

وقال بعضهم : علامة خوف الله تعالى : هيجان القلوب ، وشدة الذعر من الترهيب ؛

وقال ابن خبيق ، رحمه الله : الخائف عندي من يخاف من نفسه أكثر مما

يخاف من الشيطان .

وأما أهل الحصص من الخائفين خوفاً منهم ، على ما قال سهل بن عبد الله ،

رحمه الله ، لو قسم ذرة من خوف الخائفين على أهل الأرض لسعدوا بذلك أجمعين .

فقال له : فكيف يكون مع الخائفين من هذا الخوف ؟ قل مثل الجبل .

وقال ابن الجلاء الخائف عندي الذي لا يخاف غير الله تعالى .

وقال الواسطي ، رحمه الله : الأكبر يخافون القطع والأصغر يخافون المقوبة

وسوف الأكبر أقطع ، لأن ما دام لنفس في النفس من رعوناتها بقية فليس

تحسن وإن أتى بكل تقويض وتسليم .

قال الشيخ ، رحمه الله : معنى رعوناتها : تدبيرها ودعواتها ونظرها إلى طاعتها .

وترجاء مقرون بالخوف .

باب حال الرجاء

قال الشيخ رحمه الله : والرجاء حال شريف ، قال الله ، تعالى :

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر » (١)

وقال في آية أخرى .

« يرجون رحمته ويخافون عذابه » (٢) وقال في آية أخرى :

« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » (٣)

قالوا في التفسير : ثواب ربه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لو وزن خوف مؤمن ورجاؤه لامتدلا » .

وقال بعضهم : الخوف والرجاء جند العبد لا يطير إلا بهما .

وقال أبو بكر الوران : الرجاء ترويح من الله تعالى فترى الخائفين ، مؤلدين

ثقلت نفوسهم وذهبت عقولهم .

والرجاء على ثلاثة أقسام :

رجاء في الله .

ورجاء في سعة رحمة الله .

ورجاء في ثواب الله .

فالرجاء في ثواب الله وفي سعة رحمة الله من بعد ما قد جمع بين الله

وإرجاءه ، وعلم أن الكرم والفضل ما يؤمن من عند الله فالرجاء في سعة رحمة الله من

كرمه وفضله .

(١) الأحزاب : ٢١

(٢) الإسراء : ٥٧

(٣) الكهف : ١١٠

وكما حكى عن ذو النون المصري رحمه الله : أنه كان يدعو ويقول : اللهم إن سعة رحمتك أرجأ لنا من أعمالنا عندما ، واعتدنا على غفوك أرجأ عندما من عقابك لنا .

وكما قل بعضهم : النبي أنت لطيف لمن قصدك في إرادته ، ورجاك في ملامته .
 فيما منتهى آمل الراجين أرجنا راحة عاجلة توردنا مناديل مسرتك وتؤدينا إلى قربك
 والراجي في الله تعالى : هو عبد تحقق في الرجاء ، فلا يرجو من الله شيئاً سوى الله
 كما سئل النبي رحمه الله عن الرجاء فقل : الرجاء أن ترجوه أن لا يقطع بك دونه .
 وقال ذو النون ، رحمه الله بينا أنا أسير في بعض الجرائد إذا تقيتني امرأة
 فقالت : لي من أنت ؟ قلت : رجل غريب ، فقالت : وهل يوجد مع الله تعالى
 أحزان العربة .

فصل في معنى الخوف والرجاء

قل الشيخ ، رحمه الله : وأما لسان أهل النهايت والمتحققين في الخوف والرجاء :
 فالذي يقول أحمد بن عطاء ، رحمه الله ، حين سئل عن الخوف والرجاء فقل : إن
 الخلق بالرجاء والخوف مؤذنون ، وما دام لم يترق البعد في طرفيهما ، ولم يترق من
 بينهما ، لم يصل إلى حقيقة حقيهما ، ويكون مرتبطاً بما لا حاصل له فيهما
 عند الحقيقة .

قل : فما هما ؟ يعني الخوف والرجاء قل : زمانان للنفس حتى لا تخرج إلى
 رعوتهما : من الإدلال والأمن ، والإيأس والقطع .

وقال أبو بكر الواسطي ، رحمه الله : الخوف له ظلم يتجبر صاحبه تحته يطلب
أبدًا المخرج منه ، فإذا جاء الرجاء بضياؤه خرج إلى مراضع الراحة فغاب عليه التمني ،
ولا ينفع حسن النهار إلا بظلمة الليل ، وفيهما صلاح الكون ، فكذلك القاب :
مرة في ظلم الخوف أسير ، فإذا طرق طوارق الرجاء فهو أمير .

والحبة والخوف والرجاء مقرون بعضها ببعض .

وقيل معهم : كل حبة لا خوف معها فهي مأوفة ، وكل خوف لا رجاء معه
فهو مأوف ، وكل رجاء لا خوف معه كذلك .

والرجاء والحبة يقتضيان الشوق .

باب حال الشوق

قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : وحال الشوق حال شريف ، روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم : أنه قال :

« الأهل مشتاق إلى الجنة ؟ هي ورب الكعبة ريحانة تهتز ، ونهر مطرد ، وزوجة حسناء » وروى عنه ، عليه السلام أنه كان يقول : في دعائه :

« أسئلك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك »

ولذة النظر إلى وجه الله تعالى في الآخرة والشدق إلى لقاءه في الدنيا

وقد روى ، أيضاً : « من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات »

وقد روى أيضاً : اشتاقت الجنة إلى علي ثلاثة : إلى علي وعمار وسامان رضي الله عنهم أجمعين »

والشوق : هو لعبد قد تهرم ببقائه شوقاً إلى لقاء محبوبه

وسئل بعضهم عن الشوق فقال : هيمان القلب عند ذكر المحبوب ،

وقال آخر الشوق : نار الله تعالى أشعلها في قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما في

قلوبهم من الخواطر والأرادات والعوارض والحاجات ،

وقال الجريري ، رحمه الله تعالى : لولا أن في الشوق متعة ما حمل الضر ،

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله : ملئت قلوبهم عن المحبة فطاروا بالله عز وجل

طرباً ، وهاموا إليه اشتياقاً ، فيا أيهم من قلق مشتاق أسف بربه كلف دنف ليس لهم

سكن غيره ولا مألوف سواة !!!

وأهل الشوق على ثلاثة أحوال :

فمنهم من اشتقاق إلى ما وعد الله تعالى لأوليائه من الثواب والكرامة ،
والفضل والرضوان .

ومنهم من اشتاق إلى محبوبه من شدة محبته وتبرمه ببقائه شوقاً إلى لقاءه .
ومنهم من شادد قرب سيده أنه حاضر لا يغيب ، فينعم قلبه بذلك ووقل :
إنما يشتاق إلى غائب وهو حاضر لا يغيب ، فذهب بالشوق عن رؤية الشوق ، فب
مشتاق بلا شوق ، ودلائله تصفه عند أهله بالشوق ، وهو لا يصف نفسه بالشوق ،
والشوق يقتضى الأنا .

باب حل الأانس

قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : ومعنى الأانس بالله تعالى : الاعتقاد عاينه ، والسكون
إليه والاستعانة به ، ولا يتهيأ أن يعبر عنه بأكثر من هذا ،

وقد روى في في الخبر : أن مطرف بن عبد الله بن الشخير ، رحمه الله كتب إلى
عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه : ليكن أُنسك بالله واقطعات إليه ، فإن لله تعالى
عبادا استأنسوا بالله فكانوا في وحدتهم أشد استئناساً من الناس في كثرتهم ،
وأوحش ما يكون الناس آانس ما يكونون ، وآانس ما يكون الناس أوحش ما يكونون
ومطرف بن عبد نادم كبار التابعين ، وكذلك عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه
من الأئمة الراشدين

وذكر عن بعض العارفين : أنه قل : إن لله عز وجل عبداً أرادهم بحق حقائق
الأانس به فأخذهم به عن وجد طعم الخوف مما سواه ،
والأانس بالله : تعبد قد كملت طهرته وصفاته كره واستوحش من كل ما شغله
عن الله تعالى ، فعند ذلك آن نسه الله تعالى به ،
وأهل الأانس في الأانس على ثلاثة أحوال :

فمنهم من آانس بالذكر واستوحش من الغفلة ، وآانس بالطاعة واستوحش من الذنب
كما حكى عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله أنه قل :

أول الأانس من العبد آانس النفس والجوارح بالعقل ، وآانس العقل والنفس
بعلم الشرع ، وآانس العقل والنفس والجوارح (١) بالعمل لله خالصاً ، فآانس العبد بالله
أى يسكن إليه ،

والحل الثاني من الأانس : فهو تعبد قد استأنس بالله واستوحش مما سواه من
العوارض والخراطير المشغلة

(١) وفي رواية أخرى بالعلم .

كما ذكر عن ذى النون ، رحمه الله ، أنه قيل له :

ما علامة الأنس بالله ؟ قال : إذا رأيتك يؤنسك بخلقك فإنه هو ذا يوحشك من نفس ، وإذا رأيتك يوحشك من خلقه فهو ذا يؤنسك بنفسه .

وسئل الجنيد رحمه الله ، عن الأنس بالله فقال : ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة ،

وقال ابراهيم المارستاني ، رحمه الله ، وسئل عن الأنس ، قال : فرح القلب بالحبوب

والحال الثالث من الأنس : هو الذهاب عن رؤية الأنس بوجود الهيبة والتعظيم

والتعظيم مع الأنس .

كما ذكر عن بعض أهل المعرفة أنه قال : إن لله عبادا أوجد لهم من الهيبة له ما

أخذهم به عن الأنس بغيره ،

ومذا كما ذكر عن ذى النون ، رحمه الله : أن رجلا كتب إليه : ما كنت لك

بقربه . فكتب ، إليه ذى النون : أوحشك الله من قربه ، فإنه إذا آنسك بقربه فهو

قدرك ، وإذا أوحشك من قربه فهو قدره . معنى قوله : أوحشك من قربه .

بأن يوجدك هيبة قربه .

وسئل الشبلي رحمه الله عن الأنس فقال : وحشك منك ومن نفسك

ومن الكون ،

والأنس بالله . انضى الطمانينة ..

باب حال الطمانينة

قال الشيخ رحمه الله : وقد قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّفْسُ النَّظْمِيَّةُ (١) »
وفي التفسير : الطمانينة بالإيمان .

وقال عز وجل : « الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ
تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢) » .

وقال في قصة إبراهيم عليه السلام : « وَأَلْكَنَ أَيْظَمَانٌ قَلْبِي (٣) » .

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله ، إذا سكن قلب العبد إلى مولاه وطمأن إليه ،
قَوَّيْتُ حِلَّ الْعَبْدِ فَإِذَا قَوَّيْتُ أَنْسَ بِالْعَبْدِ كُلِّ شَيْءٍ .

وسئل الحسن بن علي الدامغانى رحمه الله ، عن قوله عز وجل : « الَّذِينَ آمَنُوا
وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ (٤) » فقال : إن القلوب هشت وبشت وسكنت
وامتأنت ثم كشف عنه ، قل : هشت من معرفة جلال الله تعالى ، وعظمتته .
وبشت من معرفة رحمة الله وفضله ، وسكنت من معرفة كفاية الله رصده ،
وامتأنت من معرفة إحسان الله واطفئه .

قال : وسئل الشبلي رحمه الله عن معنى قول أنى سليمان الداراني رحمه الله :
النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت ، فقال : إذا عرفت من يقوتها اطمأنت .

والطمأنينة : حل رفيع ، وهي أعبد رجح عقله ، وقوى إيمانه ورسخ علمه ، وصفه
ذكره وثبتت حقيقته .

وهي على ثلاثة ضروب :

(١) الفجر : ٢٧

(٢) الرعد : ٢٨

(٣) البقرة : ٢٦٠

(٤) الرعد : ٢٨

فضرب منها للعامة ، لأهمهم إذا ذكروه اطمأنوا إلى ذكرهم له ، فحظهم منه :
الإجابة للدعوات باتساع الرزق ودفعة الآفات ، وهو ما قل الله عز وجل : « النَّفْسُ
الْمُطْمَئِنَّةُ (١) » يعنى بالإيمان بأن لا دافع ولا مانع إلا الله .

قال : والضرب الثانى : للخصوص ، لأهمهم رضوا بقضائه وصبروا على بلائه ،
وأخلصوا ، واتقوا ، وسكنوا ، واطمأنوا إلى قوله عز وجل : « إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ
اتَّقَوْا الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (٢) » ، « إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٣) » فاطمأنوا وسكنوا
إلى قوله : « مع » فكانت طمأنينتهم ممزوجة بروية طاعتهم .

والضرب الثالث : لخصوص الخصوص : علموا أن سر أروهم لا تقدر أن تطمئن
إليه ، ولا تسكن معه ، هيبة ومظلمة ، لأنه ليس له غاية تدركه ، « وَأَنْتُمْ كَمَا تَشَاءُونَ أَعْمَالُكُمْ »
« وَكَلِمَةٌ يَكُنُ لَهُ كُفُّوا أَحَدٌ (٤) » ، فمن كانت الأشياء في سردها كذلك فليماذا
يطمئن أو يسكن قلبه ؟ ومن وقع في عطف النعمى في طب الزيادة وقع في البحر الذى
لا تجرى فيه الأوهام ، وهذا كلام قد اختصرته من كلام الواسطى .

والطمأنينة تقتضى جمال المشاهدة

(١) الفجر : ٢٧ (٢) النحل : ١٢٨ (٣) الرعد : ٤٦ (٤) الإخلاص : ٤

باب حال المشاهدة

قال الشيخ، رحمه الله: وقد قال الله تعالى: «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ^(١)» يعني حاضر القلب.

وقال، أيضاً: «وَشَٰهِدٍ وَمَشْهُودٍ^(٢)».

وقال أبو بكر الواسطي، رحمه الله: فالشاهد لرب والمشهود الكون: أعدمهم ثم أوجدهم.

وقال أبو سعيد خزاز، رحمه الله: فمن شاهد الله بقلبه خنس عنه ما دونه، وتلاشى كل شيء وغاب عند وجود عظمة الله تعالى، ولم يبق في القاب إلا الله، عز وجل.

وقال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله: المشاهدة ما لاقت القلوب من الغيب بالغيب ولا يجعلها عياناً ولا يجعلها وجداً.

وقال، أيضاً: المشاهدة وصل بين رؤية القلوب ورؤية العين، لأن رؤية القلوب عند كشف اليقين في زيادة توهم.

وهو قول النبي عليه الصلاة والسلام، لعبد الله بن عمر، رضي الله عنه: «اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» الحديث.

وأما قوله عز وجل: «وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ^(٣)» فقالوا: هو مشاهدة الأشياء بعين العبر، ومعاينتها بأعين التكر.

وقال عمرو المكي رحمه الله: المشاهدة يعني المحاضرة، يعني المداناة، كما ذكر الله عز وجل: «وَسَأَلَهُمْ^(٤) عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ» يعني قرية من البحر.

(١) ق: ٣٦ (٢) البروج: ٣ (٣) سبأ: ٤٧ (٤) الأعراف: ١٦٣

وقال عمرو المكي ، رحمه الله : المشاهدة : زوائد اليقين ، سطعت بكواتف الحضور ، غير خارجة من تغطية القاب .

وقال ، أيضاً : المشاهدة : حضور بمعنى قرب ، مقرون بعلم اليقين وحقائقهم . وأهل المشاهدة على ثلاثة أحوال :

فالأول منها : الأصاغر ، وهم المريدون ، وهو ما قال أبو بكر الواسطي .
رحمه الله : يشاهدون الأشياء بين العبر ، ويتأمدونهم بعين التذكر .

والحال الثاني من المشاهدة : الأوسط ، وهو الذي أشار إليه أبو سعيد الخزاز ، رحمه الله ، حيث يقول :

الخلاق في قبضة الحق وفي ملكه ، فإذا وقعت المشاهدة في عين المؤمن العبد لا يبقى في سره ولا في وهمه غير الله تعالى .

والحال الثالث من المشاهدة : ما أشار إليه عمرو بن عثمان المكي ، رحمه الله ، في كتاب المشاهدة ، فقال : إن قلوب العرفين شملت به مشاهداتهم ، فشاهدوه بكل شيء ، وشاهدوا كل الكليات به ، فكادت مشاهدتهم تلبسهم به ، فكانوا غائبين حاضرين ، وحاضرين غائبين ، على انفراد حق في العبيدة والحضور ، فشاهدوه ظاهراً وباطناً ، وباطناً وظاهراً ، وآخر أولاً ، وأولاً آخر . كما قال ، عز وجل : « هو الأولُ وَاخِرُ ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ . وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عَالِمٌ » (١)

والمشاهدة : حال رفيع وهي من له أربع زوائد حقائق اليقين .
وتقتضي حال اليقين .

باب حال اليقين

قال الشيخ، رحمه الله: وقد ذكر الله تعالى اليقين في مواضع من كتابه على ثلاثة أوجه: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: «سأرا الله تعالى العفو والعافية واليقين في الدنيا» ٣٨

والآخرة» وقال، صلى الله عليه وسلم «رحم الله أخى عيسى، عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى في الهواء» ٣٩

وقال عامر بن عبد قيس، رحمه الله: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، معنى عند معابنتي لما آمنت به من الغيب، وهذا كلام غليات ووجد وتحقق»

وقد روى عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «الخلق يبعثون على ما يتوتون» ٤٠

عليه «ولا يكون الخبر كالمعابنة في جميع معانيها، ويجوز أن يكون له وجه آخر، وهو أن يعنى: ما ازددت علم يقين.» ٤١

وقال أبو يعقوب النهر جوري، رحمه الله: إذ استكمل العبد حقائق اليقين صدر البلاء عنده نعمة، الرخاء مصيبة

واليقين هو المكاشفة،

والمكاشفة على ثلاثة أوجه:

مكاشفة الميان بالأبصار يوم القيامة.

ومكاشفة القلوب بحقائق الإيمان بمباشرة اليقين بلا كيف ولا حد.

والحالة الثالثة: مكاشفة الآيات بإظهار القدرة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام،

بالمعجزات، وانعيرهم بالكرامات والإجابات:

واليقين: حال رفيع، وأهل اليقين على ثلاثة أحوال:

فالأول: الأصغر وهم المريدون، والعموم (١).

(١) رواية أخرى: والعوام.

وهو كما قال بعضهم : أول مقام اليقين : الثقة بما في يد الله تعالى .

والإيأس مما في أيدي الناس .

وهو ما قال الجنيد ، رحمه الله ، حيث سئل عن اليقين ، فقال : اليقين

ارتقاء الشك .

وقال أبو يعقوب : إذا وجد العبد الرضا بما قسم الله له فقد تكامل فيه اليقين .

وسئل رُوَيْمُ بْنُ حَمْدٍ ، رحمه الله ، عن اليقين ، فقال : تحقيق القلب بالمعنى

على ما هو به .

والثاني الأوساط وهم الخصوص ، وهو ما سئل ابن عطاء عن اليقين . فقال :

ما زالت فيه المعارضات على دوام الأوقات .

وكما قال أبو يعقوب النهرجوري ، رحمه الله : العبد إذا تحقق باليقين ، ترحل

من يقين إلى يقين حتى يصير اليقين له وطناً .

وسئل أبو الحسين الموري ، رحمه الله ، عن اليقين ، فقال : اليقين : المشاهدة .

ومعنى المشاهدة قد ذكرناه .

والثالث : الأكابر ، وهم خصوص الخصوص ، وهو ما قال عمرو بن عثمان المكي .

رحمه الله : اليقين ، في جماعته : تحقيق الإثبات لله عز وجل بكل صفاته .

وقال : حد اليقين : دوام انقصاب القلوب لله عز وجل بما أورد عليها اليقين

من حركات ما لاقى به الإلهام .

وقال أبو يعقوب : لا يستحق العبد اليقين حتى يقطع عن كل سبب حاد يورث

الله تعالى ، من العرش إلى التراب ، حتى يكون الله لاغير ، والله لا شريك له .

على كل شيء سواه ، وليس للزيادات اليقين نهاية ، كما أن سببها وانقضاءها في الدين

ازدادوا يقيناً على يقين .

واليقين أصل جميع الأحوال واليعد تنهيه جميع الأحوال ، وهو آخر الأحوال ،

وباطن جميع الأحوال ، وجميع الأحوال ظاهر اليقين ، ونهاية اليقين : تحقيق

التصديق بالغيب بإزالة كل شك وريب ، ونهاية اليقين : الاستبصار ، وحلاوة المناجاة ، وصفاء النظر إلى الله تعالى ، بمشاهدة القلوب بحقائق اليقين بإزالة العليل ومعارضة التهم .

قال الله تعالى : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ » (١) ، « وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٍ لِّلْمُوقِنِينَ » (٢) .

وقال الواسعلى ، رحمة الله :

إذا أيقن بالمعنى وقع له مشاهدة الأحوال ، وإذا انكشف له حقائق المعنى خرج من أشجان الخلق ، خاطبهم بالتقريب ، وهو الكشف من الصدقية ، وخاطبهم الله تعالى ، بالمشاهدة فقال :

« وَالصَّادِّقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ » (٣) ، الشهداء باعود نفوسهم ، والصالحون الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون .

(٣) النساء : ٦٩

(٢) النازيات : ٢٠

(١) الحجر : ٧٥

فيه هدىً وبيانا لهم في جميع ما أشكل عليهم من أحكام الدين ، بعد إيمانهم بالغيب ، وهو التصديق بما أخبرهم الله به عما غاب عن أعينهم .

ثم قال ، في آية أخرى « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١) » .

فأفادت هذه الآية لأهل الفهم من أهل العلم ، بعد إيمانهم بالغيب أيضاً ، أن تحت كل حرف من كتاب الله تعالى كثيراً من الفهم مذخوراً لأهله على مقدار ما قسم لهم من ذلك ، واستدلوا على ذلك بآيات من القرآن ، مثل قوله عز وجل : « مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ » وقوله : « وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ » (٢) ، وقوله : « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْيُومٍ » (٣) .

وقالوا في معنى قوله عز وجل : « مِنْ شَيْءٍ » إن معناه : من شيء من علم الدين ، وعلم الأحرار التي بين الملق وبين الله تعالى وغير ذلك .

وقل عز وجل ، في آية أخرى : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْرَبُ » (٥) يعني يدلنا إلى الذي هو أصوب ، فعلم أهل الفهم من أهل العلم أن لاسبيل إلى التعلق بالأصوب مما يهدي إليه القرآن إلا بالتدبر ، والتفكير ، والتمعن ، والتذكر وحضور القلب عند تلاوته ، وعلموا ذلك أيضاً ، بقوله : « كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ يَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلَبِذْكَرُوا أُولَ الْأَنْبَابِ (٦) » .

ثم استفاد أهل الفهم من هذه الآية ، أيضاً أن التدبر ، والتفكير . والتذكر

(٣) يس : ١٢

(٢) الأنعام : ٣٨

(١) النحل : ٨٩

(٥) الإسراء : ٩

(٤) الحجر : ٢١

(٦) ص : ٢٩

لا وصول إليه إلا بحضور القلب، لقول الله عز وجل: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ» (١) «يعنى حاضر القلب.

ثم لم يترك على ذلك حتى ذكر القلب في آية أخرى نقل: «يَوْمَ لَا يَفْعُ مَلٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» (٢).

ثم لم يترك على ذلك حتى أقام إماماً للخلق في القلب السليم، فقل عز وجل: «وَأَنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِبِرَاهِيمَ، إِذْ جَاءَهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» (٣) قال أدب الفهم: القلب السليم الذي ليس فيه غير الله، عز وجل.

وقال سهل بن عبد الله، رحمه الله: لو أعطى العبد لكل حرف من القرآن آية فهم ما بلغ نهاية ما جعل الله تعالى في آية من كتاب الله تعالى من الفهم، لأنه كلام الله تعالى، وكلامه صفته.

وكأنه ليس له نهاية فكان ذلك لأنه نهاية فهم كلامه، وإنما يفهمون على مقدار ما يفتح الله تعالى على قلوب أوليائه من فهم كلامه، وكلام الله غير مخلوق فلا تبلغ إلى نهاية الفهم فيه في يوم الخلق، لأنها محدثة مخلوقة.

وقد ذكر الله تعالى الهداية في القرآن قوله: «هُدًى» (٤).

(٢) الشعراء: ١٨ - ١٩

(٤) البقرة: ٢

(١) ق: ٢٧

(٣) الصافات: ٨٣ - ٨٤

باب في تخصيص الدعوة

ووجه الاصطفاء

قال سبل بن عبد الله رحمه الله : الدعوة عامة ، والهداية خاصة ، وأشار إلى قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَدْعُ إِلَى دَرِ السَّلَامِ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١) » ، لأن الدعوة عامة ، والهداية مختصة على تفضلها ، لأنه رد المشيئة في باب الهداية إليه ، فكان الذين اخترهم وأحبهم واصطفاهم دون من دعاهم .

وقد ذكر الله تعالى الاصطفاء أيضاً ، في مواضع من كتابه ، فقال في موضع : « تَبَارَكَ الَّذِي مَخْلَقَ الْمَاءَ فَجَعَلَ مِنْهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْأَنْفَ وَاللِّسَانَ وَمَا يَشْكُرُ مِنْهُ إِلَّا لَشَاءٍ عَمَلٍ مُشْكِرٍ (٢) » .

فأشار بالسلام إلى عباد قد اصطفاهم واجتباهم ، ولم يبين من هم ؟ وكيف هم ؟ ثم لم يترك على ذلك وقل في آية أخرى : « إِنَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمَنْ يَشَاءُ (٣) » .

قال المفسرون « ومن الساس » يعني به الأنبياء ، فلو ترك على هذا أيضاً لكان للقتال أن يقول : إن الاصطفاء لا يجوز إلا للأنبياء ، فقال : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات (٤) » .

ففرق بين الاصطفاء الذي ذكر المرسل ، عليهم السلام والاصطفاء الذي ذكر لعباده الذين أورثهم الكتاب ، وهم المؤمنون ، ثم بين أنهم متفاوتون أيضاً في أحوالهم

(١) بونس : ٢٥

(٢) النمل : ٥٩

(٣) الحج : ٧٥

(٤) فاطر : ٢٢

التي بينهم وبين الله تعالى : « فهم لآلِمٌ لِنَفْسِهِ » الآية ، فرقع الاصطفاء على وجهين :

اصطفاء الأنبياء عليهم السلام بالعصمة ، والتأييد ، ولوحى ، وتلميح الرسالة ، ولسائرهم من المؤمنين : الاصطفاء بصفاء المعاملة وحسن المجاهدة والتعاق بالحقائق والمذلة :

ثم قال عز وجل : « نكَلْنَا جَمَلًا مِنْكُمْ شَرِيعَةً وَمِنْهَا جَبَأٌ (١) » وقال تعالى : « لو شاء الله لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ (٢) » .

فأمرهم الله تعالى بالاستباق ، والمصارعة والمبادرة إلى الخيرات مجملًا ، ولما بين أئمة الخيرات التي أمرهم بالاستباق إليها ، ثم فصل وبين مواضع كثيرة كتوبه :

« وَهَدَى الْمُتَّقِينَ (٣) » . « وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤) » . « وَإِنِّي فَتَنَنِي (٥) » . « وَإِنِّي فَارُهَبُونَ (٦) » ، « فَلَا تَخَفُوهُمْ وَخِفُونِ (٧) » ، « وَأَطِيعُوا وَأَخْشَوْا (٨) » ، « فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ (٩) » ، « وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا (١٠) » ، « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ (١١) » ، « وَالَّذِينَ جَاءُوا فِينَا (١٢) » ، « وَمَنْ شَكَرَ فَإِنِّي أَكْثِرْ لَهُ (١٣) » ، « وَاللَّهُ يَحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤) » ، « وَمَا مَرُّهُ إِلَّا بِعَدُوِّ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (١٥) » .

(١) المائدة : ٤٨	(٢) المائدة : ٤٨	(٣) البقرة : ٢
(٤) البقرة : ٦٦	(٥) البقرة : ٤١	(٦) البقرة : ٤٠
(٧) آل عمران : ٧٥	(٨) البقرة : ١٤٥	(٩) البقرة : ١٥٢
(١٠) المائدة : ٢٣	(١١) المائدة : ٩٢	(١٢) العنكبوت : ٦٩
(١٣) النمل : ٤٠	(١٤) آل عمران : ١٤٦	(١٥) البينة : ٥

وقال : « رجال صدقوا عاهدوا الله عليه (١) » ، ثم ذكر القانتين والقانتات ،
والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات :
وذكر في آيات من القرآن : التوبة ، والإنابة ، والنفويض ، والرضا ، والتسليم ،
والقناعة ، وترك الاخبار .

ثم قال : « قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى (٢) » .

وقال : « ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب (٣) » ، « وما الحياة
الدنيا إلا لعب ولهو (٤) » ، « وما حياة الدنيا إلا متاع الغرور (٥) » ، ثم قال :
« من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نثرته منها
وماله في الآخرة من نصيب (٦) » .

ثم ذكر الشيطان فقال : « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا (٧) » .
وقال : « أفرايت من اتخذ إليه هواه فأنصته الله على علم وخبر على سمعه وقلبه
وجعل الله على بصره غشاوة (٨) » . وقال : « وأما من طغى وآثر الحياة
الدنيا (٩) » الآية .

وما يشبه ذلك من الآيات التي تدب الله تعالى الخلق إلى المسارعة والاستباق
إلى التعلق والخلق بها والصدق والإخلاص فيها كثيرة ، والمؤمنون في قبول ذلك
متساوون ، وفي منازلهم وركوب حقائقها متفاوتون ، والجميع مخاطبون .
وهم على ثلاث درجات .

(٣) آل عمران : ١٤
(٦) الشورى : ٢٠
(٩) النازعات : ٢٧-٢٨

(٢) النساء : ٧٧
(٥) الحديد : ٢٠
(٨) الجاثية : ٢٣

(١) الأحزاب : ٢١
(٤) الأنعام : ٣٢
(٧) فاطر : ٣

باب ذكر تفاوت المستمعين

خطاب الله تعالى ودرجاتهم في قبول الخطاب

قال الشيخ ، رحمه الله : فمنهم من سمع الخطاب ، وقبله ، وأقربه ، وتعرض لما خوطب به من هذه الآيات البينات التي ذكرناها ، والتي لم تذكرها فيما يشبه ذلك وحال بينه وبين العمل بها والانتفاع بما وعدهم الله تعالى من الثواب عليها ، الاشتغال بالدنيا والغفلة ومتابعة النفس ، واختيار ، الحظوظ على الحقوق ، والإجابة لدواعي العدو ، والميل إلى أمارات الهوى والشهوات ، وهم الذين وصفهم الله تعالى في كتابه وزجرهم ووعظهم ، حيث يقول :

« أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم (١) » وقال : « ولا طمأنينة من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وتبع هواه (٢) » ، وقال : « حذ العنود وأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » وقال : « زين الناس حب الشهوات من النساء ، والبنين ، والقمار ، والمقامير ، والتمائم ، والفضة ، والحلأ ، السومة ، والأنعاد ، والخمر ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عتاد لحسن العذاب (٤) » ، ثم قال ، عز وجل : « قل أن أنصركم كثير من ذلكم ، إن الله يهدي من يشاء ، وحدهم جنت تجري من تحبها الأنهار ، خالدين فيها ، وأزواج مطهرة ، وهم فيها خالدون » ، وقال : « والله بصير بالعباد (٥) » .

ومنهم من سمع الخطاب ، فأجاب ، وآت ، ودخل في الصلاة ، وقام في الأحوال والمنازلات ، وصدق في المعاملات ، وأحسن في المناسبات ، وذكره الله تعالى في كتابه ، وذكره الله تعالى في كتابه ، وذكره الله تعالى في كتابه :

(١) الجاثية : ٢٣ (٢) الكهف : ٢٨ (٣) الأعراف : ١٩٩ (٤) آل عمران : ١٤ (٥) آل عمران : ١٥

«الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقون أولئك على هدى من ربهم»^(۱) ، وقال : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزولاً »^(۲) ، وقال : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه به حياً طيبة ولنجزينهم بأحسن ما كانوا يعملون »^(۳) .

قالوا : الحياة الطيبة : هي الرضا والقناعة بالله عز وجل .

ثم قال : « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن المنع معرضون »^(۴) الآية .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فكل شيء غير الله مما وقع في القلوب فهو لغو ، فأخبر أن ابوحديق عن كل شيء غير الله معرضون ، ثم قال : « أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »^(۵) .

وذكرهم في القرآن كثير ، وقد فضّلهم على غيرهم بذكرهم ووعدهم بالشراب الجليل .

والطبقة الثالثة من المخاطبين : هم الذين ذكرهم الله تعالى ، وشرفهم بذكرهم ، ونسبهم إلى العلم والخشية فقال : « إنما يخشى الله من عباده العلماء »^(۶) .

وقال : « وأولوا العلم قائماً بالقسط »^(۷) ، وقال : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »^(۸) .

ثم خص من هؤلاء قوماً أيضاً ، فقال : « والراسخون في العلم »^(۹) زادني وصفهم الذي شرفهم به ، معنى آخر :

(۲) الكهف : ۱۰۷

(۳) المؤمنون : ۱ - ۲

(۶) فاطر : ۲۸

(۱) النمل : ۳

(۳) النحل : ۹۷

(۵) المؤمنون : ۱۰ - ۱۱

(۷) آل عمران : ۱۸

قال أبو بكر الرازي ، رحمه الله : ار اسخون في العلم : هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب ، وفي سر السر ، فمرفهم ما عرفهم ، وأراء منهم من مقتضى الآيات ما لم يرد من غيرهم ، وخاضرا بحر العلم بالقيم ، لطلب الزادات ، فانكشف لهم من مذخور الخزان والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم وعجائب النص ، فاستخرجوا الدر والجرامر ، ونطقوا بالحكم .

ومنه من كانت البحار عنده كتلة فيما شاهد من المستثرات ، يعني مستثرات العلم الذي استأثر الله تعالى به أنبياءه ، وخص بذلك أوليائه وأصفياءه ، فخص بسره عند صفاء ذكره وحضور قلبه في بحر الفهم ، فوقع على الجواهر العظمى ، وهو الذي علم مصادر الكلام من أين ، فوقع على العين ، فأغدهم عن البحث والطلب والتفتيش .

وهذا شرح من كلام الرازي فيما ذكر وبينه من الراضى في كلامه ذلك عن أبي سعيد الخزاز في معنى ذلك .

قال أبو سعيد ، رحمه الله : أول الفهم كتاب الله عز وجل : القول به : لأن العلم ، والفهم ، والاستنباط ، وأول الفهم إلقاء السمع وإتقان العمل ، عز وجل : « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » ، والادق : « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » (۲) .

والقرآن كله حسن ، ومعنى اتباع الأحسن ، يكسب القبول به .
الاستماع وإتقان السمع من طريق الفهم والاستنباط .

(۱) ق ۳۷۰

(۲) الزمر : ۱۸

باب في شرح استنباط إتياء السمع والحضور بالتدبر عند

التلاوة وفهم الخطاب بما خوطب به العبد

قال الشيخ ، رحمه الله : واعلم أن إتياء السمع والحضور عند الاستماع على

ثلاثة أوجه :

قال أبو سعيد الخراز ، رحمه الله ، فيما بغنى عنه : أول إتياء السمع لاستماع القرآن

هو أن تسمعه كأن النبي صلى الله عليه وسلم يقرأه عليك ثم ترقى عن ذلك فكذلك

سمعه من جبريل عليه السلام وقراءته على النبي صلى الله عليه وسلم ، تقول الله ،

عز وجل : « وَإِنَّهُ أَنْزَلْنَا رَبُّ الْأَعْمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى

قَلْبِكَ . . . » (١) الآية ، ثم ترقى عن ذلك فكذلك تسمعه من الحق ، وذلك

قول الله ، عز وجل : « وَتَنْزِيلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ لِقَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ » (٢)

وقوله : « تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ » (٣) فكذلك تسمعه من الله ،

تعالى ، وكذلك : « حَمَّ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » (٤) .

ومخرج الفهم في استماعك من الله تعالى : عند حضور قلبك وغيبتك عن أمثال

الدنيا وعن نفسك بقوة المشاهدة ، وصفاء الذكر ، وجمع الهمم ، وحسن الأدب ،

وطهارة السر ، وصدق التحقيق ، وقوة دعائم التصديق ، والخروج إلى السعة من

الضييق ، وحضور المشاهدة لنفذ الغيب ، وسرعة الوصول إلى المذكور بالغيب بكلام

اللطيف الخبير .

(١) الشعراء : ٩٣ - ٩٤ (٢) الإسراء : ٨٢ (٣) الزمر : ١

(٤) غافر : ١ - ٢

وشرح هذا كله مفهوم ومستنبط من قوله ، تعالى : « الذين يؤمنون بالغيب » (١) .

قال أبو سعيد ابن الأعرابي : هم في غيبة مغيبون ، فبأنعمب آمنوا بالغيب ، وهو . وإن كان غيباً ، فإنه لا يلحقهم في ذلك شك ولا ريب .

وقال تعالى : « قل الله يهدي للحق » ، أفن يهدي إلى الحق الحق أن يتبع ، أمن لا يهدي إلا أن يهدي ؟ (٢) . وقال : « فإذ كان الحق لا يصلح فإلى تصرفون ؟ » (٣) .

وقال أبو سعيد الخزاز ، رحمه الله : كما أدرك الحق من الله عز وجل أمر أو غيب خرج عن نعت الخدائق ، وهو قوله : « الذين يؤمنون بالغيب » ، وأنعمب هو ما أشهد الله تعالى التقرب من إثبات صفات الله وأسمائه ، وما وصف الله به رسوله ، وما أدى إليهم الخبر فثبتوا الصفات ، ولم يدعوا إدراكها على مهلة ، لا سيما في قوله ، تعالى : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كتب الله » (٤) ، فإذا كان وصف كلامه لا يصلح أن يوصل إلى نهاية فهمه ، فكيف يدرك حقيقة وصفه وهو لا يدركها ؟

فإنما قرر عند أهل الفهم من أهل العلم أن كل شيء من صفات الله تعالى ، والواجدون ، والعارفون ، والموحدون ، وما عبروا عنه ، وما سمعوا الله عز وجل من اليد بالدلالة ، ولا يشار إليه بالإشارة ، من الخلف الموروث ، من الأسماء والمقامات والأماكن ، وغير ذلك مما شهدده حاشا له بالعلم ، من صفات الله تعالى ، بقوله : « الذين يؤمنون بالغيب » .

(٢) يونس : ٣٥

(١) البقرة : ٣

(٤) لقان : ٢٨

(٣) يونس : ٣٢

باب وصف أرباب القلوب في فهم القرآن

قال الشيخ، رحمه الله: وقد ذكر الله تعالى وصف جمع أرباب القلوب وأهل الحقائق: من المريدين، والعارفين، والمتحققين، والراجلين، وأهل المجاهدات، والرباضات، والمتقربين إليه، بأنواع الطاعات، ظاهراً وباطناً، كما في كتابه وهو قوله عز وجل، فيما يصف به ملائكته: «أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب؟» (١) وقال للمؤمنين: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة» (٢).

فكان في هذه الآية شرح وبيان في صفة الذين يؤمنون بالغيب بابتغاء الوسيلة. ثم زاد في البيان والتفصيل في آية أخرى، يحث به المرمنين على المسارعة إلى الخيرات، فقال عز وجل: «أيمسبون أمأتمدهم به من مال ونين نساغ لهم في الخيرات لئلا يشعرون» (٣).

واستفاد أهل الفهم من هذه الآية أن أول المسارعة إلى الخيرات هو التقل من الدنيا، وترك الاهتمام بالرزق، والتباعد والفرار من الجميع والمنع باختيار القلة على الأكثرية، والزهد في الدنيا على الرغبة فيها.

ثم ذكر الذين يسارع لهم في الخيرات ووصفهم فقال: «الذين هم من خشية ربهم مشفقون» (٤) فوصفهم بالإشفاق من الخشية، والخشية والإشفاق اسمان باطنان، وهما عملان من أعمال القلب، فالخشية سر في القلب خفي والإشفاق من الخشية أخفى من الخشية.

وهو الذي ذكر الله، تعالى فقال: «يعلم السر وأخفى» (٥).

وقد قيل: إن الخشية انكسار القلب من دوام الانتصاب بين يدي الله تعالى.

(١) الإمراء: ٥٧ (٢) المائدة: ٣٥ (٣) المؤمنون: ٥٥ - ٥٦
(٤) المعارج: ٢٧ (٥) طه: ٧

ثم من بعد هذه المرتبة الشريفة والحال الرفيعة التي وصفهم الله تعالى بها من الخشية والإشفاق وغير ذلك فقال : « والذين هم بآياتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ » (١) ، وكانوا قبل الخشية والإشفاق مؤمنين بآيات الله فعلم أنه أراد بذلك زيادة الإيمان ، ألا ترى أنه يصف رسوله الله صلى عليه وسلم بالإيمان به بعد الرسالة والنبوة ، وذلك قوله ، عز وجل : « فَأَمِنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ » (٢)

فاستنبط أهل الفهم واستفادوا من هذه الآية أن زيادة الإيمان لا منهية لها ، وأن جميع ما وصل إليه أهل الحقائق من مدايتهم ، أن ذلك من حقائق الإيمان وزيادته ، وبراهينه وأنواره ، وأن لا منهية لذلك .

ثم قل ، عز وجل : « وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ » (٣) فذكر أنهم لا يشركون ربهم بعد ما وصفهم بالخشية والإشفاق والذين .

فاستفاد أهل الفهم أيضاً من ذلك وعلموا مستنبط هذه الآية . وذكرنا في شرحنا هنا : أنه من الشرط في الذي يعرض القرب من رؤية الطاعات وتطلب الأعمال بعد ما شهد شاهد صريح الإيمان أن لا ضار ولا نافع ، ولا معطي ولا مانع ، إلا أنه بعد ذلك تمردوا وجدوا ، وتضرعوا إلى الله تعالى . ومطلبوا منه الخصال التي يصدق الإخلاص في الإخلاص ، علموا أنهم على قدر إحسانهم في تلبية مشاؤون إلى دقائق شركهم وزيادتهم الذي هو خفي من ديب الشيطان في الخصال التي هي الملية العظماء .

وقد ذكر عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، أنه قال : « قال : أيمان الناس بالله كثير ، وإحسانهم منهم قليل . »

وقل سبيل . أيضا : الدنيا كلها جهنم إلا ما كان منه العلم ، والعلم كله حجة إلا ما كان العمل به ، والعمل كله هباء إلا موضع الإخلاص فيه ، وأهل الإخلاص على خطر عظيم .

ثم قال عز وجل : « والذين يؤتوا ما آتوا وقربهم وجاءتهم إلى ربهم راجعون (١) » .

فاستنبط أهل الفهم من هذه الآية ، أيضا ، أن وجل قريبهم مع ما آتوا من تسرعة والاستيلاء إلى هذه الأحرار التي ذكرنا ، أن ذلك الوجل هو الوجل الذي لا سبيل إلى الكشف عن علم ذلك ، ولا وقوف عليه لأحد من خلقه . وهو علم الغائبة ، وما سبق لهم من الله تعالى في علم الغيب من الشقاوة والسعادة ، فعند ذلك تقطع نياط قريبهم ، وذهبت عقولهم ، وذهبت علومهم ، وغابت فهمهم ، وأقبلوا على الله تعالى ، بصدق اللجأ ، وإظهار الفاقة ودوام الافتقار .

وتصدق ذلك ما قد روى في ذلك عن عائشة ، عضى الله عنها : أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله : « الذين يؤتوا ما آتوا وقربهم وجاءتهم » هوى الذي يزني ويسرق ويشرب ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا ، وإنما هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه . ثم قال : « وأنتك يسرعون في الخيرات وهم لما سابقون » (٢) .

فدل ذلك على أن بالتسارعة إلى هذه الخيرات تنال درجة السابقين وتبغى منزلتهم .

باب ذكر السابقين ، والمقربين ، والأبرار

من طريق الفهم والاستنباط

قل الشيخ ، رحمه الله ، قال الله ، تعالى : « والسابقون السابقون أولئك المقربون (١) » ، ثم بين فضل المقربين على من دونهم من الأبرار والسابقين بعد ذلك فقال : « كلاً إن كتاب الأبرار في عليين ، وما أدراك ما عليون (٢) » ، ثم قال : « إن الأبرار في نعيم ، على الأرائك ينظرون » وصف الكرامات التي أكرم بها الأبرار ، وما خصهم به من النعيم والدرجات في عليين فقال : « تعرف في وجوههم نضرة النعيم (٣) » ، يعني أن أهل الجنة يعرفون بنضرة التي في وجوههم ، يعني في وجود الأبرار من النعيم الذي خصوا به من بين أهل الجنة ، ثم قال : « يستقون من رحيق مختوم (٤) » .

ولم يصف لأهل الجنة أنهم يستقون من الرحيق المختوم إلى قوله : « ومن أجد من تسيم (٥) عيناً يشرب بها المقربون (٦) » .

فخص الأبرار في الجنة من بين أهل الجنة بالرحيق المختوم ، ثم فضل شراب الأبرار وهو الرحيق المختوم على شراب أهل الجنة بمزاجه ، لأن مزاجه من التسيم ، والتسيم هو المين التي يشرب بها المقربون ، فصار شراب الذي فضل الله على أهل الجنة بمزاجه عند شراب المقربين الذي ليس بمزوج .

(٢) المطففون : ١٨ - ١٩

(١) الواقعة : ١٠ - ١١

(٤) المطففون : ٢٥

(٣) المطففون : ٢٢ - ٢٣

(٦) المطففون : ٢٨

(٥) المطففون : ٢٥

فانظر إلى هذه الإشارة ، ما أطفها في معنى المقربين لأن الأبرار الذين خصوا من أهل عليين بالرحيق المختوم ونضرة النعيم والأرائك يمزج لهم في شرابهم مزاجاً من شراب المقربين ، الذي يشرب به المقربون على الدوام .

واستبطن أهل الفهم فيها معينين .

أحدهما : أن شراب الأبرار ممزوج ، وشراب المقربين صرف غير ممزوج ، كما قال الله عز وجل ، في آية أخرى : « إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً (١) » . ثم وصف ما أعد الله لهم ، ثم قال : « ويستقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً عينا فيها تسمى سلسبيلاً (٢) » ، ثم أخذ في صفة أخرى من نعيم أهل الجنة فقال : « وإرا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكا كبيرا (٣) » ، وأشار إلى نعيم لا صفة له بقوله : « ثم رأيت نعيماً » ولم يصف النعيم ، فلما بلغ آخر القصة قال : « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً (٤) » ، فكما ذكر شرابهم ووصف في ذلك فعلهم بقوله : « يشربون » . يذكر المزاج في شرابهم ، فلما قل : « وسقاهم شراباً طهوراً » لم يذكر المزاج في شرابهم .

والمعنى الآخر أن العين التي هي شراب المقربين يمزج منه بالعين التي هي شراب الأبرار .

ففضلوا على أهل الجنة بمزاج يمزج شرابهم من التسنيم ، وهو العين التي يشرب بها المقربون .

(١) الإنسان : ٥

(٢) الإنسان : ١٧ - ١٨

(٣) الموجود في قراءتنا ، بمعنى هناك وقرأ الجمهور بفتح التاء وحيداً الأعرج بضماً .

الإنسان : ٢٠

(٤) الإنسان : ٢١

فهذا فرق بين الأبرار والمقربين والله أعلم .

ثم قال جل ذكره : « ولا نكفُ نفساً إلا وسعها (١) » ، فبين أن المؤمنين إنما أعطوا الاستطاعة على قد الطاق في ركوب هذه الحقائق ومنازلة هذه الأحوال ، لأن جميع ما أتى به الأنبياء ، عليهم السلام ، فمن دونهم من الحقائق هو داخل في قوله عز وجل : « اتقوا الله ما استطعتم (٢) » ، لم يخرج أحد من ذلك .

باب بيان التشديد في القرآن ، ووجود ذلك

قال الشيخ ، رحمه الله : اعلم أن الله تعالى قد أوجب على عباده قوله : « واتقوا الله ما استطعتم » فرضاً ، لو أنهم أتوا بجميع أعمال الملائكة والأنبياء والصديقين ، ثم يطالبهم بتحقيقه ذلك كالذي عليهم في ذلك من إثبات الحجّة أكثر من الذي لهم ألا ترى أن الملائكة مع ما حببهم الله تعالى عليه من أنواع العبادات يقولون : سبحانك ربنا ، حقّ عبادتك ، ويقولون : « سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا (١) » .
فقد تبرهوا من علمهم وعبادتهم عند مشاهدة الحقيقة .

ومعنى قوله عز وجل : « اتقوا الله حق تقاته (٢) » راجع إلى قوله : « واتقوا الله ما استطعتم » .

والتشديد في قوله : « اتقوا الله ما استطعتم » لأنك لو صليت ألف ركعة واستطعت أن تصلي ركعة أخرى فأخرت ذلك إلى وقت آخر فقد تركت استطاعتك ، ولو ذكرت الله تعالى ألف مرة . واستطعت أن تذكره مرة أخرى فترخر ذلك إلى وقت ثان فقد تركت استطاعتك ، وكذلك لو تصدقت على سائل بدرهم ، واستطعت أن تعطيه درهماً آخر ، أو حبة أخرى فلم تفعل ذلك ، فقد تركت استطاعتك .

فمن أجل ذلك قلنا : التشديد في قوله ما استطعتم .

ومن الآيات التي فيها التشديد أيضاً قوله تعالى : فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت وأسلموا تسلياً (٣) »
موضع التشديد في هذه الآية : أن الله تعالى ، ذكر القسم أنهم لا يؤمنون ، حتى يحكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما شجر بينهم ، ثم إن وجدوا في أنفسهم

(٢) النساء : ٦٥

(٢) آل عمران : ١٠٢

(١) البقرة : ٢٣

حرجاً ، يعنى فى قلوبهم وأسرارهم وباطنهم ضيقاً ، أو كراثة فى حكمه ، لو أنه حكم عليهم بالقتل ، فقد خرجوا من الإيمان .

وقد ذكر الله القسم على خروجهم من الإيمان .

فوقسنا على ذلك ما أمرنا الله تعالى به من الصبر على أحكام الله عز وجل ، والرضى بما قسم الله لنا من الأخلاق والأرزاق ، والآجال والأعمال لم نجد معنا . ومع كثير من الناس ، ذرة من الإيمان ، ولو لا رجاء الخلق فى سعة رحمة الله تعالى فذاكوا بذلك .

باب ما قبل في فهم الحروف والأسماء

قال : الشيخ رحمه الله : يقال : إن جميع ما أدركته العلوم وألحقته الفهوم : ما عبر عنه وما أشير إليه ، مستنبط من حرفين من أول كتاب الله ، تعالى ، وهو قوله : « بسم الله ، والحمد لله : لأن معناه بالله والله ، والإشارة في ذلك : أن جميع ما أحاط به علوم الخلق وأدركته فهو مهم فليست هي قائمة بذواتها ، إنما هي بالله والله .

وقيل للشبلي : رحمه الله ، كما بلغت : أيش الإشارة في الباء من « بسم الله ؟ فقال أي بالله قامت الأرواح ، والأجساد ، والأجساد ، والحركات ، لا بذواتها .

وقيل لأبي العباس بن عطاء ، رحمه الله : إلى ماذا سكنت قلوب العارفين ؟ فقال : إلى أول حرف من كتابه وهو الباء من : « بسم الله الرحمن الرحيم » فإن معناه أن بالله ظهرت الأشياء ، وبه فيت ، وبتجليه حسنة وباستتاره قبحت وسمجت لأن في اسمه « الله » هيئته وكبريائه ، وفي اسمه : الرحمن « محبته ومودته ، وفي اسمه : « الرحيم » عونه ونصرته .

فسبحان من فرق بين هذه المعاني في لطائفها بهذه الأسماء في غوامضها !!!

قال الشيخ رحمه الله : معنى قوله : بتجليه حسنة يعني بقبوله لها ، وبذا سميت الحسنة حسنة ، لأنه قبلها ، ولو لم يقبلها ما سميت الحسنة حسنة ، ومعنى قوله : باستتاره قبحت وسمجت ، يعني برده لها وإعراضه عنها ، وبذلك سميت السيئة سيئة ، ولو لا ذلك لما سميت سيئة .

وقال أبو بكر الواسطي ، رحمه الله : كل اسم من أسماء الله تعالى يتخلق به إلا اسمه : الله ، واسمه الرحمن ، لأنهما للتعليق دون التخلق ، وكذلك الصمدية ممتنعة عن الإدراك والإحاطة قال الله تعالى : « ولا يحيطون به علما (١) » .

(١) طه : ١١٠

وقد قيل ، أيضاً : إن اسم الله الأعظم هو : الله ، لأنه إذا ذهب عنه الألف يبقى لله
 وإن ذهب عنه اللام يبقى له ، فلم تذهب الإشارة ، وإن ذهب عنه اللام الآخر فيبقى
 هاء وجميع الأسرار في الهاء ، لأن معناه : هو ، وجميع أسماء الله تعالى إذا ذهب عنه
 حرف واحد يذهب المعنى ولم يبق فيه موضع الإشارة ، ولا تحمل العبارة
 فمن أجل ذلك لا يسمى به غير الله تعالى .

وعن سهل بن عبد الله رحمه الله : أنه قول : الألف أول الحروف وأعظم الحروف
 وهو الإشارة في الألف ، أى : الله الذى أنت بين الأشياء وانفرد عن الأسماء .
 وقال أبو سعيد الخزاز ، رحمه الله : إذا كان العبد مجموعاً على الله تعالى ، لا ينصرف
 منه جارحة إلى غير الله عز وجل ، فعندها تقع له حقائق التوحيه عند تلاوة كتاب الله
 عز وجل الذى ليس مع الخلق

وقال أبو سعيد ، رحمه الله : كما بدأ حرف من الأحرف من كتاب العزيز
 على قدر قربك وحضورك عنده فله مشرب وفيه غير محتاج التوحيه الآخر ، إنما سميت
 بقوله « ألم ذلك » فلأنف لم يظهر في التوحيه غير ما يظهر اللام ، وعلى قدر قربك
 وصفاء الذكر ووجود التقرب يقع التنوير في التوحيه

قال أبو سليمان الداراني : ربما جاءت الآيات خمساً ، فوالأولى التى ذكرت
 فيها ما جزئها أبداً وربما جاءت الآيات من القرآن فيغير مع من اللام سميت
 يرده بعد ذلك .

وقال وهيب بن الورد رحمه الله : نظره في هذه الأحرف من كتاب العزيز
 أرق لهذه القلوب ، ولا أشد استجلاباً لحزين من تلاوة القرآن ما تلاوه

باب في وصف من أصاب في الاستنباط ، والإشارة

والفهم في القرآن ووصف من غلط وأخطأ في ذلك ،

قال الشيخ رحمه الله : وأما ما قل الناس من طريق الاستنباط والفهم ، فالصحيح من ذلك : أن لا تقدم ما خيرا لله تعالى ، ولا تؤخر ما قدم الله ، ولا تنازع الربوبية ، ولا تخرج عن اليهودية ، ولا يكون فيه تحريف للكلمة .

وهذا حكى عن بعضهم كـ : أنه سئل عن قوله ، عز وجل : « وأيوب إذ نادى (١) ربه أنى مسنى الضر » فقال : معناه : ما ساءنى الضر .

وبمعنى عن بعضهم ، أيضا : أنه سئل عن قوله : « ألم نجدك يتيما فقوى » ، فقال : معنى اليتيم مأخوذ من الدرّة اليتيمة التي لا يوجد مثله .

وكما سئل آخر من معنى قوله ، عز وجل : « قل إنما أنا بشر مثلكم » (٢) فقال : معناه : أنا بشر مثلكم عندكم .

فهذه وأشبه ذلك خطأ وبهتان وخسارة على الله ، تعالى وجل ، وقلة المبالاة ، وهو تحريف الكلام عن مواضعه . فهذا هو السقيم .

وأما الصحيح من ذلك فكما سئل أبو بكر الكفائي ، رحمه الله ، عن قوله تعالى : « إلا من أتى الله بقلب سليم (٣) » ، فقال : القلب السليم على ثلاثة أوجه من طريق الفهم :

أحده : هو الذي يبقى الله تعالى عز وجل وليس في قلبه مع الله شريك .

والثاني : هو الذي يبقى الله تعالى وليس في قلبه شغل من الله ، عز وجل ، ولا يريد غير الله تعالى .

(٣) الشعراء : ٨٩

(٢) الكهف : ١١٠

(١) الأنبياء : ٨٣

والثالث : الذي يلقى الله: عز وجل، ولا يقوم به غير الله عز فني عن الأشباه بالله
ثم فني عن الله بالله .

ومعنى قوله فني عن الله بالله يعني يذهب عن رؤية طاعة الله عز وجل ورؤية ذكر
الله ورؤية محبة الله ، بذكر الله له . ومحبه قبل الحق . لأن الخلق ، بذكر الله ذكره ،
وبحبه لهم أحبوه ، وبقديم عاقبه بهم أطعوه .

وكما سئل شه الكرماني رحمه الله ، عن معنى قوله ، عز وجل : « الذي خلقني
فهو يهدين ، والذي عو يطعمني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين (١) » ، فقال :
الذي خلقني فهو يهدين إله لا غيره ، وهو الذي يطعمني الرضا ويسقين الخلة ،
وإذا مرضت بمشاهدة نفسي فهو يشفيني بمشاهدته ، والذي يهيني عن نفسي ويهين
به فقوم به ولا بنفسي ، والذي أطع أن لا يخرجني يوم أفتقد بنفسي عن طاعة
وأعمالي ، ثم أفتقر إليه مكيتي :

لما عدا أنه لم ينل ما نزل إلا به ولا ينال ما يرمان إلا به فقال : « رب عبادي
حكما وألحقن بالصالحين (٢) » .

كما سئل أبو بكر الواسطي رحمه الله عن قوله تعالى : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم
بذكر الله (٣) » ، فقال : قلب المؤمن قلب يطمئن بذكر الله تعالى ، وقلب المؤمن
لا يطمئن بسواه .

وكما سئل الشيبلي رحمه الله ، عن قوله : « قل آمنوا من أنفسكم من آمنوا من
فقل : « أهدر الرءوس عن محرمه الله تعالى .

(٢) الشعراء : ٨٣

(١) الشعراء : ٨٠

(٤) النور : ٣

(٣) الرعد : ٢٨

وكما سئل الشبلي ، رحمه الله ، عن قوله : « إن في ذلك لذكى لمن كان له قلب »
أو ألقى السمع وهو شهيد (١) ، فقال لمن كان الله تعالى قلبه ، ثم أنشد :

ليس مني إليك قلبٌ معي
كلُّ عضوٍ مني إياك قلوبٌ
فهذا من طريق الفهم .

وأما طريق الإشارة فعلى ما قال أبو العباس بن عطاء ، رحمه الله : الحق لا يوجد
مع الزلل ، وأشار إلى قوله : « فإن زلتم من بعد ما جاءكم اليذات فاعلموا أن
الله عزيز حكيم » .

وكما كان يقول : (الحِبُّ يستط عنه التعذيب ، ووجود الألم بصفات
البشرية) .

وكان يستدل بقوله تعالى : « وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ،
قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ (٢) » .

وكما أشار أبو يزيد البسطامي ، رحمه الله ، حين سئل عن المعرفة فقال :
« إن الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلةً وكذلك (٤)
يفعلون » .

راد بذلك أن عادة الملوك إذا نزلوا قرية أن يستعبدوا أهلها ، ويجعلوهم أذلة لهم ،
ولا يقدر أن يعملوا شيئاً إلا بأمر الملك ، وكذلك المعرفة : إذا دخلت القلب
لا تترك فيه شيئاً إلا أخرجته ، ولا يتحرك فيه شيء إلا أحرقتة .

وكما كان يشير الجنيد رحمه الله : إذا سئل عن سكونه وقلة اضطراب جوارحه
عند السماع إلى قوله : « وترى الجبل نحسبها جامدة وهي تمرر السحاب صنع الله

(٢) المائة : ١٨

(١) ق : ٢٧

(٣) النمل : ٣٤

الَّذِي اتَّقَنَ كُلَّ شَيْءٍ» (١).

وكما كان يشير أبو علي الروذباري ، رحمه الله ، إذا رأى أصحابه مجتمعين فيقرأ
« وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ » (٢).

واحتجَّ أبو بكر الزَّقَّاق ، رحمه الله ، على ما قيل للزُّهري في تعريف الإِسَانِ
فقال : إن تكلم في ساعة ، وإن سكت في يوم لقول الله تعالى : « كَلِمَاتٌ نَبَّأَهُ
لَا رَيْبَ لَكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيَئِهِمْ وَتَعْمَرْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ » (٣).

فيذا وأشباه ذلك صحيح والله أعلم ، فليس على ما بينت لك ما نسمع من
إشارات التوم ومستنبطاتهم ، حتى تميز بين الصحيح والسقيم ، والعامل يستغنى بالتقليل
عن الكثير ، ويستدل بالشاهد على الغائب ، وبالله التوفيق .

(١) النمل : ٨٨

(٢) السورى : ٩

(٣) حمد : ٣٠

كتاب الأسوة والافتداء برسول

صلى الله عليه وسلم

باب وصف أهل الصفة في الفهم ، والمواقفة

ولا تباع للنبي عليه الصلاة والسلام

قال الشيخ ، رحمه الله : قال الله تعالى نبيد عنه الصلاة والسلام : « قال
بِأَيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا » (١) . فأعمتنا بذلك أنه يمت
بخلق كافة .

ثم قال : « وَإِنَّا لَنَشْهَدُ بِأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ » (٢) .

فقد شهد الله تعالى له بأنه يهدي إلى صراط مستقيم .

ثم أوجب علينا نفي الهوى عن عقده ، تقونه ، عز وجل : « وَمَا يَشْعُرُ
عَنِ الْهَوَىٰ » (٣)

ثم وصفه الله تعالى فقال : « هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يُتْلُو
عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ » (٤) . فعمد أنه يتلو
عند آياته ، ويعلمنا الكتاب - وهو القرآن ، والحكمة - وهي الإصبة ، والإصبة
سنة ، وآدابه ، وأخلاقه ، وأفعاله ، وأحواله ، وحقائقه .

(٢) الشورى : ٥٢ - ٥٣

(٤) الجمعة : ٢

(١) الأعراف : ١٥٨

(٣) الزمزم : ٣

ثم بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل إليه من ربه ، وما أمر بإبلاغه
 بقوله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ » (١) .

ثم أمر الله عز وجل الخلق كافة بصاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 كما أمرهم بصاعته بقوله عز وجل : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ » (٢) .
 وقوله : « وَمَنْ يَعْصِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » (٣) . وأمرهم بقوله عز وجل :
 « مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ » (٤) . وأمرهم بالإتيان به بقوله عز وجل :
 « وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَتِهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ رِزْقًا كَثِيرًا » (٥) .
 بقوله تعالى : « وَأَتَّبِعُوا مَنَاسِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِئْسَ الْفِتْنَى لِلَّذِينَ كَفَرُوا » (٦) .
 عز وجل : « وَإِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ كَثِيرٌ أَعِزُّ » (٧) .
 إن خافوا مشركهم فقال عز وجل : « فَيُجَاهِدُ لِنُصْرَتِكُمْ أَمَّا الْكُفْرُ فَكَافٍ » (٨) .
 فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَذَابُ اللَّهِ عَظِيمٌ » (٩) .

ثم عرف الله تعالى ، أن محمداً الله الموعود ، فشهدوا له بالنبوة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « مَنْ شَهِدَ لِي بِالنَّبَوَّةِ شَهِدَ لِي بِإِسْمَائِيلَ » (١٠) .

ثم طلب الله من المؤمنين أن لا يفتروا عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَذَابُ اللَّهِ عَظِيمٌ » (١١) .

- | | | |
|-------------------|------------------|-------------------|
| (١) المائدة : ٦٧ | (٢) المائدة : ٩٠ | (٣) المائدة : ٨٠ |
| (٤) الحشر : ٧ | (٥) الحديد : ٧ | (٦) الأعراف : ١٥٧ |
| (٧) النور : ٥٥ | (٨) النور : ٦٣ | (٩) المائدة : ٣١ |
| (١٠) الأحزاب : ٢١ | | |

ثم روى عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، أخباراً ؛ فكل خبر ورد عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ينقل الثقة عن الثقة ، حتى انتهى إلينا ، فالأخذ به لازم لجميع المساهين ، فقوله ، عز وجل : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول (١) » وقوله : « إنك على صراطٍ مستقيمٍ » (٢) .

فصار الأسوة به ، والاتباع له والطاعة لأمره ، واجبا على جميع خلقه ممن شهد أو غاب إلى يوم القيمة ، غير الثلاثة الذين رفع القلم عنهم .

فمن وافق القرآن ولم يتبع سنن رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، فهو مخالف لقرآن غير متبع له ، والمتابعة والافتداء : هي الأسوة الحسنة برسول الله عليه الصلاة في جميع ما صح عنه من أخلاقه ، وأفعاله وأحواله ، وأوامره ، ونواهيه ، ونديه ، وترغيبه ، وترهيبه ، إلا ما قام الدليل على خلافه ، كقوله ، عز وجل : « خالصةً

تلك من دون المؤمنين (٣) » ، وقول النبي عليه الصلاة والسلام ، في الوصل : نست

كأحدك ، وقوله ، عليه الصلاة والسلام في حديث الأضحية لأبي بردة بنار : اذبح ،

ولا تجزى عن أحد بعدك ، وما يشبه ذلك مما يقرب عليه الدليل من نص الكتاب والآثار .

فأما روى عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، في الحدود ، والأحكام ، والعبادات : من الفرائض ، والنسب : والأمر ، والنهي ، والاستحباب والرخص ، والتوسيع ؛ فذلك من أصول الدين ، وهو مدون عند العلماء والفقهاء ، ومستعمل فيما بينهم ، ومشهور عندهم ؛ لأنهم الأئمة الحافظون لحدود الله ، المتمسكون بسنن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، الناصرون لدين الله ، عز وجل ، يحفظون على الخلق

(٣) الأحزاب : ٥٠

(٢) الزخرف : ٤٣

(١) النور : ٥٦

دينهم ، وبينون لهم الحلال من الحرام ، والحق والباطن ، فهم حجج الله تعالى :
على خلقه ، والدعاة له في دينه ، فهؤلاء هم الخاصة من العامة .

فأما الخاصة من هؤلاء الخاصة : لما أحكموا الأصول ، وحفظوا الحدود ،
وتمسكوا بهذه السنن ، ولم يبق عليهم من ذلك بقية ، استبحثوا أخبار رسول الله
عليه الصلاة والسلام ، التي وردت في أنواع الطاعات ، والآداب ، والعبادات ،
والأخلاق الشريفة ، والأحوال الرضية ، وطابوا أنفسهم بمتابعة رسول الله
عليه الصلاة والسلام ، والأسوة به ، واقتفاء أثره بما بلغهم من آدابه ، وأخلاقه ،
وأفعاله ، وأحواله ، فعظموا ما عظم ، وصغروا ما صغر ، وقللوا ما قلل ، ودرروا
ما كثر ، وكرهوا ما كره ، واختاروا ما اختار ، وتركوا ما ترك ، وصبروا على
ما صبر ، وعادوا من عاصي ، ووالوا من ووالي ، وفضضوا من فضض ، ورغبوا
فيما رغب ، وحذروا ما حذر ، لأن عائشة رضي الله عنها ، سألت عن حبس
رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ فقالت : كان خاتم القرآن ، تعني من أئمة الناس .

وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : بعثت ذكراً الأحمق .

باب ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

في أخلاقه ، وأفعاله ، وأحواله

التي اختارها الله تعالى له

٥٠ قال الشيخ ، رحمه الله : روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : إنه سبحانه أدنى فأحسن أدبي .

وقد روى عنه ، عليه الصلاة والسلام ، أنه قال : « أنا أعلمكم بالله وخشيت الله » .

٥١ وضح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « خيِّرت بين أن أكون نبياً مسلماً أو أن أكون نبياً عبداً ، فأشار إلى جبريل عليه السلام أن تواضع ، فقمت : بل أن أكون نبياً عبداً : أشبع يوماً وأجوع يوماً » .

٥٢ روى عنه ، عليه الصلاة والسلام ، أنه قال : « عرض علي الدنيا فأبينها » .

٥٣ قال عليه الصلاة والسلام : « لو كان لي أحد ذهباً لأنفقته في سبيل الله إلا شئاً ، أُرصد له لدين » .

٥٤ وروى عنه عليه الصلاة والسلام : أنه لم يدخر شيئاً لغد ، وأنه إنما ادخر مرة قوت سنة لعيناه ولين كرت عليه من الوفود .

٥٥ وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام : أنه لم يكن له قميصان ، ولم ينخل له طعام ، وأنه خرج عليه الصلاة والسلام من الدنيا ولم يشع من خبز برقط ، اختياراً لا اضطراراً ، لأنه لو سأل الله عز وجل أن يجعل له الجبال ذهباً ولم يحاسب عليه ، لآكل ذلك .

وقد رُوي شبيهاً بذلك في الأخبار والروايات .

وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لبلال رضي الله عنه : « أرتق بلال ، ولا تخش من ذي العرش إقلالا » .

ووضعت بريرة بين يديه عليه الصلاة والسلام ، طعاماً فأكل منه فردته إليه المليئة الثانية ؛ فقال لها : أما خشيت أن يكون له بخار يوم القيامة ؟ لا تدخرى شيئاً بعد ؛ فإنه عز وجل يأتي برزق كل غد ، أو قال : يوم .

وروي عنه عليه الصلاة والسلام : أنه لم يحب طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله ، وإن لم يشتهه تركه ، ولا خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما .

ولم يكن النبي . صلى الله عليه وسلم زراعاً ، ولا تاجراً ، ولا حرّاً

وكان من تواضعه صلى الله عليه وسلم : يلبس الصوف ، ويتعل الخصوف ، ويركب الخمر . ويحلب الشدة ، ويخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، وكان لا يأكل أن يركب الخمار ، ويردف خنقه .

وقد روي في الخير : أنه عليه الصلاة والسلام كان يكره العناء ، ولا يخشى من الفقر ، وكان يمر به ويزوجده الشجر والشهران فلا يوقد في بيته للخبز ، وأنه كان يطعمهم الأسويين : الخمر ، والماء .

وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه خير نساءه فأخترن الله ورسوله . وفي نزل : (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن البركة مني فزينا) (١) الآيتين جميعاً .

وكان من دعائه عليه السلام . « اللهم أحيني مسكيناً وامتنى مسكيناً واحسرتى في زمرة المساكين » .

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم أيضاً : « اللهم ارزق آل محمد قوت

يوم بيوم » .

وكان أبو سعيد الخدري رضى الله عنه يصف رسول صلى الله عليه وسلم كما

روى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقل البعير ، ويعلف الناضح ،

ويقيم البيت ، ويخفف النعل ، ويرتع الثوب ، ويحلب الشاة ، ويأكل مع الخادم ،

ويطحن معها إذا هي أعيت ، وكان لا يمنع الحياء أن يحمل بضاعته من السوق

إلى أهله ، وكان يصفح العني والفقير ، ويسلم مبتدئاً ، وكان لا يرد من دعاه .

ولا يحقر ما دُعى إليه ، ولو إلى حشف التمر ، وكان ابن العلق ، كريم الطبع ،

جمال المعاشرة ، طلق الوجه ، بساماً من غير ضحك ، مخزوماً من غير عبوس ،

متواضعاً من غير ذلة ، جواداً من غير سرف ، رقيق القلب ، دائم

الإطراق ، رحماً بكل مسلم ، لم يتجشمت قط من شبع ، ولا مدّ يده

إلى طمع :

وقالت عائشة رضى الله عنها . كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود من

الريح المرسله .

ووهب النبي صلى الله عليه وسلم ما بين جبأين من الغنم لرجل واحد ، فرجع

ذلك الرجل قبيلته ، وقال . إن محمداً عليه الصلاة والسلام يعطى عطاء من

لا يخشى الفقر

ولم يكن رسول الله عليه الصلاة والسلام صخاباً ، ولا فحاشاً ،

ولا متفحشاً .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يأكل على الأرض . ويجلس على الأرض .
 ويلبس العباء . ويجلس المساكين ويمشي في الأسواني . ويتوسد يده ويقتصر
 من نفسه . ولم يُرَ ضاحكاً ملء فيه . ولم يأكل وحده قط . ولا ضرب
 عبده قط . ولا ضرب أحداً بيده إلا في سبيل الله عز وجل . وكان لا يجلس
 مترجماً . ولا يأكل متكئاً . ويقول : « آكل كما يأكل العبد . وأجلس كما
 يجلس العبد .

٦٦ وروى عنه عليه الصلاة والسلام : أنه شد الحجر على بطنه من الجوع ، ولم يسأل
 ربه أن يجعل له أبا قبيس ذهبا لأجابه .

٦٧ وحمل النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه إلى بيت أبي الحيثم بن التميمي من غمران
 دعاه ، وأكل في بيته من طعامه ، وشرب من شرابه ، وقال هذا من العيون التي
 تسألون عنه .

٦٨ ودعاه عليه الصلاة والسلام رجال آخر إلى بيته مع خمسة من أصحابه . فمروا
 معه السادس إلا بإذنه .

٦٩ ويُروى في الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام ليس مسدلاً له شيء . ولا يمشي
 به . وقال : كاد تائيني أعامه ، وقال : إيتوني بأبعاليه أبي حريم .

٧٠ وسأل عن الصلاة في ثوب واحد فقال : أو كلباً يبدأ ثم يمشي .

٧١ وقال : أنا ابن امرأة [من قريش] كانت تملك القدر .

٧٢ وقال : لا تفضوني على يونس بن متى عليه السلام .

٧٣ وقال : [مرّة] : أنا سيد ولد آدم ولا فخر .

٧٤ وقلة عليه الصلاة والسلام : « إني أعطى آفة ما وأمع أخيراً ، وإن الذي
 أعطيه أحب إلي من الذي أمتعني » .

- ٧٥ وقال : أول من يدخل الجنة فقراء الأنصار . الشعبة رءوسهم . الدنسة ثيابهم . الذين لا يكحون المتنعمات ، ولا تفتح لهم السدد .
- ٧٦ وقال عليه الصلاة والسلام : « مالي والدنيا » .
- ٧٧ وقال : « يمكن بلغة أحدكم كزاد الرأكب » .
- ٧٨ وقال : « يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسة عام » .
- ٧٩ وقال : « نحن معشر الأنبياء أشد الناس بلاءً ، ثم الأمثل فالأمثل ، ويشتى ترجل على قدر دينه ، فإني كان في دينه صلابة فهو أشد بلاءً » .
- ٨٠ وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : إني أحبك ، قال أسعدت لبلاب .
- ٨١ ورأى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حبب إلى من دنياكم ثلاث » .
- ٨٢ وقال : أتم أعام بدنياكم ، فأضاف الدنيا إليهم وأخرج نفسه منهم .
- ٨٣ ولم يضع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسام أئمة على لينة إلى أن خرج من الدنيا .
- ٨٤ وخرج عليه [الصلاة] السلام من الدنيا ودرعه مرهونة عند يهودي على صاع من شعير ، ولم يترك ديناراً ، ولا درهماً ، ولم يقسم له ميراث ، ولم يوجد في يده أثاث .
- ٨٥ وقال : نحن معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا صدقة .
- وكان يقبل الهدية ، والكرامة ، والعطية ، وكان لا يأكل من الصدقة ، ويأخذها منهم .

٩٢ وكان عليه الصلاة والسلام يعطى من حرمة^١ه ويصل من قطعه ، ويعفو عن ظلمه ، وما انتقم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، انفسه قط ، ولا غضب انفسه قط إلا أن تنهك محارم الله فيغضب الله .

٩٣ وكان للأرملة كالزوج الشفيق ، واليتيم كالأب الرحيم !!!

٩٤ وقال عليه السلام من ترك مالا فلورثته ، ومن ترك كلاً أو ضياعاً فإلى

وقل : اللهم إلى بشر أغضب كما يغضب البشر فأبما امرى سببته أو اعنته فاجعل ذلك كفارة له ، أو كما قل :

٩٥ وقال أنس بن مالك : خدمت رسول الله عليه الصلاة والسلام عشر سنين ، لم ضربي ولا كبرنى^(١) ، ولا قل لى لشيء فعلته : لم فعات ! ولا لشيء لم أفعله لم لم تفعله .

٩٦ ولو لم يكن من كرمه وعفوه وحده إلا ما كان منه يوم فتح مكة لكان من كمال الكمال .

وذلك أنه دخل مكة صلحاً ، وقد قتلوا أعمامه وأولياءه بعد أن حصره في الشعاب ، وعذبوا أصحابه بأنواع العذاب ، وأخرجوه ، وأدمود ، وطر حوا عليه الروث ، وآذوه في نفسه ، وفي أصحابه ، وسفهاوا عليه ، واجتمعوا على كيدته ، فاما دخاها بخير حمدهم ، وظهر عليهم ، على صغر منهم ، قام خطيباً حمد الله وأثنى عليه . ثم قال . أقول كما قل أخى يوسف عليه السلام : لا تريب عليكم اليوم ، فغفر الله لكم ، وقل من دخل دار أبى سفيان فهو آمن .

وماربه ذلك مما يرد من الأخبار الصحيحة في هذا المعنى أكثر مما يتبها ذكره ، وإنما ذكرنا طر فإستدل به على ما نذكره ، والله أعلم بالصواب .

(١) كبر وقهر بمعنى واحد .

باب بيان ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم

فى الرخص والتوسيع على الأمة فيما أباح الله ، تعالى ، لهم

ووجه ذلك فى حال الخصوص ، والعموم ، فى الاقتداء برسول الله

صلى الله عليه وسلم

فأما ما روى عن النبي ، عليه الصلاة والسلام ، مما جمع الله عليه من أموال بنى قريظة ، والنضير ، وفدك ، وخيبر : وأشياء ذلك ، والحلّة التى أهدت إليه واجمعه والسيف الذى فى قرابه فضة ، والستور التى كانت فى البيت ، والراية التى كانت فيه ، والبغل ، والناقة ، والحمار ، والبردة ، والعمامة ، والخنق التى أهدى إليه النجاشى ، وغير ذلك مما يكثر ذكره ، وأنه كان يحب الجو البرد ، وأنه كان يخبز خبيص ، والذى قل لأصحابه : كلوا واشبعوا ، وما جالس ذلك من الأخصر المروية عنه ، عليه الصلاة والسلام ، فإن جميع ذلك فى الرخصة والتوسيع على الأمة والإباحة لها ، لأنه كان عليه الصلاة والسلام ، إمام الخلق إلى يوم القيمة ، وأنه قال صلى الله عليه وسلم : بعثت بالحنيفة السمحة ، وقل عليه الصلاة والسلام : إن أنسى لأسن .

ولو لم يوسع الله تعالى على الخلق التعاق بالرخص والأخذ بمسئلتهم ، لم يوسع لهم فى الطاب والجمع والإمسك والمكسب بشرط العبد فى كسبه ، لأن الله ، تعالى ، لم يدع الخلق إلى جمع الأموال والصنائع والتجارات وسائر أرباحها ، ثم أعانه بضعتهم .

وقد دعاهم الله تعالى إلى طاعته ، وعبادته ، وناب دفة التزمين إلى طاعته ،

وشكره ، والتوكل عليه ، والاقطاع إليه . بقوله ، تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (١) » وقوله تعالى : وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ (٢) ، « وَقُلْ تَعَالَى » وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٣) ، « وَإِنِّي فَأَرْسِلُونِ (٤) »
وَإِنِّي فَأَتَّبُونِ (٥) » وأشباهه .

ونيس حل الناس في هذه المباحات والرخص كحل الأنبياء عليهم السلام ، لأن
تعاقب الناس أكثرهم بالرخص والمباحات من ضعف إيمانهم ، وميل نفوسهم إلى
الخطوط ، وعجزهم عن حمل أُنْقَالِ مِرَارَةِ الصبر والتسعة بما لا بد لهم منها ، وروى
بِهِ ذَلِكَ إِلَى اتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ ، وَكَسْبِ السَّيِّئَاتِ ، إِنْ تَخَفُوا عَنْ آدَاءِ حَقُوقِهِ
وَمَا يَقُومُوا بِشَرِّ النَّاسِ الْعُلَى فِي تَدْوِيلِهَا .

فَمَا الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، قَدْ هَدَوْا بِتَأْيِيدِ النُّبُوَّةِ ، وَقُوَّةِ الرِّسَالَةِ ، وَأَنْوَارِ
لُوحِي لَا تَأْخُذُ مِنْهُمْ الْأَشْيَاءُ ، وَيَكُونُ كَوْنُهُمْ فِيهَا تَغْيِيرًا ، وَقِيَامُهُمْ فِيهَا حَقُوقًا .
لَا لِحُطِّ ظُهُومِهِمْ .

الْأَتْرَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « مَا أَفْأَكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَبِهِ
وَأَرْسُولِ وَلَدِي الْقُرْبِيِّ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ (٦) » ، فَقَدْ خَبَّرَنَا
مَا أَفْأَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ وَالرَّسُولِ وَالَّذِي الْقُرْبِيِّ وَالْيَتَامَى ، وَقَالُوا . وَمَعْنَى « سَدِّ
وَأَرْسُولِ » ، يَعْنِي . وَأَرْسُولِ أَنْ يَضَعَهُ فِي مَوَاضِعِهِ ، وَالَّذِي قَالَ . خَمْسَ الْخَمْسِ
فِي ذَلِكَ كَانَ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ .

(٢) المائدة : ٢٣

(٤) البقرة : ٤٠

(٦) الحشر : ٧

(١) الأحزاب : ٤١

(٣) المؤمنون : ٥٢

(٥) البقرة : ٤١

والناس في موافقة كتب الله تعالى وتباع رسول الله، عليه الصلاة والسلام، على
ثلاثة أقسام :

فمنهم من تعلق بالرخص، والمباحات، والتأويل، والسعة.

ومنهم من تعلق بعلم الترائض، والسُنن، والحدود والأحكام.

ومنهم من أحكم ذلك، وعبر من أحكام الدين مما لا يسعه الجهل بما هو تعلق
بالأحوال السنية، والأعمال الرضية، ومكروم الأخلاق، ومعنى الظهور، وحقائق
الحقوق، والتحقق، والصدق.

كما روى في حديث: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «خير الناس من
حقيقة، فيما حقيقته بالهدى، لا قال: «سكنت نفسي من الهدى، فأهدت نفسي من الهدى»
سأرى، وثاني، كجاء في حديث.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «خير من الهدى، من الهدى، من الهدى»

ورقن: «من جمع ما لا يسوئنا من الهدى، من الهدى، من الهدى»

حديث جبريل، عليه السلام، حيث قال: «يا محمد، أنت خير من الهدى، من الهدى»

عن إيمان، وإيمان، فقال: «إيمان، من الهدى، من الهدى»

وحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: «أهدى من الهدى، من الهدى»

والسلام بيدي، وقال: «يا محمد، أنت خير من الهدى، من الهدى»

وحديث وبسة، إمام ما حدث في حديثه، قال: «أهدى من الهدى، من الهدى»

وحديث العوان بن بلير، من الهدى، من الهدى، من الهدى»

وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أهدى من الهدى، من الهدى»

باب ما ذكر عن المشايخ في اتباعهم (١) رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وتخصيصهم في ذلك

قال الشيخ رحمه الله : سمعت [أبا عمرو] عبد الواحد بن عوان رحمه الله :
سمعت الجنيد ، رحمه الله ، يقول : علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله عليه الصلاة
والسلام .

وسمعت أبا عمرو بهما عيل بن نجيد يقول : سمعت أبا عثمان سعيد بن عثمان
خيري يقول : من أمر السنة على نفسه قولاً ، وفعلاً ، نطق بالحكمة ، ومن أمر
لهوى على نفسه قولاً ، وفعلاً ، نطق بالبدعة ، قال الله تعالى : « وَإِنْ تُطِيعُوهُ
مَهْتَدُوا » (٢) .

وسمعت طيفور البسطامي يقول : « سمعت موسى بن عيسى المعروف بعيسى يقول
سمعت أبا يزيد البسطامي رحمه الله ، يقول : قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل
الذي قد شهر نفسه بالولاية ، وكان الرجل في ناحيته مقصوداً ، مشهوراً بالزهد
والعبادة ، وقد سماه لنا طيفور ونسبته قال : فمضينا ، قال : فلما خرج من بيته ودخل
المسجد رمى بيزافه تجاه القبلة ، فقال أبو يزيد : قم بنا ننصرف ، قال : فانصرف

(١) يسرنا هنا أن ندعو أعداء التصوف أو الذين يتهمونهم بأنه خارج على الدين إلى
قراءة هذا الفصل وهو حاسم في صلة التصوف بالدين وآراء أئمة التصوف التي ذكرها
المؤلف صريحة لا لبس فيها : التصوف مستمد من الكتاب والسنة قائم عليهما مهتد
بهما متخذهما القائد والقدوة

(٢) النور : ٥٤

ملحوظين : ما بين الأقواس المضلعة موجود بهامش إحدى النسخ

وقال سهل بن عبد الله ، رحمه الله : كل وجد لا يشهد له الكتاب
والسنة فباطل .

وقال أبو سليمان الداراني ، رحمه الله : ربما تنكت الحقيقة قلبي أربعين
يوماً فلا آذن لها أن تدخل قلبي إلا بشاهدين من الكتاب والسنة .

فهذا ما حضرني في الوقت مما ذهب إليه الصوفية في اتباعهم رسول الله عليه
الصلاة والسلام ، وكرهت الثقليل ، واقتصرت على ما ذكرت للتخفيف ،
وبالله التوفيق .

كتاب المستنبطات

باب مذهب أهل الصفة في المستنبطات الصحيحة في فهم

القرآن والحديث ، وغير ذلك ، وشرحها

قال الشيخ ، رحمه الله : [إذا] قالوا : ما معنى المستنبطات فيقال :

المستنبطات : ما استنبط أهل الفهم من المتحققين بالمواقفة لكتاب الله ، عز وجل : ظاهراً وباطناً ، والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً ، والعمل بها بظواهرهم وبواطنهم .

فلما [عملوا بما] علموا من ذلك ورثهم الله تعالى : علم ما لم يعلموه وهو تدبير الإشارة ، وعلم موارد الأعمال التي يكشف الله تعالى ، لقلوب أصفياه من المعاني المدخورة ، واللطائف والأسرار المخزونة ، وغرائب العود وطرائف الحكم في معاني القرآن ومعاني أخبار رسول الله عليه الصلاة والسلام من حيث أحوالهم ، وأوقاتهم ، وصفهم أذكارهم .

وقال الله تعالى « أفلا يتدبرون القرآن أن أم على قلوب أقفانها ؟ » (١) .
وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « من عمل بما علم ورثه الله تعالى ، ،
ما لم يعلم »

وهو العلم الذي ليس لغيرهم ذلك من أهل العلم .

وأقوال القلوب ما يقع على القلوب من الصدأ ، كثرة الذنوب ، والبرح هوى .

ومحبة الدنيا ، وطول الغفلة ، وشدة الحرص ، وحب الراحة ، وحب الثناء والمحمدة ، وغير ذلك من الغفلات والزلات ، والمخالفة والخيانات .

فإذا كشف الله تعالى : [ذلك عن] القلوب بصدق التوبة والندم على الخوبة ، فقد فتح الأقفال عن القلوب وأتته الزوائد والقوائد من الغيوب ، فيعبر عن زوائده وفوائده بترجمانه ، وهو اللسان الذي ينطق بغرائب الحكم ، وغرائب العلم .

فإذا شرحوا هذه النقط المریدون والقاصدون والظالمون من تلك الجواهر بأذان وعية ، وقلوب حاضرة ، فعاشوا وانتفعوا بذلك وأنعشوا .

وقد قال الله ، عز وجل : « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا » (١) .

فدل على أن يتدبرهم في القرآن يستنبطون ، إذ لو كان القرآن من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً .

ثم قل : « وَإِذَا جَاءُكُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَىٰ أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَالِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ » (٢) يعني من أهل العلم وقلوا : أولوا الأمر هنا أهل العلم .

فقد بين هنا خصوصية لأهل العلم ، وخصوصية لأهل الاستنباط من أهل العلم .

وقد روى في الخبر : « أن رجلاً جاء إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقال : يا رسول الله علمني من غرائب العلم ، فقال : وما عملت في أول العلم ؟ أحكم أول العلم ثم تعال حتى أعلمك غرائب العلم » أو كما قال .

ولفقهاء الأمصار وعلمائها في كل وقت مستنبطات ، مشهورة في آيات القرآن والأخبار الظاهرة مستعدة للاحتجاج بها بعضهم على بعض في المسائل الخلافية بينهم .

وقد قال بعضهم : إن في هذا الحديث الذي قل رسول الله عليه الصلاة والسلام : « الأعمال بالنيات ، ولكل أمرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله » على ما جاء في الحديث : إنه يدخل في ثلاثين باباً من أبواب العم . وهذا لا يكون إلا من طريق الاستنباط .

وكذلك أهل الكلام والنظر : احتجاجاتهم العقلية ككثير من مستنبطات ، وكل ذلك حسن عند أهله ، ومقبول ، إذ المقصود من ذلك النصرة للحق والرد للباطل . وأحسن من ذلك مستنبطات أدلى العلم بالعلم والتحقيق والإخلاص في العمل من المجاهدات ، والرياضات ، والمعاملات ، والمنتقربين إلى الله تعالى : بطاعات الطاعات ، وأهل الحقائق .

باب في كيفية الاختلاف

في مستنبطات أهل الحقيقة في معاني علومهم وأحوالهم

قال الشيخ ، رحمه الله : اعلم ، أيديك الله بالفهم ، وأزال عنك الوهم ، أن أبناء الأحوال ، وأرباب القلوب ، أن لهم أيضاً ، مستنبطات في معاني أحوالهم ، وعلومهم وحقائقهم ، وقد استنبطوا من ظاهر القرآن ، وظاهر الأخبار معان لطيفة باطنة ، وحكم مستطرفة ، وأسراراً مذكورة .

وإن ذكر طرفاً من ذلك إن شاء الله تعالى .

وهم أيضاً في مستنبطاتهم مختلفون ، كاختلاف أهل الظاهر ، غير أن اختلاف أهل الظاهر يؤدي إلى (حكم) الغلط والخطأ ، والاختلاف في علم الباطن لا يؤدي إلى ذلك لأنها فضائل ، ومحاسن ، ومكارم ، وأحوال ، وأخلاق ، ومقامات ، ودرجات .

وقيل : إن اختلاف العلماء في علم الظاهر رحمة من الله تعالى ، لأن المصيب يرد على الخطيء ، ويبين للناس غلط المخالف ، وخلافه المصيب في الدين حتى تجنبوا منه ، ونولا ذلك لهلك الس ذهاب دينهم .

وأما الاختلاف بين أهل الحقائق أيضاً رحمة (من) الله ، لأن كل واحد يتمك من حيث وقته ، ونجيب من حيث حاله ، ويشير من حيث وجدته ، فتكون فيهم نكال واحد من أهل الطاعات ، وأرباب القلوب ، والمريدين ، والمتحققين ، فائدة من كلامهم .

وذلك أيضاً على قد تفاوتهم واختصاصهم ودرجاتهم .

وبيان ما قلنا في اختلافهم ما حكى عن ذى النون ، رحمه الله ، أنه سئل
عن الفقير الصادق فقال : هو الذى لا يسكن إلى شيء ، وإليه يسكن كل شيء .

وسئل أبو عبد الله المغربى عن الفقير الصادق ، فقال الفقير الصادق : الذى يملك
كل شيء ، ولا يملكه شيء .

وسئل أبو الحارث الألامى عن الفقير الصادق ، فقال : هو الذى لا يأنس بشيء
ويأنس به كل شيء .

وسئل يوسف بن الحسين عن الفقير الصادق ، فقال : من آثر وقته ، فإن كان
فيه تطلع إلى وقت ثان لم يستحق اسم الفقر .

وسئل الحسين بن منصور رحمه الله عن الفقير الصادق ، فقال : الفقير الصادق :
الذى لا يختار ، بصحة الرضا . ما يرد عليه من الأسباب .

وسئل الثورى ، رحمه الله عن الفقير الصادق ، فقال : الفقير الصادق : الذى
لا يهتم الله تعالى فى الأسباب ويسكن إليه فى كل حال .

وسئل سمون ، رحمه الله عن الفقير الصادق ، فقال : الذى يأنس بالفقير كى يأنس
الجاهل بالوجود ، ويستوحش بالوجود كى يستوحش الجاهل بالنقد .

وسئل أبو حفص النيسابورى رحمه الله ، عن الفقير الصادق ، فقال : الذى يكون
مع كل وقت بحكمه ، فإذا ورد عليه وأردت يخرج به من حبه وقبه ويستوحش منه .

وسئل الجنيد رحمه الله عن الفقير الصادق ، فقال : هو أن (لا) يستغنى شيء
ويستغنى به كل شيء .

وكما سئل المرتضى النيسابوري رحمه الله ، عن الفقير فقال : الذي يأكل القمل
ولا يكون له ظفر يحك به نفسه (١) .

وقد اختلف هؤلاء في أجوبتهم : كاختلافهم في أوقاتهم وأحوالهم ، وكل ذلك
حسن ، ولكل جواب من أجوبتهم أهلٌ يليق بهم ما أجابوا ، وهي فائدة ، ونسبة
وزيادة لهم ، ورحمة .

(١) من طبيعة الإسلام أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، وهل صاحبنا هذا أراذل
بكلامه هذا : عدم جزع الفقير مصوفى بما أصابه ، رضاه بقضاء الله وقدره .

باب في مستنبطات أهل الصفوة في تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم

وشرفه ، ونفضه على إخوانه ، عليه السلام

من كتاب الله عز وجل من طريق الفهم

قال الشيخ رحمه الله : فأما المستنبطات التي في كتاب الله ، عز وجل ، فقد ذكرنا طرفاً من ذلك في باب مذهب أهل الصفوة في مواثقة كتاب الله ، عز وجل . وهذا (الذي نذكره) إنما نذكره في (معنى) خصوصية رسول الله صلى الله عليه ، وفيما استنبطوا فيما نطق القرآن بشرفه ، وما خص به من سائر الرسل ، عليهم السلام : قوله عز وجل : « قل : هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسُبْحَانَ اللَّهِ ، وما أنا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (١) .

قل أبو بكر الواسطي ، رحمه الله : أدعو إلى الله على بصيرة : يعني أن لا تسهد لنفسى ، يعني أن لا أرى نفسى فاستقطعهم بشواهدى ، ومعنى آخر على بصيرة : أيمن أنه ليس إلى شيء ، فيكون إلى نفسى من الهداية شيء ، ومعنى آخر على بصيرة : أنه لا تملك ضراً ولا نفعاً إلا أن يتولى الله تعالى تقريرهما ، ومعنى قوله : « ومن اتبعني » على ذلك دعوتهم سبحانه الله [أن يكون] أحد يلحق ما هممه ويقصده إلا أن وما أنا من المشركين أن أرى الهداية من نفسى ومنه بدعوى ، قوله [تعالى] : « قل : اتبعوني أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوا مخلصين له الدين إن كنتم تعلمون تعودون (٢) » قالوا : معناه : من طريق الفهم والاستنباط قل أمر ربي « اتبعوني » يعني اتبعوا الخلق ، وبينى وبين الله تعالى ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، على قصد كل قصد تفصونه وأدعوه مخلصين له الدين ، يعني ادعوه لإرثاء ، ولا عجب ثم لا تعبدوا بل

(١) يوسف : ١٨٠

(٢) الأعراف : ٢١

هذا لأنه كما بدأكم تعودون عند العواقب ، وفي معنى قوله تعالى : « سترهم آياتنا في الآفاق ، وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق » (١) معناه : سترهم نعوتنا وصفاتنا ، في الملكوت ، حتى يتبين لمن نبين لهم أنه الحق ، وما سواه باطل ، لا جرم ؛ فلذلك قال النبي صاعم : « أصدق كلمة قالت العرب : (ما قل ليبد) :

الأكل شيء ما خلا الله باطل

ومما استنبطوا من خصوصية النبي ، صلى الله عليه وسلم : أن موسى عليه السلام ، سأل ربه ، عز وجل ، فقال : « رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري » (٢) ، (ونودي محمد صلى الله عليه وسلم ، بلا سؤال : ألم نشرح لك صدرك » (٣) إلى آخر السورة ، وكذلك سؤال إبراهيم عليه السلام : « ولا تخزني يومَ بعثون » (٤) (فضل الحبيب على الخليل) .

وقل لنبينا ، صلى الله عليه وسلم ، من غير سؤال : « يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه » (٥) .

وقيل له صلى الله عليه : « ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك » إلى قوله : « إن مع العسر يسراً » (٦) .

ومما قبل في هذا المعنى أيضاً : أن الله عز وجل ، خاطب جميع الخلق ، ودعاهم إليه ، ودفعهم عليه بذكر الملك والملكوت ، قال : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » (٧) ، وقوله : « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » (٨) ، وقوله تعالى : « أفلم يتفكروا في أنفسهم » (٩) ، وقوله : « أفلا

(١) فصلت : ٥٣ (٢) طه : ٢٥ - ٢٦ (٣) الشرح : ١

(٤) الشعراء : ٨٧ (٥) التحريم : ٨ (٦) الشرح : ١ - ٦

(٧) الأنعام : ٧٥ (٨) الأعراف : ١٨٥ (٩) الروم : ٨

ينظرون إلى الإبل كيف خلقت (١) « إلى آخر الآية ، فلما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ألم تر إلى ربك (٢) » يا محمد « كيف مد الظل » فلما كان الخطاب مع الحبيب بدأ بذكره ، فقال : « ألم تر إلى ربك »

وفي (معنى) قوله : « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » قالوا : إن الخلة : ما يخلل القلب ، والمحبة ما يكون في حبة القلب ، يعني سويداء القلب ، وسمى المحبة محبة لأنها تتجوجها ما سواها من القلب ، لذلك فضل الحبيب على الخليل .

وقال : « أفعال ما تؤمر (٣) » وقال لنبينا صلى الله عليه وسلم : « ونسوف يعطيك ربك فترضى (٤) » فدل بذلك على فضل الحبيب على الخليل .

وما قالوا في هذا المعنى أيضاً : إن آدم صلوات الله عليه ، لما ذكر الله تعالى توبته ، فقال : « وعصى آدم ربه فغوى (٥) » فذكر جنايته قبل توبته ثم اجتهاد ربه فتأب عليه وهدى (٦) .

وذكر أيضاً خطيئة داود عليه السلام قال : « فأنفرت به (٧) » .

وكذلك خبر عن سليمان عليه السلام بقوله : « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أنبأ قال رب اغفر لي (٨) » ، وقال لأمي صلى الله عليه وسلم : « عفا الله عنك لما أذنت لهم (٩) » .

قال بعضهم : آتت بذكر العفو حتى لا يوحشه ذكر العذب ، وفي أصله : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (١٠) » ، فبدأ بذكر العفو إن قبل العذب ، وغفر له الذنب قبل أن يذنب ، (وقيل العذب) ، وقالوا أيضاً : معنى آتت بذكر العفو ما أعطى الأسماء عليهم السلام من الكرامات قد أعطى ما شاء من غير أن يعطيه وسلم

- | | | |
|------------------|------------------|--------------------------------|
| (١) الغاشية : ١٧ | (٢) الفرقان : ٤٥ | (٣) الصافات : ١٠٣ |
| (٤) الضحى : ٥ | (٥) طه : ١٢١ | (٦) طه : ١٢٢ |
| (٧) ص : ٢٥ | (٨) ص : ٢٤ - ٣٥ | (٩) الزوبة : ٤٣ (١٠) الفتح : ٢ |

وزاد له (عليهم) : مثل انشقاق القمر ، ونبع الماء من الأصابع ، والمعراج ، وغير ذلك .

ثم ذكر الأنبياء وذكر ما استخصهم (به) ، وأضاف إلى إبراهيم عليه السلام ، الخلة وإلى موسى عليه السلام الكلام ، وإلى سليمان عليه السلام الملك ، وإلى أيوب عليه السلام الصبر ، ولم يضاف إلى محمد عليه الصلاة والسلام شيئاً مما أعطاه من الكرامات فقال : « لعمرك » يا محمد « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم^(١) » الآية . ثم قال « إن الذين يباعدونك إنما يباعدون الله^(٢) » الآية . وقال : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما راميت إذا رميت ولكن الله رمى^(٣) » . ولم يذكر لسيه عليه الصلاة والسلام شيئاً غيره ، فلما أدبه بذلك قال اللهم بك أصول وبك أجول ، وبك أقاتن وبك أحاول .

وسئل الشبلي ، رحمه الله : عن معنى قوله تعالى : « لو أطعتم عليهم لوليت منهم فراراً ولوليت منهم رعباً »^(٤) قال : « لو أطعتم على الكل مما سوانا لوليت منهم فراراً إلينا يا محمد .

وقالوا في معنى قوله : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله »^(٥) إنه لو أسرى بروحه ، كما قال المخالفون ، لم يقل : أسرى بعبده ، لأن اسم العبد لا يقع إلا على الروح والجسد .

وقيل ، أيضاً ، في معنى قوله : « وكان اضل الله عليك عظيماً »^(٦) : يعني باجتماعك واصطفائك ، لأن النبوة والرسالة لم تقسم على الجزاء والاستحقاق ، ولو كانت من جهة الجزاء والاستحقاق ، لما فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء عليهم السلام ، لأنهم أكثر أعمالاً وأطول أعماراً .

(٣) الانفال : ١٧

(٢) الفتح : ١٠

(١) النساء : ٦٥

(٦) النساء : ١١٣

(٥) الإسراء : ١

(٤) الكهف : ١٨

وقالوا ، في معنى قوله ، عز وجلّ : « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا » (١) : إنه خاطبه بأتم الخطاب وأخص الفضيلة ، إذ قل : « واصبر لحكم ربك ، فإنك بأعيننا » وقال لغيره : « أصبروا وصابروا » (٢) وقال : إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (٣) .

طالبهم بالصبر على المعاوضة ، وطالب المصطفى ، عليه الصلاة والسلام بالصبر مع المراقبة ، وقال في موضع آخر : « واصبر وما صبرك إلا بالله » (٤) لأنه ، عليه الصلاة والسلام أجل عنده من أن يطالبه بمعاملة يقتضى عليها معاوضة ، لأن محله صلى الله عليه وسلم ، محل الاختصاص .

فيذا طرف من المستنبطات التي لا تقوم من القرآن في معنى خصوصية الذي عليه الصلاة والسلام .

(٢) آل عمران : ٢٠٠

(٤) النحل : ١٢٧

(١) الطور : ٤٩

(٣) الرمر : ١٠

باب في مستنبطاتهم في خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم

وفضاه على إخوانه ، عليهم السلام من الأخبار المروية

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الشيخ رحمه الله : فأما مستنبطاتهم في أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكما قيل في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : أنه كان يقول في سجوده : « أعوذ برضائك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

قالوا : يقول الله : « واسجد واقترب » (١) « فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في سجوده معنى من القرب .

فقال : أعوذ برضائك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، فاستعاذ بصفاته من صفاته ، ثم شاهد معنى آخر من القرب ، ما ندرج فيه القرب الذي شاهد (به) الصفات والنعوت .

فقال : « أعوذ بك منك » ، وكان قد استعاذ بصفاته من صفاته ، فلما استعاذ به لم يكن المستعاذ به إلا منه ، ثم زيد في قربه ، ووجد من المشاهدة معنى أفناه عن الاستعاذة به :

فقال : « لا أحصى ثناء عليك » ، فاحتشم من الاستعاذة به في محل بالقرب ، فالتجأ إلى الثناء عليه ، ومن لم يطق الاستعاذة التي هي حد العبودية ، فكيف يطيق الثناء وهو صفة الربوبية ؟ .

فذلك قال: « لا أحصى ثناء عليك » ثم احتشم أيضاً، من الثناء عليه في محل القرب، فأخرج نفسه من الثناء عليه بما أثنى الله تعالى، (به) على نفسه، قبل الخلق وحمد نفسه قبل حمدهم له، وشهد لنفسه بالوحدانية، قبل شهادتهم له
 فقل: « أنت كما أثبتت على نفسك » .

وهذا حقيقة نهاية التقريب، وحقيقة التجريد: أن يتلاشى العبد كما لم يكن، ويكون الله تعالى كما لم يزل، فلو جمع جميع (إشارات) الواجدين والعارفين والمتحققين في التوحيد لم يبلغ عشر معشار ما أشار إليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في هذا المعنى.

وقيل أيضاً، معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، ولخرجتم إلى الصعدات، ولما تقاررتم على الفرش » .
 قالوا: لو أن الذي علم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان من العلوم التي أنزل الله تعالى عليه، وأمر بإبلاغه لباغتهم ذات، ولو علموا ذلك لم يقل: لو تعلمون ما أعلم، ولو علم أنهم يطبقون ذلك لعلمهم كسائر العلوم، ولو كان من العلوم المتعارفين الخلق أيضاً، نقالوا علمنا، بعد ما قال: لو تعلمون ما أعلم، لأن حقائق رسالته وما حمله الله تعالى به من العلم، لو وضعت على الجبال لذابت إلا أنه كان يظهرها لهم على قدرهم لأن الله تعالى قال « فاعلم أن الله لا إله إلا الله (١) » . وفي: « من علم الله زيدني علماً (٢) » .

وقال صلى الله عليه وسلم: « أن أعلم بالله » . « من علم ما أعلم »
 وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى معنى من معاني تخصيصه بشارة لا تدرك العقول، ولا تصل إليها القلوب، وتعجز عنها علوم جميع الخلق، وهو قول النبي صلى

الله عليه وسلم : « استُ كأحدكم إني أظن عند ربي يطعمني ويسقيني » فلا يتهاى لأحد أن يخبر عن الذي أطعمه وسقاه ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، في علو مرتبته ما خص به من العلم بالله ، ولم يخبر عنه ولم يصفه .

وقيل في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في دعواته : « اكفلني كفالة الوليد. لا تكلياني إلى نفسي طرفة عين، ووجهت وجهي إليك، وأجأب ظهري إليك، لا مدجاً ولا منجى منك إلا إليك » وما يشبه ذلك من دعواته أنه صلى الله عليه وسلم أظهر من نفسه اللجأ، وأظهر الفاقة إليه، والاستكانة بين يديه، بلا مشاهدة حركة من حر كاته ، ولا إضافة فعل إلى نفسه .

قال أبو بكر الواسطي رحمه الله : وبصدق اللجأ وإظهار الفقر ، وصدق الفاقة ، تزينت السرائر .

وقيل في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم عند موته : « واكره باه » قالوا : بسرت المنية عليه لمبادرته إلى ملاحظ عند الموت من المراتب الرفيعة فقالوا : « واكره باه » من البقاء فيما بينكم شوقاً مني إلى اللقاء .

وسمعت محمد بن داود الدينوري المعروف بالدثقي ، يقول : سمعت الجريري يقول : قيل للجنييد رحمه الله : ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « وأنا سيد ولد آدم ، ولا فخر » فقال لي : هات أيش وقع لك في ذلك ، فقالت : معنى قوله « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » وهذا عطاؤه وأنا لا أفخر بالعطاء لأن فخري بالمعطي . فقال لي : أحسنت يا أبا محمد أو كما قال .

وسئل (الجنييد) عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في زينب امرأة زيد ، يدعى ابن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ابن الدعاية لا ابن الولادة ، فأراد الله عز وجل أن يزوج بحليلته حتى يكون فرقاً بين أبناء الولادة وأبناء الدعاية .

٩٧ وقل الجنيد رحمه الله، في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «استغفروا الله وتوبوا إليه، فإنني استغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة» أو كما قل، قالوا كان حال النبي صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى: [زيادة] في كل نفس وطرفة عين، فكان إذا رقى به إلى زيادة حال أشرف من زيادته على حالته في النفس الماضي، استغفر الله من ذلك وتوب إليه.

٩٨ وسئل الجنيد رحمه الله، أيضاً كما بلغني، عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «رحم الله أخي عيسى، عليه السلام لو ازداد يقيناً مشى في الهواء» فقال: معناه والله أعلم: أن عيسى عليه السلام: مشى على الماء يقينه، والنبي صلى الله عليه وسلم مشى في الهواء ليلة المعراج بزيادة يقينه على يقين عيسى عليه السلام، فقال: «لو ازداد يقيناً» يعني لو أعطى من زيادة اليقين مثل ما أعطيت مشى في الهواء، يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله.

٩٩ وسمعت الحصري رحمه الله، يقول في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لبي مع الله وقت لا يعني فيه شيء غير الله عز وجل» فقال: إن صبح ذات من النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال ذلك، أو لم يصب، فإن جمع أوقات رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت وقتاً لا يهوى فيه [معه] غير الله سره ووقبه، وكان كان يرد بصفاته إلى الخلق، حتى يرد بهم، ويهوى من صفاته الخلق الأحكام، لينتفع به الخلق، فإذا بدأ على صفاته من أبواب سره، أخذ من الخلق كما قالت عائشة، رضي الله عنها: «تجهت أبداً، فمجد، وسأل الله صلى الله عليه وسلم في فراشه، فقامت أطلبه، فوقعت يدي من قدميه، وعجزت يدي من رجليه» ثم قال: «الله عز وجل، [وسمعت] وهو يقول: «أعزاد يدي من رجليه» الخديث، فهذا هو الوقت الذي كان يهوى من سره، والأول من صفاته، يورد ردت الأبواب إلى سره، رد بصفاته إلى الخلق، لينتفع الله، ويقتدوا به، معنى صفاته أي ظاهره، ومعنى سره أي باطنه.

باب في مستنبطاتهم في معاني أخبار مروية عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم من طريق الاستنباط والنهم

قال الشيخ رحمه الله : سمعت أبا الحسن : أحمد بن محمد بن سالم بالبصرة ، وقد سئل عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ما أطيب ما أكل الرجل : من كسب يده . فقال له السائل : فمن مستعبدون بالاكتساب ، إذا ، قال الشيخ رحمه الله : الكسب سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتوكل : حل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإنما استن لهم الكسب ، لعلمه بضعفهم حتى إذا عجزوا عن التوكل الذي هو حاله وسقطوا عن مرتبته في التوكل ودرجته . وقعوا في الاكتساب التي هي سنته ، ولولا ذلك لهلكوا .

وقيل في معنى ذلك : إن رفع العبد يده إلى الله تعالى ، فيدعوا الله تعالى ، فيجيبه ، أيكون ذلك كسب يده .

وسئل الشبلي رحمه الله : عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « جعل رزقي تحت ظل سيفي » فقال : كان سيفه : [التوكل على] الله تعالى ، وأما ذو الفقار ، فهو قطعة من حديد .

ومثل ذلك في مستنبطاتهم كثير ، إن ذكرناه يطول الكتاب .

وأما ما كان من مستنبطاتهم في غير هذا المعنى ، من الحديث ، فهو كما سمعت أبا عمرو عبد الواحد بن علوان ، برحبة مالك ابن طوق ، قال : سأل رجل الجنيد رحمه الله ، وأنا عنده جالس عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لو توكلتم على الله حق توكله لغذاكم كما يغذا الطائر ، تغدو وخصاصاً وتروح بطاناً » وهو ذاترى أنه الطائر يطير في طاب الرزق ، من موضع إلى موضع ، ويتحرك ، ويطلب وينبعث

فقال الجنيد رحمه الله : قول الله تعالى : (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها) (١) وإنما طيران الطير ، وحر كته من موضع إلى موضع ، ونقلته من مكان إلى مكان من أجل الزينة التي ذكر الله تعالى ، فقد جعل الله ، تعالى ، طيرانهم للزينة التي ذكر الله تعالى ، لا لطلب الرزق .

١٠٣ ووجدت في كتاب عمرو بن عثمان المكي رحمه الله في معنى قول النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لعبد الله بن عمر ، رضى الله عنه : « يا عبد الله بن عمر ، أعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وكذلك إجابة جبريل عليه السلام حين سأل عن الإحسان فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » فقال عمرو بن عثمان رحمه الله : [معنى قوله] : « كأنك تراه » شيء ، بين شيئين : بين رؤية ويقين ، فلم يخرجها ، صلى الله عليه وسلم ، إلى رؤية عين ولم يرددها إلى صفا يقين ، وإنما مثل له مثل يدل على نورية من مهيب حقائق الإيمان ، وبذلك طاب حارثة ، إن صح الخبر ، وما كان كأن بمعنى أن وليس هو أن ولكنه قد قرب من معنى الرؤية في تغليب المصاهدة عند حضور القلب ، ومدانها إلى دورته العمود فهذا أصل الحججة على مشاهدة القلوب .

١٠٤ وسئل أبو بكر الواسطي ، رحمه الله عن معنى قول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « جبل ولي الله تعالى على السخاء وحسن الخلق » فقال : أما السخاوة من ولي الله تعالى : أن يهب نفسه وقلبه لله ، عز وجل .

وسئل الشبلي رحمه الله ، عن معنى ما روي في الحديث : « إن من أطمأن حوزت قوتها أطمأنت » فقال : إذا عرفت من قوتها أطمأنت أطمأنت ، من وجب « وكان الله على كل شيء مقبلاً » (٢) .

- ١٠٥ وسئل الجنيد ، رحمه الله عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « حبك بشئ يعنى ويصم » فقال : حبك للدنيا يعنى ويصم عن الآخرة .
- ١٠٦ وسئل الشبلي ، رحمه الله ، عن معنى ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إذا رأيتم أهل البلاء فسلوا الله ربكم العافية » ، فقال : أهل البلاء أهل الغفلة عن الله تعالى ، وسئل أيضاً ، عن معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي روى عنه ، أنه قال : « حرام على قلب عليه زبانية [من الدنيا : أن يجد حلاوة الآخرة » فقال : صدق صلى الله عليه وسلم أن قال ذلك ، وأنا إذا أقول : حرام على قلب عليه زبانية [من الآخرة أن يجد حلاوة التوحيد .
- ١٠٨ وسئل محمد بن موسى القرظاني ، رحمه الله ، عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أبا جحيفة ، مسائل العلماء ، [وخال الحكماء وجالس الكبراء] » فقال : « مسائل العلماء ، بالحلال والحرام ، وخال الحكماء الذين يسلكون بها على طريق الصدق والصفاء [والإخلاص] ، وجالس الكبراء الذين عن الله ينطقون ، وإلى ربوبيتهم يشيرون ، وبنور قربه ينظرون .
- ١٠٩ وسئل سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، عن [معنى] قول النبي صلى الله عليه وسلم : « المؤمن من تسره حسنته وتسوءه سيئته » قال : حسنته : نعم الله وفضله ، وسيئته نفسه إن وكل إليها .
- ١١٠ وسئل سهل ، أيضاً عن معنى قوله ، صلى الله عليه وسلم : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى » قال : ذكر الله في هذا الموضع الزهد في الحرام ، وهو : أن يكون إذا استقبله حرام بذكر الله ، تعالى ، ويعلم أن الله مطلع عليه فيجتنب ذلك الحرام .
- ومثل هذا كثير من مستنبطاتهم في معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكره فيه طرفاً منه ، فيه كفاية ، إن شاء الله تعالى .

فإن قال قائل : هل تجب للاستنباط في القرآن والحديث وغير ذلك أصلاً في العلم

فيقال : نعم ، قول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، وهم [عنده] مجتمعون ،

وفيهم عبد الله بن عمر ، رضى الله عنه ، وهو أحدثهم سنًا ، فقال : النبي ، عليه

الصلوة والسلام : « أيُّما شجرة تُشبه ابن آدم ؟ » قال فوقع الناس في أشجار

البادية ووقع في قلبى أنها النخلة واستحييتُ أن أحيب رسول الله صلى الله عليه وسلم

فسكّت حتى قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « هي النخلة » قال ابن عمر

رضى الله عنه : فقلت لعمر رضى الله عنه : قد كنت أن أقول أنها النخلة ، فقال

عمر رضى الله عنه : إن قات ذلك كان أحب إلى من حمر العم . وروى

في الخبر .

والحجة في ذلك : أن أحداً لم يستنبط من أحباب رسول الله عليه الصلاة والسلام

معنى ما سألهم عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا عبد الله بن عمر رضى الله

عنه ، وهو أصغرهم سنًا ، وكذلك الاستنباط في هذه المعاني على مقدار ما يفتح الله

تعالى المقلوب من غيبه ، وبالله التوفيق .

كتاب الصحابة رضوان الله عليهم

باب في ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومعانيهم رضي الله عنهم

قال الله تعالى ﴿وَالسَّابِقِينَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (١) فقد وقع اسم السابقين على جميع بظهر الآية مع رضا الله تعالى عنهم وشهد لهم بأنهم راضون عنه ، والسابقون هم المقربون بنص الآية . وقد ذكرنا تخصيص الأبرار من أهل الجنة في باب الموازنة لكتاب الله عز وجل .

فما قوله تعالى : (رضي الله عنهم ورضوا عنه) فقد قال الله تعالى في آية أخرى (ورضوان من الله أكبر) قال ذو النون ، رحمه الله : [يعنى] أكبر وأقدم حين قال : رضي الله عنهم ورضوا عنه ، في سابق عمه فلذلك امرضاهم له وأرضاهم حتى رضوا عنه .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : «أضحى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»

وقد ذكر الله تعالى التسميم بالنجوم من الكواكب ، والنجوم ما يبتدى به في البر والبحر الكبره وكثرة ضوءه ونوره ، فلذلك شبههم بالنجوم ولم يشبههم بالكواكب ، لأن الكواكب هي الصغار التي لا يبتدى بها . ثم دل على الاهتداء بالاعتداء بهم ولم يخص الاعتداء ، يعني دون الآخر ، فعلمنا أن الاعتداء بهم في الاعتداء [بهم] في جميع معانيهم الظاهرة والباطنة .

(٢) النوبة : ٧٢

(١) النوبة : ١٠٠

فأما الظاهر فمشهور عند العلماء والفقهاء ، في علم الحدود والأحكام والحلال والحرام ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أرحم أمتي بأمتي » ١١٤ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وأقرانهم في دين الله عمر رضي الله عنه ، وأصدقهم حياة عثمان رضي الله عنه ، وأنرضهم زيد رضي الله عنه ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وأقرانهم أبي بن كعب رضي الله عنه ، وأقضاهم على رضي الله عنه ، وما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة صدق من أبي ذر رضي الله عنه .

وأما الباطن فنبداً بمبدأ به رسول الله عليه الصلاة والسلام بقوله : ١١٥ « اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما » .

فنبداً بأبي بكر ثم من بعد أبي بكر بعمر .

وبلغني عن أبي عتبة الخلواني رحمه الله ، أنه قال : ألا أخبركم عن حل كان عليها أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ أولها : نعم الله تعالى كان أحب [إليهم] من الحياة ، والثانية : كانوا لا يخفون عدواً قفوا أو كثروا ، والثالثة : لم يكونوا يخافون عوزاً من الدنيا ، وكانوا واثقين برزق الله تعالى ، والرابعة : إن بدأ بهم الطاعون لم يبرحوا حتى يقضى الله فيهم ، وكانوا أخوف ما يكونون من موت أصح ما يكونون .

وعنكي عن محمد بن علي الكنتاني رحمه الله ، أنه قال : كان الناس في القرن الأول للإسلام يتعاملون بالدين حتى روى الدين ، ثم تعامل القرن الثاني بالدين حتى شرب الوفاء ، ثم تعامل القرن الثالث بالبرودة حتى ذهب البرودة ، ثم تعامل القرن الرابع بالحياة حتى ذهب الحياء ، ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرغبة .

باب ذكر أبي بكر الصديق رضي الله عنه وتخصيصه من

بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأحوال التي تعلق بها

أهل الصفة من هذه الأمة وتخلق

بذلك واقتدى به

رَوَى عَنْ . طَرْفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ : أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَوْ نَادَى مِنْ السَّمَاءِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ لَرَجِوتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا [هُوَ] ، وَلَوْ نَادَى مِنْ السَّمَاءِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ لَخَفْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، قَالَ مَطْرَفٌ رَحِمَهُ اللَّهُ : هَذَا وَاللَّهِ أَكْبَرُ الْخَوْفِ ، وَأَكْبَرُ الرَّجَاءِ .

وَحُكِيَ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَطَاءٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ سَأَلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : كُونُوا رَبَّانِينَ (١) لآية ، قَالَ : مَعْنَاهُ كُونُوا كَأَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنَّهُ نَاسًا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اضْطَرَبَتْ أَسْرَارُ الْمُؤْمِنِينَ كَثِيرًا لِمَوْتِهِ وَلَمْ يُؤْتِرْ ذَلِكَ فِي سِرِّ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَيْئًا ، وَخَرَجَ وَقَالَ لِلنَّاسِ : [يَا أَيُّهَا النَّاسُ] مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَاتُ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، فَحُكِمَ الرَّبَّانِيُّ أَنْ يَكُونَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لَا تَتَوَثَّرُ الْحَوَادِثُ فِي سِرِّهِ شَيْئًا وَلَوْ كَانَ فِيهِ انْقِلَابٌ الْخَائِقِينَ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَاسِطِيُّ ، رَحِمَهُ اللَّهُ : أَوَّلُ لِسَانِ الصُّوفِيَّةِ ظَهَرَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى لِسَانِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِشَارَةٌ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا أَهْلَ الْفَهْمِ لَطَائِفَ تَوْسُوسٍ فِيهَا الْعُقُلَاءُ .

قل الشيخ ، رحمه الله : وهذا الذي أشار إليه الواسطي في قوله : أول أسنان الصوفية ظهرت على أسنان أبي بكر رضي الله عنه ، فذلك قول أبي بكر رضي الله عنه لأنه حين خرج من جميع ملكه قل له النبي صلى الله عليه وسلم : « أيش خلفت لعيالك » قل : الله ورسوله ، فقال : الله ، ثم قال : ورسوله ، وأعمري إنني إشارة جلية لأهل التوحيد في حقائق التفريد ، غير أن لأبي بكر الصديق رضي الله عنه إشارات غيرها مستخرجة منها لطائف غير ذلك .

وهي معروفة عند أهل الحقائق ومنهومة لتعق والتخلق بها ، منها قوله حين سجد المنبر بعد ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واضطربت قلوب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخشوا على ذهب الإسلام بموته صلى الله عليه وسلم ، وخرجوا من بين ظهرانيهم ، فقال : من كان يعبد منكم محمد صلى الله عليه وسلم فإن محمد صلى الله عليه وسلم قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .

والمطيفة في ذلك ثباته في التوحيد وما ثبتت به قلوب جماعة من الصحابة رضي

الله عنهم .

ومنها قوله يوم بدر النبي صلى الله عليه وسلم حيث [كان] يقول : « يا محمد إن تهلك هذه العصابة لم تعبد في الأرض » [من بعد ذلك] ، فقال أبو بكر : يا محمد عنده : دع مناشدتك ربك ، فبهذ والله معجزتك ما وعدك ، أبو بكر قال : يا محمد عن الله تعالى : (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتتم الذين آمنوا فلا ياتوا بالقول الاذنين الذين كفروا الرعب) (١) فخص حقيقة التصديق بما هو عليه من قول النبي صلى الله عليه وسلم : « يا محمد إن تهلك هذه العصابة لم تعبد في الأرض » [فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا محمد إن تهلك هذه العصابة لم تعبد في الأرض] ، فما معنى تعبد النبي صلى الله عليه وسلم وثبتت أبي بكر ، ومن بعد عنه ، وهو آثم من أبي بكر ، رضي الله عنه ، في جميع الأحوال :

(١) الأنفال : ١٢

فيقال : لأن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم بالله من أبي بكر ، رضى الله عنه ، وأبو بكر رضى الله عنه ، أقوى إيماناً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فثبتت أبي بكر ، رضى الله عنه ، من حقيقة إيمانه بما وعد الله تعالى ، وتغير النبي صلى الله عليه وسلم من زيادة علمه بالله تعالى ، لأنه يعلم من الله ما لا يعلم أبو بكر ، رضى الله عنه ، ولا غيره .

ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم [كان] إذا اشتد هبوب الريح تغير لونه [ولم يتغير لون واحد من أصحابه] .

وقال : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، ونخرجكم إلى الصعدات تجرؤن على الله تعالى ، وما تقاررونكم على فرسكم » .

ولأبي بكر الصديق رضى الله عنه [أيضاً] خصوصية في الإلهام والفراسة [من بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم] في ثلاثة مواضع :

أحدها : حين انفق رأى الجميع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك مقاتلة أهل الردة على مع انزكاة ، وثبت أبو بكر ، رضى الله عنه ، على قتالهم ، وقال : والله لو لم عرفنى عقلاً مما كانوا يبدون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه [بالنسيئة] ، فذهب رأيه [وقالوا] : إن الإصابة في رأيه مع خلافه لهم فيما أشاروا عليه ، ورجع الجميع إلى رأيه حيث رأوا الصواب معه .

والثاني : عند خلافه رأى جمهور الصحابة فيما رأوا من رد جيش أسامة ، وقوله : والله لا أحمل عقداً عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والثالث : قول أبي بكر رضى الله عنه لعائشة رضى الله عنها : أنى كنت نخلتك نخلًا وإنما هو أخوك وأختك ، وما عرفت [عائشة] إلا أخوين وأختًا ، وكانت

لأبي بكر رضي الله عنه جارية حبلى فقال : لقد ألقى في روعي أنها أتتني فهذا أنعم ما كان في الفراسة والإلهام .

١١٩ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى » ولأبي بكر رضي الله عنه معان أخر مما تعلق بها أهل الحقائق وأبواب القلوب وإن ذكرنا جميع ذلك طال الكتاب .

وقد حُكي عن بكر بن عبد الله المزني أنه قال : ما فاق أبو بكر رضي الله عنه جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الصوم والصلاة ، ولكن بشيء كان في قلبه .

قال بعضهم : الذي كان في قلبه الحب لله عز وجل والصيحة له .

ويقال : إن أبا بكر رضي الله عنه كان إذا دخل وقت الصلاة يقول : يا رب آدم قرونا إلى ناركم التي أوقدتوها فأطعموها

١٢٠ وروى [عنه] أنه أكل طما من شبيهة فها ، علم به تقياً ، وقال : والله ما خرج إلا مع روعي لأخرجتها ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أكل طما شراً فانتار أو ولي به » .

[وكان يقول : ووددت أن أكون خضراء تأكل الدواب ، ولم أخلق محمد بن عبد الله] وهوول يوم الحساب .

وروى عن أبي بكر الصديق أنه قال : ثلاث آيات من كتاب الله ما واصلت اشتغلتُ بها عماسواها إحداهما : قوله « وَإِنْ يَسْتَسْكِنَنَّ اللَّهُ يَصْرِفْهَا فَمِزَانٌ لَهَا يَوْمَئِذٍ » وإن يردك بخير فلا راد أفضله ، فعلمت أنه إن أرادني بخير لم يقدر أحد أن يردني عن غيري ، وإن أرادني بشر لم يقدر أحد أن يصرف غيري .

والثانية: قوله «اذكروني اذ كُرمكم» فاشتغلت بذكر الله تعالى عن كل مذکور سوى الله .

والثالثة: قوله «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا» (۱) فوالله ما هممت برزق من ذقرأت هذه الآية .

ويقال: إن هذه [الآيات] لأبي بكر الصديق رضي الله عنه :

يا من ترفع بالدينا وزينتها
أيس الترفع رفع الطين بالطين
إذا أردت شريف الناس كلهم
فانظر إلى ملك في زى مسكين
ذاك الذي عظمت في الناس رأفته
وذاك يصنح للدينا والدين

[وحكى عن الجنيد أنه قال: أشرف كلمة في التوحيد قول أبي بكر سبحان من

يجعل للمخلق طريقاً إلى معرفته إلا العجز عن معرفته].

باب في ذكر عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

قال الشيخ ، رحمه الله : وأما عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، فإنه قد روى عن
 ١٢١ النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لقد كان في الأمم محدثون ومكالمون فإن يك
 في هذه الأمة فعمرو ، رضي الله عنه » سئل بعض أهل الفهم عن المحدث ، فقال :
 أعلى درجة من درجات الصديقين ، ودلائل ذلك ظهرت عليه وهو ما ذكر عنه
 أنه كان يخطب فصاح ، فقال في وسط خطبته : يا سارية الجبل ، وسارية
 في عسكر علي باب نهاوند ، فسمع صوت عمر ، رضي الله عنه ، وأخذ نحو الجبل
 وضمير بالعدو .

وقيل لسارية : كيف عمت ذات ؟ فقال : سمعت صوت عمر ، رضي الله عنه ،
 يقول : يا سارية الجبل الجبل .

وروى عن أبي عثمان النهدي أنه قال : رأيت علي عمر ، رضي الله عنه ، قريفاً فيه
 اثنتي عشرة رقعة ، وهو يخطب .

وروى عن عمر ، رضي الله عنه ، أنه قال : رحمه الله امرئ . أهديتني يده في .
 وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الشيطان كذا كذا من عمر
 رضي الله عنه » .

وقال عمر رضي الله عنه : من خاف الله تعالى لم يشأ به عيب ، ومن اتقى الله لم
 يفعل كما يريد ، ولولا القيمة لكان غير ما ترون .

ويقال : أنه أخذ تينة من الأرض فقال : يا ليتني لم تلدني أمي ، يا ليتني كنت هذه التينة ، يا ليتني لم أك شيئاً .

وقد روى عن عمر ، رضي الله عنه ، أنه قال : ما ابتليت ببلية إلا كان لله [على] فيها [أربع نعم : إذ لم تكن في ديني ، وإذ لم تكن أعظم منها ، وإذ لم أحرم الرشد فيها ، وأن أرجو الثواب عليها .

وقال عمر ، رضي الله عنه : لو كان الصبر والشكر بعيرين ، لم ألتى أيهما ركبت . وجاء رجل إلى عمر ، رضي الله عنه ، فشكا إليه الفقر فقال : عندك عشاء ليلتك : قل : نعم ، قل : لست بفقير .

وروى عن عليّ ، رضي الله عنه ، أنه قال : ما على وجه الأرض أحد أحب إليّ أن أتقى الله تعالى بمثل صحيفته إلا هذا المسجى عمر ، رضي الله عنه .

قال : ورأى عليّ ، رضي الله عنه ، يوماً عمر ، رضي الله عنه ، وهو يعدو في وقت الهاجرة ، فسأله عن عدوه ، فقال : [قد] أغير عليّ إبل الصدقة فرحت أء و في طلبها ، قل : فقال عليّ : رضي الله عنه : لقد أتعبت الخلفاء بعدك يا أمير المؤمنين .

قال الشيخ ، رحمه الله : ولأهل الحقائق أسوة وتعلق بعمر ، رضي الله عنه ، بمعاني خص بذلك عمر ، رضي الله عنه ، من اختياره لبس الرقعة ، والخشونة ، وترك الشهوات ، وإجتناب الشبهات ، وإظهار الكرامات ، وقلة المبالاة ، من لائمة الخلق عند انتصاب الحق ، ومحق الباطل ومساواة الأقارب والأبعد في الحقوق ، والتمسك بالأشد من الطاعات ، واجتناب ذلك ، مما روى عنه وبيانه يطول .

وأما ما روى عن عمر ، رضي الله عنه ، أنه رأى جماعة جلوساً في المسجد فأمرهم بطلب الكسب ، والذي كتب به إلى سلمان ، فلعله عرف منهم عجزاً في جلوسهم وطمعهم في الناس ، أو غير ذلك ، [فلذلك أمرهم بطلب الكسب] لأن النبي

عليه الصلاة والسلام وأبا بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، قد رأوا أصحاب
الصفّة ، وهم بيّن وثلاثمائة ، ولم يكرهوا ذلك ، ولم يؤمروا بالخروج من المسجد
وطلب المعاش .

وروى عن عمر ، رضي الله عنه ، أنه قال لأخيه زيد بن الخطاب يوم أحد :
إن ستّ نزعتي درعني هذه حتى تلبسها . فقل له زيد : أنا أيضاً أحب الموتى كما
أنت أحب الشياطة ، وهذه إشارة عظيمة منهما تدل على حقيقة التبرّك .

وأشبه ذلك كثيرة ، وفي القليل كفاية .

وقد روى عن عمر ، رضي الله عنه ، أنه قال : وجدت العبادة في أربعة أشياء
أولها : أداء فرائض الله تعالى ، والثاني : اجتناب محارم الله تعالى ، والثالث : الأمر
بالمعروف ابتغاء ثواب الله تعالى ، والرابع : النهي عن المنكر ابتغاء غضب الله تعالى .

باب في ذكر عثمان رضي الله عنه

قال الشيخ ، رحمه الله : أما عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، فقد خص
 التمكن ، والتمكين من أعلى مراتب استحقاقين ، ومما يتعلق به أهل الخقائق
 من أهل الدعوى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ما روى عن بعض المتقدمين
 [أنه سئل] عن الدخول في الساعات فقال : لا يصح إلا للأنبياء والصديقين ،
 والدخول في السعة التي هي من أحوال الصديقين أن يكون دخلا في الأشياء
 [خارجا منها وأن يكون مع الأشياء] باتما عنها .

كما سئل يحيى بن معاذ ، رضي الله عنه ، عن صفة العارف فقال : رجل كأن
 معه [باتما عنها] .

وسئل ابن الجلاء ، رحمه الله ، عن النقيير الصادق فقال : يكون دخوله في الأشياء
 بغيره لا بنفسه .

وهذا وصف حال عثمان ، رضي الله عنه ، لأنه قد روى عنه أنه قال : لولا أني
 خشيت أن يكون في الإسلام ثمة أسدها بهذا المال ما جمعته .

وعلاوة من يكون هذا حاله أن يكون الإنفاق أحب إليه من الإمساك ، والخرج
 عند آثر من الدخل كعثمان رضي الله عنه في تجهيز جيش العسرة وشرى بئر رومة
 حتى قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ما ضر عثمان ، رضي الله عنه ، ما فعل
 بعد هذا » .

١٢٤

وروى عنه أنه بعث إلى أبي ذر ، رضي الله عنه ، بكيس فيها ألف درهم ،
 ودفعها إلى عبد له وقال : إن قبأها فأت حر لوجه الله تعالى ، فدل ذلك على أن
 أمواله كانت مستعدة لمثل هذه الجهات ولا يصح هذا الحل إلا لعبد كامل المعرفة ،
 سمعت ابن سالم رحمه الله يقول : قال سهل بن عبد الله ، رحمه الله : لا يصح الدخول

في السعة إلا لعبد يعرف الإذن إذا أذن الله له أن يُنفق أنفق على مقدار ما يأذن الله تعالى له ، وإن أمسكها أمسك على حسب ما يأذن الله تعالى له ، ويكون قيامه فيما يجمع الله عليه من الأمور للحقوق لا للحظوظ ، فيكون مثله كمثل الوكيل يتصرف في مال صاحبه تصرف المالكين يأذن رب المال ، وهو مكان صعب وقد غلط في ذلك خلق كثير بدعواهم هذا الحال وهم عبيد الدنيا ، وعندهم أمرهم من هؤلاء .

وقد حُكي عن مهبل بن عبد الله ، رحمه الله ، أنه قال : ربما يملك العبد الدنيا ويكون أزهّد الخلق في زمانه ، فقيل له : مثل من ؟ فقال : مثل عمر ابن عبد العزيز .

وكان [رضى الله عنه أعنى عمر بن عبد العزيز] في خلافته يُميّز بين الرّيت الذي يُسرج لنفسه واثريت الذي يسرج للعامة ، وكان يضع سراجَه على ثلاث قصبّات ، وفي يده خزان الأرض .

فمن ها هنا غلط من غلط في تشريف الغنى على الفقر ، وذهب عليه أن هؤلاء لم يكونوا أغنياء بإعراض الدنيا ، ولا فقراء بما يعمدون من الدنيا ، لأن غناهم بالله وفقروهم إليه .

ومما يتعلق به أهل الحقائق بعثمان ، رضى الله عنه ، ما روى عنه أنه حمل حزمة حطب من بعض بسائينه ، وكان له عدة ممالك ، فقيل له : لو دفعها إلى بعض عبيدك ، فقل : إني قد استطعت أن أفعل ذلك ، ولكن أردت أن أجرب غمير هل تعجز عن ذلك ، أو هل تكره ذلك ، أو كما قال .

فدلّ ذلك أيضا [على] أنه كان لا يدع افتقار نفسه ، وكان ينتقد رباصه نفسه مثلا يسكن إلى ما جمع إليه من الأموال لأنه ليس في ذلك كغيره .
وروى عنه : أنه كان يقرأ بالسبع العادل في ركعة واحدة خلف المقام وهو مقبّع رأسه بالليل .

وروى عنه أنه قال : ما تمّيتُ ولا تعنّيتُ ولا مسستُ ذكرى بيمينى منذ
أبعتُ رسول الله عليه الصلاة والسلام .

و [عمادال علي] تخصّيصه بالتمكين والثبات والاستقامة ما روى عنه : أنه
يوم قُتيل لم يرح من موضعه ، ولم يأذن لأحد بالقتل ، ولا وضع المصحف من
حيزه إلى أن قُتيل ، رضى الله عنه ، وسال الدم على المصحف وانضح بالدم ، ووقع
الدم على موضع هذه الآية (نَسِيكَ كَفِرًا كَرِهَ اللَّهُ مُدْرِكَهُ الَّذِي يَدْعُو السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) .

والتمكن حل رفيع ، سمعتُ أبا عمرو بن علقمان يقول : سمعتُ الجنيد رحمه الله
ليلة من الليالي يدعو [يقول] في مناجاته : إلهي أتريد أن نخدعني [عنك] بقربك ،
أم تريد أن تنصني عنك بوصلك ، هيبت هيبت ، قلت لأبي عمرو : ما معنى
قوله : هيبت هيبت ؟ قال : التمكين .

وروى عن عثمان ، رضى الله عنه : أنه قال : وجدتُ الخير مجموعاً في أربعة أولها :
فخصيب لله تعالى [بالنوافل] ، والثاني : الصبر على أحكام الله تعالى ،
والثالث : الرضا بتقدير الله عز وجل ، والرابع : الحياء من نظر الله عز وجل .

باب في ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قل الشيخ ، رحمه الله : وأما علي ، رضي الله عنه ، فإني سمعتُ أحمد بن علي
الوجيهي يقول : سمعتُ أبا علي الزهري يقول : سمعتُ جنيداً رحمه الله يقول :
رضوان الله على أمير المؤمنين علي ، رضي الله عنه ، لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا
من علمنا دذا معاني كثيرة ، ذاك أمرٌ أعطى علم اللهاني ، وأعلم اللهاني دهر العلم
الذي خص به الخضر عليه السلام ، قال الله تعالى (وعنده من عندنا خزائنا) (١)

وقد سمعتُ بقصة الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام وقوله (إنا أنزلنا القرآن نزلنا
معصياً صبراً) (٢) فمن منا هنا غلط من غلط في تفضيل الزلاية عن الزيادة ، وسند ذكر
ذلك في باب الرد علي من قبل ذلك إن شاء الله .

ولأمير المؤمنين [ع] رضي الله عنه خصوصية من بين جميع الأصحاب رضي الله
الله صلى الله عليه وسلم بمعنى جلالة ، وإشراق لطيفة ، وألفاظ غريبة ، وسيرة
وبيان تتوحد وتعرفه والإيمان [والعلم] ، وغير ذلك ، وحاصل ما يريد أن يبين
به أدل الحقائق من الصوفية ، وإن كان ذلك قد حصل في الكافي ، ولكن
نذكر من ذلك طرفاً يكفي به من التطويل إن شاء الله .

فمنها ما مثل أمير المؤمنين ، رضي الله عنه ، وقيل له : أنت خير من علي ، فقال
بما عرفني نفسه ، لا تشبهه صورة ، ولا أدب ، ولا بأس ، ولا علم ، ولا حجة ، ولا
في بعده ، بعيد في قرأه ، فوق كل شيء ولا تقبل من شيء ، ولا تقبل من شيء ،
يقال شيء ، فوقه ، أمام كل شيء ، ولا تقبل من شيء ، ولا تقبل من شيء ، ولا
ولا من شيء ، ولا في شيء ، ولا شيء ، ولا شيء من شيء ، ولا شيء من شيء .

(١) الكهف : ٦٥

(٢) الكهف : ٦٧

وكان أمير المؤمنين ، رضى الله عنه ، يقول في خطبته : خلق الأشياء لا من شيء ، كان معه ، ولا عن شيء ، لا من شيء ، فكل صانع فن شيء صنع ، وكل عالم فن بعد جهل علم ، والله تعالى عالم لا من بعد جهل .

وقوله في الإيمان كما ذكره عمرو بن هند قل : سمعت علياً ، رضى الله عنه ، يقول : الإيمان يبدو لمظة بضاء في القلب ، فكما ازاد الإيمان ازداد القلب بياضاً ، فإذا استكمل الإيمان ابيض القلب ، وإن الفراق يبدو لمظة سوداء في القلب ، فكما ازدا الفراق ازداد القلب سواداً ، فإذا استكمل السواد القلب .

وقام رجل إلى علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، فسأله عن الإيمان ، فقال : الإيمان على أربع دعائم : على الصبر ، واليقين ، والعدل ، والجهاد ، ثم وصف الصبر على عشر مقامات ، وكذلك اليقين والعدل والجهاد ، فوصف كل واحد منها على عشر مقامات .

فإن صح ذلك عنه فهو أول من تكلم في الأحوال والنتامات .

وقيل لأمر المؤمنين ، رضى الله عنه : من أسلم الناس من سائر العيوب ؟ قال : من جعل عقله أميره ، وحذره وزيره ، والموعظة زمامه ، والصبر قائده ، والاعتصام بالتقوى ظهيره ، وخوف الله تعالى جلسه ، وذكر الموت والبلبلى أنيسه .

وقال علي ، رضى الله عنه ، في حديث كميل بن زياد : ها إن هاهنا علم لو وجدت له حملة وأشار إلى قلبه ، فكان تخصيصه من بين الصحابة بالبيان والعبارة عن التوحيد والمعرفة ، والبيان من أتم المعاني وأعلى الأحوال قال الله تعالى : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس) وقال تعالى : (هذا بيان للناس) (١) .

ولا يبلغ العبد كمال الشرف إلا بالبيان لأنه ليس كل من عقل يعلم ، ولا كل

من علم بحسن أن يبين ، فإذا أعطى العبدُ العلم والبيان فقد بلغ إلى السكال ،
 والمشهور عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا إذا أشكل عليهم
 شيء من أمور الدين سألوا علياً ، رضي الله عنه ، فكان يبين لهم الذي يشكل عليهم .
 وروى عن علي ، رضي الله عنه ، أنه كان يقول : أحب حبيبتك هوأما ، كما
 يكون بغيبضك هوأما ، وأبغض بغيبضك هوأما كي يكون حبيبتك يوماً ما .
 ووذكر عنه أيضاً : أنه وقف على باب الخزانة - خزانة الأبرار - وقال : يا بصير ،
 ويا بصير ، غري غري .

وذكر عنه أيضاً : أنه لبس قميصاً شراه ثلاثة دراهم ، فقطعه من راسه اصبعين .
 وذكر عنه أنه عمل بأجرة ، فأخذ أجره مئداً من تمر ، و - ل ذلك بل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم تقربت به .

وروى عنه أنه قال لعشرين خطاب ، رضي الله عنه : إن أردت أن تأتي صاحبك
 فرقع قميصك ، وخصف نعلك ، وتصر أهلك ، وكل دون الشيخ .

وروى عن عمر ، رضي الله عنه ، أنه قال : لا تروا رماحاً في أيديكم
 ويقول : أنه لما قتل ، رضي الله عنه ، جند الحسين ، رضي الله عنه ، من آل الكوفة
 وقال : يا آل الكوفة ، قد قتل بين ظمركم أمير المؤمنين ، وروى عن علي رضي الله
 عنه ما خلا من الدنيا شيئاً إلا أربوباً لله . وروى عن علي رضي الله عنه ما خلا من الدنيا
 ويقول : إن علياً ، رضي الله عنه ، كان إذا جاءه أمير المؤمنين ، رضي الله عنه ،
 فيقول له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول : جاءني أمير المؤمنين ، رضي الله عنه ، على
 السبات والأرض واغبال فأبين أن يحسنم وأنتع من محلم الراسي ، فلا أدري
 أحسن أداء ما أهدت أم لا ؟

وقال علي ، رضي الله عنه : ما أنا ونفسي إلا كراعي غنم كما صحبنا من جانب
 القشرت من جانب .

وعلى ، رضى الله عنه ، أشباه ذلك كثير من الأحرار والأخلاق والأفعال التي
 يتعلق بها أرباب القلوب وأهل الإشارات وأهل المواجيد من الصوفية ، فمن ترك
 الدنيا كلها وخرج من جميع ما يملك وجلس على بساط النقر والتجريد بلا علاقة
 بإمامه فيه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ومن أخرج بعضها وترك البعض أحياءه
 ولصلاة الرحم وأداء الحقوق وإمامه [فيها] عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومن جمع
 الله ، منحه الله وأعطى الله وأنتق الله وإمامه [فيها] عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ومن
 لا يهتم بحول الدنيا ، وإن جمعت عليه من غير طلبه رفضها وهرب منها فإمامه في ذلك
 علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

وروى عن علي ، رضى الله عنه ، أنه قال : الخير كله مجموع في أربعة : الصمت
 واللاطف والنظر والحركة . فكل نطق لا يكون في ذكر الله تعالى فهو لغو ، وكل
 صمت لا يكون في فكر فهو سهو ، وكل نظر لا يكون في عبادة فهو غفلة . وكل
 حركة لا تكون في تعبد الله فهي فترة ، فرحم الله عبداً جعل نطقه ذكراً و صمته
 فكراً ونظرة عبادة وحركته معبداً ، ويسلم الناس من لسانه ويده .

باب صفة أهل الصفة رضوان الله عليهم أجمعين

قال الشيخ ، رحمه الله : ثم إن أهل الصفة كانوا كما جاء في الخبر فينبغ وثلاثة لا يرجعون إلى تدء ولا إلى ضرع ولا إلى تجارة ، وكانوا كلهم في المسجد وهم يمشون المسجد ، وكان رسول صلى الله عليه وسلم يترأسهم ويجلس معهم وأكل معهم ويخوض الناس على أكرامهم [ومعرفه] فضاهم .

وقد ذكره الله تعالى في مواضع من القرآن منها قوله عز وجل : (المنقرتة) (أحصرُوا في سبيل الله) (١) الآية ، وقوله : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم وهم لا يصدون) الآية ، وقوله : (وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) (٢) الآية .

وقد عاتب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فيهم ، قال الله عز وجل : (كأنهم لو أن جاءد الأعمى) (٣) ، قال : كانت في شأن ابن أم مكتوم ، رضي الله عنه ، من أهل الصفة ، فكان إذا رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة التراويح : «يا من عاتبني فيه ربي عز وجل :

ويقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقوم من صلاة التراويح إلى الصلوة حوله حتى يقومون ، وكان إذا ما فتح لهم ما يقرأ الله من آياتهم ، فوجدوا أن يفرقهم على أهل الجادات والسعة على كل واحد على قدره ، وكانت مدة ثلاثه ، ومع الأجر الأربعة والخمسة ، قال فرقة : كان يتقارب معاهم في الصلاة ، ثم يمشون معه ، ثم يمشون معه ، ثم يمشون معه ، ثم يمشون معه .

وقال أبو هريرة ، رضي الله عنه : كانت سبعين من أهل الصفة يدخلون في الصلاة

(٢) الكهف : ٢٨

(١) البقرة : ٢٧٤

(٣) عبس : ١ - ٢

منهم من لا يبلغ ركبتيه ، فإذا ركع أحدهم قبض يديه مخفة أن تبدو عورته .

وقال أبو موسى الأشعري ، رضى الله عنه : كان يشبه رائحة رائحة الشاة من

نفس العباء .

وقال عبد الله بن طلحة : صحبتنا جماعة أهل الصفة يوماً فقنا : يا رسول الله ،

أحرق بطوننا التمر ، وحرمت علينا الجيفة ، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

فصعد المنبر ثم قال : « ما بال أقوام يضحون ويقولون أحرقنا بطوننا التمر ، أما

علمتم أن هذا التمر [إنما] هو طعام أهل المدينة ، فقر واسوباه ، فواسيماكم مما واسونا

به ، واللهى نفس محمد بيده أن منذ شهر أو شهرين لم ترتفع من [بيت] رسول الله

دخان الخبز وليس لهم غير الأسودين التمر والماء » .

والمعنى في ذلك أن رسول الله عليه الصلاة والسلام اعتذر [في ذلك] إليهم . ولم

يرد عليهم شكائهم ، ولم يأمرهم بطلب المعاش [من الإكتساب والتجارات] ،

وقد روى في الخبر أن النبي عليه الصلاة والسلام وقف على جماعة من أهل الصفة وقد استتر

بعضهم ببعض من ، العري وقارىء يقرأ عليهم القرآن وهم يبكون ، وأما غير أهل

الصفة فقد روى عن كل واحد منهم ما انفردوا به وخصوا به من الأحوال الرضية

والأعمال الزكية ومكارم الأخلاق ما تعاق بها أهل الحقائق من التصوفة وطلب

الاهتداء في الاقتداء بهم ، ويكثر ذكر ذلك وان كان نذكر طرفاً ليستدل بذلك

على ما لم نذكره إن شاء الله تعالى .

باب في ذكر سائر الصحابة في هذا المعنى

قال الشيخ، رحمه الله: وأما علجة بن عبيد الله، رضي الله عنه، فقد روى عن زياد بن حدير أنه قال: رأيت طلحة بن عبيد الله، رضي الله عنه، ففرق مائة ألف في مجلس وإنه ليخيط طرف إزاره بيده.

وأما معاذ بن جبل، رضي الله عنه، فقد روى عنه الحارث بن عميرة، قال: إني جالس عند معاذ بن جبل، رضي الله عنه، وهو يجود بنفسه ويقول: أخشى خندقك فوعدتك أي لأحبك.

وأما عمران بن حصين، رضي الله عنه، قال: ووددت أني كنت نواباً لرسول الربيع ولم يخلق مخافة العذاب.

وقال ثابت البناني، رحمه الله، أنه - يعني عمران بن حصين، رضي الله عنه - اشتمكي طله ثلاثة وثلاثين سنة، فدخل عليه أصحابه يريدونه فقلنا: يا عمران، لا تدخل عليك طول شكابتك، فقال: لا تتعوا ذلك [من أحببه إلى أبي أحببه إلى].

وأما سلمان الفارسي، رضي الله عنه، فقد قال: إني لما برأت جرحاً من جراح جهنم لم وعدتم أجمعين^(١) صاح صحبة ووضع [يد] في جرحي، ثم خرجت هارباً ثلاثة أيام، وفي الخبر أن سلمان، رضي الله عنه، زار أبا بكر، رضي الله عنه، من العراق إلى الشام راكباً وعليه ثياب غليظ مضموم رأسه تحبباً، فقبل له شهرت نفسك، فقال: الخير خير الآخرة وإنما أما عبد الله كمال الناس العبيد، فإذا اعتقت لبست جبة لا بتلاء محاسنها.

وأما أبو الدرداء ، رضى الله عنه ، فإنه قال : كنت امرءاً تاجراً فى الجاهلية ، فلما أسلمت أردت أن أجمع بين التجارة والعبادة فلم تهتمعألى ، فأثرت العبادة على التجارة ، قال : وسئلت أم الدرداء ، رضى الله عنها ، عن أفضل عبادة أبى الدرداء ، رضى الله عنه ، فقالت : التفكير والاعتبار .

وأما أبو ذر ، رضى الله عنه ، فإنه روى عنه أنه قال : إن قيمي بالحق لله تعالى لم يترك صديقاً ، وإن خرفى من يوم الحسب ما ترك على بدنى لحم ، وإن يقضى بثواب لله تعالى ما ترك فى بيتى شيئاً .

ويروى عنه قول : قتلى هم يوم لم أدركه ، فقبل له : وما ذلك ؟ قال إن أمتى تجاوز أجل ، ووددت أن الله تعالى خلقنى شجرة تعضد .

ودعى أبو ذر ، رضى الله عنه ، إلى ولية فسمع صوتاً فانصرف ودو يقول : من أكثر سواد قوم فهو منهم ، ومن رضى عمل قوم فهو شريكهم .

وحمل حبيب بن مسامة إلى أبى ذر ، رضى الله عنه ، أنف درهم فرد عليه وذل : عندنا عز نحلبها ، ومركوب يسارع على ظهرها ، فلا حاجة لنا فى غير ذلك .

وأما أبو عبيدة بن الجراح ، رضى الله عنه ، فإنه روى عنه أنه خرجت فى كفه طعنة فى أيام الصاعون ، فعظم ذلك على أصحاب رسول الله عليه الصلاة وفرقوا منها ، فأنفسم لهم أبو عبيدة ، رضى الله عنه ، ما يحب أن له مكئها حمر العم ، وجاء رجل إلى أبى عبيدة ، رضى الله عنه ، فسأله فرده ، ثم جاءه فسأله فأعطاه ، فقال : الذى أعطاك والذى ردك الله عز وجل ، [وذل أبى عبيدة : ووددت أن أكون كبشاً لأهدى فيه تعرف لى ويتجنى فرقى ولم أخلق]

وأما عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه فإنه روى عنه أنه كان يقول : يا حبنا
المكر ودمان الموت والتقر فما أبلى أيهما ابتدئت ، وروى أن في بيتها كانت عشش
الخطاطيف : وكان له منون فليل له : لو نقضت هذه العشاش ، فقال : والله لئن
نقضت يدي من نواب قبورهم - يدي أولاده - أحبُّ إن من أن أكسر من
عشاش هذه الخطاطيف بيضه واحدة .

وأما البراء بن مالك فقد روى عن أنس بن مالك ، رضى الله عنهما ، أنه قال :
دخلت على البراء بن مالك ، رضى الله عنه ، وقد مل برأيه على الخيل ، وقد تروى
بشعر فقلت : يا أخي أبعث الإسلام والقرآن ، فقال : يا أخي دينان لم يردن
قال : أتروى أموت على ذراعتي وقد قتلت تسعة وتسعين مسلماً بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم سوى ما أشركت [روى عنه] ، كان به شهر - ثم روى
قال أبو موسى الأشعري ، رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : ما كان في طبرستان كافر بالله أشد من الكافر من أهل اليمن من حيث
رضي الله عنه ، قال البراء بن مالك : يا رسول الله ، من أشد الكفرة من
أصحابي النج ، قال : ذنابهم ، وفتح يدي عليه .

۱۲۸

وأما عبد الله بن العباس ، رضى الله عنه ، فإنه روى عنه أنه قال : قال
الجناس مجلس في قعر بيتك حتى لا تتركه ولا تتركه ، روى عنه أنه قال :
الله تعالى ليثلي بالعباد الذين في إلى جهنم ، وقال : من كان
[كان مثل شراب العال من اثره الدمع ، معنى] ، روى عنه أنه قال :
عنه أنه قال : لأن أرتفع ثوباً فيسعد في بعض من طلق أحد من من من
تضمني عند الخلق ، وترقني عند الخلقين .

وأما كعب الأحبار ، رضى الله عنه ، فقد روى أنه قال : إن من أشد الأحرار

حتى يكرهون المدحة والثناء ، وأن ينالوا الملامة في الله تعالى ، وقال كعب ، رضى الله عنه : لن يستكمل العبد أجر الحج والجهاد حتى يصبر على الأذى .

١٢٩ وأما حارثة ، رضى الله عنه ، فقد روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من أراد أن ينظر إلى عبد نور الله تعالى الإيمان في قلبه فلي نظر إلى حارثة ، رضى الله عنه » .

وأما أبو هريرة ، رضى الله عنه ، فإن ثمانية بن أبي مالك قال : رأيت أبا هريرة رضى الله عنه وهو يحمل حزمة حطب وهو يمشي خليفة مروان بن الحكم ، فقال : أوسع الضريق الأميريا ابن أبي مالك ، فقلت : أصلحك الله تكفى هذا ، فقال : أوسع الطابق للأميريا ابن أبي مالك ، وروى عنه أنه بكى لما حضرته الوفاة . فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : بعد المفزعة موقلة الزاد ، وضعف اليقين ، وعقبة كثرود ، والمهبط منهم إلى الجنة أو النار ، وقل أبو هريرة ، رضى الله عنه : جزأت الليل ثلاثة أجزاء ثلثاً أصلي وثلاثاً نام وثلاثاً أستذكر [فيه] حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام

وأما أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، فروى عنه أنه قال : إن أول من يرد الحوض يوم القيامة الذابلون السالمون الذين إذا جنهم الميل استقبلوه بحزن .

وأما عبد الله بن عمر ، رضى الله عنه ، فروى عنه أنه كان يقول : ما كنا ننام ونحن عزّاب في أيام رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا في المسجد ، ولم يكن لنا مسكن ولا مأوى ، وروى عنه أنه قال : لا نجيب أبداً إلا من تقى بديره ، وكان يقول : ولا تطعموا طعامكم إلا كل تقى [تقى] ولا تأكلوا إلا من طعام تقى تقى ، وعن ابن عمر رضى الله عنه أنه قال : إنما سلت على ابن آدم من يخاه ، ولو لم يخف ابن آدم إلا الله لم يسلط الله تعالى عليه شيئاً .

وأما حذيفة بن اليمان ، رضى الله عنه ، فروى عنه أنه قال : إن أقرّ يوم لعينى ليوم

وأما عدی بن حاتم ، رضی اللہ عنہ ، فروی عنہ أنه ربما كان يفت الخبز للنمل
ترجأ عليهم .

وأما أبو رافع ، رضی اللہ عنہ ، مولى رسول اللہ علیہ الصلاة والسلام فقد روى
عن ابن عمر ، رضی اللہ عنہ ، أنه قال : قال رجل : يا رسول الله أى الناس أفضل ؟
قال : « كل مخموم القلب صدوق اللسان » قيل : يا رسول الله ، وما مخموم القلب ؟ قال :
« الذى لا كدر فيه [ولا بى] ولا حسد ، الذى بشأ الدنيا ونحب
الآخرة » قالوا : فما نعرف فيما [مثل] ذلك غير أبى رافع مولى رسول اللہ علیہ الصلاة
والسلام ورضی اللہ عنہ .

وأما محمد بن كعب ، رضی اللہ عنہ ، فإنه ذكر عنہ أنه قال : إنا أراد الله بعبد
خيراً [جعل فيه ثلاث خصال] فقهه فى الدين ، وزهده فى الدنيا ، وبصره
عرب نفسه .

وأما زرارة بن أوفى ، رضی اللہ عنہ ، فإنه روى عنہ أنه أم فى مسجد بنى قشير
فقرا (قيدا قيرا فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير) (۱) فخر ميتا .

وأما حنظلة الكاتب ، رضی اللہ عنہ ، فإنه روى عنہ أنه قال : كنا عند رسول
اللہ علیہ الصلاة والسلام فذكرنا الجنة والنار حتى كأنها رأى العين ، فعدت إلى
أهلى فضحكك وتميت الناس فقلت : نافع حنظلة ، فقال أبو بكر ، رضی اللہ عنہ :
مالك ؟ فأخبرته ، فقل : إنا لمفعله أيضاً ، فذهب حنظلة إلى النبي صلى اللہ عليه
وسلم فذكر له ذلك ، فقل : « يا حنظلة ، لو كنتم فى بيوتكم كما تكرونون عندى
لصاغتكم الملائكة على فرشكم » أو كما قال « يا حنظلة ساعة وساعة » .

وأما اللجج - قال الشيخ : وكنته أبو كثير هكذا فى كتاب أبى داود السجستانى -

(۱) المدثر : ۸ - ۹

قال عبد الله : كنت أنظر إلى مصعب فتدمع عيني رقة عليه ، وكنت رأيتُه بكفة في الرفاهية وكان على رأسه ثلة من الشعر ، قال : فكنت أمر إلى بعض حيطان المدينة فأعمل في السواني إلى الأدي على مد من التمر فأحمله إلى مصعب من عمر ، ومر مصعب يوماً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قطعة حيس ، فأكل بعضها ، وحمل النصف الآخر إلى عبد الله ابن ربيعة .

١٣٥.

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع ، رضى الله عنهما ، وكان لسعيد امرأتان فقل سعد : أقاسمك مالي وأنزل عن إحدى امرأتي حتى تزوج بها ، فلم يفعل ذلك عبد الرحمن ، وقل : دلوني على السوق ، فدخل السوق وكسب حتى جمع شيئاً من التمر والسمن والأقط ، وروى عنه أنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد أهله شيئاً فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب إلى أهله ، ووضع بين يديه الطعام ، وقال لامرأته : أطعمي السراج ، وجعل يمد يده كأنه يأكل حتى أكل الضيف الطعام ، فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد عجب الله تعالى من صنعكم إلى ضيفكم » ونزلت هذه الآية (وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) (١)

١٣٦.

١٣٧.

وروى عن [ابن] عمر رضى الله عنه ، أنه [قال] : أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة ، فقال : إن أخى كان أحوج إليه منى ، فبعث إليه ، فلم يزل يبعث الواحد إلى الآخر حتى تناوله سبعة أبيات فرجعت إلى الأول ، قال ونزلت فيهم هذه الآية (وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) .

١٣٨.

قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : ومثل هذا كثير في الأخبار عن الصحابة
وما منهم أحد إلا وله مخصص في معان من هذا النوع الذي ذكرنا ، والمؤمنون
مندوبون إلى التعلق بمثل هذه الأفعال والتخلق بأخلاقهم فيما أتوا به من أنواع
الطاعات ونطقوا به من [أنواع] الحكيم . وقد ذكرنا القليل من الكثير
والمراد من هذه الأخبار التي ذكرناها عن هؤلاء الصحابة : إشارة و^{في}طاقة ^{في}مختصصة
لأهلها ، وله بيان وشرح كشرح من تقدم ذكره في أول الباب باب الأئمة
الأربعة : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، رضي الله عنهم أجمعين ، ولا يخفى على
المتأمل والمتدبر بالنظر فيه بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

كتاب آداب التصوفة

باب في ذكر الآداب

قال الشيخ ، رحمه الله : قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِبُوا نَاراً) (١) وروى عن ابن عباس ، رضى الله عنه ، أنه قال في تفسيره :
يعنى أدبهم وعلمهم تقوهم بذلك من النار ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه ذل : « ما نجل والدك وأفضل من أدب حسن » وروى عن النبي عليه
الصلاة والسلام أنه قال « أن الله أدبني فأحسن أدبي »

قال الشيخ ، رحمه الله : موضع تخصيصه بالأدب من جملة الأنبياء ، عليهم السلام
بقوله فأحسن أدبي ، وإلا فجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا ممن أدبهم
الله تعالى .

وروى عن محمد بن سيرين أنه سئل : أى الآداب أقرب إلى الله تعالى ، وأزكف
للعبد عنده ؟ قال : معرفة بربوبيته ، وعمل بطاعته ، والحمد لله على السراء ، والصبر
على الضراء .

وقيل للحسن بن أبى الحسن البصرى رحمه الله : أ كثر الناس تعلم الآداب فما
أشعبها عاجلا ، وأوصلها آجلا ؟ قل : التفقه فى الدين فإنه يصرف إليه قلوب
المتعلمين ، والزهد فى الدنيا فإنه يقربك من رب العالمين ، والمعرفة بما لاه عليك
يحويها كمال الإيمان .

وقال سعيد بن المسيب ، رحمه الله : من لم يعرف ما لله تعالى عليه فى نفسه ولم
يتأدب بأمره ونهيه ، كان من الأدب فى عزلة .

(١) التحريم : ٦ .

وقال كثوم الغساني : أدبان أدب قول وأدب فعل ، فمن رفق لنفسه في أدبه بقوله عدم ثراب العمل ، ومن تقرب إلى الله تعالى : بأدب فعله منحه محبة القلوب ، وصرف عنه العيوب ، وجعله شريكاً في ثواب المتعلمين .

وروى عن ابن المبارك ، رحمه الله ، أنه قال : نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم ، وقال ابن المبارك ، رحمه الله ، أيضاً : الأدب للعارف بمنزلة التوبة للمستأنف .

قال الشيخ رحمه الله : الأدب سند للفقراء ، وزين للأغنياء ، والناس في الأدب متفاوتون وهم على ثلاث طبقات : أهل الدنيا ، وأهل الدين ، وأهل الخصوصية من أهل الدين ، فأما أهل الدنيا فإن أكثر آدابهم في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم ، وأسما الملوكة ، وأشعار العرب ، ومعرفة الصنائع .

وأما أهل الدين فإن أكثر آدابهم في رياضة النفوس ، وتأديب الجوارح ، وطهارة الأسرار ، وحفظ الحدود ، وترك الشهوات ، وإعتاب الشهوات ، وتحرير الطاعات ، والمصارعة إلى الخيرات .

وقد حكى عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه قال : من فبر اسمه بالأدب وهو يعبد الله تعالى : بالإخلاص ، وقال سهل أيضاً رحمه الله : استمعوا بالله عن أمر الله فصبروا على أدب الله تعالى ويقال : إن أفضل الآداب التوبة ، ومع التوبة عن الشهوات ، وسئل بعضهم عن أدب النفس فقال أن تعرفها الخوارق وتعرفها الشر فتزجرها عنه ، ويقال : إن الأدب كحل الأسماء للأسماء والصديقين .

قال الشيخ رحمه الله : فأما أدب أهل الخصوصية من أهل الدين فإن أكثر آدابهم في طهارة القلوب ، ومراعاة الأسرار ، والوفاء بالعقود بعد العهود ، وحفظ الوقت ، وقلة الالتفات إلى الخواطر والعوارض واليوادي ، والظواهر ، والستر

مع الإعلان ، وحسن الأدب في مواقف الطلب ومقامات القرب وأوقات الحضور
والقرب والذنو والوصلة .

سمعت أحمد بن محمد البصرى رحمه الله يقول : سمعت الجلاحلى البصرى
يقول : التوحيد موجب الإيمان فمن لا إيمان له لا توحيد له ، والإيمان موجب
الشرعية ، فمن لا شرعية له لا إيمان له ولا توحيد له ، والشرعية توجب الأدب
فمن لا أدب له لا شرعية له ولا توحيد .

وسئل أبو العباس بن عطاء رحمه الله : ما الأدب في ذاته ؟ فقال ؟ انوقوف مع
المتحسنتات ؟ فقال : أن تعامل الله تعالى بالأدب سرا وإعلاناً ، فإذا كنت كذلك
كنت أديباً وإن كنت أنجمياً ، ثم أشد بن عطاء في هذا المعنى .

إذا نطقتُ جاءتُ بكلِّ ملاحٍ وإن سكنتُ جاءتُ بكلِّ جميلٍ

قال الشيخ رحمه الله : فانصوفية لهم آداب في سفرهم ، وآداب في أوقاتهم
وآداب في سكوتهم وحركاتهم ، وهم يختصون بها من غيرهم ومعروفون
بها عند أشكالهم وعند أبناء جنسهم ، يعرف بذلك تفاضل بعضهم على بعض ،
وبهذه الآداب تميز بين الصادقين والكاذبين والمدعين والمحققين ، وقد بينا طرفاً
من آدابهم في كل باب من هذه الأبواب التي ذكرنا على الاختصار لينظر الناظر
فيه ، ويقف على ذلك إن شاء الله تعالى :

باب آدابهم في الوضوء والطهارات

قال الشيخ رحمه الله ، فأول آداب يحتاج إليه في باب الوضوء والطهارات : طلب العلم وتعلّمه ، ومعرفة الفرائض والسنن ، وما يستحب وما يكره من ذلك ، وما أمر به وما نذّب إليه وما رغب فيه للنضية .

وتفصيل ذلك لا يوقف عليه إلا بالعلم والسؤال ، والبحث عليه ، ولا يفتقر إلى حتى تأتي به على موازنة الكتاب والسنة ، بالاحتياط ، وتبج الأحسن والأتم . وترك الملامة وترك الإنكار باقرب قلب على من لم يأخذ بالاحتياط بالأشياء : لأن الله تعالى : يحب أن يؤخذ برخصه ، كما يحب أن يأخذ بعزائه ، وسر الدس لم أشغال وأسباب لا بد لهم من السعي فيها والاهتمام بها ، فإن أخذوا برخصه وما في السعة فيهم معذورون .

وأما المتصوفة ومن ترك الأسباب ، وخرج عن الأشكال ، وفتح باب الرخصة ، والزهد ، فلا عذر له في ترك التزقي والتزقي والاشتغال بغيره ، والاشتغال بالاحتياط والأتم في أبواب الطهارة والمطابقة ، فمن ليس له شغل غير ذلك فمعه شغل يبذل مجوده على قدر استطاعته في ذات ، قال الله تعالى : « لا تنزلنا من السماء مستطعماً » (١) وقد رأيت جماعة كانوا يحدّثون الوضوء ، فكان الصلاة ، فلو لم يركبوا الوضوء قبل دخول وقت الصلاة حتى إذا فرغوا من وضوءهم ، يكونوا في الصلاة متصلاً بفرانجهم من الوضوء .

ومن آدابهم في ذلك أيضاً أن يكونوا ، إن سئلوا عن ذلك في حديثهم وأصلهم في ذلك أنهم لا يبدون متى أتت بهم المسئلة ، قال الله تعالى :

(١) التغابن : ١٦

« فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » (١) يريدون بذلك إن جاءهم الموت بغتة يخرجوا من الدنيا على الطهارة .

سمعت الحصري رحمه الله ، يقول : ربما أنتبه بالليل فلا يحملني النوم إلا بعد ما أقوم وأجدد الوضوء ، قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : وذلك أنه كان ينام على الطهارة ، فإذا أنتبه وقد قضت طهرته جدد ، فقد أدب نفسه بذلك أن لا يحمله النوم وهو على غير طهارة ، وكان شيخ من المشايخ الأجلة به وسوسة في الوضوء ، وكان يكثر صب الماء ، فسمعته يقول : كنت ليلة من الليالي أجدد الوضوء لصلاة العشاء ، وكنت أصب الماء على نفسي حتى مضى شطر من الليل ، فلم يطب قلبي ، ولم يذهب عني الوسوسة ، فبكيت ، فقلت : يارب العفو ، فسمعت هاتفاً يقول : يا فلان ، العفو في العلم يعني في استعمال العلم .

وقال أبو نصر هو أبو عبد الله الروذباري رحمه الله :

ويقول إن الشيطان يجتهد في أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بني آدم فلا يبالي أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فيما أمروا به ، أو ينقصوا منه ، وذكر عن ابن الكريبي ، وكان أستاذ الجنيد رحمه الله ، أنه أصابته الجنابة ليلة من الليالي ، وكانت عليه مرقعة ثخينة غليظة (كانت فرد كمة وتخاريزه عند جعفر الخلدی وكان فيه أرطال قال) (١) فجاء إلى الشط ليلة ، وكان برد شديد ، فحرفت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد ، قال : فطرح نفسه في الماء مع المرقعة ، ولم يزل بغوص في الماء مع مرقعته ثم خرج من الماء ، وقال : اعتقدت أن لا أنزعها من بدني حتى تجف على ، قل : فلم تجف عليه شهراً كاملاً ، وأراد بذلك تاديباً لنفسه : لأنها حرنت عند الائتمار لما أمر الله تعالى به من غسل الجنابة .

(١) الاعراف : ٣٤

وكان سهل بن عبدالله رحمه الله ، يحث أصحابه على كثرة شرب الماء ، وقلة صب
للماء على الأرض ، وكان يقول بن الماء له حياة ، وموته أن تصبه على الأرض ، وكان
يرى أن في كثرة شرب الماء ضعف النفس وإماتة الشهوات ، وكسر القوة .

وأقام أبو عمرو الزجاجي رحمه الله ، بمكة سنين كثيرة وهو مجاور ، بها ،
وكان إذا أراد أن يقضى حاجته يخرج من الحرم ، وهو مقدار فرسخ ، وكان
لا يتغوط في الحرم ، كما بلغني ، ثلاثين سنة .

وكان إبراهيم الخواص رحمه الله ، إذا دخل البادية لا يحمل معه إلا ركوة من
للماء ، وربما كان لا يشرب منها إلا القليل ، وكان يحتفظ بذلك للوضوء ، ويؤثر
الوضوء بالماء على الشرب عند العطش .

قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : ورأيت جماعة يمشون على سطوط الأهمار ،
ولا يفارقهم الماء في ركوتهم ، أو في كوز ، وذلك أنه ربما كان يشتد بهم البول ،
ولا يمكنهم الجلوس على شط النهر وكشف العورة من أجل الناس ، فإذا كان معهم
ركورة أو كوز عدلوا إلى خفوة ، فيكون أصون لأنفسهم .

وكانوا يكرهون كثرة الدلك عند البول . لأنه ربما يسترخي العروق فلا يمسك
البول . ويتولد منه التقاير المفرط . وكذلك تكره الشدة إلا عند عوز الماء
والإضطراب . ولبس السراويل أحب [إلى] من الإزار بعد الطهارة . والإزار أحب
لنزعته عند التهيء . ويحتمل لبس جميع ما يخرجز بشعر الخنزير نلى أو كدر ، وربما كان
أو يابساً ، ولذلك اختاروا لبس العل . ويقال إن الصوفي إذا رأىته وليس معه ركوة
أو كوز فاعلم أنه قد عزم على ترك الصلاة ، وكشف العورة ، شاء أو أبى . ورأيت
من أقام بين ظهراى جماعة من النساك وهم مجتمعون فى دار ، فمراه أحد منهم أنه
كان قد أدب نفسه وعودها القيام إلى الحاجة فى وقت واحد إذا خلا الموضع حتى

لا يراه أحد إذا دخل الخلاء أو خرج منه ، ورأيت أيضاً من كان قد عود نفسه وأدبها حتى كان لا يخرج منه ريح إلا في وقت البراز وهو في البادية وفي مواضع الخلوة ، وكان إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى ، يخرج من مكة وحده ، فيجىء إلى الكوفة ، فلا يحتاج أن يتيمم بالتراب ، وكان يحفظ الماء الذي يحمل شرابه حتى يتوشأ به .

وكان جماعة من الشيخ يكرهون دخول الحمام إلا في أوقات الضرورة فإذا اضطرروا إلى ذلك لم يدخلوا إلا في حمام خال ، فإذا دخلوها لم يحضروا إزارهم إلى أن يخرجوا ، ولم يتركوا أن يمسهم القوام ويعطوهم طبعهم من غير أن يدنو منهم حتى يوسعوا عليهم الماء ، فإذا كانوا جماعة دلكوا بعضهم بعضاً ، فإن كان في الحمام غيرهم استقبلوا بوجوههم الحائط حتى لا تقع أعينهم على عورات الناس ، وكان جماعة من المتصرفين إذا دخلوا الحمام لا يركون أحداً يدخل معهم إلا إزار :

والاستحباب : نشف الإبط وحق العانة ، فمن لم يحسن الخلق فليتنور بيده في الخلوة .

وكان أصحاب سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى يخلقون رؤوسهم بعضهم لبعض كما بلغني عنهم .

وسمعت عسى القصير الدينوري رحمه الله تعالى ، يقول : أول من قص شاربي بيده الشبلي رحمه الله تعالى ، وكنت أخدمه ، قال الشيخ رحمه الله تعالى : وفرق الرأس اختاره جماعة للسنة ويكره ذلك للشهب ، ويحسن بالشيخ إن أرادوا بذلك استعمال السنة .

وكان يقول : بعض المشايخ هب أن الفقر من الله تعالى ، فما بال الوسخ ، وأحب الأشياء إن المتصوفة النظافة ، والطهارة ، وغسل الثوب ، والمداومة على السواك ، والنزول عند المياه الجارية والبضء الواسعة والمساجد التي في الأطراف ، والخلوة ،

والاغتسال في كل يوم جمعة في الشتاء والصيف ، والرأحة الطيبة ، وأطيب الطيب :
الماء الجاري ، والمداومة على الاغتسال ، وتجديد الوضوء ، وإسباغ الوضوء (١) .

وليس من الوسوسة ما يستقصي الإنسان في طهارته من التباعد وطلب الماء
الجاري ، وترك المياه المتغيرة ، والتنقيش على المواضع الظاهرة والاستقصاء على ذلك
للأعضاء الظاهرة ، وانقضاء الأعضاء الباطنة ، ومواضع التشريح والأضواء ، وإبلاغ الماء
الخياشيم ، وإمرار الماء على الأعضاء وجميع البشرة في العسل والوضوء وغير ذلك ،
والمس اتوفي والفتق من الوسواس الممهي عنه أيضاً لأن جميع ذلك دخل في قوله :
« أتقوا الله أستطعمتم » .

وإنما الوسوسة الممهي عنها ما يخرجك عن حد العلم : وهو أن تشكك بنفسك
عن الفرائض ، وأن تخاف العلم ، وتبطل صلاة من يتوضأ بئس ، وبغسل بئس ،
والصواب في ذلك أن يكن العبد في كل وقت بعد ما يؤتى بركت ، لا يتردد
الماء فيسبغ وضوءه على الاحتياط حتى يطيب قلبه ، وإذا لم يجد الماء لم يسبغ فربما
أن يجد الوضوء ، أو يتطهر بقليل من الماء كما روي في الخبر : أن أصحاب رسول
الله عليه الصلاة والسلام كانوا يتوضون وضوء الأيلت منه التراب .

قل الشيخ رحمه الله ورأيت من كان على وجهه فرحاناً يداوي بغير
سنة : وذلك أن الماء كان يضره ، وكان لا يداوي بغيره ، فبطلت سنة
ورأيت من نزل ماء في عينيه ، فحضر إليه الداوى ، فبطلت سنة ، فبطلت سنة
أن يداويه ، فقال الداوى : يحتاج أن لا يمس الماء عينيه ، فبطلت سنة
فناه ، فلم يفعل ذلك ، واختار ذهب بصره على تركه ، فبطلت سنة ، فبطلت سنة .

(١) من سنن الإسلام الجميلة ، ومن فروضه الواجبة في ظروف مختلفة التطهير . ولقد
أجاد المؤلف في هذه الفقرات كل الإفادة وكما يحب الله التوابين فإنه يحب المتطهرين .

هذا أبو عبد الله الرازي المقرئ ، وحكى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنه كان به قيام فقام في ليلة واحدة يقا وسبعين مرة ، وكل مرة يجدد وضوءه ويصلي ركعتين ، ومات إبراهيم الخواص رحمه الله في جامع الري في وسط الماء ، وذلك أنه كان به علة البطن ، فكان يدخل الماء ويغسل نفسه ، فدخل مرة في الماء ليغسل نفسه ، فخرجت نفسه وهو في وسط الماء .

فهذا ما حضرني في الوقت من آداب أهل الصفوة من الصوفية في الوضوء

والطهارة ، وبالله التوفيق .

باب في ذكر آدابهم في الصلاة

قال الشيخ رحمه الله : وأما آدابهم في الصلاة فأزل ذلك : تعلم علم الصلاة ، ومعرفة فرائضها وسننها وآدابها وفضائلها ونوافلها ، وكثرة مساءلة العلماء ، والبحث عما يحتاج إليه في ذلك مما لا يسعه الجبل به : لأن الصلاة عماد الدين ، وقرّة عين العارفين ، وزينة الصديقين ، وتاج المقربين . ومقام الصلاة مقام الوصلة ، والدنو ، والهيبة ، والخشوع ، والخشية ، والتعظيم ، والوقار ، والمشاهدة ، والمرافقة ، والأسرار ، والمناجاة مع الله تعالى ، والوقوف بين يدي الله تعالى ، والإقبال على الله تعالى ، والإعراض عما سوى الله تعالى .

فأما العامة فلهم أن يقلدوا علماءهم ، ويسألوا فقهاءهم ، ويعتمدوا على أقاربهم من الرخص والسعات والفتوى والتأويلات التي أوسع الله تعالى ، للخلق .

فأما المتصوفة ، وأهل الخصوص الذين باينوا الناس ، وانحازوا عن جملة الناس بترك المكاسب ، وقطع العلائق ، وانقضوا إلى الله عزّ وجلّ ، وعرفوا بالله وسبوا إلى الله ، فلا يسعون التخلف عن استعمال الآداب ، والاهتم والتكاتف لأحكام الصلاة ، وتحوزها ، وأحكام فرائضها وسننها وفضائلها ونوافلها وآدابها ، لأنهم ليس لهم شغل غير ذلك ، ولا ينبغي أن يهتمهم أمر أكثر من اهتمامهم بأمر الصلاة .

فأول آدابهم من ذلك : أن يكون تأهبهم للصلاة قبل دخول وقت الصلاة حتى لا يفوتهم الوقت الأول الذي هو المختار ، ولا يمكنهم ذلك إلا بمعرفة الوقت الأول بكل صلاة ، ولا يقدر على ذلك إلا بمعرفة ، وعلم ، مع الوقوف على علم الزوال ، ومقدار ظل الزوال في كل وقت وأران في كل الأقطار ، وأن يعلم على كم تزول الشمس من قدم في كل وقت وكم يزداد وينقص ، ويعتبر ذلك بمقدار قامة إذا لم يكن معه

مقياس لذلك ، ويعلم ذلك في أي موضع كان يظل شخصه ، ويعتبر بقدمه ، وكذلك يحتاج إلى معرفة شيء من الجيوم ، ومنازل القمر وطلوعها وغروبها ونوبة طلوع كل نجم من منازل القمر ، حتى إذا نظر بالليل إلى الجيوم لا يخفى عليه ما مضى من الليل وما بقي إلى الصبح ، ويحتاج أيضاً إلى معرفة القطب والكواكب التي تستدل بها على القبلة ، ولا يصح له ذلك إلا بالاجتهاد ، ومعرفة سمت كل بلدة حتى أين تقع من الكعبة ، ولا يقف على صحة ذلك إلا بعد افتقاده ذلك بمكة ، ورجوعه إلى البلدة التي قد عرف أين يقع سمتها من الكعبة وأين كان ذلك في وقت معلوم من محاذات القطب والجدى والفرقدين ، وأما النجوم السيارات فينبغي أيضاً أن يعلم ذلك ، للاستدلال والاحتذاء بالليل ، فإنه ربما يقع في المناور ، ويركب البحور فيحتاج إلى معرفة ذلك .

وكان سهل بن عبد الله رحمه الله ، يقول : علامة الصادق أن يكون له تبع من الجن إذا دخل وقت الصلاة يحثه على ذلك ، وإن كان نائمًا يبهده .
ومنهج من يكون له أوراد بالليل والنهار من العبادة والذكر وتلاوة القرآن على مر أيامه ، وتصبر عاقبه حتى لا يغاط في ذلك ليله ونهاره حيث ما كان .
وأما آداب لدخول في الصلاة ، بعد ما تأهب ، إذا دخل أول الوقت ، وأراد الدخول في الصلاة : فتحرّمها بالتكبير المقرّونة بتكبير الإحرام مع النية من حيث لا نسبق النية التكبير ، ولا التكبير النية ويكونان معاً .

وقد حكى عن الجنيد رحمه الله أنه قال : لكل شيء صفوة ، وصفوة الصلاة التكبير الأولى ، والمعنى في ذلك أن التكبير الأولى هي مقرونة بالنية التي لا تجوز الصلاة إلا بها ، وهو عقدك بأن صلاكَ الله عز وجل ، فإذا صح العقد فما دخل بعد ذلك في صلاتك من الآفات الباطنة لم يفسد الصلاة ، بل ينقص من فضلها ، ويبقى للمصلي عقدها ونيتها .

سمعت أن سـلم رحمه الله تعالى ، يقول : النية بالله ، والله ، ومن الله والآفات التي تدخل في صلاة العبد بعد الية من العدو ، وهو نصيب العدو ، وإن نصيب العدو ، وإن كثر ، ولا يوازن بالنية التي هي بالله ، والله ، ومن الله ، وإن قلت

وسئل أبو سعيد الخراز رحمه الله ، كيف الدخول في الصلاة ؟ فقال : هو أن تُقبل على الله تعالى : كإقبالك عليه يوم القيامة ، ووقوفك بين يدي الله تعالى : ليس بينك وبينه ترجمان ، وهو مقبل عليك ، وأنت تاجيد ، وتعلم بين يدي من أنت واقف ؟ فإنه : الملك العظيم !!!

وقيل لبعض العارفين : كيف تكبير التكبيرة لأولى ؟ قل : ينبغي إذا قلت : الله أكبر ، أن يكون مصحوب قولك : « الله » : التعظيم مع الألف والهيئة مع التلام والمراقبة والتقرب مع الياء ، وقال آخر : إذا كبرت التكبيرة الأولى فاعلم أنه مظر إلى شخصك ، وعالم بما في ضميرك ، ومثّل في صلاتك الجنة عن يمينك ، والنار عن شمالك .

ومن آداب الصلاة : أن العبد إذا دخل في الصلاة فلا يكون في قلبه شيء غير الله الذي هو بين يديه حتى يعرف كلامه ويأخذ من كل آية ذوقها وفهمها ، لأنه ليس له من صلاته إلا ما عقل .

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله ، في كتاب له يصف آداب الصلاة ، فقل : إذا رفعت يديك في التكبير فلا يكن في قلبك إلا الكبرياء (١) ، ولا يكن لك في وقت التكبير شيء أكبر من الله تعالى : حتى تنسى الدنيا والآخرة في كبريائه .

قال الشيخ رحمه الله : والمعنى في ما قال أبو سعيد الخراز رحمه الله أن العبد إذا قال الله أكبر ، ويكون في قلبه شيء ، غير الله فلا يكون صدقاً في قوله الله أكبر ، ثم إنه

(١) أي الله تعالى

إذا أخذ في التلاوة فالأدب في ذلك : أن يشاهد بسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى ، أو كأنه يقرأ على الله تعالى .

قال : أبو سعيد الخراز رحمه الله : وفيه العلم الجميل لأهل الفهم ، وإذا ركع فالأدب في ركوعه : أن يَبْصَبَ ويدنو ويتدلى حتى لا يبقى فيه مفصل إلا وهو منتصب نحو العرش ، ثم عظم الله تعالى حتى لا يكون في قلبه شيء . أعظم من الله عز وجل ويصغر نفسه حتى يكون أقل من النبياء . فإذا رفع رأسه وحمد الله يعلم أنه هو ذا يسمع ذلك ، وإذا سجد فالأدب في سجوده : أن لا يكون في قلبه عند السجود شيء . أقرب إليه من الله تعالى ، لأن أقرب ما يكون العبد عند ربه عند السجود ، فيجب أن ينزله عن الأضداد بإسائه ، ولا يكون في قلبه أجل منه ، ولا أعز منه ، ويتم صلاته على هذا ، ويكون معه من الخشية والهيبة ما يكاد يذوب ، ولا يكون له في صلاته شغلٌ أكثر من شغله بصلاته حتى لا يشتغل بشيء غير الذي هو واقف بين يديه في صلاته ، وكذلك إذا تشهد ودعا وسلم ، كل ذلك يعتل ما يقول ، وما يخاطب ، ولن يخاطب ، حتى يخرج من الصلاة بالعقد الذي قد دخل في الصلاة .

فهذا ما وجدت في كتاب أبي سعيد الخراز رحمه الله .

ورأيت جماعة كانوا يكرهون تطويل الصلاة ، ويحبون التحفيف بإدارة الوسواس حتى يخرج من صلاته على النية والعقد الذي دخل به فيها .

فصل آخر في آداب الصلاة

قل الشيخ رحمه الله تعالى : وذلك أن العبد إذا كان متأديباً بآداب الصلاة ، قبل دخول وقت الصلاة ، فكأنه في الصلاة ، ويكون قيامه إلى الصلاة من حال لا يستنى عنه في الصلاة . وذلك أن من آدابهم قبل الصلاة المراقبة ، ومراعاة القلب من الخواطر والعراض ، وذكر كل شيء غير ذكر الله تعالى ، فإذا قاموا إلى الصلاة بحضور القلب فكأنهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيبقون مع الية والمقد الذي دخلوا به في الصلاة ، وإذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حالهم من حضور القلب ، والمراعاة ، والمراقبة فكأنهم في الصلاة وإن كانوا خارجين من الصلاة فهذا هو أدب الصلاة .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قل ، « العبد في الصلاة ما دام ينظر الصلاة » . فهذا هو الأدب الذي يحتاج إليه المصل في صلاته ، و من انتظر الصلاة قبل الصلاة ، كما وصفت لك إن فهمت ذلك إن شاء الله تعالى .

وقد رأيت من إذا قام إلى الصلاة كان يحمر ويصفر وجهه عند التكبير الأولى من هبة الله تعالى ، ورأيت من كان لا يتهيأ له أن يحفظ العدد ، فيكون يجلس واحداً من أصحابه ويعد عليه كم ركعة صلى : لأنه كان يراني قلبه على ثبات العدد الذي دخل به في الصلاة فكان يخاف الغلط على نفسه لأنه كان لا يدري ما كان صلاها ، فإذ كان يستعين بمن يعد عليه حتى يتيقن كم ركعة صلاها .

وذكر عن سهل بن عبد الله أنه كان يضعف ، حتى لا يلازم سجود من بعده ، حتى إذا دخل وقت الصلاة ترد إليه قوته ، فيقوم في شرب مثل الماء ، فإذا فرغ من صلاته يرجع إلى حاله ضعفه ، ولا يقدر أن يقوم من موضعه .

ورأيت من كان يسافر في البادية على الوحدة ، ولا يترك ورده من التطوع

وصلاة الليل والنضائل والسنن والآداب التي كان يستعمل في الحضر ، فكان يقول : أحرام هذه الطائفة ينبغي أن تكرر في السفر والحضر واحدة .

وكان أخ من إخواني يصطحب في مكان واحد ، فكانت عادته أنه إذا أكل شيئاً يقيم ويصلي ركعتين ، وإذا شرب الماء يقيم ويصلي ركعتين ، وإذا لبس ثوباً يقيم ويصلي ركعتين ، وإذا دخل المسجد يصلي ركعتين ، وإذا أرا الخروج من المسجد يصلي ركعتين ، وكذلك إذا فرح أو غضب يقيم ويصلي ركعتين . وكان جماعة من أصحابنا يسافرون مع أبي عبد الله بن جابان رحمه الله تعالى ، فحدثوني عنه أنه كان إذا بلغ إلى الميل في البادية وأراد التعقب (١) لا يجلس حتى يصلي ركعتين .

ومن آدابهم أيضاً أنهم يكرهون الإمامة والصلاة في الصف الأول ، بمكة وغيرها ، ويكرهون التطويل ، أما الإمامة ، فوأن أحدهم يحفظ القرآن ، فإنهم يختارون الصلاة خلف من يُحسّن أن يقرأ الحمد وسورة أخرى : لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال الإمام ضامن ، وأما ترك الصلاة في الصف الأول فإنهم يريدون بذلك أن لا يزارحوا الناس ، ويضيقوا عليهم : لأن الناس يزدحمون ، ويطلبون الصف الأول : لما جاء في الخبر من الفصيحة فيه ، يريدون بذلك إثباتهم ، وإذا كان الموضع خالياً يفتنمون ذلك الفضل الذي جاء في الصف الأول .

وأما التطويل في الصلاة ، فكما طال الصلاة كثرت الهفوات والوسواس ، ولاشتغال بتصحيح الأعمال أولى من الاشتغال بكثرتها وتطويلها ، وروى عن رسول الله عليه الصلاة والسلام : أنه كان أخف الناس صلاة في تمام .

سمعت ابن علوان رحمه الله يقول : كان الجيد ، رحمه الله ، لا يترك أوراده من الصلاة على كبر سنه وضعفه ، فقليل له في ذلك ، يقال : حال وصلت به إلى الله تعالى : في بدايتي كيف يتبها لي أن أتركه في نهايتي .

(١) في إحدى النسخ تعليقا على هذه الكلمة : أن يعقب بأصحابه .

ومن آدابهم في الصلاة أيضاً: أن للصلاة أربع شعب، حضور القلب في الخراج، وشهود العقل عند الودّاب، وخشوع القلب بلا ارتياب، وخضوع الأركان بلا ارتقاب، لأن عند حضور القلب رفع الحجاب، وعند شهود العقل رفع العتاب، وعند خشوع القلب فتّح الأبواب، وعند خضوع الأركان وجود الثواب، فمن أتى بالصلاة بلا حضور القلب فهو مصليّ لاهٍ، ومن أتاها بلا شهود العقل، فهو مصليّ ساهٍ، ومن أتاها بلا خشوع القلب فهو مصليّ خاطيء، ومن أتاها بلا خضوع الأركان فهو مصليّ جافٍ، ومن أتاها فهو مصليّ وافٍ.

فيذا ما حصرني في الوقت من آدابهم في الصلاة، وبالله التوفيق.

باب ذكر آدابهم في الزكوات والصدقات

قال الشيخ رحمه الله تعالى : أما آدابهم في الزكاة فإن الله تعالى جدّه لم يفرض عليهم الزكاة ، لأنه سبحانه قد زوى عنهم من أموال الدنيا ما يجب عليهم فيه الزكاة والصدقة .

وقد حكى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير رحمه الله أنه قال : نعمة الله تعالى : [عليّ] فيما زوى عني من الدنيا أعظم من نعمة الله تعالى : عليّ فيما أعطاني ، وكذلك أهل التصوف نعمة الله تعالى عليهم فيما زوى عنهم من الدنيا [أعظم من نعمته عليهم] في أعطاهم إن لو أعطاهم من الدنيا شيئاً كثيراً ، وقد قال في ذلك بعضهم :
 وهو من أدب الدنيا :

وما وجبت عليّ زكاة مالٍ وهل تجب الزكاة عليّ كريمٍ

يفتحون بذلك ويقول : لم تجب عليّ زكاة قط ، يريد أنه لم يترك حتى يجتمع عنده ماله يجب عليه فيه الزكاة .

وبلغني عن إبراهيم بن شيبان رحمه الله أنه نفي الشبلي رحمه الله وكان إبراهيم يهوى عن الذهاب إليه ، والوقوف عليه ، واستماع كلامه ، فقال للشبلي رحمه الله ، وأنت [بذلك] أن يمتحه : كم في خمس من الإبل ؟ قال : شاة في واجب الأمر ، وفيها يتزمتا نحن : كلها ، يعني : فيما ندعيه من مذهبنا . فقال له إبراهيم : أنك في هذاهم ؟ قال : نعم ، أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث خرج من ماله كاه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما خانفت لعيالك ؟ فقال : الله ورسوله ، فقدم ، ولم يخش الناس بعد ذلك عنه .

فأما آداب جماعة من المتصوفة في الزكاة : أنهم لا يأكلون منها ، ولا يطلبونها ،

ولا يأخذونها وقد أباح الله تعالى لهم أخذها ، وإن أكلوا منها أكلوا حلالاً طيباً إلا أنهم يريدون بترك ذلك إيثار التقرأ ، وترك المزاحمة للضعفاء وأهل الحاجات .

ويقال : إن محمد بن منصور صاحب أبي يعقوب السري رحمه الله عليهما كان إذا أعطوه شيئاً ، أو حبل إليه شيء من الزكاة والصدقة وكفارة اليمين ، وعلم أنها من هذه الجيات ، لم يأخذها ، ولم يفرقها على أصحابه من التقرأ ، ويقول : شيء للأرضه نفسي ، لا أرضاه لأصحابي ، وإذا حبل إليه ولم يعلم أنه من الزكاة والصدقة أخذها وأكل منها .

وأما الباقون فكانوا لا يرون إلا بسط في مثل ذلك ، ولا يترددون أن يهبوا الطمع وإلى السران وإلى ما يرون فيه المنفعة ، وإن جاشت من غير مسرور فكلوا يتعففون عن ذلك ، وقد بلغني عن بعض إخواننا من الصدوق أنه كان يهين على إخوانه من التقرأ ، تقرأ الصوفية ، في كل سنة ، كزكاة ، التقرأ ، وكان يحاف أنه ما أنفق عليهم ولا دفع إليهم درهم قط من الزكاة وقد أرى من

وحكى عن أبي علي المشعولي أنه كان ينفق على الصدوق ما يعمد به من مصر ، ويقولون : ما لنا لا ينفق بفقته (١) . وتقول : ما لنا لا ينفق بفقته .

وسمعت بعض الأجلة من مشايخ الصوفية وهم يقولون : ما لنا لا ينفق بفقته رجل من الأغنياء مودة مفاكدة ، وكان له في قلوبنا بؤس ، فبذلنا له

(١) لعل العبارة كما يلي ، كان ينفق على الصوفية ما يتعجب منه تجار مصر ، يقولون : أموالنا لا تنفق بفقته .

استمرها في جملة من كان يأخذ الوظيفة [من الجراية
في رمضان .

وقال بعضهم : من أخذ من الله تعالى ، أخذ بجزء
أخذ بذل ، ومن ترك لله عز وجل ترك بجزء ، ومن ترك
شئ من أمره على غير هذا في الأخذ والإعطاء ، فهو على
علم الخاطئ ، من المصيب ، ولا يخفى على الله شئ .

(١) يعني فإنك إن فعلت ورددته فإنما ترده على الله

محمد كبير الدين رازی
١٤١١ هـ



وتصدق من يأخذ الله ويعطى الله ، ويترك الله ، هو أن يستوى عنده المذبح والعطاء والشدة والنعماء .

وطبقة أخرى اختاروا الزكوات والصدقات على الهدايا وانجبت والإيثار والمواساة فقالوا : قد جعل الله تعالى للفقراء حقا في أموال الأغنياء ، فإذا أخذنا أخذنا حقا لله التي جعل الله تعالى لنا ، فلا معنى لتركه ، وقالوا : لا نختر على ما اختار الله تعالى لنا ورسوله ، وقالوا : الامتناع من أخذ الزكاة والصدقة ضرب من تمزيق النفوس وكراهية النقر ، وتدحكي في معنى ذلك عن أبي محمد المرتضى أنه كان في مجلس من أصحابه من الأغنياء والتجار فنظر إلى رجل ومعه خبز تصدق به على المساكين والشهداء وقدمه عليه عليه ، قال : قدم المرتضى من بين أصحابه ، وقصد حمله ، وأخذ من ذلك خبزاً فأتى وجاء ، وحلس ، فسئل عن فاه ذلك ، فقال : خشيت أن لا أفهمه ، وأخذ منه من ذلك الخبز ، أن يجي اسمي من ديوان الفقراء .

وقد روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لا تمل الصدقة على عيني ولا لدى امرأة سوري » فإذنى كره المتصوفة أخذ الزكاة والصدقة من أي امرأة لأن النبي عليه الصلاة والسلام ، قال : « ليس الغني عن فقيرك ، ولا فقيرك عن غني القلب أو القلب .

فربؤلاء وإن كانوا فقراء من أعراض تدبره سعة أسكن من الأمل والطمع بالله عز وجل .

وقد حكى في معنى ما قلنا أن بعض من سبوا الأسياف من بلاد فارس قد دفع إلى أصحابه شيئا من أجل أنهم قد ، ولهم من سبوا من بلاد فارس ، غناه بالله عز وجل .

وفاء : نتمنا أن يكون قول النبي عليه الصلاة والسلام « لا تمل الصدقة على عيني »

ومن وجب علیہ الزکاة یمتاج إلی أربعة أشياء حتی یكون مؤدياً للزکاة :
أوله : أن یكون أحدَ المال من حلال .

والثانی ، لا یكون جمعه للافتخار والتكثرة والترفع علی من یكون دونه فی مال .
والثالث : أن یبدأ بحسن الخلق والسخاوة ، مع الأهل والعیال .

وارابع : مجانبة المن والأذى ، إلی من یدفع إلیه الزکاة .

والزکاة حق النقاء ، قد جعله الله عز وجل فی مال الأغنیاء ، فمن دفعها إلیهم یسكن
قدرة إلیهم ما لهم ، وقد جمع بذلك رضا الله ، عز وجل ، والحلاص من الحساب ،
والنجاة من أليم العذاب .

باب في ذكر الصوم وآدابهم فيه

قول الشيخ، رحمه الله: روى عن النبي: صلى الله عليه وسلم، أنه قال « يقول الله، تبارك وتعالى: الصوم لي وأنا أجزى به » .

فإن قال قائل: ما معنى تخصيص الصوم من بين سائر العبادات، وقد علمت أن جميع الأعمال له، وهو يجزى به، فما معنى قوله: « الصوم لي وأنا أجزى به » ؟ .
فيقول: له، معنيان: أحدهما: أن الصوم تخصيصاً من بين سائر العبادات المنتزعات لأن جميع المنتزعات حركات جوارح، يتبهاً للخلاق أن ينظروا باليد إلا الصوم، فإنه مائة يغير حركة الجوارح .

من أجل ذلك قول، تعالى: الصوم لي .

والعنى الآخر في قوله: « لي » بمعنى أن الصمدية لي، لأن « الصمد » هو الذي لا خوف له ولا يحتاج إلى طعام والشراب، [فمن تخلق بأخلاقه أجزى به ما لا يخضر على قلب بشر] .

وأيضا معنى قوله: « وأنا أجزى به » : فإن الله تعالى، وعد على [جميع] أعمال الحسنة الثواب المعداد من الواحد إلى عشر أمثلها [من العشرة] إلى السبعين إلا الصائمين [والصائمون] : هم الصابرون .

أبو قد قال الله عز وجل: « إِنَّمَا يُؤَكِّفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١) » .

فخرج الصوم من الحسنات العددية وثوابها لأن الصوم هو: صبر النفس عن ما يوقتها، وإمساك الجوارح عن جمع شهواتها، والصائمون هم الصابرون، وقد روى عن معنى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إذا صمت فديصم سمكك

وبصرك ولسانك ويدك» وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يفسق، فإن شتمه إنسان فليقل: إني صائم».

وصحة الصوم وحسن أدب الصائم في صومه، صحة مقاصده، ومباينة شهواته وحفظ جوارحه، وشفاء مطعمه، ورعاية قلبه، ودوام ذكره، وقلة هممه بالضموم من رزقه، ولاة ملاحظته لصومه، ووجهه من تقصيره، والاستعانة بالله [تعالى] على تأديته، فذلك أدب الصائم في صومه.

وحكى عن سهل بن عبد الله التستري رحمه الله، أنه كان ياكل في [كل] ليلة عشرة يوماً مرة، فإذا دخل رمضان لم ياكل فيها إلا أكلة واحدة، فسألت بعض المشايخ عن ذلك فقال: كان ينظر على الماء القراح وحده كل ليلة.

وحكى عن أبي عبيد البصري رحمه الله أنه كان إذا دخل رمضان دخل البيت وسدّ عليه الباب، ويقول لامرأته: اطرحي كل ليلة رغيفاً من كوزة [في] الباب ولا يخرج منه حتى يخرج رمضان، فتدخل امرأته البيت برد الزاؤون رغيفاً موصولة في ناحية البيت.

وأما صوم التطوع، فإن جملة من المشايخ كانوا يصومون في السنة والخمسين يوماً إلى أن لحقوا بالله عز وجل، وكان أجربهم في صومهم ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الصوم حجة» ولم يقل: حجة من أي شيء، وإنما حجة من الصوم حجة في الآخرة من الدنيا، لأن الصوم أحسن ما في الدنيا من الأعمال التي يرضى بها الله عن عباده الذين يدعوهم إلى النار، وشبهه الشيطان، والفسق، والفساد، والظلم، والظلمة، ومن اختار المداومة على الصيام اختار ذلك الجنة، ومن اختار التهاون بالكلية ابتعدوا فرصة فيضه وأبه ويظن حده في الدنيا.

سمعت أحمد بن محمد بن سعيد فاضلي لدمية ريقه قال: سمعت زكريا يقول: ما كنت في المهاجرة بيمض سكك بغداد، فوطئت، فتقدمت إلى باب داره استسقى

فإذا تجارية وقد فتحت باب الدار وخرجت ومعهما كوز جديد ملآن من الماء المبرد فلما أردت أن أتناول من يدها قالت لي: ويحك! صوفي! يشرب بالتهار! وضربت بالكوز على الأرض، واحصرفت. قال رؤوسيم: فنقد استحييت منها، ونذرت أن لا أفطر أبداً.

فإن صاحب اللمع وجماعه أحرى كانوا يمتدحون صوم داود عليه السلام: لما روي في ذلك عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «أفضل الصيام صيام أخي داود عليه السلام كان صوم يوم أو ينظر يوماً» وقد قالوا في معنى قوله «أفضل الصيام»: لأنه أشد الصيام، وزعموا أن هذا الصوم أشد على النفس من صوم الدهر، لأن النفس إذا التفت الصوم مع الدواء، وتعودت، استتد عليها الإفطار، وإذا أنت الإفطار وتعودت شتت عليها الصوم، وهذا الصوم، صوم يوم وإفطار يوم لا تعودت فيه النفس الإفطار ولا الصوم، فذلك قول من قال: إنه أشد الصيام، وقد حكى في (معنى) ذلك عن مهمل بن عبد الله رحمه الله، أنه كان يقول: إذا شبعتم فاطلبوا الجوع من أبلانكم باشبع، وإذا جعمتم فاطلبوا الشبع من أبلانكم بالجوع، وإلا تمديتم وطعمتم.

وكان أبو عبد الله أحمد بن جانان رحمه الله قد صام نيفاً وخمسين سنة لا يفطر في السفر ولا في الحضر، وجهده أصحابه يوماً أن يفطر، فأفطر، واعتل من ذلك أياماً [من الأيام] حتى كاد أن يفترته الفرض.

ومن كره المتداومة على الصيام كره ذلك لأن النفس معتادة، فإذا أتت شيئاً واعتادته يكون قيامها فيه بحفظها لا بحقوقها فالأدب في ذلك أن لا يُجَدِّعَ بينها وبين مألوفاتها وإن كانت عبادة أو حناعة لأن النفس مائلة إلى الحفظ وعاجزة عن الحقوق مجبولة على المنافرة من الطاعات، فإذا أتت باباً من أبواب العبادات أتمها أهل المعرفة بها، وأهل الخبرة والبصيرة بها ومكايدها ووعاها.

وَحكى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنه قال : كان بصحبتى رجل كثير الصوم والصلاة ، فعجبتُ من ذلك ، ثم نظرت في ما كوله فكان من موضع غير طيب ، قال : فأمرته بالخروج من ملكه ، وأخرجته معى في سفر ، فكنت أطعمه الخلال من موضع أعزبه وأرضاه ، قال : فلما صحبني مدة كنت أحتاج أن أضربه بالذرة حتى يقوم فيؤدى الفرض .

فأما الصوفية والنقراء المجردون الذين قطعوا العلايق ، وتركوا المعاملات ، وقعوا بما قسم الله تعالى لهم من الأرزاق ، ولا يدرون أى وقت بسوق الله تعالى إليهم أرزاقهم من الغيب وعلى يد من يبعث الله تعالى لهم ذلك ، فبوقت هؤلاء منهم من أوقات الصائم الذى يرجع إلى معلوم . معبود من الطعام المستعد (١) لإفطاره . حين صاموا فلا يلحتمهم أحد من الصائمين فى الفضل .

ولهؤلاء الفقراء الذين أقدم ذكرهم أيضاً آداب فى صومهم إن صاموا ، فمن آدابهم أن لا يصوم واحد من بين الجماعة إلا يؤذن أصحابه ، لأنه إذا صام واحد من قلوب أصحابه بإفطاره وهم على غير معلوم ، وإن صام واحد من دون الإفطار من أصحابه وحضر المنظر من شئ من الطعام فليس يؤمهم أن ينظروا وقت إفطاره . لأنه ربما يكون فى الجماعة من يكون به حاجة إلى الطعام ، فلو صام فى وقت إفطار الصائم منهم شئ آخر بتركه صومه ، إلا أن يكون مسعياً فينظر من وقت إفطاره لصعته ، أو يكون شيخاً فاجراً مثله ، وليس للصائم أن يفطره بنفسه ويؤخرها لوقت إفطاره ، لأن ذلك ضعف فى حقه ، إلا أن يكون مسعياً فيفعل ذلك لنفسه .

وإذا كانوا جماعة عادتهم بالصوم وفيهم جماعة تدبر الإفطار من مسعياً أو من دعوا هؤلاء المنظرين إلى أحوالهم إلا إن أجهوا هؤلاء مسعياً على الصوم .

(١) قوله : المستعد . الصواب . المعد .

ومساعدة الصائم للمفطر على الإفطار أحسن من مساعدة المفطر للصائم بالصوم إلى أن تقع الصحبة ، فإذا وقعت الصحبة فمساعدة المفطر للصائم بالصيام معهم أحسن .

حكى عن أبي سعيد رحمه الله أنه كان يصوم على الدوام ، فإذا دخل عليه إخوانه أفطر معهم ، ويقول : ليس فضل المساعدة مع الإخوان بأقل من فضل الصوم للصائم [إذ كان متطوعاً] أو كلاماً نحو هذا .

ويقال : إذا رأيت الصوفي يصوم صوم التطوع فاتهمه : فإنه قد اجتمع معه شيء من الدنيا .

وإن كانوا جماعة متراتقين متواخين أشكلاً وبينهم مرید نحووه على الصيام ، فإن لم يساعدهم يهتدوا الإفطاره ، ويتكفروا له رفقاً ، ولا يحملون حاله على أحوالهم ، وإن كانوا جماعة ومعهم شيخ ، يصومون بصومه ، وينفطرون بإفطاره ، إلا أن يمره الشيخ بغير ذلك فاتهم لا يخفون أمره : لأن الشيخ يعلم ما يصلح لهم .

وحكى عن بعض المشايخ الأجلة أنه قال : صمت كذا وكذا سنة لغير الله : وذلك أن شاباً كان يصحبه ، فكان يصوم حتى ينظر إليه ذلك الشاب فيتدب به ويصوم بصيامه .

ورأيت أبا الحسن المكي بالبصرة رحمه الله ، فكان يصوم الدهر ، ولا يأكل الخبز إلا كل ليلة جمعة ، وكان قوته - كما قيل - في كل شهر أربعة دوايق ، يعمل بيده ، يقتل حبل الميف ويدهمها ، وكان قد هجره ابن مدام ، وكان يقول لا أسلم عليه إلا أن يفطر ويأكل [الخبز] لأنه كان قد اشتهر بترك الأكل .

وبلغني عن بعضهم من أهل واسط أنه صام سنين كثيرة فكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس إلا في رمضان ، وقوم "أنكر"وا [عليه] هذا لخالفته العلم وإن كان الصوم تطوعاً ، وقوم كانوا يستحسنون ذلك لأن صاحبه كان يريد بذلك أن يؤدب

نفسه بالجوع ولا يتمنع برؤية الصوم ورؤية الثواب الذي قد وعد الله تعالى للصائمين ولا يسكن إلى ذلك ، وعندى أن الذى أنكرك قد أصاب : لأنه (١) اعتقد الصوم فقد لزمه الوفاء به ، وإن لم يعتقد الصوم فسبيله سبيل المتقلين ، فلا يقل له صائم وبالله التوفيق .

وَحكى عن الشبلى رحمه الله ، أنه قال : لرجل تُحسِن [أن] تصوم الأبد ؟
قال ، فكيف الأبد ؟ قال : تجعل ما بقى من عمرك يوماً وتصومه .

فهذا ما حضرني في الوقت من آداب صرم المتصوفة [والله الموفق للصواب] .

(١) قوله : لأنه اعتقد الخ والصواب لأنه إن اعتقد فقد لزمه الخ .

باب ذكر آدابهم في الحج

قال الشيخ رحمه الله : فأول آدابهم في الحج ، الاهتمام لحجة الإسلام .
والتوجه إليه بأي وجه يجد إليه السبيل والاستطاعة ، وببذل في ذلك موجهه .
ولا يركن إلى سعة العلم وطلب الرخصة في الجلوس عن حجة الإسلام بإعدام الزاد
والراحلة ، إلا أن يقعه عن ذلك فرض لازم : لأن الله عز وجل يقول : والله
على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً (١) ، وقال : « وَأَذِّنْ فِي
النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ كَرِّمًا وَكَرَّيْمًا ، وَرَجُلًا وَرَجُلَانًا ، لِيُؤْذِنُوا لَكَ فِي
شَهْرِ الْحَجِّ الَّذِي دُعِيَ فِيهِ النَّاسُ لَكَ مِنْ قَبْلُ ، وَأَنَّ الْبَيْتَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ »
يأتين من كل فج عميق ، فبدأ بذكر الرجال الذين يشون .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مات ولم يحج حجة الإسلام
مات إن شاء يهودياً أو نصرانياً » ، فمن أجل ذلك لم يسقط عنهم مطالبة الحج وإن
عدموا الزاد والراحلة : لأن من آدابهم أن يتمسكوا بالأحوظ في الفرائض ،
ويأخذوا بالألأم من علم الشريعة ، لأن التعلق بالرخص سبيل العامة ، والأخذ
بالسعة والتأويلات حال الضعفاء ، وذلك رحمة من الله تعالى لهم ، فأما العامة
فقصدهم إلى الحج وشرط العلم الذي يعمله الفقهاء ، والعلماء والخاصة والعامة في ذلك
سواء وهو علم المناسك ، فرائضه وسننه وأحكامه وحدوده .

٢٠٥

وإنما قصدنا أن نذكر آداب من ليس سبيلهم في الحج سبيل العامة وهم على
ثلاثة أصناف :

فصنف منهم ، إذا حجوا حجة الإسلام ، جلسوا واشتغلوا بحفظ أوقاتهم ومراعاة
أحوالهم ، فطلبوا السلامة ولم يتعرضوا للبلاء مما يلحقهم من المشقة في ذلك ، ولصعوبة
آداء فرض الحج وقضاء مناسكها وحفظ حدودها .

سمعتُ ابن سالم يقول : لم يحج سهل بن عبد الله إلا حجة الإسلام ، حج واه ستة عشر سنة ، وكان زادهُ شيئاً من الكبد المشوي المدقوق فكان يستف منه إذا جاء قليلاً ، وكذلك أبو يزيد البسطامي رحمه الله لم يحج إلا حجة الإسلام ، وكذلك الجعيد رحمه الله ، وجماعة من المشايخ الأجلة رحمهم الله لم يحجوا إلا حجة الإسلام ، وحجبتهم في اختيارهم في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحج إلا حجة واحدة .

وطبقة أخرى من مشايخ الصوفية فإنهم لما قطعوا العلائق ، وذرَقوا الأطن ، وهجروا الإخوان ، قصدوا بيت الله الحرام ، وذرَقوا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقطعوا البرادى والبرارى والتفارى وغيرهم من فنقة ولا زاد ، ولا ساكرا على الطريق ولا تعلقوا بمصاحبة الرفيق ، ولا عدوا لأسيال ولا البرد ، ولا طيبوا المسرى ولا المناهل ، ولا تعرجوا على سبب ، ولا التمسوا إلى طاب ، ولا اتقى من الخلق ولا عدا ، ولا اقطع عن تلك المشاهد أثرهم ، وذلك لأن الله عز وجل يقول : «فأما الذين هجروا ما آتيناهم من الكتاب فكلوا مما تركنا لهم ولا يقضون منه وطرا ، ولا يمكن ذكر آداب هؤلاء في معيهم إلا في كتابهم عنهم ، يدل ذلك على آدابهم ، وصحة مقصدتهم وسداد نيتهم وأستقامتهم»

سمعتُ أحمد بن علي التوجيبي يقول : سمعت بعض المشايخ يقول : حجبتهم في اختيارهم في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحجوا إلا حجة واحدة ، وكان زادهُ شيئاً من الكبد المشوي المدقوق ، فكان يستف منه إذا جاء قليلاً ، وكذلك أبو يزيد البسطامي رحمه الله لم يحجوا إلا حجة الإسلام ، وكذلك الجعيد رحمه الله ، وجماعة من المشايخ الأجلة رحمهم الله لم يحجوا إلا حجة الإسلام ، وحجبتهم في اختيارهم في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحجوا إلا حجة واحدة .

وحكى عن أبي تراب النخشي رحمه الله أنه كان يأكل أانه يبعثه ، وأن يبيع ، وأكله بالمدينة ، وكان يدخل مكة وعلى بطنه تمكين من السنين .

وَحُكِيَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَيْبَانَ أَنَّهُ قُلٌ : كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمُغْرَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ
يَدْخُلُ الْبَادِيَةَ وَعَالِيَهُ إِزَارٌ وَرِدَاءٌ أبيضٌ ، وَفِي رِجْلَيْهِ نَعْلٌ طَافٍ كَأَنَّهُ يَمْشِي فِي السُّوقِ ،
فَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ وَفَرَّغَ مِنَ الْحَجِّ أُحْرِمَ مِنْ تَحْتِ الْمِزَابِ ، وَيُخْرَجُ مِنْ مَكَّةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ
وَيَقِيمُ عَلَى إِحْرَامِهِ إِلَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَكَّةَ .

وَسَمِعْتُ جَعْفَرَ الْخَلْدِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : سَلَكَتُ الْبَادِيَةَ وَعَلَى قَمِيصٍ أبيضٍ ،
وَبِيَدِي كَوْزٌ ، وَرَأَيْتُ فِي الْبَطَانِيَةِ الَّتِي فِي وَسْطِ الرَّهْلِ دُكَاكِينَ وَتِجَاراً [كَانَتْ] تَرُدُّ
عَلَيْهِمُ الْقَوَافِلَ مِنَ الْبَصْرَةِ .

وَحُكِيَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَوَاصِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قُلٌ : أَعْرَفْتُ فِي الْبَادِيَةِ تِسْعَةَ عَشَرَ
طَرِيقاً غَيْرَ الطَّرِيقِ الَّذِي يَسْلُكُهُ النَّاسُ وَالْقَوَافِلُ ، طَرِيقَانِ [مِنْهُمَا] يَنْبَغُ فِيهِمَا
الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ .

وَحُكِيَ جَعْفَرُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَوَاصِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ ، أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ فِي الْبَادِيَةِ ، فِي
مَوْضِعٍ مِنْهَا ، جَالِساً مُسْتَجْمِعاً الْمَهْمَ ، وَقَدْ مَضَتْ عَلَيَّ أَوْقَاتٌ لَمْ أَتَنَاوَلْ فِيهَا الطَّعَامَ ،
فَبَيْنَ أَنَا كَذَلِكَ إِذَا [أَنَا] بِالْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَارِئاً فِي الْهَوَاءِ ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُ طَأْطَأَتْ رَأْسِي
وَعَمَّضَتْ بَصْرِي ، وَلَمْ أَنْظُرْ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ جُلُوساً إِلَى جَنْبِي ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَقَالَ
لِي : يَا إِبْرَاهِيمَ ، لَوْ أَعْرَفْتَنِي الطَّرْفَ مَا جِئْتُ إِلَيْكَ .

وَحُكِيَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَيضاً أَنَّهُ قَالَ : خَرَجْتُ فِي بَعْضِ السَّنِينَ مِنْ مَكَّةَ ،
وَاعْتَقَدْتُ أَنَّ لَأَتَنَاوَلُ شَيْئاً إِنْ أَنْ أَدْخَلَ الْقَادِسِيَّةَ ، فَلَمَّا وَافَيْتُ الرَّبْدَةَ وَخَرَجْتُ
مِنْهَا ، فَإِذَا أَنَا بِأَعْرَابِي [بِصِيحٍ] مِنْ وَرَائِي ، فَلَمْ أُعْطِفْ عَلَيْهِ ، فَلَحَقَنِي ، وَإِذَا بِيَدِهِ
سَيْفٌ مَسْلُولٌ ، وَبِيَدِهِ الْآخِرُ قَعْبٌ فِيهِ لَبَنٌ ، وَقَالَ لِي : اشْرَبْ هَذَا وَإِلَّا ضَرَبْتُ
رَقَبَتَكَ ، قَالَ : فَبَقِيتُ [مُتَحَيِّراً] ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهُ وَشَرَبْتُ وَانصَرَفَ عَنِّي ، وَمَا رَأَيْتُ
شَيْئاً آخَرَ حَتَّى دَخَلْتُ الْقَادِسِيَّةَ .

وَحِكَايَاتٌ هَوْلَاءُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَتَبَيَّنَ ذِكْرُهَا [هَاهُنَا] وَفِيمَا ذَكَرْنَا كِفَايَةَ
لِمَنْ عِلْمُ الْمُرَادِ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

و [أما] الطبقة الثالثة من المشايخ الصوفية فإنهم اختاروا المقام بمكة ، والمجاورة بها ، وحبسوا أنفسهم هناك لما حص الله تعالى به تلك البقاع والمشاهد من الفضيلة والشرف ، ولما وجدوا في أنفسهم من التنفر والعجز عن المقام بها ؛ لأنها وادٍ غير ذي زرع كما قال الله ، جلّ وعزّ ، وهو الحجاز ، يحجز عن الشهوات والمذات ، ولا سيما لمن كان قرته في الغيب وررقه مقسوم ورمقه معدوم ، والفس مجبرلة على الاضطراب عند عدم الوفاء بها ، والعبء مُطالب بالسكون تحت الأحكام ، فعند ذلك تبين مقامات الرجل .

ولم في المجاورة آداب يُذكر بعضها في حكاياتهم فيما بلغني ، سمعت أبا بكر محمد بن داود [الدينوري] الدُّقِّي يقول : أقام أبو عبد الله بن الجلاء ، بمكة ثمانية عشر سنة لم يأكل من طعام يحمل إليها من مصر : لأن مصر صوان كان المتقدمون يتورعون عن أكل طعامها وما يحمل منها ، وكان لا يشرب إلا من ماء زمزم يستقي بركوته وحبابه من أجل أن الدلو والحبل المعلق على زمزم يكون من أموال السلاطين .

وسُكني عن أبي بكر الكنتاني رحمه الله أنه حَمَّ اتني بشر أني ختمه في الطواف .

وأقام أبو عمرو الزجاجي رحمه الله بمكة ، على ما بلغني ، ثلاثين سنة غير أن في ثلثي حاجته خرج عن الحرم ، ويعتمر في كل ود ثلاث سنين ، ولا يشرب من ماء زمزم إلا من زمزم ، ومات عن نيف وسبعين سنة .

وسمعت الدُّقِّي يقول : أقيت بمكة سبع سنين ، وسمعت المتقديت أن لأحد من صلاطين في موضع واحد ، فكان يبرأني من الجوع ما إذا رأيت جرة أفول النبي كنت مكان هذا الميت ، قل : وكان يقع في قاي في الوقت يا هذا أنت هذه الدُّقِّي التي

بك لا يعلم بها أحد غير الله ، فكنت أشتغل بذلك ، ويذهب عني ما أجد من الجوع .

ويقول : إن كل من يقدر أن يصبر بمكة على الجوع يوماً وليلاً ، فهو يقدر أن يصبر في سائر الدنيا ثلاثة أيام ، وكانوا يقولون : إن المقام بمكة يغير الأخلاق ويكشف الأسرار ، ولا يصبر على المقام بها على الصحة إلا الرجال .

سمعت أحمد الطرسوسي يقول : سمعت إبراهيم بن شيبان يقول : سمعت إبراهيم الخواص رحمه الله يقول : أقام هاهنا بمكة فتي من الفقراء سنين ، فكنا نتعجب من حسن جلوسه ، وكثرة طوافه وعمرته ، وصيانة فقره ، قال : فجمعت في نفسي أن أحمل إليه شيئاً من الدراهم ، حتى أدخله بذلك ، قال : فحملت إليه دراهم كثيرة وصيبت على طرف خرقه .

قال : فظرت إلى ، ثم أخذ الخرقه وصب الدراهم على الأرض ، وخرج من المسجد ، فما رأيت قطّ أعزّ منه حين صببها وأعرض عنها ، ولا أذلّ منّي حين جلست أجمعها وألتقطها من بين الحصا .

فأما الطبقة الذين سافروا إليها ، وألقوا بما يحقهم من البلاء في القصد إليها ، فلهذين :

أحدهما أن النبي عليه الصلاة والسلام ، قال : « لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، ومسجد إيلياء .

والمعنى الآخر هو أن النفس تدعى أحوالاً في الوطن ، وفي وسط المعارف والمألوفات ، من التوكل والرضا والسكون والتسامح والتفويض ، فإذا فارت الوطن والمعارف تغير أخلاقها ويبطل دعواها .

ويقول سُمي السفر سفرًا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ، فإذا عرفوها ، وعلموا عجزها وضعفها وشرها ، وعابنوا المكملات التي في أنفسهم ، عملوا في تبديل هذه الأخلاق ، ومخالفتها ، ولم يفتروا بدعاؤها ، ولم يأمنوا خدعها وشرها .

وبلغنى أن جماعة أقاموا بمكة فكانوا إذا قام أحدهم إلى الطواف بالنهار يعيدون عليه ذلك ، ويقولون : هو ذى تمرٍّ وتستعدى ، وذلك أنه ربما يتفق في الطواف من يكون يرفق الفقراء ويعطيهم شيئاً ، فكانوا ينتقدون بعضهم على بعض هذه الأحوال .

ومن آدابهم أيضاً أنهم إذا اعتقدوا أن يجزأ أن يوفوا بعهودهم ، وإن أحرم من دون الميقات في غير أشهر الحج أن يوفوا بذلك وإن تلفت في ذلك نفوسهم ، وإذا قصدوا نحو الكعبة لم يعدلوا عن الطريق بعد ما توجهوا إليها ، ولا يقدّمهم عن توجه إليها قلة النفقة ولا شدة الحر والبرد .

سمعت أحمد بن حنبل يقول : كنت قد أوجبت على نفسي الرجوع إلى مكة من الشام وكان البر شديداً ، فتأوت نفسي ، فسأت بها فخران الطير منى من الرخصة في ذلك ، واستعمل اليم ، فقل لي : إذا حنت عليه فأتته في السماء ، فأتت على إشارته ، فخرجت ، فأريت إلا كل خير ، وحببت .

ومن آدابهم أيضاً أنهم إذا دخلوا المدينة أن يسوا لغيرهم في الصلاة [ولا يتيمنون] ، ولا يتركون شيئاً مما كانوا يفترونه من آدابهم ، فطاعتهم ذلك وإن أباح لهم العلم بترك ذلك : لأن الله عز وجل يقول : لا تأخذوا بأسباب الله لأفسدهم مدة معلومة ، ولا يشهدن إلا ما سمعن من الرجال ، فإذا أمرن بشيء من ذلك فاعلموا ، وإذا أمرن بعدمه فامتنعوا ، وإذا أمرن بما ليس من آدابهم بالبدن ، فامتنعوا ، وإذا أمرن بما ليس من آدابهم بالبدن ، فامتنعوا ، وإذا أمرن بما ليس من آدابهم بالبدن ، فامتنعوا .

وحلوا العُتْدَ [واتزروا] وارتدوا فكذلك نزعوا عن أسرارهم الغل والحسد،
وحلوا عن قلوبهم عُقد الهوى ومحبة الدنيا، ولم يعودوا إلى ما خرجوا منه
من ذلك .

ومن آدابهم أيضاً أنهم إذا قانوا : لَبِّكَ اللَّهُمَّ لَبِّكَ لَبِّكَ ، لا شريك
لك أن لا يجيبوا بعد ذلك دعوى النفس والشيطان والهوى بعد ما أجابوا الحق
بالتلبية وأقروا أنه لا شريك له في ملكه ، فإذا نظروا إلى البيت بأعين رؤسهم
نظروا بأعين قلوبهم إلى من دعاهم إلى البيت ، فإذا طافوا حول البيت بأبدانهم
من آدابهم أن يذكروا قول الله عز وجل : « وَتَرَى آلَ لَيْكَةَ حَافِينَ مِنْ
تَحْرِثِ الْعَرَثِ » (١) فكأنهم ينظرون إلى طوافهم ، فإذا صلوا خلف المقام يعلمون
أنه مقام عبدٍ قَدِ وَفَى اللهُ تَعَالَى : بَعْدَهُ ، فندب الله الأولين والآخرين إلى متابعة
خدمه ، واتخذ صلواتهم خلف مقامه ، فإذا استلموا الحجر وقبلوه علموا أنهم هوذا
يجتمعون الله تعالى بإيمانهم ، فمن الأدب أن لا يُهْوَا بعد ذلك إيمانهم إلى مراد
وشهوة فإذا جاءوا إلى الصفا فمن الأدب أن لا يعترض بعد ذلك كدورة لصفاء
قلوبهم ، فإذا هَرُّوا وآلوا بين الصفا والمروة وأسرعوا في مشيهم فمن الأدب أن يسرعوا
بالتفرار من عدوهم ويهربوا من متابعة نفوسهم وهواهم وشيطانهم ، وإذا وافوا إلى
منى ، فمن آدابهم في ذلك أن يتأمنوا للقاء : فلعلهم يصلوا إلى مناهم ، فإذا وافوا
إلى عرفات ، فآدابهم أن يتعرفوا إلى معروفهم ويذكروا أشرفهم وحشرهم وبعثهم
من قبورهم ، فإذا وقفوا فآدابُ الوقوف أن يكون وقوفهم بين يدي سيدهم ، فإذا
وقفوا لا يعرضوا عنه بعد وقوفهم ، فإذا دفعوا مع الإمام إلى المزدلفة فآدابهم أن
يكون في قلوبهم العظمة والإجلال لله تعالى ، فإذا دفعوا مع إمامهم جعلوا الدنيا

(١) الزمر : ٧٥

والآخرة وراء ظهورهم ، فإذا كسروا الحجارة للرَّمي كسروا مع الحجارة إرادات
بواطئهم وشهوات إسرارهم وممكنات أهوائهم ، فإذا ذكروا الله تعالى عند المشعر
الحرام فالأدب عند ذلك أن يكون مصحوبهم تعظيم مشاعرهم وإعظام حرمانها ،
فإذا رموا الحجر رموا بحسن الأدب بملاحظة أعمالهم ومشاهدة أفعالهم ، فإذا حلقوا
رءوسهم فأدبهم أن يحلقوا عن بواطئهم حُب الشاء والمحمدة مع حلق رءوسهم .
فإذا ذبحوا فأدبهم في لذبح أن يبدؤوا بذبح نفوسهم في نفوسهم قبل ذبح ذبيحتهم ،
فإذا رجعوا إلى طواف الزيارة وتعلقوا بأستار الكعبة فمن الأدب أن لا يتعلقوا
بغيره ولا يلوذوا بأحد من خلقه بعد اللياقة والتعلق به ، فإذا رجعوا إلى رمي وأقموا
بها أيام التشريق وحل لهم كل شيء ، فمن الأدب أن لا يخللوا ما حرّموا على نفوسهم
من مخالفة سيدهم ومتابفة حظوظهم ، ولا يكفروا ما صفا من أوقاتهم ، ولا تشكروا
إلا على سعة رحمة الله تعالى بعد قضاء مناسكهم : لأنهم لم يتقنوا بقبول حجبتهم ،
ويستعينوا بالله على أمورهم ، ويستوثقوا إلى الله بأسرارهم وعلائقهم ، فإنه قادر على
كشف ضررهم وخلصهم .

وحكى عن إبراهيم الخواص رحمه الله أنه قال : رأيتُ شيخاً من أهل المعرفة
في البادية ممن كان يشير إلى النوكال عرج على سبب بعد سبعة عشر يوماً ، معه
شيخ آخر ، فلم يقبل ، فخرجوه ولم يعدوه منهم .

وسمعتُ الدثقي يقول : دخلتُ مصر ، فقصدت الزقاق ، فسألت
فقال لي : من أين أقبلت ؟ فقلت : من الحجاز ، فقال لي : حدثني عن حجرتك
نهيتُ في تبة بني إسرائيل سبعة عشر يوماً لم آكل ولم أشرب ، فرأيت من بعيد
خيلاً ، فطلعتُ نفسي ، فلما دتوت ، فإذا بعسكر مع أمير لهم مرّين إلى
قلزم ، فلما رأيت [أنهم] من الجند آتتُ نفسي منهم ، فعرضوا على الطعام
فلم آكل ، والماء فلم أشرب ، فقال لي أميرهم : أنت في حالٍ نزل لك الميمنة

فلم تمتنع من طعامنا؟ فقلت: نحن إذا كنا بين الناس بشرط العلم لا نرضى لأتقنا
أن تبسط إليكم، فكيف تبسط إليكم في [مثل] هذا الوقت وانوقت كله
حقيقة؟ أو كما قال.

وحكي أنه سُئل عن عينه - وكانت إحدى عينيه قد ذهبت - فقال:
كنت تهت في اليد كذا، وكذا يوماً، فكان عليّ مسح، فهاجت عيني،
فكنت أمسحه بالمشح، فسالت، وهو إن شاء الله في هذه السَّنْوَء التي حكاها
من أمير الجند، وهاتان الحكايتان، وحكاية إبراهيم الخواص، وحكاية الدقي
عن أبي بكر الزقاق.

باب في ذكر آداب الفقراء بعضهم مع بعض وأحكامهم

في الحضر والسفر

قال الشيخ رحمه الله تعالى: [قال الجنيّد رحمه الله]: النقر بحر البلا، وبلاؤه كله عزّ. وقال الجنيّد رحمه الله تعالى: علم الفقير إذا قوى ضعفت محبّته، وإذا ضعف قويت محبّته، وحكم الفقير أن يكون فوق محبّته (١)، سمعت الدّقيّ رحمه الله تعالى بدمشق، قال: سمعت أبا بكر الزّقاني رحمه الله بمصر يقول: منذ أربعين سنة أصحاب هؤلاء الفقراء وأعاشرهم فما رأيت قط رقفا لأصحابنا إلا لبعضهم من بعض أو ممن يحبّه، ومن لم يصحبه التقية والورع في هذا الأمر أكل الحرام النصّ (٢)

وحكى عن أبي عبد الله بن الجلاء رحمه الله تعالى، أنه قال: من لم يصحبه الورع في فقرة أكل الحرام النصّ وهو لا يرى.

وحكى عن سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى أنه قال: أدب الفقير الصادق [في فقره] ثلاثة أشياء: لا يسأل إذا احتج، ولا يردّ إذا أعطى، ولا يجلس لوقت ثان إذا أخذ.

وقال غيره: أدب الفقير [الصادق] في فقره ثلاثة: لا يسأل، ولا يعرض، وإن عورض سكت.

وحكى عن سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى أنه قال: النقر في فقره ثلاثة: حفظ سرّه، وأداء فرضه، وصيانة فقره.

(١) يرجع الأستاذ نيكلسون أن هذه الجملة هي و أي لا يكون عالمه فوق محبته.

(٢) في هامش إحدى النسخ، المحض.

وقال الجنيّد رحمه الله تعالى : كل شيء يقدر النقيير أن يعمله إلا صبره على وقته إلى اقضاء مدته .

وحكى عن إبراهيم الخواص رحمة الله تعالى أنه قل : اثنا عشر خصلة من خصال النقراء - يعنى الصوفية - فى حضرهم وسفرهم : أولها : أن يكونوا بما وعدهم الله تعالى مطمئنين ، والثانية : أن يكونوا من الخلق آيسين ، والثالثة : أن ينصبوا العداوة مع الشياطين ، والرابعة : أن يكونوا لأمر الله مستمعين ، والخامسة : أن يكونوا على جميع الخلق مشفقين ، والسادسة : أن يكونوا لأذى الخلق محتامين ، والسابعة : أن لا يدعرا الصيحة لجميع المسلمين ، والثامنة : أن يكونوا فى مواطن الحق متواضعين ، والتاسعة : أن يكونوا بمعرفة الله مشغولين ، والعاشرة : أن يكونوا الدّهر على الطهارة ، والحادية عشر : أن يكون النقر رأس مالهم ، والثانية عشر : أن يكونوا راضين فيما قلّ أو كثر وفيما أحبّوا أو كرهوا عن الله تعالى شيئاً واحداً [راضين عنه] ما كره بن له واثقين به .

وقل بعضهم : من طاب النقر لثواب النقر مات فقيراً . وقل بعض المتصوفة : الفقير إذا كثر عقله ذهبت طيبته .

قال الشيخ رحمه الله : من آداب النقراء الصفة أن لا يقولوا فيما يسوق الله إليهم ، من خير سؤال ولا طمع : دذا لى ودذا لك ، ولا يجرى فى حديثهم : كنت لك ولم تكن لى ، وأفعل كذا عسى أن يكون كذا ، ولا أفعل كذا ، لعل يكون كذا :

وحكى عن إبراهيم بن شيبان رحمه الله تعالى أنه قال : كنا لا نصحب من يقول : نعلى وركوتى .

وقل أبو [عبد الله] أحمد القلانسي رحمه الله [وكان أستاذاً للجنيّد] : دخلت على قوم من النقراء بالبصرة ، فأكرموني ويكلموني ، فقلت لبعضهم [مرة] : ابن إزارى ؟ فقطت عن أعينهم .

وقال إبراهيم بن الموائد الرقي : دخلتُ طرَسرس ، فقبل لي : إنَّ هاهنا جماعة من إخوانك وهم مجتمعون في دار ، فدخلتُ عليهم ، فرأيت سبعة عشر من الفقراء كلهم على قلب واحد ، وقيل لأبي عبد الله أحمد القلانسي رحمه الله : على أيِّ شيء بنيت أصل مذهبك ؟ فقال : على ثلاث خصال : لا نطالب أحداً [من الناس] بواجب حقاً ، ونطالب أنفسنا بمحقوق الناس ، ونلزم أنفسنا التقصير في جميع ما نأني به . وقال غيره : بنينا أصل مذهبنا على ثلاث : متابعة الأمر والنهي ، ومعاينة الفقر ، والشفقة على الخلق .

وقل بعضهم : إذا رأيتَ القير قد انحطَّ من الحقيقة إلى العلم فأعلم أنه قد فسح عزمه وحلَّ عقده .

وقال إبراهيم الخواصَّ رحمه الله : ليس من آداب الفقراء — يعني الصوفية — أن يكون له سبب يرجع إليه متى احتاج ، أو يدان يعمل بهما إذا أراد ، أو تسر يطلب به إذا جاع أو همّة يطرق بها عند الشدائد إلى الناس ، فهذه الخصال ، أسباب وذخيرة لشدائدهم وأرباب .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : إذا لقيتَ القير فألقه بالرفق ولا تلقه بالعلم ، فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه .

باب ذكر آدابهم في الصحبة

قال الشيخ [ابو نصر] رحمه الله : حُكِيَ عن جماعة من المشايخ من إبراهيم ابن شيبان رحمه الله تعالى أنه كان يقول : كنا لا نصحب من يقول فعلى [وركوتي] .

وقال رجل لسبل بن عبد الله رحمه الله : إني أريد أن أصحبك ، فقال له سهل : إذا مات أحد ، فمن يصحب الآخر ؟ (١) فأصعبه الآن ، وقال رجل لذي النون المصري رحمه الله تعالى : من اصحب ؟ فقال : من إذا مرضت عادك ، وإذا أذنبت أب غلبك . وقال بعضهم : كل صاحب تقرب (٢) ؟ قم بنا ، يقول : إلى أين ؟ فليس ذلك بصاحب .

وعن ذي النون رحمه الله أنه قل : لا تصحب مع الله إلا بالواقفة ، ولا مع الخلق إلا بالناصحة ، ولا مع النفس إلا بالخائفة ، ولا مع الشيطان إلا بالعبادة [والمحاربة] .

وقال أحمد ابن يوسف الزجاجي رحمه الله : مثل المصطحبين مثل النورين إذا اجتمعا أبصرا باجتماعهما ما لم يكونا يبصرانه قبل ذلك .

والخلاف أصل كل فرقة ، وهي لطيفة الشيطان في افتراق المتحابين في الله تعالى ، قال أبو سعيد الخراز رحمه الله : صحبت الصوفية خمسين سنة ما وقع بيني وبينهم خلاف ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنني كنت معهم على نفسي .

(١) لعل هنا جملة سقطت ، وربما كانت ، فقال : الله ، فقال سهل

(٢) لعل كلمة : له ، ساقطة من النص .

وقال الجيّد رحمه الله تعالى : لأن يصحبنى رجل فاسق حسن الخلق أحبُّ إلىَّ من أن يصحبنى قارىء سيّء الخلق .

وقال الجيّد رحمه الله : رأيت مع أبي حفص اليسانورى رحمه الله تعالى إنساناً أصلع كثير الصمت لا يتكلم ، فقلت لأصحابه : من هذا؟ فقبل لي : هذا إنسان يصحب أبا حفص ، ويخدمنا ، وقد أنفق عليه مائة ألف درهم كانت له ، واستدان مائة ألف أخرى أنفقها عليه ، ما يسوِّغه أبو حفص أن يتكلم بكلمة واحدة .

وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى : صحبت أبا علي السندي ، فكنت ألقه ما يتيم به فرفضه ، وكان يعلمني التوحيد والحقائق صرفاً .

وقال أبو عثمان : صحبت أبا حفص رحمه الله تعالى وأنا غلام حدث ، فطردني وقال : لا تجلس عندي ، فلم أجعل مكافئتي له على كلامه أن أوتى ظهري إليه ، فانصرفت أمشي إلى خلف ووجهي مقابله ، حتى غبت عنه ، واستدت أن أحمر لفتى برأ على بابه ، وأنزل وأقعد فيه ولا أخرج منه إلا برذنه ، ففكر رأيت ذلك مني قريني وقبائلي وصيرني من خواص أصحابه إلى أن مات :

وسمعت ابن سالم يقول : صحبت سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، ستين سنة ، فلقلت له : يوماً . قد خدمتك ستين سنة ولم ترى يوماً واحداً من هؤلاء الذين يقصدونك ، يعنى البدلاء والأولياء ، فقل : [لى] أأنت هو ذا أتخاطبهم يوماً ؟ أما رأيت صاحب النوبة والسواك الذى كان يمشى يوماً كان منهم :

وقال إبراهيم بن تميم رحمه الله تعالى : كنت أصحب أبا عبد الله المغربي رحمه الله ونحن شباب ، وسافر بنا في البراري والندرات وكان معه شيخ اسمه حسن [كان]

قد صحبه سبعين سنة ، فكان إذا جرى من أحدنا خطأ وتغير عليه الشيخ نتشفع إليه بهذا الشيخ [الذي يسمى حساً] حتى يرجع [لنا] إلى ما كان .

وذكر عن سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى أنه كان يقول لبعض أصحابه يوماً إن كنت ممن يخاف السمع فلا تصحبنى .

قال يوسف بن الحسين [الرازي] قلت لذي النون رحمه الله تعالى : من أصحاب ؟ فقل : من لا تكتمه شيئاً يعلمه الله منك .

وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى إذا صحبه إنسان يشارطه على ثلاثة أشياء : أن يكون الخدمة والأذان له ، وأن يكون يده في جميع ما يفتح الله عليهما من الدنيا كسيده ، فقل له رجل من أصحابه : أما لا أقدر على ذلك ، فقال : أعجبني صدقك . وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى ربما ينظر البساتين ، ويعمل في الحصاد ، ويُنفق على أصحابه .

وقال أبو بكر الکتاني رحمه الله : صحبني رجل ، وكان على قلبي ثقبلاً ، فوهبت له يوماً شيئاً كساءً أو ثوباً على أن يزرل ما في قلبي فلم يزل ، فأخذت به يوماً إلى البيت أو إلى مكان فقلت له : ضع رجلك على خدي ، فأبى ، فقلت له : لا بد من ذلك ، ففعل ، فزال ما كنت أجده في قلبي عليه ، أو كما قول .

قال أبو نصر : حكى لي هذه الحكاية الدُّقى ، وقل : قصدت من الشام إلى الحجاز حتى سألتُ [أبا بكر] الکتاني عن هذه الحكاية .

قل أبو علي الرباطي رحمه الله تعالى : صحبت عبد الله المرزوي رحمه الله : وكان يدنل البادية قبل أن أصبحه بلا زاد ، فلما صحبتته قل لي : أئماً أحب إليك تكون أنت الأمر أو أنا ؟ فقلت : لا بل أنت الأمير ، فقال : وعليك اللطاعة ، فقلت : نعم ، فأخذ مِخْلَافاً ووضع فيها الزاد وجعل على ظهره ، فإذا

قلت له : أعطني حتى أحمله ، يقول : أأست أنا الأمير ؟ فعليك بالطاعة ، قال :
فأخذنا المطر ليلة فوقنا على رأسي [ليلة] إلى الصبأ وعليه كساء ، وأنا جالس
يمنع عن المطر ، فكنت أقول مع نفسي : ليتني متُّ ولم أقل له أنت الأمير . ثم قال
لي : إذا صحبتك إنسان فاصحبه كما رأيتني صحبتك ، أو كما قال .

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى : اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس
الجبارة الغافلين ، والقراء المداهين ، والمنصوفة الجاهلين .

فهذا صحبة بعضهم مع بعض يكون على هذا المعنى الذي ذكرت في الحكايات ،
وفي القليل كناية للعقل ، وبالله التوفيق :

باب ذكر آدابهم عند مجازاة العلم

قال الشيخ رحمه الله : سمعتُ أحمد بن علي الوحيهبي يقول : سمعتُ أبا محمد الجريري رحمه الله يقول : الجلوس للمذاكرة غنق باب الفائدة ، والجلوس للمناجحة فتح باب الفائدة .

وقال أبو يزيد رحمه الله : من لم ينتفع بسكوت المتكلم لم ينتفع بكلامه .
وقال الجيّد رحمه الله : كأنرا يكرهون أن يجاوز اللسان مُعْتَبَرًا القاب
وحكى عن أبي محمد الجريري أنه قال : الإنصاف والأدب أن لا يتكلم ارفع في هذا العلم حتى يـأل .

وقال أبو جعفر الفرّجى صاحب أبي تراب النخشي رحمه الله مكثتُ عشرين سنة لا أسأل عن مسألة إلا كانت متازاتي فيها قَبْلَ قوني .

وقال أبو حفص رحمه الله تعالى : لا يصح الكلام إلا لرجل إذا سكت خاف العقوبة بسكوته ، وقال : جاء رجل إلى أبي عبد الله أحمد بن يحيى الخلاء ، رحمه الله تعالى ، وسأله عن مسألة في التوكل ، وعنده جماعة ، فلم يحبه ودخل البيت ، وأخرج اليهم صرة فيها أربع دوانيق ، وقال : اشتروا بها شيئاً ، ثم أجاب الرجل عن سؤاله ، فقبل له في ذلك فقال : استحييتُ من الله أن أتكم في التوكل وعندى أربعة دوانيق .

وحكى عن أبي عبد الله الحُصْرى أنه قال : قلت لابن يزدانيار ، عند مجازاة العلم ، ما أرى مع الخلق كلهم إلا خبراً عن الغيب فيمكنك أن تكون ذلك الغيب قال : فقال : أعد ما قلت ، قلت : لا أفعل .

وقال إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى : لا يحسن هذا العلم إلا لمن يعبر عن وجدده وينطق به عن فعاه

وقال أبو جعفر الصَّيدلانی سأل رجل أبا سعيد الخراساني رحمه الله ، مسألةً ، وكان يشير في سرانه ، فقل له أبو سعيد : نحن نبلغ مكانك و وافقتك فيما تريد بلا هذه الإشارة ، فإن أكثر الناس إشارةً إلى الله سبحانه أبعدهم من الله تعالى
وقال أبو جعفر رحمه الله تعالى : لو علمت أن علماً [تحت أديم السماء] أشرف من علمنا هذا لسعيت إليه وإلى أهله حتى أسمع منهم ذلك ، ولو علمت أن وقتاً أشرف من وقتنا هذا مع أصحابنا ومشايخنا ومسائنا ومحاراتنا هذا العلم لمهضت إليه .
وقال أبو جعفر رحمه الله : ما عدى عصابة ولا قرم اجتمعوا على علم من العلوم أشرف من هذه العصابة ، ولا أشرف من علمهم ، ولولا ذلك ما جاستهم ، ولكمهم كذا عدى [و] بهذه الصورة .

وقال أبو علي الروذباري رحمه الله تعالى : علمنا هذا إشارة فإذا صار عدو [صار] خفياً .

وقال أبو سعيد الخراساني رحمه الله تعالى : ذكر لي أبو حاتم العطار وقصته ، وحدثني ببصرة ، فرحلتُ إليه من مصر حتى وافيت البصرة ، فدخلت جامع البصرة ، فوجدت به جالساً وحوله جماعة من أصحابه وهو يتكلم عليهم ، فأول شيء سمعته منه يقول : بعد ما نظر إلى الله قال : إنما حانت لي أحد ، وبين ذلك لي أحد ، ومن لي بين الواحد والواحد ، ثم أشار إلى يده قائلاً : ثم قال : أظهر شمالي [و] أشبه ، وعلم على ما ألزمهم ، وغيرهم عن أحضرهم ، فهم به لا عالمون ، ومنه يزيد الجمعون .
وحكي عن أبي جعفر رحمه الله تعالى أنه قال : لو كان منكم من أراد أن يقرأ منزلةً لم يأخذ كل واحد منه إلا حظه عن مقدارها .

وفيما حكى عن النبي (صلى الله عليه وآله) [لأهل بيته] قال : من أحبكم أحب الله ، ومن أحب الله أحبكم من نار من نور ، تعبطكم الملائكة ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : تعبطكم الملائكة . قال : يتحدثون بهذا العلم .

سمعت جعفر الخزاز يقول : سمعت أبي جعفر رحمه الله تعالى يقول : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : من أحبكم أحب الله ، ومن أحب الله أحبكم من نار من نور ، تعبطكم الملائكة .

رحمه الله تعالى ، بلغني أن جماعة يجلسون حولك في الجامع ، قلت : نعم ، هم إخواني
تذاكر العلم ونسفيد بعضنا من بعض ، فقال : هيات يا أبا القاسم صرتُ مُناخاً
للبطلين . وعن الجنيد رحمه الله أنه قال : كان سرى ، رحمه الله تعالى ، إذا أراد أن
يفيدني شيئاً سألني [مسئلاً] ، فقل لي يوماً : ما الشكر [يا غلام] ؟ قلت : أن
لا تعصى الله بنعمٍ أنعم [الله] بها عليك ، فاستحسن ذلك مني ، وكان يستعيده مني
ويقول : كيف قلت في الشكر ؟ أعدهما عليّ [فأعيدها عليه] . قال أبو نصر
ووجدتُ هذه الحكاية بخط أبي علي الروذباري عن الجنيد .

وذكر عن سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى : أنه كان يسأل عن مسائل من
العلم فلا يتكلم فيها ، فلما كان بعد مدة تكلم فيها وأحسن الكلام ، فسئل عن امتناعه
قبل ذلك ، فقال : كان ذو النون في الأحياء ، ما أحببتُ أن تكلم في العلم وهو في
الأحياء : إجلاله [وحرمة] .

وقال أبو سليمان الدراني رحمه الله تعالى : لو أعلم أن بمكة رجلاً يفيدني في هذا
العلم كلمة ، يعني في علم المعرفة ، لحضرتني فيه أن أمشي على رجلي ، ولو ألف فرسخ ،
حتى أسمعها منه .

وقال أبو بكر الزقاق : سمعت من الجنيد رحمه الله تعالى كلمة في الفناء منذ أربعين
سنة هيجتني وأنا بعدُ في غمارها (١) ، سمعت الدقي يقول سمعت الزقاق يقول هذه
الحكاية .

سمعت الدقي يقول : قيل لأبي عبد الله بن الجلاء رحمه الله تعالى : لم سُمي
أبوك الجلاء ؟ فقال : ما كان بجلاء يجلو الحديد ، ولكن كان إذا تكلم على القلوب
جلاها من صدأ الذنوب .

وكان حارث المحاسبي رحمه الله يقول : أعز الأشياء في دار الدنيا علم يعمل بعلمه ،

(١) في هامش إحدى النسخ ، خمار .

وعارف يطق عن حقيقته ، وسمعت ابن علوان يقول : كان السائل إذا وقف على الجنيد رحمه الله تعالى وسأله عن المألة فلم يكن من حله ذلك ، يقول الجنيد : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإذا كرر عليه السؤال يقول : « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١) » .

وحكى عن أبي عمرو الزجاجي رحمه الله أنه قال : إذا جالست شيخاً وهو يتكلم في علم من العلوم ، اشتد بك البول ، فلو بلت في مكانك خير لك من أن تقوم من موضعك : لأ البول يُغسل بالماء ، وما يفوتك من فائدتك في كلامه عند قيامك ، لا تدركه أبداً .

وقال الجنيد رحمه الله ، قلت لابن الكُـرَـيـنـي رحمه الله : الرجل يتكلم في العلم ندى لا يبلغ استعمله عامه ، فأحب إليك ، إذا كان هذا وصفه ، أن يسكت ، أو يتكلم ؟ فأطرق ، ثم رفع رأسه فقال : [إلى] : إن كنت هو فتكلم ، وكان الشيبان رحمه الله يقول : ما ظنك بعلم عظم العلماء فيه تهمة ، وقال سرى السقَطِي رحمه الله تعالى : من تزين بعلمه كات حسنة سيئت .

قال الشيخ رحمه الله : لكل حكاية من هذه الحكايات ، شرح ، واسناد ، وبيان ، ولا يخفى على أهل الفهم إن شاء الله تعالى .

باب ما ذكر من آدابهم في وقت الطعام

والاجتماعات والضيافات

قال الشيخ رحمه الله تعالى : حُكِيَ عن أبي القاسم الجنيد رحمه الله أنه قال :
تنزل الرحمة [من الله عز ذكره] على النُقراء ، يعني الصوفية ، في ثلاثة مواطن :
عند أكلهم الطعام فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة ، وعند مجاراة العلم ، فإنهم لا يتكلمون
إلا في أحوال الصديقين والأولياء ، وعند السماع ، فإنهم لا يسمعون إلا من حق ، ولا
يقومون إلا بوجده .

وقال أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي : قال لي محمد بن منصور
الطوسي ، وقد نزل علينا أبا العباس : أقم عئدا ثلاثاً ، فإن زدت على ثلاثة فهو
صدقة منك علينا ، وذكر عن سري السقطي رحمه الله أنه كان يقول : آه على لقمة
ليس لله على فيها تبعة ، ولا لمخاوق على فيها منة .

وقال أبو علي النور باطلي : إذا دخل عليكم فقير فقدموا إليه شيئاً يأكل ، وإذا
دخل عليكم الفقهاء فسلوهم عن مسألة ، وإذا دخل عليكم القراء فدلوهم على الحراب .

قال أبو بكر السكتاني : قال أبو حمزة : دخلت على سري رحمه الله فجاءني
بفتيت فأخذ يحمل نصفه في قدح ، فقالت له : أيش هو ذا تعمل ؟ أنا أشرب هذا كله
في مرة ؟ فضحك ، وقال : هذا أفضل لك من حجّة ، وكان أبو علي الروذباري ،
رحمه الله ، إذا رأى الفقراء مجتمعين في مكان واحد ، يستشهد بهذه الآية : « وَهُوَ عَلَى
جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ » (١) .

(١) الشورى : ٢٩

وكان أبو علي يقول : إذا اجتمع الفقراء في مكان واحد يكون أوفق بهم ،
ويفتح عابهم ، ويستشهد بهذه الآية : « قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ » الآية (١)

وقال جعفر الخلدی رحمه الله : هذا الأكل بعد الأكل الذي ترون أصحابنا يقال
له الجوع المفرط ، وقال جعفر رحمه الله : إذا رأيت الفقير يأكل كثيراً فاعلم أنه
لا يخلوا من إحدى ثلاث ، إما لوقت قد مضى [عليه] ، أو لوقت [يريد أن]
يستقبله ، أو لوقت هو فيه .

وقال السبلي رحمه الله تعالى : لو أن الدنيا نقمة في فم طفل لرحمت ذلك
للطفل . وقال أيضاً : لو أن الدنيا بما فيها نقمة واحدة أكلتها ، وأدع الخلق بلا
واسطة مع الله تعالى ، وقال بعضهم : أكل الطعام على ثلاثة ، مع الإحسان
بالانبساط ، ومع أبناء الدنيا بالأدب ، ومع الفقراء بالإيثار .

قال الشيخ رحمه الله : ليس هذا من آداب الفقراء ، لأن من آداب الفقراء الجوع
أن لا يكونوا عند الطعام مغتمين ولا مستوحشين ولا متكافين ، ولا يتقدمون
الكثير الردي ، على القليل النظيف الجيد ، ولا يكون لأكلهم وقت معد ، وقد
حضر الطعام فلا يلقمون بعضهم بعضاً ، وإن تمهم فلا يردون . وكان
الطعام الكثير الجافى ، وكما كانوا أشد جوعاً فيكون منهم في الأكل الحسن .
سمعت شيخاً من الأجلة رحمه الله تعالى يقول : نجوت عشرة أيام من الجوع
ثم قدّم إلى الطعام فكنت آكل بصبعين ، فقال لي صاحب الطعام :
السنة وكل بثلاثة أصابع .

وحكى عن إبراهيم بن شيبان ، رحمه الله ، أنه قال : سمعت من سيدنا ما

(١) سبأ : ٢٦ وتكملة الآية ، بيننا بالحق وهو الفتح العليم .

شيثاً بشهوتي ، وكان أبو بكر الكتاني الدينوري ببغداد ولم يكن يأكل شيئاً يكون
سبب إظهاره السرال والمارضة .

وعن الجنيد رحمه الله تعالى أنه قال : من النذالة أن يأكل الرجل بدينه
وقال أبو تراب : عرض عليّ طعام فامتنعتُ من أكله فعوقبت بالجوع
ثلاثة عشر يوماً ، فعلمت أني عوقبت ، فاستنثتُ إلى الله تعالى وتبت .

وكان الجنيد رحمه الله تعالى يقول : بصفاء المطعم والملبس والمسكن يصلح الأمر
كله ، وحكى عن سريّ القَطِيّ رحمه الله أنه كان يقول : أكلهم أكل المرضى
ويومئذ يوم الغرقى ، وقال أبو عبد الله الحصري رحمه الله تعالى : مكثت سنين لا يصلح
لي أن أقول لا أشتهي ، ولا يصلح لي أن آكل :

وحكى عن فتح الموصلي رحمه الله تعالى ، أنه دخل على بشر الخافي رحمه الله
فوجدناه زائراً من الموصلي ، فأخرج بشر درهما وأعطاه لأحمد الجلاء ، وكان يخدمه ،
فقال : مرّ إلى السوق اشتر طعاماً جيداً وأدماً طيباً ، قال : فخرجت ، فاشتريت
خبزاً نظيفاً ، وقلت : لم يقل النبيّ عليه الصلاة والسلام لشيء من الطعام اللهم
برك لنا فيه وزدنا منه إلا اللبن : فاشتريت اللبن واشتريت تمراً جيداً ، وجئت ،
وقدمت إليه ، فأكل ما أكل ، وأخذ الباقي وخرج ، فما خرج قال بشر
لمن كان عنده : هذا فتح الموصلي جاءني يزورني تدرّون لم لم يقل لي : كل
قال : لأنه ليس للضيف أن يقول لصاحب الدار كل ، تدرّون لم قلت : اشتر
طعاماً طيباً ؟ لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر ، تدرّون لم حمل ما بقي ؟
لأنه إذا صح التوكل لم يضر الحمل .

وقيل المعروف السكرخي رحمه الله تعالى : كلُّ من دعاك تمراً إليه !
فقال : إنما أنضيف أنزل حيث أنزلوني .

وحكى عن أبي بكر السكتاني رحمه الله تعالى أنه قال: اجتمع ستة من السنين
ها هنا، يعني بمكة، مقدار ثلثمائة نفس من الفقراء والمشايخ، فكانوا كلهم
في موضع واحد، وكان لا يجري فيما بينهم العلم والمذاكرة، ويكون أخلاف بينهم
ومكارم وإيثار بعضهم مع بعض، وكان أبو سليمان الدراني رحمه الله تعالى يقول:
إذا أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فلا تأكل حتى تقضيها فإن الأكل
يميت القلب. وحكى عن رُوَيْمٍ رحمه الله أنه قال: منذ عشرين سنة لم يخطر بقلبي
ذكر الطعام حتى يحضر.

وسمعت أحمد بن عطاء أبا عبد الله الروذباري يقول: كان أبو علي الروذباري
رحمه الله، اشترى أحمالا من السكر الأبيض، ودعا جماعة من الخلاويين فاتخذوا
من ذلك السكر جدارا عليه شرفات، وفي الجدار محاريب على أعمدة مقوَّسة كلها
من السكر، ثم دعا الصوفية حتى هدموها وكسروها وانتهبوها. وسمعت أبا عبد الله
الروذباري أنه كان يقول: اخذ رجل ضيافة. فوَقَدَ أُنْفَ سَرِجٍ، فقل له رجل:
قد أسرفت، فقال له: ادخل الدار فكل سراج أو قوته. ثم قال: فطاش، فدخل
الدار ليظنهم إذا قدر أن يطفى منها سراجا واحدا وانقطع.

وحكى عن أبي عبد الله الحصري، رحمه الله، أنه قال: سمعت أحمد بن محمد
السلمي يقول: كنت بمكة، وكان لي ثلاثة أيام لم آكل شيئا، فوقع في روع
أجمع النساك ومن باخرام من الفقراء، وأهل الفضل، قال: يا سيدي، أنت
مضربا، وأقبلت الفتوح من كل جانب، فلم يزل على ذلك حتى أتيت مكة
طَلَّ تلك الأيام لم يأكل شيئا.

باب في ذكر آدابهم في وقت السماع والوجود

قال الشيخ رحمه الله ، حكى عن الجنيد رحمه الله تعالى : أنه كان يقول :
السمع يحتاج إلى ثلاثة أشياء ، وإلا فتركه أولى : الإخوان ، والزمان ، والمكان ،
وحكى عن الحارث المحاسبى رحمه الله تعالى أنه كان يقول : ثلاث إذا وجدت
سمع بهن ، وقد فقدناهن : حسن القول مع اللدابة ، وحسن الوجه مع الصيانة ،
وحسن الإخوان مع الأوفاء

وقال أحمد بن محمد بن مقلد رحمه الله تعالى : [لما] دخل ذو النون رحمه الله تعالى :
بغداد اجتمع إليه جماعة من الصوفية ، ومعهم قول بقول : فأستأذنوه بأن يقول :
سنتا بين يديه ، فأذن لهم ، فبدأ يقول :

صغير هوائك عذبني فكيف به إذا أحتنكا
وأنت جمعت من قلبي هوى وقد كان مشتركا
أما كرتي لكتيب إذا ضحك الخليل بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه والدم يطر من جبينه ولا يستطع على الأوض ، قال :
ثم قام رجل من القوم يعني يتراجد ، فقل له ذو النون رحمه الله تعالى : « الذي
يرأك حين تقوم » (١) فأس ذلك الرجل .

قالوا : وسئل إبراهيم المارستاني ، رحمه الله ، عن الحركة عند السماع وتخريق
التيب ، فقال : باغنى أن موسى عليه السلام قص في بني إسرائيل ، فمزق واحد
قميصه ، فأوحى الله تعالى : إلى موسى عليه السلام ، قل له : مزق لي قلبك
ولا تمزق ثيابك .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : ويدكر في باب وصف السماع ، وبيان الوجد تمام هذا الباب إن شاء الله تعالى :

وقد حكي عن الجنيد أنه قال : لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم ، وإنما يضر فضل الوجد مع نقصان العلم ، والمعنى في ذلك ، والله أعلم ، أن فضل العلم يوجب ضبط الجوارح ، عن الحركات ، عند السماع على قدر طاقة المستمع حتى يفيض على جوارحه بعد جهده ، وليس من الأدب استدعاء الحال والتكلم بالقيام ، والفقراء المجرّدون يليق بهم القيام والمطوية من غير تذهب ولا تساكن إلى ذلك ، وتركة أولى بهم ، وليس من الأدب المداخلة والمزاحمة في السماع مع أهل السماء ، والسكون مع حضور القلب والوقوف على مرامي المستعدين ومعانيهم أولى من المداخلة معهم بالتكلم ، وربما يصير التكلم عادةً فيكون ذلك أغاظياً على القارب وأظالمها للوقت ، وكل قلب ملوث بحب الدنيا ، فساعده كسر ، وإن تفت نفسه فيه وذهب روحه .

باب في ذكر آدابهم في اللباس

قال الشيخ رحمه الله : حُكِيَ عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى : أنه لبس قميصاً أبيض ، يعني غسيلاً ، فقال له أحمد : لو لست قميصاً أجودَ من هذا ، أو كما قال ، فقال له : يا أحمد ، ليت قلبي في القلوب مثل قميصي في الثياب ، وحكى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى أنه قال : يلبس أحدم عباءة بثلاثة دراهم ، وشهوته في قلبه خمسة دراهم ، فما يستحي أن تجاوز شهوته لباسه ، وبلغني عنه أنه كان يقول : في قصر الثوب ثلاث خصال محمودة : استعمال الشبة ، والظافة ، وزيادة خرقته .

قال : ودخل جماعة على بشر بن الحارث رحمه الله تعالى ، وعليهم المرقعات . فقال لهم بشر : يا قوم ، اتقوا الله ولا تُظهِروا هذا الزي ، فاكم تعرّفون به وتُكْرَمون له ، فسكتوا كلهم ، فقام شابٌ من بينهم فقال : الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف به ويكرم له ، والله لنُظهِرن هذا لزي حتى يكون الدين كله الله ، فقال له بشر : أحسنت يا غلام ! مثلك من يلبس المرقعة .

وسمعت الوجيهي يقول : سمعت الجريري يقول : كان في جامع بغداد فقير لا تكاد تجده إلا في ثوب واحد في الشتاء والصيف ، فسئل عن ذلك ، فقال : قد كنت ولعتُ بكثرة لبس الثياب ، فرأيت ليلة ، فما يرى النائم ، كأنني دخلت الجنة ، فرأيت جماعةً من أصحابنا ، من الفقراء ، على مائدة ، فأردت أن أجلس معهم ، فإذا بجماعة من الملائكة أخذوا بيدي وأقاموني ، وقالوا لي : هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت فلك قميصان فلا تجلس معهم ، فانتبهت ، فنذرت أن لا ألبس إلا ثوباً واحداً إلى أن ألقى الله عز وجل .

وقال أبو حنص الحداد رحمه الله تعالى : إذا رأيت ضوئاً النقيب في ثوبه فلا ترجُ خيره .

وحكى عن يحيى بن معاذ الرزى أنه كان يلبس الصوف وأُخْلَقَانِ في ابتداء أمره ، ثم كان في آخر عمره يلبس الخزّ وللين ، فقيل ذلك لأبي يزيد رحمه الله تعالى ، فقال : مسكين يحيى ؟ لم يصبر على الدون فكيف يصبر على البخت (١) .

وسمعت طيفور يقول : مات أبو يزيد ولم يترك إلا قميصه الذي مات فيه . وكانت (٢) عاريةً عليه ، فردوه إلى صاحبها ، ومات ابن الكُرَيْبِي ، وكان أستاذ الجَنَيْدِ رحمه الله ، وعليه مرقعته ، فكان فرد كُمِّه وتُخَارِيْزِه عند جعفر الخُدَيْدِي فيه ثلاثة عشر رطلا كما بلغني :

ويقال إن أبا حفص النيسابورى ، رحمه الله ، كان يلبس قميصاً خزاناً ، وشيئاً فاخرة وكان له بيت فرش فيه الرمل .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وآداب النقراء في اللباس ، أن يكونوا مع الوقت ، إذا وجدوا الصوف أو اللبد أو المرقعة لبسوا ، وإذا وجدوا غير ذلك لبسوا ، والفقير الصادق أيسر ما ليس يحسن عليه ، ويكون عليه في جميع مدينتي الجلالة ومناجرتي ، ولا يتكلم ولا يختار ، وإذا كان عليه فصل يواسي من ليس معه ، ويؤثر على نفسه إخوانه بإسقاط رؤية الإيثار ، ويكون الخلق من أحب إليه من الجديد ، وينبذ بالثياب الكثيرة الجيدة ، ويضمن بالحريقت الخلق القليلة ، ويتكلم للظفر والطهارة ، وإن أخذت في ذكر ما يجب في هذا الباب يطول وفي ذلك ما لا يحصى .

(١) في نسخة أخرى : البخت

(٢) قوله : وكانت . الصواب أن يقال : وكان لأن . القميص مذكور ليس بمؤنث

باب في ذكر آدابهم في أسفارهم

قال الشيخ رحمه الله تعالى : حُكِيَ عن أبي عليّ الروذباري ، رحمه الله تعالى ، أنه جاء إليه رجل ، وكان عزمُهُ أن يسافر ، فقال : يا أبا عليّ تقرُّ شيئاً ؟ فقال : بافتي ، كانوا لا يَتَمَعُونَ عن مَوْعد ، ولا يفترقون عن مشورة .

قيل : وسئل رُوَيْمٍ رحمه الله تعالى ، عن أدب المسافر في سفره إذا أراد أن يسافر ، فقال : لا يَجُوزُ هَمُّهُ قَدَمُهُ ، وحيث ما وقف قلبه يكون منزله .

سمعت هذه الحكاية عن عيسى النصار الدينوري قال : سألت رُوَيْمًا .

وحُكِيَ عن محمد بن إسماعيل أنه قال : كُنَّا نَسافر منذ عشرين سنة ، أنا وأبو بكر الزقاق وأبو بكر الكتّاني رحمه الله عليهم ، لا نختلط بأحد من الناس ، ولا نعاشر أحداً ، فإذا قدمنا [إلى] البلد ، إن كان فيه شيخ سامنا عليه وجالسناه إلى الليل ، فإذا جاء الليل رجعنا إلى مسجد ، فيقدم الكتّاني فيصلّي من أول الليل إلى أن يُصبح ، ويختم القرآن ، ويجلس الزقاق مستقبل القبلة ، وأنا متفكر إلى أن نُصبح ، ثم يصلي كلنا صلاة الغداة بوضوء العتمة ، فإذا وقع معنا إنسان ينام كُنَّا نرى أنه أفضلنا .

وقال أبو الحسن المزين رحمه الله تعالى : حكم الفقير أن يكون كل يوم في منزل ، ولا يموت إلا بين منزلين . وفيما حُكِيَ عن المزين الكبير رحمه الله أنه قال : كنت يوماً مع إبراهيم الخراس رحمه الله ، في بعض أسفاره ، فإذا عقرب يسعي على فخذه ، فقلت لأقلمها ، فمغنى من ذلك وقل لي : دعها ، كل شيء مفتقر إلينا ، واسنا مفتقرين إلى شيء .

وكان الشبلي ، رحمه الله تعالى ، إذا نظر إلى من يسافر من أصحابه ، ويرى تقطُّبهم في أسفارهم يقول : ويلكم ! أبدًا مما ليس منه بد .

وَحكى عن أبي عبد الله النصيبي ، رحمه الله تعالى ، قال : سافرت ثلاثين سنة ما خَطْتُ قط خرقة على مرقعتي ، ولا عدلت إلى موضع علمت أن فيها رفقًا ، ولا تركت أحدًا يحمل معي شيئًا .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : ليس من آدابهم أن يسافروا للدوران والنظر إلى البلدان وطلب الأرزاق ، وإن كان يسافرون إلى الحج والجهاد (١) ، وبقاء الشيخ ، وصلة الرحم ، ورد المظالم ، وطلب العلم ، وبقاء من يقيدون منهم شيئًا في علوم أحوالهم أو إلى مكان له فضل وشرف ، ولا يتركون في أسفارهم شيئًا من أخلاقهم وأورادهم التي كانوا يعملونها في الحضر ، ولا يغتيمون قصر الصلاة ، ويفطر شهر رمضان ، وإذا كان جماعة يمشون يمشى أضعفهم ، ويخدمهم لأشفق عليهم ، وإلا جلس واحد لقضاء حاجة وقتوا لقراغه ، وإن تخلف (٢) واحد انتظروه ، وإن عمز أحدهم عن المشي أو اعتل أقاموا عليه ، وإذا دخل وقت الصلاة لم يبرحوا من موضعتهم حتى يصلوا ، إلا أن يكون معهم ماء أو يقرب منهم الماء ، وهذا حال الضعفاء .

وأما حال الأقوياء ، فكما قال إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى : ما هبني شيء قط إلا رَكِبته .

وكما سئل أبو عمران رحمه الله عن الجزع والمعجز الذي يقع في السفر في سفره

(١) يعتقد كثير من الناس أن الصوفية لا شأن لهم بالناحية العملية قط ، ويسرنا هنا ، أن نذكر هؤلاء ، أن الصوفية كانت لهم جولات موفقة في الحروب وكانوا يبيعون أنفسهم لله ، مجاهدين صابرين وها هو الموافق يبه إلى أن من أغراض الصوفية في أسفارهم : الجهاد . (٢) قوله : وإن تخلف : الصواب . تخلف .

فقال : إذا خفتَ عليه فألقه في اليم ، يعني : لا تبال أي شـ ما لحقك بعد ما تكون متوجهاً إلى الله تعالى وهو أبو عمران الطبرستاني .

وقال أبو يعقوب السوسي رحمه الله تعالى : يحتاج المسافر في سفره إلى أربعة أشياء ، وإلا فلا يسافر : علم يسوسة ، وورع يحجزه ، ووجد يحمله ، وخلق يصونه .
وقال أبو بكر الكتاني ، رحمه الله : إذا سافر الفقير إلى اليمن ، ثم رجع إليه مرة أخرى ، هجروه ، وتأمرُوا بهجرانه .

ويقال : إنما سُمي « السفر » سفراً ، لأنه يُسفر عن أخلاق الرجال .
فيذا ما حضرني من آدابهم في أسفارهم . وبالله التوفيق .

باب في ذكر آدابهم في بذل الجاه والسؤال والحركة

من أجل الأصحاب

قال الشيخ رحمه الله تعالى : سمعت جماعة من أصحاب الشيخ أبي عبد الله الصبيحي يقولون : لا يصح المقر للفقير حتى يخرج من الأملاك ، فإذا خرج من الأملاك يتولد له جاه من ذلك ، فينبغي أن يبذل جاهه حتى لا يبقى له جاه ، فإذا بذل جاهه بقي عليه قوة نفسه فيبذل ذلك ، يعني نفسه ، لأصحابه بالخدمة لهم والحركة في أسببهم . فعند ذلك يصح له المقر . سمعت أبا عبد الله الروذباري يقول : دخل المظفر القرميسي الرملة ومعه السيد ، وكان لهما جاه عظيم عند أغنياء البلد ، فما زالوا يبذلون جهتهم وينفقون على الفقراء حتى لم يبق لهم جاه عند أحد ، وكان لا يعطيهم أحد شيئاً بسؤال ولا بدكين ولا برهن ، فعند ذلك كان يطيب رقتهم وقيل لإبراهيم بن سليمان رحمه الله : أيش حال مظفر القرميسي الخرقان والسؤال والخدمة لأصحابه ، قال : رفع قدمي في التوبة لله فلا يريد أن يتأخر عن قدمي ورفع الله تعالى .

وكان بعض الصوفية يعتقدون أن كل شيئاً لا يزال المال ، فمثل عن ذلك ، فقال : اخترت ذلك أشدة كراهية نفسي ذلك ، ودخل شيخ من أشعة الشيوخ بلداً ، فرأى فيه مريداً قد أجابته بسد لكل شيء من الطلقات والعمومات والمقر والتقل ، وكان قد تولد له من ذلك قبول عند العامة ، فقال له قوم الشيوخ لا يصح لك جميع ما أنت فيه إلا أن تُكسدي الكسب من الأرباب الذين لا يفترون غيرهم ، فصعب ذلك على المرید وسعجز عن ذلك ، فمات في ذلك الحال . والحاجة ، فكان يرى أن ذات عقوبة تخافه ذلك الشيخ في يومه .

قال أبو نصر رحمه الله تعالى : كان هذا الشيخ أبو عبد الله بن المقري ، والشيخ

لذي أمره بالسؤال أبو عبد الله السجزي رحمه الله .

وبلغني عن شيخ من الأئمة أنه كان يصوم ويطلب لإفطاره كسراً من الأبواب ولا يأكل غيرها شيئاً إلى وقت إفطاره من الميلة الثانية ، فظن به رجل ، فوضع بين يديه طعاماً فلم يأكل منه ، وفارق ذلك الموضع الذي عُرف به ، ولم يرجع إليه بعد ذلك .

وحكى عن ممشاذ الدينوري أنه كان ربما ربما يقدم عليه جماعة من إخوانه من الفقراء ، فكان يدخل السوق ويجمع في حجره كسراً من الدكاكين ، ويحمل إليهم .

وحكى عن بنان الحمّال أنه قال ما علمت قط بأبي صفتان إلا مرة واحدة ، رأيت فقيراً يصوم النهار ، ويخرج بعد المغرب إلى السوق ، ويأخذ من كل دكان رقمة ، فإذا سد رمة رجع إلى موضعه ، فأخذته معي ليلة ، وكنت آخذ من الناس الخبز الكثير والمحم والحلواء والقواكه وأدفع إليه حتى اجتمع معه من ذلك شيء كثير ، فلما أراد أن ينصرف ، قال لي : يا شيخ ، أنت صاحب شرطة ؟ فقلت : لا ، أنا بنان الحمّال ، فرمى جميع ما كان معه في وجهي ، وقال لي : يا صفتان ، هذا الذي تفعله أبت إنما يفعله عندنا صاحب الشرطة لا المشايخ ، كل من تقول له : هات فيعطيك ما تريد .

وحكى عن بعض المريدين ، وطلب شيئاً لأصحابه وأكل معهم ، فأنكر عليه جماعة من المشايخ أكله معهم ، وقالوا : خدعتك نفسك وطلبت لنفسك ، ولو كنت طلبت لأصحابك وبذلت جاهك لهم لم تأكل معهم .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وحكم من يفعل ذلك أن يترك ذلك إذا صارت عادته ، وسكنت إلى ذلك نفسه ، ومن سأل الضرورة لم يأخذ إلا مالا بدله من ذلك فإن أعطوه الكثير فيأخذ منه حاجته ويخرج الباقي .

والأكل بالسؤال أجمل من الأكل بالمقوى ، والنقير إذا اضطر إلى السؤال فكفارته صدقة ، ومر على بعض المشايخ أيام^١ ولم يأكل شيئاً ، وكان في بلد غريبة حتى كاد يئس ، ولم يسأل ، فقيل له في ذلك ، فقال : منعى عن السؤال قول النبي صلى الله عليه وسلم : لو صدق السائل ما أفصح من ردّه ، وكرهت أن يردني مسلم فلا يفصح أقول النبي صلى الله عليه وسلم .

باب في ذكر آدابهم إذا فتح عليهم شيء من الدنيا

قال الشيخ رحمه الله : أبو يعقوب السُّرْجُورِي رحمه الله تعالى : سمعت أبا يعقوب السوسى رحمه الله تعالى ، يقول : جاءنا فقير ، ونحن بأرجان ، وسهل بن عبد الله رحمه الله تعالى يومئذ بها ، فقال : إنكم أهل العناية ، فقد نزلت بي محنة ، قال سهل بن عبد الله رحمه الله : في ديوان الحن ، وقعت منذ تعرضت لهذا الأمر ، فما هي ؟ قال : فتح لي شيء من الدنيا ، فاستأثرت بها في غير ذي محرم ، فنقدت إيماني وحالي ، فقال سهل لأبي يعقوب رحمه الله تعالى : أأيش تقول في هذا ؟ قال : فقلت : محنته بحاله أعظم من محنته بإيمانه ، فقال سهل : مثلك يقول هذا .

وحكى عن خير النساء رحمه الله تعالى ، قال : دخلت بعض المساجد وإذا فيه فقير من الفقراء ، وكنت أعرفه ، فلما رأني تعلق بي ، وبكى ، وقال لي : أيها الشيخ ، تعطف علي ، فإن محنتي عظيمة ، فقلت : يا هذا وما محنتك ؟ قال لي : فقدت البلاء وقورنت بالعافية ، وأنت تعلم أن هذه محنة عظيمة ، قال : وكان قد فتح عليه شيء من الدنيا .

وقال أبو تراب النخشي رحمه الله تعالى : إذا توافرت النعم على أحدكم فليبتك على نفسه فإنه سلك به غير طريق الصالحين .

وسمعت الوجيبي رحمه الله تعالى يقول حمل إلى بنان الحمال ألف دينار ، وصبوه بين يديه ، فقال للذي صبه : ارجع وخذ ، ووالله لولا ما عليه من كتابة اسم الله تعالى لبنت عليها ، هو ذا يغرر بي بهريقه . قال : وفتح لابن بنان رحمه الله تعالى أربعة درهم ، وهو شحم ، فوضعه ، عند رأسه ، فرأى في المنام كأن قائلا يقول : من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أعى الله تعالى قلبه ، فاتبه فأخذ منها دنانير وترك الباقي .

وسمعت ابن علوان رحمه الله تعالى يقول حُبل إلى الحسين النورى رحمه الله
ثلثمائة دينار ، قد باعوا عقر رأسه ، فجلس على قنطرة الصّراة وهو يحذف بواحد واحد
منها إلى الماء ، ويقول : سيدى تريد أن تخدعنى عمك بهذا .

وحكى جعفر الخلدى رحمه الله تعالى ، قال : كان ابن زيرى من أصحاب الجنيد
رحمهما الله تعالى ، وكان قد فُتح عليه شيء من الدنيا ، فانقطع من الفقراء ، فاستقبلنا
يوماً وفى كفه منديل فيه دراهم كثيرة ، فلما رأنا من بعيد قال : يا أصحابنا ، إذا
كنتم أنتم متعززين بالفقر ، ونحن متعززون بالغنى ، فمتى نلتقى ؟ قال : ثم رمى إلينا
بجميع ما كان فى كفه .

وقال أبو سعيد بن الأعرابى : كان فتى يصحب أبا أحمد النخلاسى رحمه الله ،
ثم غاب عنه مدة ، ثم رجع من سفره وقد فُتح عليه شيء من الدنيا واجتمع عنده
مال ، فقلنا لأبى أحمد : تاذن لنا أن نزوره ؟ فقال : لا ، فإنه كان يصحبنا على البقر ،
ولو بقى حاله ، كان ينبغي لنا أن نزوره ، فإذا رجع من سفره على هذه الحالة فيجب
عليه أن يزورنا .

وحكى أبو عبد الله الحصرى رحمه الله تعالى ، قال : مكث أبو حنص حده
رحمه الله بالرملة ، وعليه خرقتان ، وفى وسطه أثب دينار ، وهو يكث اليد من
والثلاثة والأربعة وأبى أن يأكل منها ، وهو يواسى الفقراء منهم إلى أن من
عن آخرها .

وقال الحصرى رحمه الله تعالى ، خرجت مع الشيبى فى أيام التجار من
أصبهان ، فدنا منى على إنسان فأعطاه دراهم كثيرة ، قال : فجدت منى منى
ملاى من الدراهم ، فبكت تقيماً لإنسان من الفقراء أعطاه به حتى لم يبق إلا القليل
فقلت له : يا سيدى ، الصبيان فى البيت جوع ، فقال لى : أليس أعمل لأهلك
الجيد حتى اشتريت شيئاً من الكسب والخبز يساقى من الدار ، وسأله
إلى صباه .

وحكى عن أبي جعفر الدراج رحمه الله تعالى ، قال : خرج أستاذي يوماً يتطهر ، فأخذت كفه ففتشته ، فوجدت فيه شيئاً من الفضة مقدار أربعة دراهم ، فتحيرت في أمره ، وكان لنا أوقات لم نأكل شيئاً ، فلما رجعت قلت له : كان في كفك كذا ونحن جياعٌ ، قال : هاه أخذته ، رُدّه ، ثم قال لي بعد ذلك : خذ واشتر به شيئاً ، فقلت بحق معبودك ما أمرُ هذه الفضة ؟ فقال : لم يرزقني الله تعالى شيئاً من الدنيا [لا] صفراء ولا بيضاء غيرها ، فأردت أن أوصي أن تدفن معي فإذا كان يوم القيامة أردّها إلى الله تعالى ، أقول : هذه الذي (١) أعطيتني من الدنيا ، أو كما قال قال ودفع وزير المعتضد مالاً إلى أبي الحسين النوري ، رحمه الله تعالى ، حتى يفرقه على المتصوفة ، فصبه في بيت وجمع صوفية بغداد فقال لهم : كل من يحتاج منكم إلى شيء فليدخل البيت وليأخذ حاجته منه ، فكان يأخذ الرجل مائة درهم ، والآخر أكثر والآخر أقل ، ومنهم من لا يأخذ شيئاً ، فلما فئت الدراهم ، ولم يبق شيء قال لهم : بُعدكم من الله تعالى على مقدار أخذكم من الدراهم ، وقرّبكم من الله تعالى على مقدار ترككم لها .

(١) قوله : الذي . الصواب أن يقال : التي

باب في ذكر آداب من اشتغل بالمكاسب والتصرف

في الأسباب

قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : قال مهمل بن عبد الله رحمه الله : من طعن على
الاكتساب فقد طعن على السنة ، ومن طعن على التوكل فقد طعن على الإيمان .

ومثل الجنييد رحمه الله عن الكسب ، فقل يستقي الماء ويلقط الوبى .

وكتب إسحق المغازلي رحمه الله تعالى ، وكان من أحد المشيخ ، إلى بشر بن
الحارث رحمه الله تعالى ، وكان بشر يعمل المغازل ، فكان في كعبه : ياغنى عنك
أنك استغنيت عن أمر معاشك بعمل هذه المغازل ، أرأيت إن أخذ الله تعالى سمك
وبصرك الملتجأ إلى من ؟ قال ، فترك بشر ذلك العمل واشتغل بالعبادة .

ومأل رجل ابن سالم ، بالبصرة ، رحمه الله تعالى ، وأنا حاضر في مجلسه ، وكان
يتكلم في فضل المكاسب . فقال له : أيها الشيخ ، نحن مستعدون بالكسب أم
بالتوكل ؟ فقال ابن سالم : التوكل حال ارسول ، والكسب سنة ارسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وإنما استن لهم الكسب لعله يضعفهم ، حتى إذا سقطوا عن درجته
التوكل التي هي حاله لا يسقطوا (١) عن درجة طاب المعاش التي هي سنته ، ولا
ذلك لهلكوا .

وحكى عن عبد الله بن المبارك أنه كان يقول : لا حين فيمن لا يسقط
ذل المكاسب .

وكان عبد الله بن المبارك يقول : مكاسبك لا تموت من الموت والموكل
إذا لم تضعهما في كسبك ، ويقال : إن أبا سعيد الخراساني رحمه الله ، خرج سنة

(١) قوله . لا يسقطوا . الصواب . لا يسقطون .

من الستين من الشام إلى مكة مع القافلة ، فجلس ليلة إلى الصباح يخرز نعال أصحابه من الفقراء والصوفية .

وقال أبو حفص رحمه الله تعالى : تركت الكسب مرة ، ثم عارذته . ثم تركت الكسب ، فلم أعاود إليه بعد ذلك .

وحكى عن بعض الفقراء أنه كان بدمشق رجل أسود ويصحب الصوفية . وكان يمر كل يوم يدق الجص بثلاثة دراهم ولا يأكلها إلا في ثلاثة أيام ، فإذا أخذ الأجر ، يشتري به طعاماً [ما] ، ويجىء إلى أصحابه ، ويأكل معهم كفاً ، ويرجع إلى عمله .

وحكى عن أبي القاسم المنادى رحمه الله تعالى ، أنه كان يخرج من منزله ، فإذا كان وقع في يده مقدار دانقـين يرجع من الطريق إلى منزله أى وقت كان .

وحكى عن إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى ، [أنه] كان يقول : إذا خرج المرید على الأسباب بعد ثلاثة أيام فالعمل في المكاسب ودخول السوق أولى به .

وحكى عن إبراهيم بن أدهم أنه كان يقول : عليك بعمل الأبطال ، الكسب من الحلال والنفقة على العيال .

قال أبو نصر رحمه الله تعالى : ومن اشتغل بالمكاسب فأدبه أن لا يشتغل عن أداء الفرائض في أوقاتها ، ولا يرى رزقه من ذلك ، وينوى بذلك معاونة المساكين ، وينصفهم ، فإذا فضل شيء من كسبه ونفقة عياله ، لا يجمع ، ولا يجمع ، وينفق على إخوانه من الفقراء الذين ليس لهم معاش ولا معلوم ولا سؤال ، لأنه

وإن امتحن بذلك ، فهو واحد منهم ، وكذلك هؤلاء الذين ليس لهم علاقة إذا فتح عليهم شيء ساعدود ، ويهتمون بأسبابه أكثر من اهتمامهم بأنفسهم .

وحكى عن أبي حفص الحداد رحمه الله تعالى ، أنه كان أكثر من عشرين سنة يعمل في كل يوم بدينار ، ويُنفقه عليهم ، يعني للصوفية ، ولا يسأل عن مسألة ويصوم ، ثم يخرج بين العشاءين فيتصرف من الأبواب .

وقال الشبلي رحمه الله : أيش حرقتك؟ فقال: خرازم ، فقال له : نسيت الله تعالى بين الحرز والخرز (١) .

وقال ذو النون رحمه الله تعالى : إذا طلب العارف المعاش فهو لا شيء . والله تعالى أعلم .

(١) قوله : بين الحرز والخرز . الأظهر أن يقال : بين الخريزة والخرزة

باب في أداء الأخذ والعطاء ، وإدخال الرفق على الفقراء .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : أخبرني جعفر الخدي ، رحمه الله ، قال : سمعت
الجديد ، رحمه الله تعالى ، يقول : سمعت سري السقطي ، رحمه الله تعالى ، يقول :
أعرف طريقاً مختصراً إلى الجنة : لا تسأل أحداً شيئاً ، ولا تأخذ من أحد شيئاً ،
ولا يكون (١) معك شيء تعطى أحداً .

وحكى عن الجديد ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : لا يصح لأحد الأخذ حتى
يكون الإخراج أحب إليه من الأخذ .

وقال أبو بكر [أحمد] بن حمويه صاحب الصبيحي رحمه الله تعالى : من أخذ
لله أحد بجزء ، ومن ترك لله ترك بجزء ، ومن أخذ بغير الله أخذ ببدل ، ومن ترك بغير
الله ترك ببدل .

سمعت أحمد بن علي الوجهي يقول : سمعت الزقاق يقول : استقبلني يوسف
الصبيح بمصر و معه كيس فيه دراهم ، فأراد أن يناولني ، فرددت يده إلى صدره ،
فقال : خذها مني ولا تردها علي ، فلو علمت أني أملك شيئاً أو أني أعطيك شيئاً
ما أعطيتك هذا .

سمعت أحمد بن علي يقول : سمعت أبا علي الروذباري رحمه الله تعالى يقول : ما رأيت
أحسن أدباً من ابن ربيع الدمشقي في إدخال الرفق على الفقراء ، وذلك أني بت
عنده ليلة ، فشكيت عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : علامة القبر
الصادق أن لا يسأل ولا يرُد ، ولا يجبس ، فلما أردت أن أفارقه ، حمل معه شيئاً
من الدراهم ، ووقف على الجانب الذي حملت ركوتي ، وقال لي : كيف حكيت
عن سهل الحكاية ؟ فلما حكيت له الحكاية ، وقالت له : لا تسأل ولا ترد ، فطرحها
في ركوتي ، وانصرف .

(١) قوله : ولا يكون . سياق الكلام يقتضي أن يقال : ولا يكن بالجزء عطفاً على ما قبله

وقال أبو بكر الزفاق رحمه الله تعالى : ليس السخاء أن يعطى الراجدُ المُعْدِمُ ،
إنما السخاء أن يعطى المُعْدِمُ الواجدَ .

وحكى عن أبي محمد السُرْتَعِش ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : لا يصلح الأخذ
عندي حتى تقصد من تأخذ منه فتأخذ له لالك .

وحكى عن جعفر الخلدي ، عن الجنيد رحمه الله تعالى أنه قال : ذهبت يوماً
إلى ابن الكُرَيْبِي ومعي دراهم أريد أن أدفعها إليه ، وكان عندي أنه لا يعرفني ،
وسألت أن يأخذ ذلك فقال : أنا عنه مستغن ، وأنى أن يأخذ مني ، فقلت له : إن
كنت [أنت] عنها مستغنياً فما رجل من المسلمين أسرُّ بأخذك لها فتأخذها لإدخال
السرور على ، فأخذها مني .

وذكر عن أبي القاسم المنادي ، رحمه الله تعالى ، أنه كان إذا رأى دخاناً
يخرج من [بيت] بعض جيرانه ، فيقول لبعض من يكون عنده : مر إلى
هؤلاء فقل لهم : أعطوا من هذا الذي تطبخون ، فقال له قائل : نعمى يسجنون
الماء ، فقال : مر إليهم ، لأى شيء يصلح هؤلاء الأغنياء غير أن يعطوا شيئاً
ويشفعوا لنا في الآخرة .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : حمت دراهم إلى حسين بن المصري ، وكانت
امراته قد ولدت ، وهم في الصحراء ، وليس لهم جار ، فإني أن يقبلها مني ،
فأخذت الدراهم ، ورميت في الحجرة التي كانت فيها المرأة ، وقلت : أنت
هذه لك ، فلم يكن له حياة فيما نعت .

وسئل يونس بن الحسين ، رحمه الله تعالى ، إذا راحت رجلي في الله ،
فخرجت إليه بكل مالي ، هل أكون قائماً بعتقه فيما ملكني الله تعالى ، قال :
أنسى لك بما ألزمتك من ذلِّ الأحماء واستدركات من عجز الإسطا ، إذا كان في العطاء
رفعة وفي الأخذ مذلة .

باب في آداب المتأهلين ومن له ولد

قال الشيخ رحمه الله تعالى : قال أبو سعيد بن الأعرابي : كان سبب تزويج أبي أحمد القلانسي ، وائمه مصعب بن أحمد ، أن شاباً من أصحابه خطب ابنة لصديق لأبي أحمد ، فلما حضر وقت عقد النكاح امتنع الشاب واستحيا من ذلك الرجل الذي كان يزوجه بابنته ، فلما رأى ذلك أبو أحمد قل : ياسبحان الله يزوج رجل بكرمته فتمتنع عليه ، فاعقدوا النكاح على أبي أحمد وقبل رأس أبي أحمد ، قال : ما علمت أن لي عند الله تعالى من المقدار أن يكون لي مثلك ختن ، وما علمت أن لابنتي عند الله تعالى من المقدار أن يكون لها مثلك زوج .

قال أبو سعيد : بقيت عنده ثلاثين سنة وهي بكر ، أو كما قال .

وحكى عن محمد بن عليّ القصار ، رحمه الله تعالى ، أنه كان له أهل وولد ، وكانت له بُنية ، وكان جماعة من أصدقائه عنده يوماً فصاحت الصبية يارب السماء زريد الركب ، فضحك محمد بن عليّ وقال : قد أدبتهم بذلك حتى إذا احتاجوا إلى شيء يطلبون من الله تعالى ولا يطلبون مني .

وسمعت الوجيبي يقول : كان لبنان الحلال رحمه الله تعالى أولاده فربما كان يجيء أبه ويقول : يا أبي ، أريد خبزاً ، وكان يصفعه ويقال : مرّ كدّ مثل أهلك وقال : وحاء يوماً قل : يا أبي ، إني أريد مِشمشاً ، قل : فأخذ بيده وجاء به إلى من يبيع المِشمش وقال له : ادفع إليه مِشمشاً بقيراط حتى أصبح على مِشمشك إلى أن تبعه ، فدفع إليه الرجل ، ووقف بنان يصيح : يا أيها الذم اشتروا من هذا الصغير المذا الذي يفنى ولا يبقى ، فما لبث طويلاً حتى باع الرجل مِشمشه كله .

وحُکى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أنه قال : إذا تزوج النقيير فمثلُه
مثل رجل قد ركب السفينة ، فإذا وُلد له قد غرق ، وهذه الحكاية تُعرف لسفيان
الثوري رحمه الله تعالى .

وحُکى عن بشر بن الحارث ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : لو دفعتُ إلى الاهتمام
بمؤنة وحاجة ما أمنتُ على نفسي أن أصبحُ شرطيًّا ، وكان لأبي شعيب البرائي
كوخٌ ، فمرّت به امرأة من أبناء الديناء فقالت له : إني أريد أن أتزوج بك
وأخدمك ، فخرجت من جميع ما كانت تملكه ، وتزوج بها أبو شعيب ، فلما
أرادت أن تدخل الكوخ نظرت إلى قطعة خُصاف فقالت : ما أنا بداخله حتى
تُخرجها ، أليس سمعتك تقول : تقول الأرض لابن آدم تجعل [اليوم] بيني وبينك
شيئًا وأنت غداً في بطني ؟ فما كنتُ لأجعل بيني وبينك حجابًا ، فأخذ الخُصاف
وأخرجها فرمى بها ، ثم قال : ادخلي ، فدخلتُ فمكثنا يتعبدان في ذلك المكان
سنين كثيرة ، حتى توفيا وهما على تلك الهيئة .

قال الشيخ رحمه الله : وليس من آداب من تزوج ، أو كان له ولدٌ ، أن يركل
أمر عياله إلى الله تعالى ، ويجب عليه أن يقوم بفرضهم . إلا أن يكونوا مثله في
الحال ، وليس من آدابهم أن يتزوجوا ذوات البسار . ويدخلوا في رفق نسبهم .
ومن أدب النقيير أن يتزوج بنقيرة مُقيلة ، وأن ينصفها ، وإن رغبت فيه أمه عليه
أن لا يرتفق منها .

وحُکى عن فتح الموصلي ، رحمه الله تعالى ، أنه أحد يومًا صابٌ له فتاةٌ ،
فتح : سمعتُ هاتفاً يقول : يا فتح ، ألا تستحي أن تحبَ معنا غيرنا ؟ فقال : نعم
ولداً لي بعد ذلك .

فإن قول قائل قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولاد وكان يقبّلهم ويضع يدهم
ويضمهم إلى صدره ، وقال الأقرع بن حابس لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله .

إلى عشرة من الولد ما قبّلتُ واحداً منهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : من لا يرْحَمَ لا يُرْحَمَ ، يقال لقائل هذا القول : قد أبعدت القياس ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام إمام الخلق إلى يوم القيامة ، ومصحوبه العصمة وقوة البوة وأنوار الرسالة في جميع الأشياء ، لا يأخذ منه الأشياء ، ولا يكون في الأشياء بخظه : لأن جميع حركاته تأديبٌ للغير من أمته ، وهؤلاء ليس لهم تلك القوة ولا ذلك التخصيص ، وإذا لاحظهم بعنايته يغار عليهم أن يدعهم أن يلتفتوا بخواطهم إلى من سواه .

باب في ذكر آدابهم في الجلوس والمجالسة

قال الشيخ رحمه الله تعالى : حُكِيَ عن سريّ السقَطِيّ رحمه الله تعالى أنه كان يقول : الجلوس في المساجد حوائث ليس لها أبواب .

وُسئِلَ سريّ عن المروءة ، فقال : صيانة النفس عن الأذناس ، وإنصاف الناس في المجالسة ، فإن زاد كان متفضلاً .

وقال بعض المشايخ : النقيير ينبغي له أن تكون سجّادته على أليتيه ، يعني من كثرة الجلوس .

وَحُكِيَ عن أبي يزيد رحمه الله أنه قال : قمت ليلة أصلي ، فعبيت ، فجلست ومددت رجلي ، فسمعت هاتفاً يقول : من يجالس المنوك ينبغي له أن يحسن الأدب .

وعن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أنه قال : تربعتُ مرة فبُتِفَ بي هاتفاً هكذا تجالس المنوك ؟ فما تربعت بعد ذلك أبداً .

وقال إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى : رأيت فقيراً له جِئسة حسنة ، فنقدمت إليه ومعى دراهم ، فصبتها في سجره ، فقال : اشتريت هذه الجلسة بمائة ألف درهم ، تريد أن أبيعها بهذا ؟ .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى : مجالسة الخائفين تسمى البيع ، ورواه الأضداد تمنع الذوق .

وسمعت الوجيبي يقول : رأيت ابن مائة للهطار الديوري ، وقد تبرّم وليس له ، فقلت تجالس مثل هذا ؟ فقال ابن مملوكة : لا تمكن مارقته :

ويقال : إذا أشكل عليك أمرٌ أخيك فاعتبره بجليسه .

قال : وكان حسن القزّاز رحمه الله تعالى له أخذٌ فكان يكثر الجلوس بالليل ، فسئل عن ذلك ، فقال : بُني هذا الأمر على ثلاثة أشياء : أن لا نأكل إلا عن فاقة ، ولا نتكلم إلا عن ضرورة ، ولا ننام إلا عن غلبة .

وقال جعفر : كان الجنيد رحمه الله تعالى يقول : لو علمت أن صلاة ركعتين أفضل من جلوسى عندكم ما جالسْتُكم .

باب في ذكر آدابهم في الجوع

قال الشيخ رحمه الله تعالى : قال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى : لو علمت أن الجوع يباع في السوق ما كان ينبغي لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره .

وقال : الجوع على أربعة أوجُه : للمريدين رياضة ، وللتائبين تجربة ، وللزهاد سياسة ، وللعارفين مكرمة .

قال وكان سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى كلما جاع قوى ، وإذا أكل شيئاً ضعف .

وقال سهل رحمه الله تعالى إذا شبعتم فاطلبوا الجوع ممن ابتلاكم بالشبع ، وإذا جعتم فاطلبوا الشبع ممن ابتلاكم بالجوع وإلا تماديتم وطغيتم .

وقال أبو سليمان رحمه الله : الجوع عنده في خزائن مدخرة لا يعطيه إلا لمن يحبب خاصة

وسمعت ابن مسلم يقول كلاماً في معنى أدب الجوع : أن لا ينقص من غذائه إلا مثل أذن السَّنور ، فقات له : قد حكيت بالأمس ، وقيل ذلك عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى ، أنه كان لا يأكل الطعام . فقلت : من أين كان سهل رحمه الله تعالى لا يترك الطعام ، وإن كان له ما يقره ، به كان يرد على قلبه ما يأخذه ويشغله عن أكل الطعام .

وسمعت عيسى القصار رحمه الله يقول : من أدب الجوع أن يكون الفقير ، وقد للجوع في وقت الشبع ، حتى إذا جاع يكون الجوع أيسره .

وسمع شيخ من المشايخ رجلاً من الصوفية يقول : أنا جائع . فقال له : كذبت ،
ف قيل له : لم قلت ذلك ؟ فقال : لأن الجوع سرٌّ من سرِّ الله تعالى ، موضوع في
خزائن من خزائن الله تعالى ، لا يرضه عند من يُفشيهِ .

قال : ودخل [رجلٌ] من الصوفية على شيخ ، فقدم إليه طعاماً ، فأكله ، فقال له :
مذ كم لم تأكل الطعام ؟ قال : مذ خمس ، فقال : ليس بك جوع النقر ، جوعك
جوع منخل ، عليك ثيابٌ وأنت تجوع ؟ أو كما قال .

باب في ذكر آداب المرضى في مرضهم

قال الشيخ رحمه الله تعالى : سمعت بعض أصحاب ممشاذ الدينوري يحكي عن ممشاذ رحمه الله تعالى : أنه اعتلَّ علةً شديدةً ، فدخل عليه أصحابه عائدين له ، فقالوا : كيف تجدك ؟ قال : لا أدري ، ولكن سألوا العلة كيف تجدني ، فقالوا له : كيف تجد قلبك ؟ فقال : قد فقدت قلبي منذ ثلاثين سنة .

وسمعت محمد بن معبد البانياسي يقول : رأيت الكردي الصوفي رحمه الله تعالى ، وقد اعتلَّ ، فبعد ستة أشهر ، وكان قد وقع الدود في موضع من بدنه ، فإذا وقع منها دودة ردها إلى موضعها .

ودخل ذو النون علي مريض من أصحابه يعودده فقال [له] : ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه ، فقال المريض : ليس بصادق في حبه من لم يتأذى بضربه .

وكان سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى ، إذا مرض أحد من أصحابه يقول له : إذا أردت أن تشكي فقل : أوه ، فإنه اسم من أسماء الله تعالى ، يستروح إليه المريض ، ولا تقل له : أوح ، فإنه اسم من أسماء الشيطان .

وسمعت أبا بكر أحمد بن جعفر الطوسي بدمشق يقول : كان باني يعقوب النهر جوري رحمه الله تعالى : وجع في بطنه سنين ، وكانت نخسة في جوفه ، وكان يقول : أعرف دواءه بقيراط فضة يذهب بهذه العلة ، ولكن لا يداوه ، فخرج من الدنيا ، فسألت عن ذلك بعض المشايخ فقال : كان الكافي ، فكان لا يداويه من أجل النهس .

ومرض الثوري رحمه الله تعالى ، مرضه ، فتخلف عن عيادته رجل من أصحابه ، ثم أتاه فجعل يعتذر إليه ، فقال له : لا تعتذر ، فقل من اعتذر إلا كذب .

وكان بسهل ابن عبد الله رحمه الله تعالى : البوامير الظاهرة ، فكان يحتاج أن يتوضأ لكل صلاة ، وكان يقول : أعرف له دواءً بهيراط ، ولم يداوه إلى أن خرج من الدنيا ، فالت عن ذلك فقلوا : كان لا يداويها حتى لا تنكشف عورته ولا ينظر إلى عورته أحد .

ويقال : إن بشرأ الحافي رحمه الله تعالى : مرض مرضه ، فدخل عليه الطبيب ، فأخذ بشر يصف للطبيب ما به ، فقيل له : يا أبا نصر ، أما تخشى أن تكون هذه شكايه ، فقال ، لا ، إنما أخبره بقدرة القادر [علي] .

ووجدت في كتاب أظنه بخط جعفر الخلدی رحمه الله قال : اعتل أبنفسيد رحمه الله تعالى : علة شديدة ، فكان يقول : ليس إلا ما قال ذو النون رحمه الله تعالى : يا من يشكر ما يهب هب لنا ما نشكر ، وربما كان يقول : هذا غذاؤهم من كل شيء ، يحضره .

باب في آداب المشايخ ورفقهم بالأصحاب وعطفهم عليهم

قال الشيخ رحمه الله تعالى : حُكِيَ عن أَلْجَنِيدِ ، رحمه الله تعالى ، أنه كان يقول لأصحابه : لو علمت أن صلاة ركعتين أمضت من جلوسي معكم ما جلست عندكم .

وَحُكِيَ عن بَشْرِ الحَافِي ، رحمه الله تعالى ، أنه كان قد تمرّس في يوم شديد البرد وهو يتنفض ، قلنا له : يا أبا نصر ما هذا ؟ فقل : ذكرتُ الفقراء وأن ليس لهم شيء ، ولم يكن لي ما أواسيهم به ، فأحببت أن أراسيهم بنفسى .

وسمعت الدُّقِّي يقول : كنت بمصر ، وكنا في المسجد جماعة من الفقراء أُجلوس ، فدخل الزقاق ، فقام عند أسطوانة يركع ، فقلنا : يفرغ الشيخ من صلاته ونقوم ونسلم عليه ، فقام وجاء إلينا ، وسلم علينا ، فقلنا : نحن كنا أولى بهذا من الشيخ ، فقال : ما عذب الله تعالى قلبى بهذا قط .

وسمعت الوجيهي يقول : سمعت الجريري يقول : وافيت من الحج ، فابتدأت بالجنيد رحمه الله تعالى وسلمت عليه ، وقلت : حتى لا يتعسى ، ثم أتيت منزلي . فلما صليت العداة التفت فإذا بالجنيد رحمه الله تعالى : خلفي ، فقلت : يا سدى . إنما ابتدأت بالسalam عليك لكي لا تتعنى إلى هاهنا ، فقال لي : يا أبا محمد ، هذا والله وذاك فضل لك .

وقال أبو سعيد بن الأعرابي : كان شاب يعرف برفيع الصنيع ، وكان لأبيه نعمة ، فانتطع إلى الصوفية ، وصحب به أحمد القلاسي ، فأنما كان يعيبه ألى أحمد شيء من الدراهم فكان يشتري له الخافى والسواد والخندان ويؤثره عليه .

وعن جعفر الخالدي قال : [دخل] رجل إلى الجنيّد رحمه الله تعالى ، فأراد أن يخرج من ملكه كته ويحلس معهم على النقر ، قال : فسعدت الجنيد رحمه الله تعالى يقول له : لا تُخرج كل ما معك ، احبس مقدار ما يكتفيك ، وأخرج النضل ، وتقوّت بما حبست ، واجتهد في طلب الخلال ، لا تُخرج كما عندك ، فاستؤمن عليك أن تطابك نفسك والبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يعمل عملاً أثبتته .

سمعت الوجيبي يقول : سمعت أبا علي الروذباري رحمه الله تعالى يقول : كنا في البادية جاعة ، ومعنا أبو الحسن العطوفى ، فربما كانت تلحقنا الناقة وتظلم علينا الطريق فكان أبو الحسن يصعد تلاً ويصيح صياح لذئاب حتى يسمع كلاب الحى فينبحون ، فيمر على صوتهم ، ونحمل إلينا من عندهم دعونة .

وقال أبو سعيد الخزاز رحمه الله تعالى : دخلت الرملة ، فذهبت إلى أبي جعفر القصاب ، فبت عنده ، ثم خرجت من الرملة إلى بيت المقدس ، فجاء إلى بيت المقدس خلفى وقد حمل معه كُسيرات وقال : اجعلنى في حِلٍّ . كانت هذه في البيت ولم أدر .

باب في ذكر آداب المريدين والملتدئين

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وجدت في كتاب أبي تراب السخشي ، رحمه الله ، الحكمة جند^ه من جنود الله تعالى يقوى بها آداب المريدين .

وحكى عن الجنيدي ، رحمه الله تعالى ، أنه قد سأله بعض الفقراء أو بعض الشيوخ ، فقال له : يا سيدي ، ما للمريدين في مجازاة الحكايات ؟ فقال : الحكايات جند من جنود الله تعالى ، يقوى بها قلوب المريدين ، قال : فقلت : هل في ذلك شاهد من كتاب الله تعالى ؟ فقال : نعم ، قال : « وكلا تقصصنا عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » (١) وقال يحيى : الحكمة مرؤحة قلوب المريدين تروح عنها وهمج الدنيا .

وحكى عن ميثاق الدينوري ، رحمه الله تعالى ، أنه كان يقول : إن عيني لتقر بالفقير ، [الصادق] وإن قلبي ليفرح بالمريد المتحقق . وقال أبو تراب رحمه الله تعالى : رياء العارفين إخلاص المريدين .

وقال أبو علي ابن الكاتب رحمه الله تعالى : إذا نفع المرید إلى الله تعالى : بكلية ، أول ما يقبده الله تعالى الاستغناء به عن سواه .

وسئل الشبلي رحمه الله عن المرید إذا وقعت به أخيرة ، فقال : أخيرة من وجهين ، حيرة تقع من شدة خوف اقتراف الذنوب ، وحيرة تقع من التعلق^ه بالتعظيم للقلوب .

وقال الشبلي رحمه الله تعالى : كنت في أول بدني إذا شئت المرید أن تتحل بالملح ، فإذا زاد على الأمر أحميت الميل فالتحل به .

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى : من آداب المرید ، وعلامة حيدف إرادته ،

أن يكون الغالب عليه الرقة والشفقة والتلطف والبذل ، واحتمل المكاره كلها عن عبده وعن خلقه حتى يكون لعبيده أرضاً يسعون عليها ، ويكون للشيخ كالابن البار ، وللصبي كالأب الشفيق ، ويكون مع جميع الخلق على هذا ، يتشكى بشكواه ويغتم لمصائبهم ، ويصبر على أذاهم ، فإن هذا مراد الله تعالى من المرادين الصادقين : أن يعطفوا على الخلق من حيث عطف الله تعالى عليهم ويتأدبوا بآداب الأنبياء والصديقين ، وآداب أوليائه وأحبابه حتى ترفع الحجب التي بينه وبين الله تعالى ، فما دام هو متمسكاً بهذه الآداب ، ومتخلقاً بهذه الأخلاق ، ويكون مستعيناً في ذلك بالله : متوكلاً على الله عز وجل راضياً عنه .

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى : شغلُ المرید في قلبه ، إقامة الفرض ، والاستغفار من الذنب ، وطلب السلامة من الخلق .

وسئل يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى : ما علامة المرید ؟ فقال : تركُ كل حديط لا يريد ، مثل ما يريد ، وأن يسلم منه عدوه كما يسلم منه صديقه ، وعلامة المرید وجدانه في القرآن ككل ما يريد ، واستعمال ما يعلم ، وتعلم ما لا يعلم وترك الخوض فيما لا يعنيه ، وشدة الحرص على إرادة النجاة من الوعيد مع الرغبة في الوعد ، والتشاغل بنفسه عن غيره .

وقال أبو بكر البارزى رحمه الله تعالى : إذا سلك المرید الهولَ في أول قدم فلا نبالي ، فإنه ابن يلقاه بعد ذلك إلا راحة .

باب في ذكر آداب من يتفرد ويختار الخلوّة

قال الشيخ رحمه الله تعالى : حُكِيَ عن بشر الخافي ، رحمه الله تعالى ، أنه كان يقول : لَيْتَنِي اللهُ تَعَالَى عِنْدَ [خَلْوَاتِهِ] ، وَلَيْلِزِمَ بَيْتَهُ ، وَلَيْسَكُنْ أَيْمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَامَهُ .

سمعت الدقي يقول : سمعت الدرّاج يقول : كان أبوالمسيب رجلاً كبيراً ، وكان يتفرد في المسجد الشعثة ، فصادفُ ليلة في مسجد ، فقالت له : من أين أنت ؟ فقال لي : أنا من كل مكان ، فقلت : من كان من كل مكان فأين علامته ؟ قال : لا يستوحش من شيء ، ولا يستوحش منه شيء ، قال : فحملتُ إياه الشبلي رحمه الله تعالى ، فنظر إليه ، وقال : ليس هذا من دواب الإصطبل وإلا فأين سمته ؟ قال : فصاح الشبلي رحمه الله تعالى ، واطمّ وجهه ، وهمام وهو يقول : عدى والله . إن كان من دواب الإصطبل فأين سمته ؟

وسئل الجنيّد رحمه الله تعالى عن الخيرة ، فقال : إن السلامة مصاحبة لمن (١) كمل السلامه فترك الخلقه وترك النجاج إلى ما أوجب العزم مفارقة .

وحكى عن أبي يعقوب السرميني ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : لا يفتخر إلا بقوى عليه إلا الأفرياء ، من الرجال ، ولأشبه الأجرع أبع ، يعنون (٢) بعضهم بروية بعض .

وسمعت أبا حفص عمر الخطاط رحمه الله تعالى يقول : رأيت يوماً رجلاً من العلماء أعلم رحمه الله تعالى بأطباكيه [يقول] : طولت شهراً أن لا أرى رجلاً من اثنين سنة ، فسئل عن ذلك فقال : كنت ستين سنة أهدى من أهدى من الناس ، فلما انفردت ودخلت الألكام إذا كنت أن أهدى إلى أهدى مني الذي كان يهدى بين الناس لم يهدأ لي ، فوقع في قلبي أني ما آست بالله تعالى بعد ما كنت رؤيت .

(١) قوله : لمن . لأصح أن يقال : من .

(٢) قوله : يعنون . لعل الصواب : يعلمون .

وأقمتُ هناك عشر سنين حتى صفالي في الخلوة أورادي كما كانت تصفوا لي في الأوقات التي كنت بين المعارف .

وحكى عن إبراهيم الخواص ، رحمه الله تعالى ، أنه رأى رجلا في البادية حسن الأدب حاضر القلب ، فسأله ، فقل : كنت أعمل بين الناس والمعارف في التوكل والرضا والتفويض ، فلما فارقتُ المعارف لم يبق معي من ذلك ذرة ، فجئت حتى أطلب نفسي ها هنا بدعاويها إذا انفردت عن المعلومات والمعارف .

باب في ذكر آدابهم في الصداقة والمودة

قال الشيخ رحمه الله تعالى : قال ذو النون رحمه الله تعالى : ما بُعد الطريق إلى صديق ، ولا ضاق مكان من حبيب . وسمعت أبا عمرو وإسماعيل بن نجيد يقول : سمعت أبا عثمان يقول : لا تثق بمودة من لا يحبك إلا معصوماً .

وفيا حكى جعفر الخلدي عن ابن السكّ رحمه الله تعالى ، أنه قال له صديق : الميعاد بيني وبينك غداً نتمت ، فقال له ابن السكّ رحمه الله تعالى : [بل] بيني وبينك غداً نتغافر ، ويقال : إن كل مودة يزداد فيها باللقاء فهي مدخولة في المودات .

وسئل عن حقيقة المودة فقال : هي التي لا تزداد بانبر ولا تنقص بالانفناء . وهذه الحكاية عن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى . وقال بعضهم : الإعراض عن الصديق إبقاء على المودة .

قال أبو العباس بن مسروق رحمه الله تعالى ، فيا بلغني : وفي هذا سنة عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله لأبي هريرة رضي الله عنه : رز غيباً تزداد حبه وقيل ليحيى بن معاذ رحمه الله تعالى : كيف حالك ؟ فقال : كيف حال من يكون عدوه دأؤه وصديقه بلاؤه ؟

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : لقد كنت أرى أقواماً تجزئني منهم الطرة فهي زادي من الجمعة إلى الجمعة .

وقال بعض الشيخ : إذا صح لي مودة أخ فلا أبالي متى تميمته .
وعن الووي ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : الصديق لا يتركك في العدو ، ولا يحسب له شيء .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : إذا كان لك صديق فلا تسره فبك بما يكرهه .
وعن جعفر الخلدي قال . سمعت أبا محمد المغازلي رحمه الله تعالى يقول . من أراد أن تدوم له المودة فليحفظ مودة إخراجه القدمات .

باب في ذكر آدابهم عند الموت

قال الشيخ رحمه الله تعالى : بلغني عن أبي محمد الهروي ، رحمه الله تعالى أنه قال : مكثتُ عند الشَّلي ، رحمه الله تعالى ، ليلة غداة التي مات فيها ، فكان يقول طرل الليل هاتين البيتين :

كُلَّ بَيْتٍ أَنْتَ سَاكِدُهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى السَّرْجِ
وَجُحُكِ الْمَأْمُورِ حُجْنَا يَوْمَ يَأْتِي النَّاسُ بِالْحَبَجِ

وحكى عن ابن الفَرَّاحي ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : رأيت حول أبي ثعلب النخشي رحمه الله تعالى ، أصحاب مائة وعشرين ركوة ، فما مات منهم على الفقر إلا نفسان قول بعضهم . أحدهما ابن الجلاء ، والآخر أبو عبيد البُسرِي .

وورد على قلب ابن بنان المصري ، رحمه الله شيء ، فهم على وجهه ، فلتحقوا ، في وسط متاهة بني إسرائيل في اربل ، ففتح عينيه ، ونظر إلى أصحابه ، وقال . ارتع فهذا مرتع الأحاب ، وخرجت روجه . هذه الحكاية عن الوجيبي .

وسمعت الوجيبي ، رحمه الله تعالى ، يقول . سمعت أبا علي الروذاري ، رحمه الله تعالى يقول . دخلت مصر ، فرأيت الناس مجتمعين ، فقالوا . كسا في حنارة فستى سمع قال يقول .

كَبُرَتْ هِمَّةُ عَبْدٍ طَمِعَتْ فِي أَنْ يَرَاكَ

فشبه شبهة فات .

وسمعت بعض أصحابنا يقول . قول أبو زيد رحمه الله عند موته . ما ذكرتك إلا عن غنلة ، ولا فبضنتي إلا عن فترة .

وحكى عن الجسيدي ، رحمه الله تعالى ، أنه قال . جلست عند أمثاذي .

ابن الكُرَيْبِي ، رحمه الله تعالى ، عند موته ، فنظر إلى السماء ، فقال : بَعْدَ .
فطأطأت رَأْمِي إلى الأرض ، فقال : بَعْدَ . يعني إنه أقرب إليك من أن تنظر
إلى السماء ، أو إلى الأرض ، وتشير إليه بذلك .

وقال الجريري رحمه الله تعالى . حضرت وفاة أبي القاسم الجعيد رحمه الله
تعالى ، فلم يزل ساجدا ، فقلت له : يا أبا القاسم ، أليس بلغت هذا المكان وبلغ
منك ما أرى من الجهد لو امتزحت ؟ فقال لي : يا أبا محمد ، أخرج ما كنت إليه
هذه الساعة ، فلم يزل ساجداً ، حتى فارق الدنيا ، وأنا حاضره .

وقال بكران الدينوري ، رحمه الله تعالى : حضرت وفاة الشبلي : رحمه الله تعالى ،
فقال لي : على قلبي درهمٌ مظلمةٌ ، تصدقتُ عن صاحبه بالسوق ، فما على شئ
أعظم من ذلك ، ثم قال : وضعتُ للصلاة ، ففعلتُ ذلك . فنسيتُ تحزلي حيتي .
وفدأمتُ لسنة ، فقبض على يدي فدخلها في حيتي ، ومات .

وكان سبب وفاة أبي الحسين النوري ، أنه سمع بهذا البيت :

لَا زِلْتُ أَنْزِلُ مِنْ وَدَادِكَ مَثَرًا * كَتَعْبِيرِ الْأَسْبَابِ عِنْدَ رُبُوبِهِ

فتواجد ، وهام في الشجر ، فوقع في أجده نصيباً قد قطعت ، ووقيت أحمولة
مثل السيوف ، فكان يثني عليها ، ويعيد البيت إلى العدا ، وتيم يسس
رجليه ، ثم وقع مثل السكران ، فورمت قدمه ، ومات رحمه الله تعالى ،
فالتقى يقول : كنا عند أبي بكر الزرقف ، رحمه الله تعالى ، فحدثنا عن
بقيني هاهنا ؟ فما بلغ الأولى حتى مات .

وكان سبب موت ابن عطاء ، رحمه الله تعالى ، أنه أدخل على الوزير ، فخطب
الوزير بكلام غليظ ، فقال ابن عطاء : أرفق يا رجل ، فأمر بضرب عنقه على رأسه
فمات فيه .

ومات إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى ، في جامع الرى ، وكانت بعد علة الجوف ، فكان إذا قام مجلأ يدخل الماء ، ويغسل نفسه ، فدخل الماء مرة فخرج روحه ، وهو في وسط الماء .

وقال أبو عمران الإصطخري ، رحمه الله تعالى . رأيت أبا تراب الكخشى ، رحمه الله تعالى في البادية ، قائماً ميتاً لا يمسه شيء .

وسمعت أبا عبد الله أحمد بن عطاء يقول : سمعت بعض الفقهاء يقول : لما مات يحيى الإصطخري ، رحمه الله تعالى ، جلسنا حوله ، فقال له رجل منا : قل أشهد أن لا إله إلا الله ، فجلس جالساً ، ثم أخذ يد واحد ، فقال : قل أشهد أن لا إله إلا الله وخلى يده ، وأخذ بيد الآخر الذى بجانبه ، وقال : قل أشهد أن لا إله إلا الله وخلى يده ، وأخذ بيد الآخر الذى بجانبه ، حتى عرض الشهادة على كل واحد منا ، ثم استلقى على قفاه ، وخرج روحه .

وقيل للجنيدي : كان أبو سعيد الخراز ، رحمه الله تعالى ، كثيراً ما كان يتواجد عند الموت ، فقال الجنيدي رحمه الله : لم يكن يعجب أن تكون تطير روحه إليه اشتياًقاً .

وهذا ما حضرني في الوقت من آدابهم ، والذي لم يذكره أكثر وبالله التوفيق .

كتاب المسائل واختلاف أقاويلهم في الأجوبة

قال الشيخ رحمه الله تعالى : أذكر طرفاً من اختلافهم في مسائل ، تفرّدوا بها ، بأجوبة شتى ، ببيان ما يُشكل من ذلك على العلماء والفقهاء ، وسائر الناس من أهل الظاهر ، الذين ليس هذا من شأنهم .
مسألة في الجمع والتفرقة .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : الجمع والتفرقة اسمان ، فالجمع جمع المتفرقات ، والتفرقة تفرقة المجموعات ، فإذا جمعت قلت الله ولا سواد ، وإذا فرقت قلت : الدنيا والآخرة والكون ، وهو قوله « شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » (١) وقد جمع ثم فرق فقل : « وَالْمَلَائِكَةُ ، وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بَاقِسْطٍ » كذلك قوله « قولوا آمَنَّا بِاللَّهِ » (٢) ، وقد جمع ثم فرق ، فقال : « وما أنزل إيانا وما أنزل إلى إبراهيم » الآية ، فالجمع أصل والتفرقة فرع ، فلا تعرف الأصل إلا بالفروع ، ولا تثبت الفروع إلا بالأصل ، وكل جمع بلا تفرقة فهو زندقة ، وكل تفرقة بلا جمع فهو تعطيل .

وقد تكلم في معنى الجمع والتفرقة ، المشايخ المتقدمين فقال أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهري ، رحمه الله تعالى ، وسئل عن ذلك فقبيل له : إلى ماذا أشار المقوم إلى معنى الجمع والتفرقة ؟ فقال : « أشار قوم إلى أن جمعهم في آدم عليه السلام ، وفرقهم في ذريته » وأشار قوم إلى أن جمعهم في المعرفة ، وفرقهم في الأحوال .

والجنيّد في معرفة الجمع والتفرقة :

فَجَمَعْنَا إِلَيْنِ وَأَفْتَرَقْنَا إِلَيْنِ

فَتَحَتُّنْتِكَ فِي مِرِّي فَنَاجَاكَ إِسْمِي

فَأَقْدَمْتُكَ الْوَجْدَ مِنَ الْأَحْشَاءِ دَانِي

إِنْ يَكُنْ غَيْبُكَ الْعَظِيمَ عَنِ الْخَطِّ عِيَانِي

(٢) البقرة : ١٢٦

(١) آل عمران : ١٨

وقال ، أظنه النورى ، : الجمع بالحق تفرقة عن غيره ، والتفرقة عن غيره جمع
 به ، وقال غيره : الجمع اتصل ، لا يشهد الإناة متى يشهد الإناة ، فما وصل والتفرقة
 شهود ؟ لمن شاهد المباينة وقال قوم : لا مجموع بحق إلا مفرقا عن نعت ، ولا مجموع
 بعث إلا مفرقا عن حق ، وهما متنافيان ، لأن الجمع بالحق خروج عن حُجته
 وتفرقه ، والجمع بالحق حجب بالحق وتفرقة عنه ، وقل قوم : « الجمع ما جمع
 البشرية في شهود البشرية ، والتفرقة ما فرقها عن تقسيم الرسوم »

وقد ذهب أجنيد ، رحمه الله تعالى ، إلى أن قرُّبه بالوجد جمع ، وغيبته في
 البشرية تفرقة .

وقال أبو بكر الواسطي ، رحمه الله : إذا نظرت إلى نفسك فرقت ، وإذا
 نظرت إلى ربك جمعت ، وإذا كنت قائماً بغيرك فأنت ميت « وهذه أحرف
 مختصرة في معنى الجمع والتفرقة ولمن يتدبر في فهمه بن شاء الله تعالى .

مسألة في الفناء والبقاء ، قال الشيخ ، رحمه الله تعالى ، سئل أبو يعقوب النهرجورى ،
 عن صحة الفناء والبقاء ، فقال : هو فناء رؤية فيم العبد لله عز وجل ، وبقاء رؤية
 قيام لله تعالى في أحكام العبودية .

وسئل أبو يعقوب ، رحمه الله تعالى ، عن صحة علم الفناء والبقاء ، قال : تصحبه
 العبودية في الفناء والبقاء ، واستعمل علم ارضا ، ومن لم تصحبه العبودية في الفناء
 والبقاء ، فهو مدع .

قال الشيخ رحمه الله تعالى ، الفناء والبقاء اسمان ، وهما نعتان لعبدٍ موحداً .
 يتعرض الارتقاء في توحيد من درجة المموم ، إلى درجة المخصوص . ومعنى الفناء
 والبقاء في أوائله ، فناء الجليل بقاء العلم ، وفناء المعصية ببقاء الطاعة ، وفناء
 الغفلة ببقاء الذكر ، وفناء رؤيا حركات العبد ببقاء رؤيا عناية الله تعالى في
 سابق العلم .

وتد تكلم في ذلك المشايخ المقدمون ، فقال سمنون رحمه الله تعالى : العبد في حال الفناء محمول وفي حال الحمل مورود ، وهي نعوت تؤدي إلى نعوت . وقال : أول مقامات الفناء لوجود وللشاهدات للبقاء .

وقال أبو سعيد الخراز ، رحمه الله تعالى ، في معنى قوله « وما بكم من نعمتي فمن الله » (١) قال : « أ - لاهم في أفعالهم من أفعالهم ، وهو أول حال الفناء » .

وعن جعفر الخلدی ، قال : سمعت اجـمـد رحمه الله تعالى ، يقول ، ومثل عن الفناء قول : « إذا فنى الفناء عن أوصافه ، أدرك البقاء بتمامه » قال : وسمعت لجنيـد رحمه الله تعالى يقول ، وقد سئـل عن الفناء ، فقال : « استعجاب كلك عن أوصافك ، واستعمال الكل منك بكليتك .

وقال ابن عطاء : « من لم يفن عن شاهد نفسه بشاهد الحق ، ولم يفن عن الحق بالحق ، ولم يفن في حضوره عن حضوره ، لم يقع بشاهد الحق »

وقال الشبلي رحمه الله تعالى : « من فنى عن الحق بالحق ، لقيام الحق بالحق ، فنى عن الربوبية ، فضلاً عن العبودية » وقال ، أظنه رؤيـم ، رحمه الله تعالى ، وقد سئل عن الفناء والبقاء ، فقال : « أول علم الفناء ، هو النزول في حقائق البقاء ، وهو الأثر لله تعالى على جميع مادونه ، وتقدم كل حال معه حتى يكون هو الحظ ، وسقوط ما سواه حتى تفنى عبادتهم لله تعالى بأنفسهم ، ببقاء عبادتهم لله تعالى بعد ذلك ، لا يدركه المعقول بالمعقول ، ولا تنطق به الألسن .

وقد قال الله تعالى : « كل من عليها فان » (٢) وهو من ملامة الفاني : دعاب حفظه من الدنيا والآخرة ، بورود ذكر الله تعالى ، ثم ذهب حفظه من ذكر الله تعالى :

عند حظه بذكر الله تعالى له ، ثم تقفى رؤية ذكر الله تعالى له ، حتى يبقى حظه بالله ، ثم ذهاب حظه من الله تعالى برؤية حظه ، ثم ذهاب حظه برؤية حظه ببناء الفناء وبقاء البقاء .

والكلام فى هذا طريق ، وفيما ذكرناه كفاية إن شاء الله تعالى .

مسألة فى الحقائق :

قال الشيخ رحمه الله تعالى : أخبرنى جعفر قال سمعت أبا جعفر رحمه الله تعالى قال : سمعت سرياً يقول ، وقد وصف أهل الحقائق ، فقال : أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم العرقي ، وسئل أبا جعفر رحمه الله تعالى عن الحقيقة ، فقال : « أذكره ثم أدع هذا وهذا » وقال أبو تراب رحمه الله تعالى : « علامة الحقيقة البلوى » (١) وقال غيره : « علامة الحقيقة رفع البلوى » (٢)

حكى عن رؤيم رحمه الله تعالى أنه قال : أتم الحقائق ما قارن العلم ، سمعت الوجيبي يقول : سمعت أبا جعفر الصيدلانى رحمه الله تعالى يقول : « الحقائق ثلاث ، حقيقة مع العلم ، وحقيقة معها العلم ، وحقيقة تشطح عن العلم » ، وقال أبو بكر الزقاق رحمه الله تعالى : كنت فى تيه بنى إسرائيل ، فوقع فى قلبى أن علم الحقيقة ، يخالف علم الشريعة ، فإذا بشخص تحت شجرة أم غيلان ، صاح : يا أبا بكر كل حقيقة تخالف الشريعة ، فهى كفر .

وقيل لبعضهم ، وأظنه رؤيم ، رحمه الله تعالى : ، والله تعالى أعلم ، متى يتحقق العبد بالعبودية ؟ قال : إذا سلم القيادة من نفسه إلى ربه ، وتبرأ من حوله وقوته ، وعلم أن الكل له وبه .

(٢) فى بعض النسخ . التلوين

(١) فى بعض النسخ : التلوين

وقال رؤوم رحمه الله تعالى : أصح الحقائق ، ما قارن العلم . وقال أجنس يد رحمه الله : أبت الحقائق أن تدع في القلوب مقلة للأويلات .

وقال المزين الكبير رحمه الله تعالى : « الذي حصل عليه أهل الحقائق في حق تفهم ، أن الله تعالى غير منقود فيطلب ، ولا ذو غاية فيدرك ، فمن أدرك موجوداً فهو بالموجود مغرور ، وإنما الموجود عندنا معرفة حال ، وكشف علم بلا حال . »

وسمعت الحسين بن عبد الله الرازي ، رحمه الله تعالى ، يقول : سئل عبد الله ، ابن طاهر الأبهري ، رحمه الله تعالى ، عن الحقيقة ، فقال : « الحقيقة كلها علم . فسئل عن العلم فقال : العلم كله حقيقة . » وعن الشبلي رحمه الله تعالى ، أنه قال : « الألسنة ثلاثة : لسان علم ، ولسان حقيقة ، ولسان حق ، فلسان العلم ما تؤدي إلينا بالوسائط ، ولسان الحقيقة ما أوصل الله تعالى إلى الأسرار بلا واسطة ، ولسان الحق فليس له طريق . »

وحكى عن أبي جعفر القروي ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : حقيقة الإنسانية أن لا يتأذى منك إنسان ، لأن حقيقة الاسم في نفسه : أن يكون كل شيء بك مستأنساً .

وسئل بعض الصوفية عن حقيقة الوصول ، فقال : ذهب العقول . وقال أجنس يد رحمه الله تعالى : إن الحقائق اللازمة والتصوير القوية المتحركة لم تبق على أهلها سبباً إلا قطعته ، ولا معترضاً إلا معته ، ولا أويلاً موهجاً إلا المراد إلا كشفته ، فالحق عندهم لصحة الخال مجرد ، والجد في دوام السر مستعمل ، سبي براهين من العلم واضحة ، ودلائل من الحق بيّنة . وقال الأرسطى رحمه الله تعالى : « الحقائق المختزنة إذا بدت حجبت الحقائق المستترة . »

مسئلة في الصدق .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : أخبرني جعفر الخادي رحمه الله تعالى ، قال :

سمعت أجنيد، رحمه الله تعالى، يقول: ما من أحد طلب أمراً بصدق، وجدَّ إلا أدركه، وإن لم يدرك الكل أدرك البعض.

قال أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى: «رأيتُ كأن مَلَكين نَزلا على من السماء، فقالا لي: ما الصدق؟ قلت: الوفاء بالعهد، فقالا لي: صدقت، فعرجا إلى السماء، وأنا أنظر إليهما، يعني في النوم.»

وقال يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى: «الصدق عندي حب الأفراد، ومناجاة الرب جل وعلا، وموافقة السر والعلانية مع صدق اللهجة، والنشغال بالنفس دون رؤية الخلق بعدهمة النفس، وتعلم العلم والاتباع مع تصحيح المطعم والملبس، وأخذ القوت.»

وسئل حكيم: ما علامة الصادق؟ قال: «كتمان الطاعة، قيل: ما أرواحُ الأشياء على قلوب الصادقين؟ قال: «استنشاق عفو الله تعالى، وحسن الظن بالله تعالى»، وقال ذو النون، رحمه الله تعالى: «الصدق سيف الله تعالى في أرضه، ما وُضع على شيء إلا قطعه.»

وسئل حارث، رحمه الله تعالى، عن الصدق، فقال: «مصحوب على جميع الأحوال»، وقال أجنيد رحمه الله تعالى: «حقيقة الصدق تجرى بموافقة الله تعالى في كل حال.»

وقال أبو يعقوب رحمه الله: «الصدق موافقة الحق في السر والعلانية، وحقيقة صدق القول بالحق في مواطن الملكة.»

وسئل آخر عن الصدق، فقال: «صحة التوجه في القصد.»

مسألة في الأصول، يعني أصول مذهب القوم.

حكى عن أجنيد رحمه الله تعالى، أنه قال: اتفق أهل العلم، على أن أصولهم خمس خلال: صيام النهار، وقيام الليل، وإخلاص العمل، والإشراف على الأعمال بطول الرعاية، والتوكل على الله في كل حال.

وحكى عن أبي عثمان رحمه الله تعالى ، أنه قال : أصلنا السكوت والاكتفاء بعلم الله عز وجل . وقال أئجنيء رءمه الله تعالى : « القصان فى الأءوال ، هى فروع لا تضر ، وإنما بضر التءلاف مءقل ذرة فى ءال الأصول ، فإذا أءمءت الأصول ، لم يضر نقص فى الفروع » .

وقال أبو أءمء القلاسى ، رءمه الله تعالى : « بُنىء أصول مءهبننا على ءلالء ءصائل : لا يطالب أءءاً من الناس بواجب ءءء ، ونطالب أنفسنا بءءوق الناس ، ونلزم أنفسنا النقصير فى ءمىع ما ءآءء » ، قال سهى بن عبء الله رءمه الله : أصولنا سبعة شىاء ءمسك بءءب الله تعالى ، والاقءءاء برسول الله صلى الله علىء وسلم ، وأكل ءلالء ، وءنء الأذى واجءءب لآءم ، والءوبة ، وأءال ءءوق » .

وسمءء ءصرى رءمه الله تعالى يقول : « أصولنا ستة شىاء : رفع ءءاء ، وإفراء القىءم ، وهءر الإءوان ، ومفارقة الأوطان ، ونسىان ما علم ، وما ءءل » . وقال بعض المقرء : « أصولنا سبعة شىاء : أداء القرائء ، واجءءب ءءرم ، وفضع العلائق ، ومعاقة الفقر ، وءرك الطاب ، وءرك الاءءار لوقت ءن ، والاقءاء إلى الله تعالى ، فى ءمىع الأوقات » .

مسألة فى الإءلاص .

مئل أئجنيء رءمه الله ، عن الإءلاص ، فقءل : « ارتءء ، ءءء ، ءءءك ، عن القءل » .

وقال ابن عطاء : الإءلاص ما ءءاص من الآفاء .

وقال ءءارء ءءاسى رءمه الله تعالى : « الإءلاص إءءاء ءءق من معااملة الله تعالى ، والنفس ءول ءءلق » .

وقال ذو الون رءمه الله : « الإءلاص ما ءءاص من العءوان بءءءه » .

قال أبو يعقوب السوسى رءمه الله : « الإءلاص ما لم يعلم به ءءء فسءءه » .

ولا عدو فيفسده ، ولا تُعجَب النفس به « وحكى عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى ، أنه قال ، « أدلُّ لا إله إلا الله كثير ، والمخلصون منهم قليل » .
وقال سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى : « لا يعرف الرياء إلا المخلص » .
وسئل أجنيد ، رحمه الله تعالى مرة أخرى عن الإخلاص ، فقال : « إخراج الخلق من معاملة الله تعالى ، والنفس أول الخلق » .
وعن بعض المشايخ قول : إذا قل لك قائل ، ما الإخلاص ؟ فقل : إفراد القصد إلى الله تعالى ، وإخراج الخلق من معاملة الله عز وجل ، بترك الحول والتموة مع الله عز وجل .

وعلاوة المخلص ، محبة الخلووات لمناجاة الله تعالى ، وقلة التعرف إلى الخلق بعبودية الله عز وجل ، وكرهية علم الخلق في معاملة الله تعالى .
ومثله أظنه ، أبا الحسين النوري رحمه الله تعالى ، عن الإخلاص ، فقال :
« ترك الموافقة للخلق » .

مسألة في الذكر .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : سمعت ابن سالم يقول ، وسئل عن الذكر ، فقال :
« الذكر على ثلاث فذكر باللسان ، فذلك الحسنة بعشرة ، وذكر بالقلب ، فذلك الحسنة بسبعائة ، وذكر لا يوزن ثوابه ، ولا يُعدُّ ، ودو الامتلاء من المحبة ، والحياة عن قربه » . قيل لابن عطاء رحمه الله تعالى ، ما يفعل الذكر بالسرائر ؟ فقال :
ذكر الله تعالى ، إذا ورد على السرائر بإشرافه أزال البشرية في الحقيقة برعوناتها .
وقال سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى : « ليس كل من ادعى الذكر ، فهو ذاكر »
وسئل سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى ، عن الذكر ، فقال : تحقيق العلم بأن الله تعالى مشاهدك ، فتراه بقلبك قريباً منك ، وتستحي منه ، ثم تؤثره على نفسك وعلى أحوالك كلها .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : قال الله عز وجل « فأذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ »

أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا» (١)، ثم قال في آية أخرى: «أَذْكَرُ وَاللَّهُ ذِكْرًا كَثِيرًا» (٢)، فهو أخصر من الأول. ثم في آية أخرى: «وَذَكَرُونِي أَذْكَرُ كَرِيمٌ» (٣)، فصار الذاكرون لله متفاوتين في ذكركم، كتفاوتهم في المخاطبة لهم في الذكر. قال وسئل بعض المشايخ عن الذكر، فقال: «المذكور واحد، والذاكر مختلف، ومحل قلوب الذاكرين متفاوت».

وأصل الذكر إجابة الحق من حيث اللوازم.

والذكر على وجهين: فوجه منه: النهي، والتسبيح، وتلاوة القرآن، ووجه منه: تنبيه القلوب على شرائط الذكر على أفراد الله تعالى، وأسمائه، وصفاته، ونشر إحسانه، ونفاذ تقديره، على جميع خلقه، فذكر الراحين على وعده، وذكر الخائفين على وعيده، وذكر المتوكلين على ما كشف لهم من كذبه، وذكر المراقبين على مقدار ما طمع عليهم بأطلاع الله تعالى عليهم، وذكر المحبين على قدر تصفح النعماء.

وسئل الشبلي رحمه الله تعالى، عن حقيقة الذكر، فقال: نسيان الذنوب، ونسيان ذكرك الله تعالى، ونسيان كل شيء سوى الله عز وجل.

مسألة في الغناء.

سئل الجنيد، رحمه الله تعالى: أي أتم؟ الاستغناء بالله تعالى، أم الاعتناء بالله عز وجل؟ فقال: الافتقار إلى الله عز وجل موجب للغناء بالله عز وجل، والافتقار إلى الله عز وجل، كمال الغناء بالله تعالى، فلا يقال: أيهما أتم؟ بل هو الغناء بالله عز وجل، ومن صحح الافتقار صحح الغناء، قال: ويصح الاستغناء بالله عز وجل، والافتقار إلى الله عز وجل، قال: «الذي يكون غناءً لله عز وجل، لا يكون غناءً لله عز وجل، بل يكون غناءً لله عز وجل، ومن صحح الافتقار صحح الغناء، قال: ويصح الاستغناء بالله عز وجل، والافتقار إلى الله عز وجل، قال: «الذي يكون غناءً لله عز وجل، لا يكون غناءً لله عز وجل، بل يكون غناءً لله عز وجل».

(٣) البقرة: ١٥٢

(٢) الأحزاب: ٤١

(١) البقرة: ٢٠٠

جهته ، غير مانع عن حقه ، متعاوناً في كسبه ، على البر والتقوى ، لامتعاوناً في تجارته على الإثم والعدوان ، ولم يتعلق قلبه بما له دون الله عز وجل ، ولا استوحش لفقده ، ولا استأنس بملكه ، وكان في غناه مفتقراً إلى الله عز وجل ، وفي فقره مستغنياً بالله تعالى ، ويكون خازماً من خزان الله تعالى ، فكان غناه له لاعليه . فإذا كان بهذه الصفة كان من أهل الفوز والنجاة ، ودخل الجنة بعد النقرات بخمسة عشر عاماً بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . « يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائها بخمسة عشر عاماً »

وسئل عمرو بن عثمان المكي ، رحمه الله عن الغنا الذي هو جامع للغنا . قال : « الغنا عن الغنا ، لألك إذا امتعبت بالغنا ، كنت محتة جا إليه من أجل استغذتك وإذا كنت غنيا بالله عز وجل لا بالغنا ، تكون مستغنياً عن الغنا ، وغير الغنا . »

١٤٢

وقال أجنيد ، رحمه الله تعالى : « النفس التي قد أعزها الحق بحقيقة الغنا تزول عنها موافقت الفاقات . »

،

مسألة في الفقر .

قل أجنيد رحمه الله تعالى : الفقر بحر البلاء ، وبلاؤه كله عز .

وسئل عن الفقير الصادق ، متى يكون مستوجباً لدخول الجنة قبل الأغنياء بخمسة عشر عاماً ؟ فقال : « إذا كان هذا الفقير ، معاملاً لله عز وجل بقلبه ، موافقاً لله فيما منع ، حتى يُعَدَّ الفقر من الله نعمةً عليه ، يخاف على زوالها كما يخاف على زوال غناه ، وكان صابراً محتبباً مسروراً باختيار الله له الفقر ، صائماً لدينه ، كاتماً للفقر ، مظهرراً للإيأس من الناس ، مستغنياً بربه في فقره ، كما قال الله عز وجل . « للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله (١) » الآية ، فإذا كان الفقير بهذه الصفة يدخل الجنة قبل الأغنياء بخمسة عشر عاماً ويكفي يوم القيامة مؤونة الوقوف والحساب ، إن شاء الله تعالى . »

وقال ابن الجلاء ، رحمه الله تعالى : « من لم يصحبه الورع في فقره أكل الحرام الص وهو لا يدري » .

وسئل أئنيء ، رحمه الله تعالى ، عن أعز الناس ، فقل « الفقير الراضى » .
وقال المزين رحمه الله : حد الفقر ، أن لا ينفك الفقير من الحجة . وقال المزين رحمه الله تعالى : إءارء الفقير إلى الله عز وجل ، كان موصوفا مع العووم فيتخير فى وجوده ، وقال أئنيء رحمه الله تعالى : « لا يتحقق الإنسان بانقر حتى ينقر عنءه أنه لا يرء القيامه أنقرمه » .

مسألة فى الروح وما قلرا فىه .

قال الشبلى رحمه الله تعالى : « بالله قامت الأرواح ، والأجسء ، والأخطرات لا مءوئهم » ، وقال الشبلى ، رحمه الله تعالى : « لأرواح تطفأت ، فمءت عند لءغاب الحقىمة ، فلم تر معبوداً يستحق العبادة ، عن أن تتقرب إلى ذلء الشءء بعن ذلء الشءء ، وأئقت أن الحدء لا يدرك القءيم بصنءه العوومة » .

قال الشىء رحمه الله تعالى : ورأيت فى كلام الراسطى ، رحمه الله تعالى ، فى الروح ، فقل : « الروح روحان : روح به حءة الحقى ، وروح به حءة القء » . وهو الروح الذى قال الله عز وجل : « وكذلك أوءبنا آئت روحين مءرء (١) وسمى الروح روحاً لطافءء ، وإذا أءت البوارء فى أءتمم الأءب ساءت الروح عن ملاءغاب السبب ، قال : وكء وقع لاءع من ملاءغبات آءب (٢) والأووقات [و] عرفت للمءطبات ، وأشرءت إلى مءوئت (٣) ، وسمى الروح رحمه الله تعالى : « إء هم سئءون : الروح والعقل ، فالروح لاءسى إلى الروح مءب بآء ، ولا العقل يءبباً له أن يءفع عن العقل مءرود » .

(٢) فى نسخة : ذنب

(١) شعورى : ٥٢

(٣) فى نسخة : المءاملات

وحكى عن أبي عبد الله السباجي ، رحمه الله تعالى ، أنه قال ، إن العارف إذا وصل فكان فيه روحان : روح لا يجرى عليه التغيير ولا اختلاف ، وروح يجرى عليه التغيير والتلوين .

وقال بعضهم : الروح روحان ، الروح القديمة ، والروح البشرية . واحتج بقول النبي

صلى الله عليه وسلم : تنام عيناى ولا ينام قلبي ، قال : فظاهره ينام بروح البشرية ، ١٤٣

وباطنه يقظان لا يجرى عليه التغيير ، وكذلك قوله : إنما أسى لأسن ، وقد أخبر ١٤٤

أنه لا يس ، وإنما هو خبر عما هو فيه من الروح القديمة ، وكذلك قوله : لست ١٤٥

كأحدكم ، إني أظن عند ربي ، وهو صفة الروح القديمة ، لأنه أخبر عنها بما ليس من وصف الأرواح .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وهذا الذي قال القائل في الروح لا يصح ، لأن

القديم لا ينفصل من القديم ، والمخوف غير متصل بالقديم ، وبالله التوفيق .

سمعت ابن سالم ، وقد سئل عن الثواب والعقاب ، يكون للروح وللجسد ، أو

للجسد وحده ؟ فقال : الطاعة والمعصية ، لم تظهر من الجسد دون الروح ، ولا من

الروح دون الجسد ، حتى يكون الثواب ، والعقاب ، على الجسد دون الروح ، أو على

الروح دون الجسد ، ومن قال في الأرواح بالتناسخ ، والتقل ، والقديم ، فقد ضل

ضلالا بيذا وخسر خسرانا مبيها .

مسألة في الإشارة :

قال الشيخ رحمه الله تعالى : إن سأل سائل ، ما معنى الإشارة ؟ فيقال له : قول

الله عز وجل : « تبارك الذي (١) » و « الذي » كالكناية ، والكناية كالإشارة في

لطافتها ، والإشارة لا يدركها إلا الأكابر من أهل العلم ، وقال الشبلي رحمه الله تعالى :

(١) الفرقان : ١

كل إشارة أشار الخلق بها إلى الحق ، فهي مردودة عليهم ، حتى يشيروا إلى الحق بالحق ، ليس لهم إن ذلك طريق .

وقال أبو يزيد رحمه الله تعالى : « أبعدهم من الله تعالى ، أكثرهم إشارة إليه » قال : ودخل رجل على الجنيد ، رحمه الله تعالى : فسأله عن مسألة : وأشار الجنيد بعينه إلى السماء ، فقال له الرجل : « يا أبا القاسم : لا تُشيرُ إليه ، فإنه أمرٌ بـ إليك من ذلك ، فقال الجنيد رحمه الله تعالى : صدقت وضحك .

حكى عن عمرو بن عثمان المكي أنه قال : « أصحابنا حقيقهم توحيد ، وإشارتهم شرك » . وقال بعضهم : كلُّ يريد أن يشير إليه ، ولكن لم يجعل لأحد إليه سبيلا .

وحكى عن الجنيد رحمه الله تعالى ، أنه قال لرجل : « هو ذا تشير يا هذا : فكم تشير إليه ؟ دعه يُشيرُ إليك » .

وقال أبو يزيد رحمه الله تعالى : من أشار إليه بغير قصد كبر ، لأن الإشارة بعلم لا تقع إلا على معلوم ، ومن أشار إليه بغير معرفة فقد أخطأ ، لأن الإشارة بغير معرفة لا تقع إلا على محود .

سمعت الدَّقِي يَقُولُ : سَأَلَ الرَّقَاقُ ، رَحِمَهُ اللهُ ، عَنِ الْمُرِيدِ ، فَقَالَ : « حَقِيقَةُ الْمُرِيدِ أَنْ يُشِيرَ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، فَيَجِدَ اللهُ مَعَهُ نَفْسَ الْإِشْرَةِ » وَقِيلَ لَهُ : فَمَا يَسْتَوْعِبُ حَالَهُ ؟ قَالَ : « هُوَ أَنْ يَجِدَ اللهُ تَعَالَى بِإِسْقَاطِ الْإِشْرَةِ » وَعَنْهُ مَسْأَلَةٌ تُعْرَفُ لِلْجَنِيدِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

وقال النووي رحمه الله تعالى : قُرْبُ الْقُرْبِ ، فِي الْإِشْرَةِ ، إِذَا رَأَى الْمُرِيدُ ، وَقَالَ نَحْيِي بِنِ مَعَاذِ رَحِمَةِ اللهِ تَعَالَى : « إِذَا رَأَى كَالْمُرِيدِ فِي الْعَمَلِ ، فطريقه طريق الورع ، وإذا رأى يشير إلى العلم ، فطريقه طريق العبادة ، وإذا رأى يشير إلى الأمن في الزنى ، فطريقه طريق الزهد ، وإذا رأى يشير إلى الآيات ، فطريقه طريق الأبدال ، وإذا رأى يشير إلى الآلاء ، فطريقه طريق العارفين » .

وقال أبو علي الروذباري رحمه الله تعالى : « عَلِمْنَا هَذَا إِشَارَةً ، فِذَا صَارَ عِبَارَةً خَفَى » .

وسأل رجل أبا يعقوب السوسى ، رحمه الله تعالى ، مسألة ، وكان يشير في سؤاله ، فقال له : « يَا هَذَا نَحْنُ نُسَبِّغُ مَجَابِكَ ، مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْإِشَارَةِ ، كَأَنَّهُ يَكْرَهُ ذَلِكَ مِنْهُ .

مسائل شتى :

مسألة في الظرف : سئل أَلْجَنِيدَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ، عَنِ الظَّرْفِ مَا هُوَ ؟ فَقَالَ : « اجْتِنَابُ كُلِّ خُلَاقٍ دَنِيٍّ ، وَامْتِعَالُ كُلِّ خُلَاقٍ سِنِيٍّ ، وَأَنْ تَعْمَلَ لِلَّهِ ، ثُمَّ لَا تَرَى نِكَ عَمَاتٍ .

مسألة في المروءة : سئل أحمد بن عطاء رحمه الله تعالى عن المروءة فقال : « أَنْ لَا تَسْتَكْثِرَ اللهُ عَمَلًا عَمَلَهُ ، وَكَمَا عَمَاتَ عَمَلًا كَأَنَّكَ لَمْ تَعْمَلْ شَيْئًا ، وَتَرِيدُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ .

مسألة ، لم سميت هذه الطائفة بهذا الاسم ، يعنى الصوفية ، قال ابن عطاء : رحمه الله تعالى ، اصفاءها من كدر الأغيار ، وخروجها من مراتب الأشرار .

وقال النورى رحمه الله تعالى : سميت بهذا الاسم ، لاشتهارها عن الخلق بظاهر العابدين ، وانقطاعها إلى الحق بمراتب الواصلين .

وقال الشبلى رحمه الله تعالى : سميت بهذا الاسم ، لبقية بقيت عليهم من نفوسهم ، ولولا ذلك لما لاقت بهم الأسماء .

وقال بعضهم : سميت بهذا الاسم ، لتسميتها بروح الكفاية ، وتظاهرها بوصف الإجابة .

مسألة في الرزق : قال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى : فى وجود العبد الرزق من غير طلب ، دلالة على أن الرزق مأمور بطلب صاحبه .

وقال بعضهم : إن طلبت الرزق قبل وقته لم أجده ، وإن طلبت الرزق بعد وقته لم أجده وإن طلبته في وقته كُفِنته .

وحكى عن أبي يعقوب ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : اختلاف الناس في سبب الرزق ، فقال قوم : سبب الرزق التكلف والعناية ، وهو قول التقديرية ، وقال قوم : سبب الرزق التقوى ، وذهبوا إلى ظاهر القرآن « وَكَيْفَ يَتَّقَى اللَّهُ الَّذِينَ يَخْلَعُونَ عَلَيْهِمْ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ (١) » وغلطوا في ذلك .

والعلم عند الله تعالى ، أن سبب الرزق الخلقة ، لقوله عز و ل : خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ (٢) : فلم يخص مؤمنين وكافرين ، وقال أبو يزيد رحمه الله : أثبت على رجل من المريدين عند بعض العلماء خيراً . فقال العلم : من أين معاشه ؟ فقالت : لم أشك في خالقه حتى أسأله عن رزقه ، فحجل العلم وانقطع .

مسألة : سؤال الجليل رحمه الله تعالى ، إذا ذهب اسم العبد وثبت حكم الله تعالى قول : اعلم رحمتك الله تعالى أنه إذا عظمت المعرفة بالله ذهب أثر العبد ، ونحت رسومه ، فقد ذلك يبدو علم الحق ، وثبت اسم حكم الله تعالى .

مسألة : سؤال الجليل رحمه الله تعالى ، متى يستوى عند العبد حامده وذممه . نقل : إذا علم أنه مخلوق . ويكون ثمة .

مسألة : سؤال ابن عطاء ، رحمه الله تعالى ، متى يسلك سلامة الصدر لا أو سلم سلامة الصدر ؟ قول : بالوقوف على حق اليقين وهو القرآن ، ثم يعطى به اليقين ، ثم يطاع بعده عين اليقين فيسلم صدره عند ذلك ، وعلامة ذلك أن يرضى بالصلح وقدره ، هيبته ومحبة ، ويراه حفيظاً ، وه كياناً ، من غير تهيبه المقررات .

مسألة : سؤال أبو عثمان رحمه الله تعالى ، عن العلم الذي يوجب السلامة ، ولا يدري من أيش هو ، فقال أبو عثمان رحمه الله تعالى ، إن العلم الذي يوجب السلامة ،

(١) السلاق : ٣٥٢ (٢) الروم : ٤ . نص الآية : الله الذي خلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ؟ سبحانه وتعالى عما يشركون .

والجنايات على النفس ، وتنساها النفس ، فإذا وجدت الروح صحواً من النفس ، عرضَ عليها جنائياتها فيغشاها الانكسار والذوبان ، وهو الغم الذي يجده ، ولا يدرى من أين دخل عليه .

مسألة في الفراسة ، سئل يوسف بن الحسين ، رحمه الله تعالى ، عن حديث النبي صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى ، فقال : هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم حق ، وخصوصية لأهل الإيمان . وزيادة كرامة لمن نور الله تعالى قلبه ، وشرح صدره ، وليس لأحد أن يحكم لنفسه بذلك ، وإن أكثر صدراً به ، وقلَّ خطؤه ، ومن لم يحكم لنفسه بحقيقة الإيمان والولاية والسعادة ، فكيف يحكم لنفسه بفضل الكرامة ؟ وإنما ذلك فضله لأهل الإيمان ، من غير إشارة إلى أحد بعينه .

مسألة لإبراهيم الخواص رحمه الله تعالى في الوهم ، سئل إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى ، عن الهم ، فقال : الهم : هو قيام بين العتل : والنهم ، لا منسوب إلى العتل ، فيكون شيئاً من صفاته ، ولا منسوب إلى النهم ، فيكون شيئاً من صفاته ، وهو قيام ، وهو شبيه بضوء بين شمس وماء ، فلا ينسب إلى الشمس ، ولا ينسب إلى الماء ، وشبيه بوترسكن بين النوم واليقظة ، فلا تأثم ولا يقظان ، فهذه صحود (١) وهو نفاذ العقل إلى النهم ، أو النهم إلى العتل ، حتى لا يكون بينهما قيام ، والنهم صفوة العتل ، كما أن حالص الشيء لثبه .

مسألة : سئل أبو يزيد رحمه الله تعالى عن معنى قوله تعالى : ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، (٢) الآية .

(١) في رواية أخرى : محوه

(٢) فاطر ٣٢ وتكملة الآية : فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق

بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير .

قال أبو يزيد رحمه الله تعالى : السابق مضروب بسوط المحبة ، مقتول بسيف الشوق ، مضطجع على باب الهيبة ، والمتقصد مضروب بسوط الحسرة ، مقتول بسيف الندامة ، مضطجع على باب الكرم ، والظالم مضروب بسوط الأمل ، مقتول بسيف الحرص ، مضطجع على باب العقوبة .

وقال غيره : الظالم لنفسه معاقب بالحجاب ، والمتقصد والنج داخل الباب ، والسابق بالخيرات ساجد على البساط للملك الوداد .

وقال غيره : الظالم معاقب بالندامة على الإفراط ، والمتقصد مشتغل بالكلافة والاحتياط ، والسابق بالخيرات ساجد بقلبه للحق على البساط ، الظالم لنفسه يتوهم الإشارة محجوب ، والمتقصد بتصریح الإشارة مكشوف ، والسابق بالخيرات بتصحيح الإشارة محبوب .

وقال غيره : الظالم لنفسه دالمتقصد والسابق بالخيرات م .

مسألة في التمني .

سئل رُوَيْم بن أحمد رحمه الله تعالى ، هل للمريد أن يتمنى ؟ قال : ليس له أن يتمنى ، وله أن يأمل ، لأن في التمني رقية النفس ، وفي الأمل رقية السبق ، والتمني من صفات النفس ، والتأمل صفة القلب ، والله أعلم .

مسألة في سر النفس .

قال مهنا بن عبد الله رحمه الله ، وسئل عن سر النفس ، فقال : « السر ليس بمرئى ما ظهر ذلك السر على أحد من خلقه إلا على فرعون ، قال : أريد أن يكون السر مبع - حجب سماوية ، وسبع حجب أرضية ، فكلامه يدفن العبد في حجب سماوية ، سما قلبه سما سما ، فإذا دفنت النفس تحت الأرض ، وصلت بأقواب إلى العرش .

مسألة : سئل الثبلي رحمه الله تعالى عن العيرة فقال : العيرة غيرتان : غيرة البشرية ، وغيرة الإلهية ، فغيرة البشرية على لأشخاص ، وغيرة الإلهية على الوقت أن يضع فيما سوى الله تعالى .

مسألة : قال فتح بن شخرف رحمه الله تعالى ، سألت إسرائيلاً أستاذ ذى النون رحمه الله تعالى ، فقلت له : أيها الشيخ هل تُعذِّبُ الأسرار (١) قبل الزلزل ؟ فلم يجبني أيّاماً ، ثم قال : يافتح إن نويت قبل العمل فتعذب الأسرار قبل الزلزل ، قال ثم صرخ صرخة عاش ثلاثة أيام ثم مات .

مسألة : سئل أبو بكر محمد بن موسى الفرغانى ، المعروف بالواسطى رحمه الله تعالى عن صفة القلوب فقال : اللوب ثلاثة أحوال : قلوب ممتحنة ، وأخرى مصطلمة وأخرى منسفة وأوائل أحوالها الانتساف ، وهو المحقق بأوائله أنه لم يكن قلباً شيئاً مذكوراً فإذا حضرت وقعت إلى الاصطلام ، وهو الموت ، ثم الطمس وهو : ذهاب . فهذا أوّلك وآخرك ، كى لا تقول : أنا أميتُ وأدبرت ، وهذه الثلاثة أخرست الأسن عن النطق .

مسألة : سئل الجريرى رحمه الله تعالى عن البلاء ، فقال البلاء على ثلاثة أوجه : على المخلصين بقم وعقوبات ، وعلى السابقين تمحيص وكفّرات ، وعلى الأبياء والصدّيقين ، من صدق الاختبارات .

مسألة : فى العرق بين الحب والود ، الحب فيه بعد وفيه قرب ، والود لافيه قطع ولا بعد ولا قرب . إن شامد الحب حقّ اليقين ، وشهد الود عين اليقين ، وشاهد الصيانة علم اليقين ، والود وصل بلا مواصلة . لأنّ الوصل ثابت والمواصلة تصرف الأوقات .

مسألة : فى البكاء .

سئل أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى عن البكاء ، فقال : « البكاء من الله إلى

(١) الأسرار جمع سر ، السرقوة روحانية عذابها الحجاب ، ويقول أحد الصوفية اللهم مهما عذبتنى بشىء فلا تعذبني بذل الحجاب

الله وعلى الله ، فالبكاء من الله لطول تعذيبه بالحين عنه إذا ذكر طول المدة إلى لقائه ، والبكاء من خوف الاقطاع ، والبكاء من الفرق لما تواعده من المسكابة لمن قصر ، والبكاء من الفزع إذا قام الإشفق من الحادث التي تحرم الوصول إليه والبكاء إليه ، وهو أن يتكلم سره الهيجان إليه ، والبكاء من طيران الأرواح بالحين إليه ، والبكاء من وآله العتل إليه ، والبكاء من التأوه ، والبكاء من الوقوف بين يديه ، والبكاء برقة الشكوى إليه ، والبكاء بالتمرغ على بساط الذل طاب الزلفى لديه ، والبكاء عند المدافسة إذا ترهم أنه بطنى بدهه ، والبكاء خوفاً أن يقطع الطريق ، فلا يصل إليه ، والبكاء خوفاً أن لا يصلح للقاءه والبكاء من الحياء منه بأى عين ينظر إليه ، ثم البكاء عليه إذا بطنى بدهه ، فى بعض الأوقات مما عوده والبكاء من الفرح فى نفس وصوله إليه ، إذا اكتنفه ببرد ، كالصبي الرضيع يرضع ثدى أمه وهو يبكي ، فهذا ثمانية عشر وجهاً .

مسألة : فى الشاهد .

سئل أجنيد رحمه الله تعالى ، لم أسمى الشاهد شاهداً ؟ فقال : الشاهد حق ، شاهد فى ضميرك وأسرارك مطلعاً عليها ، وشاهداً لجماله فى خفته وعباده ، فإذا نظر العاقل إليه شهد عامه ينظره إليه : وشاهد الصوفية : هو أن يتقطع منزل مرادين ، فشهد عموم العارفين ، وحملة اسم الشاهد الحاضر فى الغيب ، لا يخرج ولا يتركه ، بل فإن غفل غفلة مرید فليس بشاهد ، وكلما تجرى فيه غير هذا فى طاعة السيد فليس باطل ، فليس هو طريق الصوفية .

مسألة : فى صفاء المعاماة والعبادة .

قال : اجتمع مشايخ حرم الله تعالى ، على أبى الحسين على بن هند القرشى الفارسى رحمه الله تعالى ، فسألوه عن صفاء العبادة والمعاملة ، فقال : إن المعاملات دلالة والحكمة إشارة ، وللمعرفة شهادة ، فالعمل يدل ، والحكمة تشير ، والمعرفة تشهد أن صفاء

العبادات لا يُبدل إلا بصفاء معرفة أربعة : فأول ذلك معرفة الله تعالى ، والثاني معرفة النفس ، والثالث معرفة الموت ، والرابع معرفة ما بعد الموت ، من وعد الله وووعيده ، فمن عرف الله تعالى قام بحقه ومن عرف النفس استعد لمخالفها ومجاهدتها ومن عرف الموت استعد لوروده ، ومن شهد وعيد الله تعالى ، ينزجر عن نهيه ، وينتدب لأمره فمراعاة حق الله تعالى على ثلاثه أوجه : على الوفاء ، والأدب ، والمروءة فأما الوفاء فانفراد القلب بفرائضه ، والثبات على مشاهدته وحدانيته بنور أزليته ، والعيش معه ، وأما الأدب فمراعاة الأسرار من الخطرات ، وحفظ الأوقات ، والانتقاع عن الحسد والعداوات ، وأما المروءة فالثبات على الذكر نطقاً وفعلاً ، وصيانة اللسان . وحفظ النظر ، وحفظ المطعم والملبس ، وينال ذلك بالأدب ، لأن أصل كل خير في الدنيا والآخرة الأدب . وبالله التوفيق .

مسألة : ما الكريم ؟

قال حارث رحمه الله تعالى : « الكريم الذي لا يبالي لمن أعطى .

وقال الجنيد رحمه الله : الكريم من لا يحوجك إلى وسيلة .

مسألة : في الكرامة .

قال قوم : الكرامة أن يبلغ المراد قبل ظهور الإرادة .

وقال قوم : الإعطاء فوق المأمول .

مسألة : في الفكر .

سئل الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى عن الفكر فقل : الفكر في قيام الأشياء بالحق .

وقال قوم : التفكير صحة الاعتبار .

وقال آخرون : الفكر ما ملأ القلوب من حال التعظيم لله عز وجل .

والفرق بين الفكر والتفكر ، أن التفكر جولان القلب ، والفكر وقوف القلب على ما عرف .

مسألة : في الاعتبار : قال الحارث المحاسبي أبو عبد الله بن أسد رحمه الله تعالى : الاعتبار استدلال الشيء على الشيء ، وقال قوم : الاعتبار ، ما وضح فيه الإيمان . واستوفته العقول .

وقال قوم : الاعتبار ، ما نفذ في الغيب ولم يردّه مانع .

مسألة : ما النية ؟ قال قوم : النية العزم على الفعل ، وقال قوم : النية معرفة اسم العمل .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : النية تصوير الأفعال ، وقال آخر : نية المؤمن ، الله عز و علا

مسألة : ما الصواب ؟ قال قوم : الصواب التوحيد فقط .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : الصواب كل نطق عن إذن

مسألة : سأل الجنيد عن الشفقة على الخلق ما هو ؟ قال : تعطيتهم من نفسك

ما يطلبون ، ولا تحمليهم ما لا يطيقون ، ولا تحطيمهم بما لا يبرهنون

مسألة : في التقيّة ، قال قوم : استعمال الأمر والنهي ، وقال قوم : ترك الشهوات .

وقال قوم : التقيّة : حرم المؤمن كما أن الكعبة حرام للكافر ، وقال قوم : التقيّة :

نور في القلب يفرق بين الحق والباطل

وقال سينا والجنيد والحارث وأبو سعيد وجماعة من أئمة السلف : التقيّة :

استواء السر والعلانية

مسألة في السر ، قال بعضهم السر : ما لا يطلع عليه من الناس ، والسر :

ما غيبه الحق ، وأشرف عليه به ، وقال قوم : السر سرّ الله ، وهو ما أشرف

عليه بلا واسطة ، وسر الخلق ، وهو ما أشرف عليه الخلق بواسطة ، ويقال : سر من

السر للسر ، وهو حق لا يظهر إلا بحق ، وما ظهر بغيره فليس بسر .

وحكى عن الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله تعالى ، أنه قال : أسرارنا بكر
لا يفتضحها وهم واهم

وقال يوسف بن الحسين ، رحمه الله تعالى : قلوب الرجال قبور الأسرار (١) .
وعنه أيضاً أنه قال : لو أطلع زري على سرى قلعتد .

[وقال بعضهم] شاعر :

حالكٌ بسيرٍ قد أسرَّ جميعها و كلالهما في سرها مسرور
ما سرَّ مسرورٍ بشيرٍ بسره منه إليه مسوياً مغرور
وقال آخر :

يا سرَّ سرَّ يدقُّ حتى يخفي على وهم كلِّ حتى
وظاهرٍ باطنٍ تجلى من كلِّ شيءٍ ليكلِّ شيءٍ
وقال النوري رحمه الله تعالى :

عمري ما استودعت سرى وسرها سوانا حذاراً أن تشيع السراير
ولا لاحظته مقلتاي باحظة فتشهد بجوانا الميون النواظر
ولیکن جعلت الوهم بيني وبينه رسولاً فأدنى ما تیکن الضمائر

فهذا ما حضرني في الوقت من مسائلهم ، ومسائل هؤلاء أكثر من أن
يتهيأ ذكرها .

وقد حكى عن عمرو بن عثمان المكي ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : العلم كله
نصفان : نصفه سؤال ونصفه جواب ، وبالله العوفيق .

كتاب المكاتبات والصدور والأشعار والدعوات والرسائل

باب في مكاتبات بعضهم إلى بعض

سمعت أحمد بن علي الكرجي رحمه الله تعالى يقول : كتب أجنيد إلى ممشاذ الدينوري رحمه الله تعالى كتاباً : فلما وصل الكتاب إليه ، قابله وكتب على ظهره ، ما كتب صحيح إلى صحيح قط ، ولا افترقا في الحقيقة ، وكتب أبو سعيد الخراز إلى أبي العباس أحمد بن عطاء رحمهما الله : يا أبا العباس تعرف لي رجلاً قد كملت طهارته ، وبريء من آثار نفسه عنه به له ، موقوف مع الحق بالحق للحق ، من حيث أوقفه الحق ، حيث لا له ولا عليه ، فأحق بعالمه امتحن له ، وامتنحن للخلق به فإن عرفت لي هذا ، فدعني عليه حتى إن قبلي كنت له خادماً .

وكتب عمرو بن عثمان المكي رحمه الله كتاباً إلى بغداد ، إلى جماعة تصورة بهم فكان في كتابه : وإيكم لن تصلوا إلى حقيقة الحق ، حتى تجاوزوا تلك الطرقات المنظومة ، وتسلكوا تلك المفاوز المياكة . فحضر عند قراءته أجنيد والشبلي وأبو محمد الجريري رحمهم الله ، فقال أجنيد رحمه الله : ليت شعري من الداخل فيها ؟ وقال الجريري : ليت شعري من الخارج منها ؟ وفل الشبلي : ياليتني لم يكن لي منها مشام الریح :

وفيا ذكر عن الشبلي رحمه الله ، أنه كتب إلى أجنيد : يا أبا القاسم ، ما تقول في حال علا ظهير ، وظهير أقبر ، وفهم فهم ، فاستأنخ واستقر ؟ فالشواهد منظومة ، والأوهام خفسة ، والأسن خرسية ، والعلوم مندرسة ، ولو تكاثفت الخليفة على من هذا حاله ، لم يزد ذلك إلا توحشاً ، ولم أقبلت الخليفة إليه تعافياً ، لم يزد ذلك إلا تبعداً ، فالخصال في هذا الحال قد طند بالأغلال

والأنكال ، وغلبه على عقلة فخال وحاد الحق بالحق ، وصار الخلق عقلا ، وكتب
تحتها هذين البيتين :

يا هلالَ السَّما طَرَفَ (١) كليل
فَإِذَا ما بَدَأَ أَضْما طَرَفَ فِيهِ
كُنتَ أَبْكَى عَلى مَنهُ فَلَما
أرَوَّ لِي بِكَ كَنتَ مَنهُ عَلِيهِ

قال : فترك الرقعة عنده من الأربعاء إلى الأربعاء ، وكتب تحتها : يا أبا بكر :
الله في الخلق ، كنا نأخذ الكلمة فنشقها ، ونقرظها ، وتكلم بها في السراذيب
وقد جئت أنت فخلعت العذار ، بينك وبين أكبر الخلق ألف طبقة ، في أول
طبقة يذهب ما وصفت .

قال الشيخ رحمه الله ، وكنت بالرملة ، وكان بها إنسان هاشمي ، وله جارية
مشهورة بحسن الصوت ، والحدائق في القول فسألنا أبا علي الروذباري ، أن
يكتب إليه رقعة ، يستأذن لنا بالدخول عليها ، حتى نسمع منها شيئا ، فكتب
إليه على البديهة بحضرتي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بَلغني - بَلغك اللهُ سؤالك وأعطاك مأمولك - أن عندك
من مناهل الورود ، منبلا يرد عليه قلوب أدل الوجود ، فيشربون منه بعقد الوفاء ،
شراباً يورثهم حقائق الصفاء ، فإن أذن لنا بالدخول عليه ، فلنا على رب المنهل
أن يزينا المجلس بفقد الأغيار ، ويحجبه عن نواظر الأبصار ، ومحيثنا مقرون
بإذنك والسلام .

وسمعت أبا علي بن أبي خالد الصوري بصور يقول : كتبت إلى أبي علي
الروذباري رحمه الله كتاباً ، وكتبت فيه هذين البيتين :

إِنَّ كَتَمِي أبا عَلِيٍّ خُبَيْبِيكَ فِراراً مِنَ التَّشارِكِ فِيهِ
حَبِّدا رُوذبارُ ماذا عَلينا لَكَ حَقًّا وَذاكَ مَنهُ بَيتِهِ

(١) في رواية أخرى : كطرف (٢) في رواية أخرى : السر

قال ثم استقبلني بعد ذلك بأيام ، وكان في يدي جزء ، وأخذه من يدي وكتب على ظهره :

أغراك بالحبِّ حُبِّ في تخيُّبه لطفُ الجنانِ وعطفُ في تعثُّبه
يا ابن الصبَّابات عن ورد بلا صدر نجعت صفو الهوى في غير مطالبه
قف تحت صفته بالودِّ منك له مستهترا بتباريح الشجون به

قال ومرض رجل من أصحاب ذي النون ، فكتب إليه : أن ادع الله لي ، فكتب إليه ذو النون رحمه الله : يا أخي سأنتني أن أدعو الله لك ، أن يزيل عنك النعم ؟ واعلم يا أخي أن المرض والعلّة يؤنس بها أهل الصفاء ، وأصحاب الهمم والضناء لأنها في حياتهم درك للشفاء ، ومن لم يعد البلاء نعمة فليس من الحكماء ، ومن لم يؤمن الشفيق على نفسه ، فقد آمن أهل التهمة على أمره ، فيمكن معك يا أخي من الله حياة يمدك من الشكوى والسلام .

وكتب رجل إلى ذي النون رحمه الله : آسك الله تعالى بقربه . فكتب إليه ذو النون رحمه الله : أوحشك الله من قربه ، فإنه إذا آسك بقربه ، فهو قدرك ، وإذا أوحشك من قربه فهو قدره ، ولا نهاية تقدره حتى يتركك ملهوفاً إليه .

وسمعت جعفر الخدي رحمه الله يقول : سمعت أبا حمزة رحمه الله تعالى يقول : دفع إلى سري السقني رقعة ، قال : هذا مكان قطرات الحبيب ، فإذا رفعتها فإذا فيها مكتوب : سمعتُ حادي في البادية يقول :

أبكي وهلك تدرين ما أبكي

أبكي حذاراً أن تقارقيني

وتقطعي وصلي وتجريني

وقال الروذباري رحمه الله ، كتب إليّ بعض أصدقائي : كتابي إليك كمودتي لك ، نورٌ منك دلّ عيني عليك ، وحجبتها عن النظر إلا إليك ، والسلام .

وكتب أبو عبد الله أيضاً في كتاب إلى بعض أصدقائه : ما الذي أدّاك إلى الصبوة ، بعد تمسكك من الخطوة ؟ وما الذي حداك على قطع حبل الوصال ، بعد المحافظة على الاتصال ؟ أو ما علمت أن لورود الكتب فرحة تعدل فرحة القرب ؟ .

وكتب شيخ من الأجلة إلى بعض المشايخ : وجدى بك حماني عن الإشارة إليك ، وما بدا من قُربك غيب عني مؤنة الذِّكر لك ، فحقيقتك ظاهرة ، وأعلامك زاهرة ، وسطوتك قاهرة ، ظهرت سطوتك فخنست معرفتي عند ظهورها ، وذهل عقلي عند ورودها ، وقصّر علمي عند شرح بيان ظهورها ، وقصّرت عبارتي عند استيلاء حقيقتك والسلام .

سمعت أبا الطيب أحمد بن مقاتل العكسي يقول : كتب أبو الخير التيناني إلى جعفر الخلدی رحمه الله كتاباً ، فكان فيه : وزرُّ جبل الفقراء عليكم ، لأنكم ركتم إلى أبناء الدنيا ، واشتغلتم بأموركم فبقوا جبهة .

وقال يوسف بن الحسين رحمه الله : كتبت إلى بعض الحكماء ، وشكوتُ زكوني إلى الدنيا ، وما أجدُ في طبعي من الأخلاق التي لست أرضاها من نفسي لنفسي ، فكتب إليّ : بسم الله الرحمن الرحيم ، وصل كتابك ، وفهمت ما ذكرتُ ومخاطبتك - أكرمك الله - شريكك في شكواك ، ونظيرك في بلواك ، إن رأيت أن تديم الدعاء وقرع الباب ، فإنه من قرع الباب ، ولم يعجز عن القرع دخل ، وإن تهبأ لك ما تريد من الصفاء ، والطهارة ، فدع ما أنت فيه من البلاء ، من اقرارف مساويء لا تجدي عليك منفعة في دينك ، ولا دنياك ، وتجنّب قُرب من لا تأمن

على نفسك في مواصاته الغفلة ، والبطالة ، واستعن على ذلك كله بالقدعة والتجزى ،
وسئله أن يمن عليك بتوبة طهرى لا عملى ، والسلام .

وقال يوسف بن الحسين رحمه الله ، كتب حكيم إلى حكيم ، يسأله عما يؤديه
إلى صلاح نفسه ، فكتب إليه : إن فساد نفسى قد شغلنى عن إصلاحك ، ولست
أجد فى نفسى فضلةً لغيرها ، والسلام .

وقال : كتب أبو العباس أحمد بن عطاء رحمه الله إلى أبي سعيد الخراسانى رحمه الله
كتاباً فقال فيه : وأعلمك أن الفقراء وأصحابنا بعدك ، صاروا يذقون بعضهم لبعض
فكتب إليه أبي سعيد رحمه الله : وأما ما ذكرت أن أصحابنا بعدى ، صاروا
يذقون بعضهم لبعض ، فأعلم أن ذلك غيرة من الحق عليهم ، حتى لا يسكن
بعضهم إلى بعض .

وقال الزبير بن عدي : كتب بعض المحبين إلى حبيبته : إن المودة لا تزال
موصولة ، فزُرْ بلادى ، وأكثر وادى ، واحذرُ عداً الحى أن يلقوك ، وليظن
العداء أنك جافٍ .

وكتب بعض الشيخ كتاباً ، فكان فيه هذا الفصل ، وأنا وجدته بخط جعفر
الخلدي : تفكرى في مرارة البين يمنعنى من التمتع بخلاوة الوصل ، وتكره عنى
أن تقر بقرْبك ، مخافة أن تسخن ببعدك ، فلى عدا الاجتمع كيد ترويح ، وعند
التأنى مائة تكيف ، وأقول كما قال الشاعر :

وما فى الدهر أشقى من محبٍ * وإن وجد الهوى خيراً من
تراه بائساً فى كس حين * تخافه ففرقة ، ولا تتركه
فبكى إن أوا شوقاً إليهم * وتبكر إن دوا خوف العراف
فسخن عيى عند التأنى * وتسخن عيى عند التناقى

وحكى عن حسين بن جبريل المرندى رحمه الله ، وكان من المشيخ الأجلة ،
أنه قل : ورد على كتاب من مكة ، فقرأت عن جماعة من أصحابنا ، وكان من

بعض تلامذته ، فكان في الكتاب : أعلمك يا شيخى أن أصحابك كلهم ترائقوا بعضهم مع بعض ، فبقيتُ بلا رفيق ، فرأيتُ يوماً في الطوان غزالاً يطوف فأعجبني ذلك ، فرافقته وكان لي قرصان شعيرٌ في كل ليلة ، قرصٌ لي وقرصٌ له ، فبقي معي أشهراً ليلها ونهارها ، فليلةً من الليالي لم أترغ للإفطار وتأخر ذلك ، فلما أردت أن أفطر ، فإذا به قد أكل القرصين ، فقلت : ونحك قد ظهرت منك الحيانة ، فرأيت دموعه تسيل على خده ، فذهب حياءً مني ، فاسألك أن تدعو الله تعالى أنت وأصحابك ، أن يرده عليّ

قال : وكتب شاه الكرماني رحمه الله ، إلى أبي حفص رحمه الله : إذا رأيتُ أمرى كله مصيبةً ، فكيف أكون في مصائبى ؟ فكتب إليه أبو حفص رحمه الله : أنت مصائبك ، ولا تكن مع إلفك لمصائبك .

وفيه حكاية عن ابن مسروق عن سري السقطي رحمه الله ، أنه قال : كتب إلى بعض إخواني ، فكتبت إليه : يا أخى أوصيك بتقوى الله الذي يسعد بطاعته من أطاعه ، وينتقم بمعصيته ممن عصاه ، فلا تدعوك طاعته إلى الأمن من عذابه ، ولا تدعوك بمعصيته إلى اليأس من رحمته ، جعلنا الله وإياكم حذرين من غير قنوط ، وله راجين من غير اغترار والسلام .

وكتب أجنيد رحمه الله كتاباً إلى علي بن سهل الإصبهاني ، وكان فيه : واعلم يا أخى ، أن الحقائق اللازمة ، والقصود القوية المحكمة ، والعزائم الصحيحة المؤكدة ، لم تُبق على أهلها سبباً إلا قطعته ، ولا معترضاً إلا منعتته ولا أثراً في خفي السرائر إلا أخرجته ، ولا تأويلاً موهماً لصحة المراد إلا كشفته ، فالحق عندهم بصحة الحال مجرداً ، والجد في دوام السير محمداً على برادين من العلم واضحة ، ودلائل من الحق بيّنة .

قال الشيخ رحمه الله : فأما مكاتباتهم ، ومراسلاتهم أكثر من أن يتبها جمعها في الأجزاء الكثير ، وإما ذكرنا هذا طرفاً على حسب ما أمكن في الوقت ، لأن

المراسلات الطوال نحو رسالة النورى إلى أجنيد رحمهما الله في مسألة البلاء، ورسالة
أبي سعيد الخراز إلى النورى، ورسالة الجنيد إلى يحيى بن معاذ وإلى يه سف بن
الحسين، ومجاو بتسيهما، ورسالة عمر والمكي إلى ابن عطاء، وغير ذلك، لم يتبها لنا
ذكره، ولكن نذكر رسالة واحدة للجنيد إلى أبي بكر الكسائي الدينورى
رحمهما الله، وهي مختصرة إن شاء الله تعالى.

رسالة الجنيد إلى أبي بكر الكسائي رحمهما الله تعالى: أخى أين محلك عند
تعطيل العشار (١)؟ وأين دارك وقد خربت الديار؟ وأين منزلك والمذزل قاع حنصف
قفار؟ وأين مكانك والأماكن عواف دوارس الآثار؟ وماذا خبرك عند ذناب
جوامع الأخبار؟ فيم نظرك عند اصطلام محضر النظر؟ فيم فكرك وليس بحين
نظر ولا افتكار؟ وكيف هدوؤك على ممر الميل والنهر؟ وكيف حذرنا عند وقوع
فواجع الأقدار؟ وكيف صبرك ولا سبيل إلى عزاء ولا اصطبار؟ فأبك الآن إن
وجدت سبيلا إلى البكاء، بكاء الواهية الخربنة الموجهة الشكى، بنقد أعزة الألاف
وفناء أجلة الأخلاف، وإبادة ما مضى من الاكتاف، وذهب مشيخ الاعتطف
وورود بداية الاختطاف، وروادف عواصف الارتباب، وتبع قواصف الاعتطف،
وبواهر قواهر الاعتكاف، وثرأقب ملامح الاعتراف، فإلى أين موثقت، وإلى أين
مصدرك، والأحلام متمزقة، والقنوب متصدعة، والعتول منخامة، والأبد كئيبا
مرتفعة، وأنت فى أوابد مدمسة، ونجوم منطمسة، وسيل منقسمة، قد أخلت فى
اختلاف مناهجها ظاهرها، وانطبقت عليك أرضهم وسدوها، ثم أفضى بك إلى
إلى لجة الملحج، والبحر الزاخر الغامر المحتاج، الذى كل بحر دولة له فيه، وهو فيه
كتفلة أو حجة، فقد قذف بك فى كئيب أمواجه، وتلاطم عراك بهيم هوله
وارتجاجه، فمن مستقذك من متانفت المهانك أو مخرجك مما هناك لا كتبى إليك

(١) يشير إلى الآية القرآنية التى جاءت - مع آيات أخرى - فى وصف هول يوم القيامة

وهى: وإذا العشار عطلت.

أبا بكر ، وأنا أحمد الله حمداً كثيراً ، وأسأله العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، وصل
إلى من كتب فهمت ما ذكرت فيها ، ولم يمنعني من إجابتك عليها ما وقع في
وهيك ، وشق على ما ذكرت من غمك ، وليس حالك عندي حال معتوب عليه ،
بل حالك عندي حال معطوف عليه ، وبحسبك من بلائك أن أكون سبباً لزيادة
في البلاء عليك ، وإني عليك لمشفق ، وإنما منعي من مكاتبتك ، لأنني حذرت
أن يخرج ما في كتابي إليك إلى غيرك بغير علمك ، وذلك أني كتبت منذ مدة
كتاباً إلى أقوام من أهل إصبهان ، ففتح كتابي ، وأخذت نسخته ، استعجم بعض
ما فيه على قومه ، فأتعنى نخاصهم ، ولزمني من ذلك مؤنة عليهم ، وبإخلاق حاجة
إلى الرنق ، وليس من لرنق بإخلاق ملاقاتهم بما لا يعرفون ، ولا مخاطبتهم بما
لا يفهمون ، وربما وقع ذلك من غير قصد إليه ، ولا تعمد له ، جعل الله عليك واقية
وجنة وسامنا وإيك . فعليك ، رحمك الله ، بضبط لسانك ، ومعرفة أهل زمانك ،
وخاطب الناس بما يعرفون ، ودعهم مما لا يعرفون ، قتل من جهل شيئاً إلا عاداه ،
وإنما الناس كالإبل المائة (١) : ليس فيها راحلة ، وقد جعل الله تعالى ، العلماء والحكماء
رحمة من رحمته ، وبسطها على عباده ، فاعدل على أن تكون رحمة على غيرك ، إن
كان الله قد جعلك بلاء على نفسك ، وأخرج إلى الخلق من حالك بأحوالهم ،
وخاطبهم من قلبك على حسب مواضعهم ، فذلك أبلغ لك ولهم ، والسلام عليكم
رحمة الله وبركاته .

وقال الشيخ رحمه الله : وإنما وضعت في هذا الكتاب هذه الحكاية والرسالة
حتى يتأمل من ينظر فيه . ويستفيد منها بما فيها من الإشارات الصحيحة ،
والعبارات الفصيحة ، ويقف على مقاصد القوم في مكاتبتهم ، لأن بين كل طائفة
من الناس مكاتبات ومراسلات ، على حسب ما يليق بهم . وبالله التوفيق .

(١) قوله : المائة . لعلماء : الهامة

باب في صدور الكتب والرسائل

صدر للجنيّد، رحمه الله: آثرك الله يا أخي بالاصطفاء، وجمعك بالاحتواء، وخصّك بعلم أهل السُّبَى، وأطلعك من المعرفة على ما هو أولى، وتمّم لك ما تريد منك له، ثم أخلاك منك له، ومنه له به ليُفردك في قلبه لك، بما يُشهدك، من حيث لا يلحقك شاهدٌ من الشواهد يخرجك، فذلك: أول الأول الذي محبه رسوم ما ترائف مما غيَّب به عنك بعلم ما استأثر به منه له، ثم أفردك منك لك، في أول تفريد التجريد، وحقيقة كائن التفريد، فسكذلك إذا انفرد بذلك أباد وأفنى الإبادة ما سلف من الحق من الشاهد بعد إفاء محاضر الخلق، فعند ذلك يقع حقيقة الحقيقة من الحق للحق، ومن ذلك: ما جرى بحقيقة علم الانتهاء إلى علم التوحيد على علم تفريد التجريد، فقد عزره الله وحجبه عن كثير ممن يتحلوا ويسعده، ويتحقّق به ويصطنقه.

صدر آخر: موتك حقيقة الاختصاص عن لوائح الانتقاص، وآوئك الحق في خفي من الملاحظة لحظك مثلاً بالإجلال له عن ذكر نفسك وحالك في أوان ذكره، ثم أذكرك أنه ذكرك في قديم الأزل قبل حين البؤى، وقبل حال البؤى، إنه فعل لما يشاء، وهو قدير.

صدر آخر: أكرمك بطاعتك، وخصّك بولايتك، وجلالك بسيره، ووثقتك بآية نبيه صلى الله عليه وسلم، وأطلعك على فهم كتابه، وأطقك بالحقائق التي بها يتقرب، وخصّك بالفوائد، ومنحك الزيادات، والزهد بابها، وثبات خدمته، حتى تكون له موافقاً، ولكأنس محبته ذاتها، فيتصل العيش براميتك، والحياة بالحياة، والروح بالروح، فتم العممة، وتسلم من المعتبة، فتصح العافية، وتكمل السلامة.

صدر آخر . بدت لك تجائب ما في الغيوب من أنبائها ، وكشفت لك عن حقائق ما تكن من أكنانها ، وأوضحت لك عن سر غرائب إحقانها ، وخاطبتك بكل ما كن من عطائها ، بلسانه الذي ينطق به عن خفي مكانه ، فأوضح منطق يوضح عن حكم بيانه ، ليس بما صرح به من الفصح من لسانه ، لكن بما أوقفه الحق من مراد إعلانه ، وذلك : غير كائن قبل حينه وأوانه ، والمراد بفهم ذلك : هو المفرد الموجود من أهل دهره وزمانه .

صدر آخر : حاطك الله بمحياطته التي يحوط بها المستخلصين من أحبابه ، وثبتتك وإيانا على سبيل مرضاه ، وأولج بك قباب أنسه ، وأرقاك في رياض فنون كرامته ، وكلائك في الأحوال كلها كلاءة الجنين في بطن أمه ، ثم أدام لك الحياة المستخلصة من قيمومية الحياة على دوام ديمومية أبدية ، وأفردك عمّا لك به وعماله بك ، حتى تكون فرداً به في دوامها ، لا أدت ولا مالك ولا العلم به ، ويكون الله وحده .

هذه الصدور كلها للجسد ، رحمه الله ، ونعيمها إشارات لطيفة ، ورموز خفية ، تعبر عن الحقائق المشككة وتنبئ عن السرار والخصوصية التي تنفرد بها هذه العصابة في تجريد التوحيد ، وحقيقة التفريد ، فمن نظر فيه فليتأمل ، فإن فيه لأهل الفهم فوائد ، ولأهل العناية بهذا العلم زوائد ، وعلى القلوب من المعرفة بذلك جميل عوائد ، والله الموفق للصواب .

وتغير الجسد صدور حسنة ، أذكر من ذلك طرفاً إن شاء الله .

صدر لأبي عليّ الروذباري ، رحمه الله : آنسك الله في كمال الأحوال وتامها ، وبلوغ الغابت ونظامها ، وأنس بك قلوب أهل مصافاتك وموالاتك ، في دوام فضلك ومعافاتك ، وجعل لك ما اتضح لك موصولاً بك في حياتك ، وبعد وفاتك ، ومن علينا بما يقصر عنه بلوغ الآمال ونهاية الأحوال ، وزادك من فضله الذي عودك من ربه والطفه وإحسانه ، والله بمنّ علينا في ذلك بما نرجوه .

صدر لأبي سعيد ابن الأعرابي : كلاً كم الله كلاءة الوليد ، وألحقاً وإياكم
بصالح العبيد ، الذين كشف عن قناع قلوبهم ، فشهدوا الوعد والوعيد ، فمن كان
منهم خائفاً فالرجاء منهم غير بعيد ، ومن كان منهم راجياً فالخوف في قلبه عتيد ،
فهم بمحبته صائلون ، ولهيبته خاضعون ، بسطية المحبة والرجاء أن يكونوا قانطين ،
وقبضهم الخوف أن يكونوا مخدوعين أو آمنين ، فهم بين الخوف والرجاء وانتمون ،
فقد أفلتهم الشوق ، وأزعجهم لذوق ، فحسن الظن قائدهم ، وخوف الفوت سائقهم ،
والتوفيق رائدهم ، والحب مطيئهم ، طالبين مطلوبين ، منوردة لهم أعلام الطريق ،
معمورة لهم المناهل ترويح لهم بالعوائد ، متقلبين باشطركم والفوائد .

صدر آخر له : أمتك الله عنك ، وأحياتك به وأبدت بانتميم ، وفرغ قلبك من كل
وهم ، وأفناك بانقرب عن المسافة ، وبالأس عن الوحشة .

صدر آخر له : كلاً لك الله كلاءة الوليد المرحوم ، وحفظك حفظ أولي العصور ،
ووهب لك معرفة ما أنتم به عايك ، واستخرج منك ما جبلت عليه ، وحجبت عن
نفسك القاطعة دونه ، وكفك عوائقها وبرائتها ورؤية عمالك ، وأثر سعيك ،
وتزكية نفسك ، وأعتقك من رقيا ، وكفك عوارض تعمرها ، وفضول تكلمها ،
واستخصك انفسه منها ، ليحقق فيك العبودية ، فيزكو عملك وإن خف ، وينمو
سعيك وإن قل ، وتطيب حياتك وإن مت ، - تي يوصلك بالحياة التي لا موت
فيها ، والبقاء الذي لا فناء بعده ، وتولي أمرك بالحسنى في عواقبها ، كما كفك الصعير
في أوائلها ، إنه ولي التمام لما ابتداء .

صدر لأبي سعيد الخزازة : عصمتك الله بذكره عن نفسك ، وعصمتك بذكره عن
وصفك ، وقسم لك من العلم به في فعلك ، حتى تكبر من جمع له جبل زبد
وأعلى في ذلك مكانك ، وكشفت في ذلك بالبيان ، وأما أسأل الله تعالى : أن
يجمع لك من نفسك ما فرق ، ويبين عنك منها ما جمع ، إنه الهادي لملك
والتقادر عليه .

صدر آخر له : حماك الله عن نفسك بذكره ، وصدقك في ذلك بشكره ، ولا أخلاك في ذلك بإقباله ، وقسم لك من جزيل نواله ، وأعادك من شديد محبته ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

صدر آخر له ، وأظنه للخراز : قسم الله لك من العلم الرفيع ، وأفردك في الذكر المنع ولا أخلاك من رعايته ، وأفردك بولايته ، وتولاك فيما استرعاك ، وكان لك في ذلك وكفاك ، وأقبل عليك وشفاك ، وقسم لك من ذكره ووالاك ، وأنسك بطاعة وأعلاك ، ولا وكلك إلى نفسك وهوأك .

صدر للكردي الصوفي الأرموي : منحك الله بما به منحك ، وحماك عن طويبات الصفات بالإجابة لمن رتب الرويات ، وحماك عنك ، بشاهد ما فيه بدأت ، وعظيم ما به ابتدأت ، وأحمتك في محل التجلية لما أراد ولما به أريد ، وأظلمهم واقع راحة التسليم [التي] تحوى أسرارهم لمن يفانى ، فتسرى همومهم لمن يعانى ، قد باشروا منه ما له استبشروا ، وفي ميادين محبته انتشروا ، ألمابهم سواطع أنوار التوحيد ، ولوامع التجريد ، بائنين عما له وبه بانوا ، فهيم كالذي كانوا .

صدر كتاب للثقي ، رحمه الله : هنأك الله كرامته ، فأنت غيث لأهل مودته ، وكهف لأهل موافقته ، ودال على معرفته ، ومنتسب إلى وحدانيته ، ونخبه عنه به ، ومن اصطنعه لنفسه في قديم أزليته ، وأطاعه على مكنون سره ، وأشهده مجارى قدرته ، وأنفق لسانك بحكمته ، وأقامك لدلاته ، وجعلك معياراً على المريدين ، والمحققين البالغين ، المتأهبين بحسن استبانته ، إنه ولي ذلك ، ولا مبيل إليه إلا به ، والسلام .

صدر آخر للثقي : أكرمك الله وأعلاك ، وقربك بعطائه وأدناك ، وقسم لك من نواله وأرضاك ، وأعادك من بلائه وشفاك ، وتولاك فيما ألزمك وكفاك ، إنه ولي تقديره ، ذورافة لمن التحأ إليه ، ومهيمن على من استند إليه ، نعوذ بالله لنا ولك من كل بلية ، ونستميذه ونستغفره من كل خطية .

صدر آخر . تودد الله إليك بعطفه ، ولا أخلاك من نائله ولطفه ، وأعاذك من
بلائه وعنفه ، ولا حجبك بفعلك عن ذكره ، ولا سترك بعملك عن شكره ،
إنه ولي قدير .

صدر آخر ، عصمك الله بما عصم به المتقين ، وأودعك من العشق السليم ،
وكاشفك بذكره الرفيع ، وآمنك بدوام إقباله عليه ، إنه ولي قدير .

قال الشيخ ، رحمه الله : والذي حملنا على جمع هذه الرسائل والصدور
والمكاتبات في هذا الكتاب : ما أودع فيها من المعاني والإشارات ، لينظر الناظر
فيه ، ويستدل بذلك على مراتب القوم ، ولطائف إشاراتهم ، وطهارة أسرارهم ،
وخصوصيتهم بالفهم ، والعلم ، والعقل ، والأدب ، لأن من عادة أهل المعرفة والأدب
أن يعرفوا أمثالهم بمخاطباتهم وأشعارهم ، ومكاتباتهم ، إذا فاتهم المجاهرة والمخاطبة
وبالله التوفيق .

باب في أشعارهم في معاني أحوالهم وإشاراتهم

حكى عن يوسف بن الحسين أنه قال : سمعت بعض الثقات يحكى عن
ذى النون المصرى ، رحمه الله أنه قال :

إذا ارتحل الكرامُ إليك يوماً
فإن رحلتنا حطت رضاء
أنحنا في فناءك يا إلهي
فُسنا كيف شئت ولا تكلنا
ليلتمسوك حالا بعد حال
بحكك عن حلول وارتحال
إليك مفوضين بلا اعتلال
إلى تدبيرنا يا ذا المعالي

ولدى النون ، رحمه الله أيضاً :

مَنْ لاذ بالله نجا بالله
إن لم تكن نفسى بكف الله
لله أنفاسٌ جرت لله
وسره مرّ قضاء الله
فكيف أقدحك الله
لأحوالٍ فيها بغير الله

أنشدنى أبو عمرو بن علوان للجعيد ، رحمه الله ، هذه الأبيات :

تغرب أمرى عند كل غريب
وذاك لأن العارفين رأيهم
فأصبح أمرى ليس يدرك غوره
فصرت عجباً عند كل عجب
على طبقت في الهواء رتوب
سوى أنى للعارفين خطيب

وللجعيد ، رحمه الله ، في الاحتراق والتعذيب :

يا موقد النار في قلبى بقدرته
لا عار إن مت من خوف ومن حذر
وله أيضاً :

يا مسعري أسفاً يا متلفي شغفاً
حاشاك من استغاثتى فكيف وقد
لو شئت أنزلت تعذيبى بمقدار
أوليتنى نعماً طاحت بأذكار

سمعت أحمد بن علي أوجيهي بالرملة يقول : كتب أبو الحسين النوري كتاباً
إلى أبي سعيد الخراز ، رحمه الله ، فكتب فيه هذه الأبيات :

لعمري ما استودعتُ سره سوانا حذاراً أن تشيع السرار
ولا لاحظته مُقلتاي بنظرة فتشهد نجاناً القلوب الوظر
ولكن جعلت الوهم بيني وبينه رسولاً فأدى ما تكين الضمير
وأشد القاد لأبي الحسين النوري ، رحمه الله ، يصف فقد حاله ويعاد :

أنى إليك إشارات القلوب معاً لم يبق منهن إلا درس العلم
أنى إليك قلوباً طال ما هطأت سحائب الجود منها أبحر الحكيم
أنى إليك نفوساً طاح شهدها فيما ورا الحيث بل في شاهد القدم
أنى إليك لسان الحق مُد زمن أودى وأذكاره في الوهم كأنه دم
أنى إليك بياناً تستكين له أسمع كل فصيح مقول فيه
أنى وحقك أخلاقاً طائفة كانت مطيهم في مكن الكف

قل الشيخ ، رحمه الله : أنشدني جعفر الخالد الجنيدي ، رحمه الله ، هذين
البيتين :

مالي جنيتُ وكنت لا أجفي ودلائل الهجران لا تخفي ؛
وأرانة تستيني وتمزجني وقد عهدتكَ شربي صرفاً ؛

وفيما ذكر عبد الله بن الحسين ، قال : سمعت أحمد بن الحسين البصري يقول
حضرت مجلس الجنيد ، رحمه الله ، فسأله رجل مسألة ، فأشدد :

نم على سر وجدته النفس والدمع مع مقامه يسبح
مداه هائم له حرقف أندسه بالحسين تفتس
مهبذب عارف له فدان من نور أس الحبيب يقتبس
يا ، بأبي الأشعث الغريب فتى ليس له دون سؤاله أس

يا، بأبي جسمه الزكي وإن كان عليه خليقٌ دنسٌ
قال : وأنشدني أبو بكر الدقي بدمشق قال : أنشدني أبو علي ، أحمد بن محمد
الروذباري ، رحمه الله ، لنفسه :

حدُّ القناعةِ محورُ الكلِّ منك إذا لاحَ المزيدُ بجِدِّ عنه مُطَّلَعٌ
فإنْ تحققَ وصفُ الوجدِ مُشتملاً على الإشاراتِ لم يَلوِ على الطمعِ
قال : وأنشدني الوجيبي قال : أنشدني أبو علي لروذباري لنفسه :

كُتِبَتْ إِلَيْكُمْ بِمَاءِ الْجَفُونِ وَقَلْبِي بِمَاءِ الْهَوَى مُشْرَبٌ !
وَصَفِّي تَخَطُّ وَقَلْبِي يَمَلُّ وَعَيْنَايَ تَحْوِ الَّذِي تَكْتَبُ !
قال : وأنشدني أبو عبد الله ، أحمد بن عطاء الروذباري لخاله أبي علي ،
رحمه الله :

تَأْمَلْ مَنْ بَعْدَ تَأْمِيلِهِ حُلُولَ فَنَائِكَ صَفْوُ الْوَصْلِ
مَوَانِعَ عَنْ احْتِوَاءِ الْوَصَالِ إِلَيْكَ عَنْ الْوَصْلِ فِي كُلِّ حَالِ
عَلَى أَنْ يَرُدَّ عَلَيْكَ الصِّفَاتِ بِنَعْتِ التَّمَكُّنِ عِنْدَ الْكَمَالِ
فَاقْعَ بِقِنَعَتِهِ أَنْ تَرَاهُ فَتَمَّتْ مَدَى حِظِّهِ فِي النِّوَالِ
وله :

إِنِّي أَجِلُّكَ عَنْ رُوحِي وَأَبْذُلُهَا فِدَاءَ عَبْدِكَ رُوحٌ أَنْتَ وَاهِبُهَا
وَكَيْفَ تَقْدِيكَ رُوحٌ أَنْتَ وَاهِبُهَا وَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ مِنْ يَفْتَدِيكَ بِهَا؟!
قال : وأنشدني أبو بكر : أحمد بن إبراهيم المؤدب البيروتي بمصر للخوادم
رحمه الله :

صَبِرْتُ عَلَى بَعْضِ الْأَذَى خَوْفَ كَلِّهِ وَدَافَعْتُ عَنْ نَفْسِي لِنَفْسِي فَعَزَّتِ
وَجَرَّعَتْهَا الْمَكْرُوهَ حَتَّى تَدْرَبْتُ وَلَوْ جَرَّعَتْهُ جَمَلَةٌ لِأَشْمَأَزَّتِ
أَلَا رَبُّ ذُلِّ سَاقِ النَّفْسِ عِزَّةٌ وَيَا رَبُّ نَفْسٍ بِالْتَعَزُّزِ ذَلَّتِ

إِذَا مَا مَدَدْتُ الْكَفَّ الْأَتَمِيسُ الْغَنَى إِلَى غَيْرِ مَنْ قَالَ اسْأَلُونِي فَسَلَّتْ
سَأَصْبِرُ نَفْسِي إِنْ فِي الصَّبْرِ عِزَّةٌ وَأَرْضِي بِدُنْيَائِي وَإِنْ هِيَ قَلَّتْ
وَأَنْشُدُ أَبُو حَنْصَ عَمْرَ الشَّمْشَاطِي بِالرَّمْلَةِ لِلخَوَاصِّ ، رَحِمَهُ اللَّهُ :

لَقَدْ وَضَحَ الطَّرِيقُ إِلَيْكَ قَصْدًا فَمَا أَحَدٌ أَرَادَكَ بِسَبِّكَ تَدَلُّ
فَإِنْ وَرَدَ الشِّتَاءُ فَأَنْتَ صَيفٌ وَإِنْ وَرَدَ الْمَصِيفُ فَأَنْتَ ظِلٌّ
قَالَ عَمْرٌ : مَعْنَاهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ : « كَلَّا إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِي »

وَالسَّمْنُونُ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : سَمْنُونُ الْأُحِبِّ يُصَفُّ ، الْوَجْدُ :
هَبْنِي وَجْدُكَ بِالْعَنُومِ وَوَجْدَهَا مَنْ ذَا يَجِدُكَ بِبَلَا وَوَجُودِ يَطْفِرُ
أَيُّ مَقْضِي بِالْمِثْلِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي حَسِيرَانٌ فَبِكَ مَلْدًا لَا أَبْصُرُ
يَا نَائِبًا وَوَلَدًا هَرَبًا يَبْرُزُ عِزَّهُ مَا لَاحَ مِنْكَ حَسْبُ غَيْرَةٍ قَدْ يَهْرُ
قَدْ كُنْتُ أَطْرَبُ لِلوُجُودِ مَرُوعًا طَوْرًا يُغَيِّبُنِي وَطَوْرًا أَحْضِرُ
أَفْنَى الْوُجُودِ شَاهِدٌ مَشْهُودُهُ يَفِينِي الْوُجُودَ وَكُلٌّ مَعْنَى يَحْضِرُ
وَضَرَحْتَنِي فِي بَحْرِ قُدَيْكَ سَابِنًا أَبْغِيكَ مِنْكَ بِبَلَا وَوَجُودِ يَطْفِرُ
وَاللهُ :

سَعَتْ قَبِي تَعْنِ الدُّنْيَا وَلَدَيْهَا فَأَتَتْ فِي الْقَلْبِ شَيْءٌ غَيْرُ مَقْرُورٍ
وَمَا تَطَبَّقَتْ الْأَجْنَانُ عَنْ سَعْتِ إِلَّا وَجَدْتِكَ بَيْنَ الْجَفْنِ وَبَيْنَ
أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ الْخَلَدِي ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَمَا قَرَأْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ : يَا سَمْنُونُ ،
رَحِمَهُ اللَّهُ ، يَقُولُ : كَانَ أَبُو الْخَسَنِ سَرِيَّ السَّقَطِي ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، الَّذِي أَنْشَدَ
هَذِهِ الْأَبْيَاتَ :

وَلَمَّا آدَعَيْتُ الْأُحِبَّ قَالَتْ : كَلِّبْنِي هَلْ لِي أَرَى الْأَعْضَاءَ مِنْكَ أَوْ سِيَا
فَمَا أُحِبُّ حَتَّى يُلْصِقَ الْجَدْرَ بِالْحَشَا وَتَذَلُّ حَتَّى لَا تُحِبُّ الْمَسْكِينَا

Marfat.com

وَتَحَلَّ حَتَّى لَا يُبْقَى لَكَ الْبَسْرَى سَوَى مُقَلَّةٍ تَبْكِي بِهَا أَوْ تُنَاجِيَا

قال الجنيد ، رحمه الله : دخلتُ غُرْفَتَهُ وهو يكس بيته بخُرقة ويقول :

وَمَا رُمْتُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ حَتَّى حَلَلْتُ مَحَلَّةَ الْعَبْدِ لِذَلِيلِ

وَأَغْضَيْتُ الْجُفُونَ عَلَى قَذَاهَا وَصُنْتُ النَّفْسَ عَنْ قَالٍ وَقِيلِ

قال : وكان يقول كثيراً هذا البيت :

مَا فِي النَّهَارِ وَلَا فِي اللَّيْلِ لِي فَرَجٌ فَأَبَالِي أَطَالَ اللَّيْلُ أَمْ قَصُرَا

أنشدني أبو عمرو الزَّيْجَانِي ، بتبريز قال : كان الشبلي ، رحمه الله يقول

منده موته :

قَالَ سُلْطَانُ حُبِّهِ : أَنَا لَا أَقْبَلُ الرَّثَا

فَسَلُّوهُ فَدَيْتَهُ لِمَ قَتَلْتَنِي تَحْرُثَا

وله :

أُظِلَّتْ عَيْنَانَا مِنْكَ يَوْمًا غَمَامَةً

أَضَاءَاتُ لَنَا بَرْقًا ، وَأَبْطَى رَشَاشَةً

فَلَا غَيْبَهَا يَجُودُ فَيَأْسُ طَامِعٌ وَلَا غَيْبَهَا يَأْتِي فَيُرْوَى عَطَاشُهَا

ثم قال للنساج : أين موضعك من هذا ؟ قال : بحيث الذك ، فقال : آه تذكر

لذلك بحضرتي ، غيرة منه على المكان ! ثم أنشأ يقول :

تَقَدُّ فَضَّلْتُ لِيْلِي عَلَى النَّاسِ كَأَنِّي عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ فَضَّلْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ

فِي حَبِّهَا زِدْنِي كَجَوِّي كُلَّ لَيْلَةٍ وَيَا سَفْوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ

وقال الشبلي ، رحمه الله ، في مجلسه يوماً :

وَعَيْنَانِ قَالَ اللَّهُ : كَرْنَا فَكَأَنَّنَا فَعُورَانِ بِالْأَبَابِ مَا تَعْلَمُ الْخَمْرُ

ثم قال : لستُ أعنى العيون التُّجَلَّ وَلَكِنِّي أعنى عبون القلوب ذوات الصدور

فَسَطَوِي لِمَنْ كَانَ لَهُ عَيْنٌ فِي قَلْبِهِ ، وَأُذُنٌ وَاعِيَةٌ ، وَالْفَاظُ مَرْضِيَّةٌ .

فقال أبو الفرج العُكْبَرِيُّ : سأته عن الغيرة ، فقال : غيرة البشرية
للأشخاص ، وغيرة الإلهية على الوقت أن يضع فيما سوى الله ، ثم أضاف
وهو يقول :

ذابَ مما في فؤادي بداني وفؤادي ذابَ مما في البدانِ
فاقطعوا حبلِي وإن شتمَ صلوا كل شيءٍ منكم عندي حسنٌ
صحَّ عند الناسِ أني عاشقٌ غيراً أنْ لمْ يعلموا عشقِي لمنْ

وجرى شيء من العلم فأنشأ يقول :

وشغلتُ عنْ فِيمَ الحديثِ سوىَ ما كان منك وحبُّك شعري
وأديمُ نحوِ محدثي ظري أنْ قد فهِمتُ وعندك عظمي

وكان ينشد هذين البيتين كثيراً في مجلسه :

رأني فأوراني عجباً نطقه فهِمتُ وقهي ، ثم راقى مدني
فلا غاب عني أسوه بدك كرهه ولا هو عني معر من فأغيب
وله :

جرتي السيلُ فستبكي السيلُ إذ جرى وفصت به من قهي شرف
يكون أجاجاً دويك فإذا انتهى إليك تنقى طيباً فطيب

ويقال : إن هذه الأبيات لسهل بن عبد الله رحمه الله في الصبر على ما

أتذكر ساعة أسمعته فيها دلت وابتدأت مني
تعلم أن هذا الدهر يمضي فصبحت طويلاً مني
فلا تملأك بحروب سرور وإن ساءت ما دونه صبر
وإن قرأفت في دنياك دنيا فقل في إثره ياب ندم

ويجيب بن معاذ الرزقي ، رحمه الله عليه :

أموت بداء لا يصاب دوائيا ولا فؤاد مني كمن في داء

يقولون : يحيى جن من بعد صحة
 إذا كان داء المرء حب ملىكه
 مع الله يقضى دهره متلذذاً
 ذروني وشأني لا تزيدون كربتي
 إلا فاهجروني وأرغبوا في قطيعتي
 كوني إلى المولى ، وكفوا ملامتي

لأبي العباس بن عطاء في الشكر :

وكم يد لك عندي ما شكرت لها
 ضعفت عن حملها عجزاً لتحملها

وله :

كيف شكرى من به يحسن الشكر
 يتم بشكر المحبون وجداً

وله :

حداً ، قوتاً لقد كلفتنى شططاً
 جمعت شئين في قلبى له خطر
 مررت قلقتى والشوق يضر منها
 لا كنت إن كنت أدرى كيف يسألنى
 لست تحق بالبلوى أقشعراً لها
 قد مسنى الضر والشيطان ينصب لى
 فلا تسكنى إلى ندى فيظفر بى

ولأبي حمزة الصوفي ، رحمه الله ، يقال : إنه وقع في بئر فطموا رأسها فجاء

ومنه شكرى له في الوداد
 وصفاء من خاصّة الافراد

حملى هواك وصبرى إن ذا العجيب
 نوّعت عين ضدّين : تبريد وتليب
 فكيف يجتمعاً : روح وتعذيب
 صبرى عليك وصبرى : صبر أيوب
 فظلاً من ثقلها عريان مكروباً
 وأنت ذو قوة والعبد منكوب
 من كان يقربنى إذ كنت محجوباً

سبع ، ففتح رأس البئر ونزل ، فتملق أبو حمزة برجله ، فأخرجه من البئر .
فسمع هاتفاً يقول : هذا حسن يا أبا حمزة : نجيتك من التالف بالتلف : من البئر
بالسبع ، فقال عند ذلك :

مها لي حباي منك أن أكنتم الهوى
تلطفت في أمري فبدت شاهدي
تراءيت لي بالغيب حتى كأنما
أراك وبني من هيبتك لك وحشة
وتجني محباً أنت في الحب حته
وأغشيتني بالعمى عدت من الكف
إلى غابي والتلف يدرك بالتلف
تبشيتني بالغيب أنك في الكف
فتروني بالتلف من زمانك
وذا عجب كرون أحياء مع الخشب

ولأبي نصر بشر بن الحارث ، راحة الله عليه :

لا آتجيب لوحدتي وتفردي
ذهب الإخاء فليس ثم أحوه
فإذا تكشفت لي بما في قلبه
ومن التفردي في رمي الكف
إلا التلق بالأسنان الكف
عابث ثم فربيع الكف

وأيوسف بن الحسين الرازي ، راحة الله عليه :

أحب من الإخوان كل مذاني
يوافقني في كل أمر أنت
فمن لي بهذا ابنتي قد وجدته
ومن نصيب أطرف من الكف
يوافقني حتى يبع الكف
فقد سمعته من الكف

ولأبي عبد الله القرشي ، راحة الله عليه :

وأنت خالط النفس في كل أمر
تغامرها حتى كأنك أيتها
يعارضها الواثنون فيك بكل ما
وبغلتها ما كنت أنت أيتها
وكانت النفس في كل أمر
وغيرها فوعدتني الكف
يقفها في مرادها الكف
فتعذبهم في كل الكف

لقد قرحت آفاقها فيك مرة وقد قرحت منها الشويدة ثانية

وكتب أبو عبد الله الهيكلي إلى أبي عبد الله القرشي ، رحمه الله تعالى :

ذات هويته تكون مذكرة
لا تجلي عين العقول ضياءها
وأعز ممتنع مكان تناول
سأل المعارف كلها إلا بها
فإذا علفت بها وغبت بينها
ولأبي سعيد الخزاز ، رحمه الله عليه :

تكد همتك تفك بالخبر
تدوب من قلق التقريب والنظر
إذا سمت بك يا عزي ومفتحري
كوا من جمعت في السمع والبصر
حتى ترى سرها في الوجه كالقمر
سبحان من لو يشأ أبدى عجائبها

جواب أبي عبد الله القرشي للهيكلي ، وهو فيما قيل : قول أبي سعيد الخزاز :

بذ أس الخلق الحق حقيقة
ونس لأن السر سمي بما كلى
ولا تب عن مكشوفها قط عارف
إذ طلعت تبتس عيها بنورها
بعيد من الذات العزيز مكانها
ولأبي الحديد كتبها إلى القرشي :

أعياك أن أقول هلكت وجدا
ولو أن الرقاد د لطرفي
عليك ، وقد هلكت عليك وجدا
جلدت جفونها بالدمع جلده

جواب أبي عبد الله :

وَلَكِنِّي أَقُولُ حَيِّتُ حَقًّا إِذَا لَوَجَدُ الْمُبْرَحُ مِنْكَ يَهْدَانَا
وَيَنْ حَلَّ الرَّقَادُ بَجَنِّ عَيْنِي رَقَدْتُ إِجَابَةً لَكَ لَا لِأَهْدَانَا

قال الشيخ، رحمه الله : وهذه الأشعار فيها ما هي مشككة ، وفيها ما هي جلية .
ونعم فيها إشارات لطيفة ، ومعان دقيقة ، فمن نظر فيها فليتدبرها حتى تف عو
مقاصدهم ، ورموزهم ، حتى لا ينسب قائلها إلى ما لا يليق بهم ، وإذا أتكل عليه ولم
يفهم فليبحث بالسؤال عن من يفهم لأن لكل مقام مقالا ، وإن كان غير أهلا
ولو اشتغلنا بشرح أطال الكتاب .

باب الدعوات التي كان يدعو بها المشايخ المتقدمون

من أهل الصفوة

دعاء كان يدعو به ذوالنون رحمه الله ، اللهم الحول حركك والطول طولك ،
 ولك في كل خلقك مدد قوة وحول ، وأنت الفعال لما يشاء لا العجز ولا الجهل
 يعارضانك ، ولا نقصان والزيادة يُجبرانك ، وأنت يعارضانك ، وهما ما أحدثت ؟
 أو يرومان إحاطتك ، وهما ما خفت ؟ وكيف لا يكونان بما أحدثت وما خلقت ؟
 وأنت الموجود بالدلائل عليك ؟ فلن يخاق خلقك غيرك أنت ؟ فتباركت يا من كل
 يدرك فمن خفيه ، وكل محدود المدروكات فمن صنعته ، أنت الذي لا يدركك
 في الدنيا العيان ، ولا يستغنى عنك مكان ، ولا يعرفك غيرك إلا بإقرارك
 بالوحدانية ، ولا يجهلك من خلقك إلا باقص المعرفة ، ولا يسهيك شيء عن شيء ،
 ولا يحدث قدرتك أحد ، ولا يخلو منك مكان ولا يشغلك شأن عن شأن .

دعاء آخر لذي النون ، رحمه الله : اللهم اجعل العيون منا فوارات بالعبرات ،
 والصدور منا محشوة بالعبر والجزقات ، واجعل قلوبنا غواصة في موج قرع أبواب
 السموات ، تلهة من خوفك في البه ادى والفتوات افتح لأبصارنا باباً إلى معرفتك ،
 ولعرفتنا أفهاماً إلى النظر في نور حكمتك ، يحمي قلوب النوالين ، ومنهبي رغبة
 الراغبين . ولذي النون رحمه الله : اللهم أنت آسؤ المؤمنين لأوليائك ، وأقربهم
 بالكفاية من المتوكلين عليك لمشاهدتهم فضمايرهم تطلع على أسرارهم . إلهي ،
 سرى إليك مكشوف ، وأنا إليك ملبوف ، إذا أوحشني الذنب أنسى ذكرك
 علماً بأن أزمة الأمور بيدك وأن مصدرها عن قناتك . إلهي ، من أوني بالقل
 والتقصير مسني وقد خلقتني ضعيفاً ؟ ومن أولي بالعفو منك وعلمك بي سابق وأمرك
 بي محبط ؟ أظعنك بإذنك والمنة لك علي ، وعصيتك بعبادك والحجة لك علي .

أَسْأَلُكَ بِوَجُوبِ رَحْمَتِكَ وَإِقْطَاعِ حُجَّتِي وَتَقَرُّرِي إِلَيْكَ وَعِظَاكَ عَنِّي ، أَنْ تَغْفِرَ لِي
خَطِيئَتِي الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ .

دعاء ليوسف ابن الحسين رحمه الله : اللهم إنا نبتأُ نعمك فلا تجعلنا حواصلد
نعمك . اللهم أعطنا ما نريد منّا ، يا من أعطانا الإيمان به من غير سؤال لا نحمد
عفوك مع السؤال فإننا إليك آيبون ومن الإصرار على معصيتك تائبون ، فإننا إليك
ذاعنون تائبون . اللهم تقبل ما مننت به علينا من الإسلام والإيمان الذي به
هديتنا ، وأعف عنا . اللهم نعمك محيطة بنا ، وأنت المذخور لشكره ، وما شكر
ما شكرك أحد إلا بك :

وقل يوسف رحمه الله : سمعت حكيماً يقول في دعائه : الحمد لله الذي شكر علي
ما به أنعم ، ودم على ما لو شاء منه عصم . شكر نفسه بنفسه عن خطئه ، لأنه هو
الذي لا إله إلا هو .

قل : سمعت بعض المشايخ يقول في مدجائه .

أَيَا جُودَ رَبِّي فَاجِرِ رَبِّي بِحُجَّتِي
دعاء للجيد ، رحمة الله عليه ، مستخرج من كتاب الحاجة ، المعروف باسم
يا خير السامعين ، ويؤدك ومجديك يا أكرم الأكرمين ، ويكرمك ويصلك يا خير
السامعين ، ويأحسنك ورافقت يا خير المؤمنين أسألك سؤال جميع المؤمنين
متواضع خدوع اشتدت إليك فافتد ، وإني ألتجئ بك على قدر الضرورة والاحتياج
وعظمت فيما عندك وغبته ، وعلما أن لا يكون شيء إلا عشيقت ، ولا شيء
إلا من بعد إذتك ، فكم من قبيح قد كسرتة ، وكم من بائس قد كسرتة ، وكم من
عثرة قد أقلتها ، وكم من زلة قد سهلتها ، وكم من مكرود قد وقعته ، وكم من
ثناء قد نشرته ، أسألك يا سامع أصوات المستغيثين ، وعالم حوائج الصامتين ،
ومطلع في الخلوات على أفعال المتحركين ونظر إلى مآدق وجان من أشد المسامين .

أسألك أن لا تحجب - بسوء فعلى - عنك صوتى ، ولا تقضحنى - بخفى ما أطلعت عليه من مرمى ، ولا تعاجلنى العقوبة على ما علمته من مخلواتى ، وكن بى فى كل الأحوال رافقاً ، وعلى فى كل الأحوال عاطفاً ، إلهى وسيدى وسندى أبا بك عائد لائذ مستغيث مستجير من تكائف مخاوف علال سرى ومن لزوم ذلك ضميرى وقلبى . حتى يكاد ذلك أن يلا صدرى ، ويوقف على الانبساط إلى ذكرك عقلى ولسانى . وتمنع من الحركة فى الخدمة جسمى ، فأنا فى حبس ما يعارضنى من ذلك من القصر والتقصير أسألك أن تخرج ذلك عن ذكرى ، وتمنعه من قلبى ، واجعل أوقاى من الليل والنهار بذكر معمورة ، وبخدمتك وعبادتك موصولة ، حتى يكون الورد ووروداً وحداً والحل حالاً واحداً لا سأمه فيه ولا فتور ولا مكاد ولا تقصير ، حتى أسرع إليك فى حين المبادرة ، وأسرح بذلك إليك فى ميادين المسابقة وأرزقنى من طعم ذلك اللذذ المسابقة يا أكرم الأكرمين .

سمعتُ أبا سعيد الدينورى بأطرابلس يدعو بهذا الدعاء فى مجاسه : اللهم إني أسألك بحقك عليك فلا حق أحق من حقك ، عليك بحقك على أهل الحق ، وبحق أهل الحق عليك ، وبحق كل ذى حق بأن لك بقدمك بعلمك بكل شىء . ومالك لكل شىء ، وقدرتك على كل شىء . صل على محمد وعلى آله وأن تفعل بى كذا وكذا .

وحكى عن عمر بن بحر قول : هذا دعاء حفظته عن الشبلى أنه كان يدعو به . اللهم لك الحمد يا ضياء السموات والأرض ، ويا بهاء السموات والأرض ، ويا قيوم السموات والأرض ، ويا نور السموات والأرض ، بحق أسمائك عليك ، وبحقك عليك فلا حق أحل منك عليك ، وبحق ما أنزلت وبحق من جعلت له فيما أنزلت يا الله ويا من لا سواك الله ، ويا من أنت الله : صلى عن محمد ، وعلى آل محمد ، واجمعهم ولا تشتمهم ، وارحم ظراهم ، وأعمر بواطنهم ، وقم لهم بالكلاءة

والكفاية ، وكن لهم عوضاً من كل عوض ، وارحمهم ، ولا تردهم إليهم طارقة عين ولا أقل من ذلك ، بحق كل حق أنت ذلك الحق ، واجعلهم أقياء وأجلاً في معانيك اللدنية ، واجعلهم ممن إذا قل ، قال على التحقيق ، وإذا سكت فلا سواك .

ومن دعوات يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله عليه : إلهي وسيدي وأملي ومن به يتم عملي . وكان يقول : إلهي أدعوك بلسان أملي حين كثر لسان عملي ، وإلهي ما أطيب واقعات الإلهام منك على خطرات القلوب ، وما ألدّ مناجاد الإسرار إليك في وطيات العيوب . إلهي ، إذا قلت لي في القيامة : عبدي ما غرتك بي ؟ فأقول : سيدي ، بركت بي . وإن أدخلتني النار بين أعدائك لأبرئهم بأنني كنت في لديم أحببت لأهلك مولاي ومن جميع الأشياء مغتني . وكان يقول : تاهم إن جيتني نجيتني بعفوك وإن عدتني عدتني بعدلك رضيت ما بي لأناك ربي وأنا عبديك . إلهي أنت تعلم أني لا أقوى على الدر وثأ أعده أني لا أصالح نتيجة في الخيلة إلا سفرك . وقال : إلهي وسيدي وسروري تكثر منك شغائي عن قبيح عملي وإن كان فيه شغائي ، وسروري بنعمتك شغائي عن حسن عملي وإن كان فيه نجائي . وسروري بك أنساني السرور بنفسي . وكان يقول : اللهم إني أتقرب إليك ، ويزيد ذلك عذبت ، وحتي يعملك لا عملي ، وما أظنك تحاسب غدا بعدلك من غشيتك اليوم بفصالت ، وعفوك يستغرق الذنوب ، ورضوانك يستغرق الآمال ، ولو لا أنت بالعمود ، وما كان عبيدك بالذنب يعود .

وكان يقول ، إلهي وسيدي ومولاي ومن جميع الأشياء مغتني ، سمعت عبيد بالذنوب فردها على بالتوبة ، وأنت تعلم أن الكريم من عبادك بعفوك ممن تامله وقد ظلمت نفسي وأنت أكرم الأكرمين فانت عني ، إلهي ، أنت تعلم أن إبليس عدوك ولي ، وليس شيء أنكي الكهده واقطع تكيده من حركات لي هتفه

لى يا أرحم الراحمين . سمعت عمر الملقى بأظاكية يقول : قلت لِبعض المشايخ ينبغي أن تدعوا لى ، فقال يافتي ، أنا أدعوك ، ولكن ينبغي لك أيضاً أن تكون بالحضرة ، فإذا دعوتك ولم تكن بالحضرة لم ينفع دعائى .

وحكى عن إبراهيم بن أدهم ، رحمه الله ، أنه كان فى سفينة ، فهاج البحر ، وأمروا الناس أن يرموا بأمتهتهم إلى البحر ، فقيل له : يا أبا إسحق ، أدع الله لنا فقال : ليس هذا وقت الدعاء ، هذا وقت التسليم .

وقال بعضهم : صدق الإجابة من ربك فى صدق الدعاء من قلبك ، قال : وسمعت جعفرأ قال : سمعت أجميد رحمه الله قال : كان سرى السقطى ، رحمه الله ، إذا دعا يقول : اللهم مهما عديتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب ، وعن أبى حمزة ، رحمه الله ، قال : قلت لسرى السقطى رحمه الله : ادع لى ، فقال : جمع الله بينى وبينك تحت شجرة طوبى ، فإنه بلغنى أنه أول مدخل الأولياء الجنة يستريحون تحت شجرة طوبى .

وفى حكي عن أبى محمد الجريرى قال : سمعت إبراهيم المارستنى رحمه الله تعالى يقول : رأيت الخضر ، رحمه الله ، فى المنام ، فعلمنى عشر كلمات وأحصاه على بيده : اللهم إني أسألك حسن الإقبال عليك ، والإصغاء إليك . والفهم عنك . والبصيرة فى أمرك ، والنفاذ فى طاعتك ، والمواظبة على إرادتك ، والمبادرة فى خدمتك ، وحسن الأدب فى معامتك ، وبرد التسليم إليك ، والنظر إلى وجهك .

وحكى عن أبى شبيد البسرى ، رحمه الله تعالى ، قال : رأيت عائشة ، رضى الله عنها ، فى المنام ، فقلت لها : يا أمى ، علمينى دعاء ، قال قالت : يا أبا عبيد ، قل : اللهم أقلل مؤنتى ، وأحسن معونتى ، وأعنى على أمر دنياى وآخرتى ، قال قلت يا أمى ، زيبى ، قالت : يكفيك يا أبا عبيد .

وكان بعض المشايخ إذا دعا ، يقول فى دعائه : إلهى أدعوك فى الملائكة تدعى الأرياب ، وأدعوك فى الخلاء كما تدعى الأحباب :

قال الشيخ ، رحمه الله : ومألتُ بعض المشايخ عن الدعاء ، ما وجهه لأهل التسليم والتمويض ؟ فقال : يدعو الله ، عز وجل ، على وجهين : أحدهما يزيد بذلك تزيين الجوارح الظاهرة بالدعاء لأن الدعاء ضرب من الخدمة يريد أن يزين جوارحه بهذه الخدمة ، والوجه الثاني أن يدعو آثاراً لما أمره الله تعالى بالدعاء .

دعاء للجنيد ، رحمه الله تعالى ، إلهي ، وسيدي ، ومولاي ، من أحسنُ منك حكماً لمن أيقن بك ؟ ومن أوسع منك رحمة لمن اتقاك وقصدك ؟ ومن أسرع منك عطفاً ورأفة لمن أراذك وأقبل على طاعتك ؟ فكلمهم في نعمائك يتقربون ، ولك بفضلك عليهم يعبدون ، سرت همومهم بك إليك ، وانفردت إرادتهم لديك . وأقبلت قلوبهم بك عليك ، وفنيت حظوظهم من دونك واجتمعت لك وُحدانك ، فبهم إليك في الليل والنهار متوجهون ، وعليك في كل الأحوال مقبلون ، ولك على الأحوال مؤثرون ، فإنا أسألك إلهي وسيدي ومولاي أن تكون لي بنضات كالماء كفاً عاصماً راحماً ، فإني إليك لاجئ ، وبك مستغيث ، وإليك راغب ، ومنك راهب وعليك في أمور الدنيا والآخرة متوكل ، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

فهذه طرف من دعواتهم في معاني مقاصدهم وأحوالهم ، مختصرٌ لمن أراد أن ينظر فيها ، ويتبرك بذلك ، وبالله التوفيق .

باب في وصاياهم التي أوصى بها بعض لبعض

قال بعض المشايخ: قلت لرويم، رحمه الله: أوصني بوصية، فقال لي: يا بني، ليس غير بذل الروح، فإن قدرت على ذلك وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية. واجتمع أصحاب يوسف بن الحسين عند يوسف، رحمه الله، فقالوا له: أوصنا، فقال: اقتدوا بجميع ما رأيتم مني إلا شيئين: لا تستدينوا على الله تعالى، ولا تصحبوا المردان.

وقيل لسرى السقطي رحمه الله: أوصنا بشيء، فقال: لا تستدينوا على الله تعالى ولا تنظروا في وجوه المرؤد.

وقال رجل لأبي بكر البارزي: أوصني، فقال: احذر أفتك، وعادتك، والسكون إلى راحتك.

وقال أبو العباس بن عطاء، رحمه الله، في بعض وصاياہ لإخوانه: احذروا أن تكون غمومكم من أجل ما يظهر لكم، وعليكم بما شاء الله دون ما تشاءون. وعن جعفر الخادي، رحمه الله، أنه قال: كان الجنيد رحمه الله يوصي لرجل، ويقول: قدّم نفسك وأخّر عزمك، ولا تقدم عزمك وتؤخر نفسك فيكون فيها إبطاء كثير.

ووجدت في كتاب لأبي سعيد الخزاز، رحمه الله، يوصي مریدا أو صديقاً له فيقول: يا أخي خالص أصحابك مخالصة، وخالط أهل الدنيا مخالطة، شهدهم بظهورك، وخالفهم بغمالك، ودينك لا تثلب، إن ضحكوا فأبك، وإن فرحوا فحزن، وإن استراحوا فجد، وإن شبعوا فمجوع، وإن ذكروا الدنيا فاذكر الآخرة واصبر على قلة الكلام والنظر والحركة والطعم والشراب واللباس حتى يسكنك الله من الفردوس حيث يشاء برحمته؟

وقال أبو سعيد الخزاز، يوصي بوصية لبعض أصحابه: احفظ وصيتي أيها المرید

وارغب في ثواب الله تعالى ، وإنما هو أن ترحم نفسك الخبيثة فتذيرها بالطاعة .
وتفارقها وتميتها بالخلافة ، وتذبحها بالإياس فيما سوى الله ، وتقتلها بالحياء من الله
عز وجل ، ويكون الله حسبك ، وتسارع في جميع الخيرات ، وتعمل في جميع المقامات
وقلبك وجل أن لا يُقبل منك ، فهذا حقائق القبول والإخلاص والصدق ، حتى
تتخلص وتصير إلى الله تعالى ، والله يفعل ما يشاء وينعم كما يريد .

وصية أوصى بها ذو النون لبعض إخوانه ، فقال : يا أخي ، أعلم أنه لا شرف أعز
من الإسلام ، ولا بكرم أعز من التقى ، ولا عقل أحرز من الورع ، ولا شفيع أنجح
من التوبة ، ولا لباس أجمل من العافية ، ولا وقاية أمتع من السلامة ، ولا كبر
أغنى من القنوع ، ولا مال أذهب الفاقة من الرضا بالقوت ، ومن قنصر على بعد
الكفاف فقد انتظم الراحة ، والرغبة مفتوح التعب ومطية المصعب ، والحرص داء
يلى التوهم في الذنوب ، والشراء جامع لسوى العيوب ، ورب طمع كاذب ومثل
خائب ورجاء يؤدي إلى الحرمان وإرباب ينول إلى الخسران .

وقال الجنيد ، رحمه الله ، في كلام له لبعض أصحابه : أوصيت بمثل لا يفتقر
إلى العمل الماضية عند ورود الحال الكافية ، قال : وفات لأبي عبد الله خياط الدمشقي
رحمه الله : أوصني بشئ ، فقال : أوصيت بنصلة ، أي أن يكون خصلة لم تصبها
أففة غيرها ، فأت : وما هي ؟ قال : ذكر الأحياء بحميد في شهر الغيب ، ودعاء الله
وحكى عن أبي بكر الوراق ، رحمه الله ، أنه قال : سمعت العلاء بن ربيعة

واشترت الدار من خوف المذل ، هذا جزء آخر من حروف وصية العلاء بن ربيعة
وأنتى رجل ذا النون مصري ، رحمه الله ، فقال له : أوصني ، فقال : أوصيت
إن كنت أريدت في سلم الغيب بصدق الله ، حيد فقد سمعت أن قول ابن آدم من
لأن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا دعوة الربين وأما سائر فئات خير من أن
تكن غير ذلك ، فأنتى يمتد النداء العريق به !

سمعت أبا محمد المهلب بن أحمد بن مرزوق المصري يقول : لما حضرت أبا محمد المرتعش رحمه الله ، الوفاة أوصى إلى بأن أقضى دينه ، وكان عليه ثمانية عشر درهما ، فلما دفناه قومت ثياب بدنه ثمانية عشر درهما فبعتها بثمانية عشر درهما ، فخرج رأساً برأس ، وقضينا دينه ، واجتمع المشايخ فأخذوا كسفه ، وكان فيه قماش مثل ما يكون في الكنف ، فأخذ كل واحد منهم شيئاً وتفرقوا .

ودخل رجل على إبراهيم بن شيبان ، رحمه الله ، فقال له : أوصني بشيء ، فقال له إبراهيم : اذكر الله ولا تنسه ، فإن لم تستطع ذلك فلا تنس الموت ، قيل لبعض المشايخ : أوصني ، فقال : أمح اسمك من ديوان القراء (١) : وقيل لأبي بكر الواسطي رحمه الله : أوصنا ، فقال : عدوا أنفسكم وأوقاتكم والسلام ، وقيل لآخر : أوصني ، فقال : القلة والذلة والحقوق بالله عز وجل .

وقال ذو النون رحمه الله : بينا أنا أسير في جبل المقطم إذا برجل على باب كنف ، فسمعتة يقول : سبحان من عطين قلبي من الإياس وعمره بالآمال فالإياس سه قد فارقتي والآمل فيه قد أوصلني فتأملته ، فإذا هو رجل قد أكدته العبادة وأقرحته الزهادة ، فدنوت منه ، فتركتني وولي ، فقلت له : أوصني ، قال : انظر أن لا تقطع أملك عن الله تعالى طرفة عين ، واجمع بين السراء والضراء ، واصل بينك وبين الله تعالى ، تر السرور في يوم يخسر فيه المبتلون .

قلت : زدني ، قال : حسبك حسبك .

وقال رجل لذي النون رحمه الله : زودني كلمة ، فقال : لا تؤثرن الشك على اليقين ، ولا ترض من نفسك بغير التسكين ، وإن تأتت نائبة الدهر ،

(١) كان هناك دواوين للقراء يكتب فيها اسم القارىء ليأخذ أجر أشهرها وتكون

به شهرة بأنه قارىء .

فتحملها بحسن الصبر ، وأرتم بأمالك نحو الدائم الخبير جيده بأمالك قائماً ، واغتم
مواصلة الله تعالى فإن الله عبداً ألقوه فاستأنسوا به ، وعرفوه فامتدوا على معرفته .
ووصلوه على عين يقين ، فسمت أبصارهم نحو عظيم ، جليل قدرته ، فسقاهم
من حلاوة مواصلته ، والعقبة من لذاتة مخالفته ، فبكت كلهم حول العرش دوى ،
ولذاتهم حين تنفتح أبواب السماء سرعة لتسبحوا لأجابه ذنوبهم .

والجنيب ، في بعض وصارده ، يقول : يا أحمى ، فاحمل ، ثم عجب حين
أن يعجل الموت بك ، وبأدر ، ثم يدر قبيل أن يدركك ، وأمر بربك
الله تعالى في الماضين من بحورك ، والمتبين من سبب من كبرك
وأخذاتك ، فذات حركات الباقى عليك ، والذات لك ، وكل ما سويك
فعليت لا لك ، وهذه موعظتي لك ، ووصيتي إليك ، فوبها تكسب لآلئك
وتقوز باستعمالها والسلام .

فهدى طرائف من وصاياهم ، ونخصيصها في ذلك ، وبها التمام

کتاب السمع

باب في حسن الصوت والسمع وتفاوت المستمعين

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُرِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ» (۱)

في تفسيره: «يَطْلُقُ الْعَرَبُ وَالصَّوْتِ الْحَسَنَ» .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما بعث الله نبياً

أحسن الصوت .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما أدين الله تعالى شيئاً كما أدين نبياً

أحسن الصوت .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: الله أشدُّ أذاناً بالرجل الحسن الصوت بالقرآن

من صاحب القينة بقيئته .

وفي الحديث: أن داود عليه السلام قد أعطى من حسن الصوت حتى كان

يسمع قرآنه إذا قرأ الزبور الجن، والإنس، والوحش، والطيور، وكان بنو إسرائيل

يسمعون في سمعون، وكان محملاً من مجلسه أربعاً جنازة ممن قدمات كما روي

في الحديث .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: تعد أعطى أبو موسى من مراماً

من من مرام آل داود، أي أعطى من حسن الصوت .

وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ يوم الفتح فمدَّ مداً، وأنه

كان يرجع .

وعن معاذ بن جبل أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو علمت أنك
هو ذا تسمع لحبرته (۱) تحبيراً ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ .

قال الشيخ رحمه الله : يحتمل هذا معنيين ، والله أعلم بأحدهما : أنه أورد
بذلك ، أن يزين قراءته للقرآن ، وهو رفعُ صوته بقراءة القرآن ، وحسن
الصوت عند قراءته ، ويطيب الغمة ، لأن القرآن كلام الله عز وجل مخوف
فلا يزين ذلك بصوت مخوف وغمة مكسبة . والمعنى الآخر : يحتمل أنه أورد
بذلك أي زَيَّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ ، فيكون مقدماً وما خيراً من ما يزين
كقولته : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لِكَلِمَةٍ مِنْهُ
مَعْنَاداً مَقْدَمٌ وَمُرْخَرٌّ عَلَى مَعْنَى : أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى عَبْدِهِ قِيَمًا وَمَنْزُومًا »
ومثل ذلك في القرآن كثير .

وقد ذم الله تعالى الأصوات منكراً بقوله عز وجل : زَيْنَ الْكُفْرِ وَالنَّافِثَاتِ
أَصْوَاتُ الْخَمِيرِ (۳) . وفي ذمِّه الأصوات المنكورة بخلاف الأصوات المحمودة
وقد تكلم الحكماء في معنى الأصوات المحسنة ، والمعنى الطيبة ، والذم في الأصوات
فقال ذو النون ، رحمه الله ، وقد سأل عن الصوت الحسن ، فقال : هو الحسن
وإشارات إلى الحق ، أورد على كل طيب وطيبة .

وعن يحيى بن معاذ الرزقي ، رحمه الله ، أنه قال : السمع الحسن
من الله تعالى ، لثواب فيه أحبَّ الله تعالى .
وقال آخر : الغمة الطيبة ، ومع من الله عز وجل ، ومع من الله عز وجل
بنار الله تعالى .

(۱) وفي نسخة : لحبرته لك (۲) الكيف : ۱ (۳) الأصوات المنكورة

وسمعت أحمد بن علي الوجيهي يقول : سمعت أبا علي الروذباري ، رحمه الله يقول : إن أبا عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ، رحمه الله ، كان يقول : ثلاث إذا وجدت متبعين ، ، وآد فقدناهن أجمع : حسن الصوت مع الديانة ، وحسن الخرج مع الصيانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء .

وعن بندار بن الحسين ، رحمه الله : أنه كان يقول : الصوت الطيب حكمة محيية وإنه سائمة ، بصوت رخيم . وإنسان لطيف ذلك تقدير العزيز العليم .
ومن اللطيفة التي جعل الله في الأصوات الطيبة : أن الطفل في المهد يبكي لو حود .
فكسبح الصوت الطيب فيسكت وينام .

ومشهور : أن الأوتان كانوا يعالجون من به العلة من السوداء بالصوت الطيب ، فيرجع إلى حال صحته .

وقال الشيخ ، رحمه الله : ومن السر الذي جعل الله في الأصوات الطيبة التي فيها إنذار : تروى في البوادي إذا عيبت الجمال ، وقصرت عن السير : يحدو حدو الحادي ، فتسنع وتمد أعناقها وتصغى بأذانها نحو الحادي . وتجوذ في السير ، حتى تزعزع محملها من شدة سيرها ، وربما تلتف أنفسها إذا انقطع عنها حدو الحادي من التل حملها ومرعة سيرها بعد ما كانت لا تحس بذلك من إصغائها إلى حدو حاديتها .
وسمعتها إلى حسن فمته وطيب صوت حاديتها .

قال الشيخ ، رحمه الله : وقد حكى لي في هذا المعنى ، الدَّقِيُّ بدمشق ، وقد كان سأل عن ذلك ، فقال : كنت في البادية ، فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافني رجل منهم وأدخلني خبائه ، فرأيت في الحباء عبداً أسود مقيداً بقيد . ورأيت جبالاً قد ماتت بين يدي البيت ، ورأيت جَمَلاً قد نحل وهو ذابل كأنه هو ذا ينزع روجه ، قال : فقال لي الغلام المقيد : أنت الليلة ضيف لمولاي ، وأنت عند كريم ، فتشفع في حتى ينحل عن هذا القيد ، فإنه لا يردك . قال : فلما قدّم

في الطعام ، أبيت أن آكل ، فامتد ذلك على صاحبي ، فقال لي : مالك ؟ فقلت :
 لا آكل طعاماً إلا بعد أن تهب لي جناية هذا الغلام وتحل عند قيده ، فقال : يا هذا
 إن هذا الغلام قد أفقرني ، وأهلك جميع مالي ، وأضر بي وبعيالي ، فقلت له : ما فعل ؟
 قال : إن هذا الغلام له صوت طيب ، وكنت أعيش من ظهر هذه الجمال ، تحميه
 أحمالاً ثقيلة ، وأحدّ لهم حتى قطعوا مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة ، من طيب
 نعمته في حدود لهم ، فقاموا ففقدوا وحملوا أحملهم ما كانوا يكرهون إلا بعد أن أحد
 وأنت ضيفي ، ولكرأمتك قد وهبتك ، قال : قال عبد الحميد ، في قوله :
 فلما أصبحت أحببت أن أسمع صوتك ، قال : فسألت أن يسلم عليّ من وراء
 أن يحدو عني جمال كان يسألني عيبتك من بين يدي ، قال : فسألت من وراء
 يسوق ذلك الجمال وينجو ، قال : فرفعت صوتي بهدوء ذلك حين يمشي
 أنا على وجهي ، وما أظن شي قد سمعت صوتاً أشبه به من قبل ، قال :
 صيغ ويقول : يا رجل أيش تريد ، هي الأقدوس تير مني ، قال : قلت لي

حكاه لذي عن هذا المعنى ، وكرو ، وبني أعمى

سمعت أحمد بن محمد الطائي يخطب ، قال : يا أيها الناس

أسحق بن إبراهيم الموصلي : من الخائف في التبول على في العراء ، قال : إن

تسكن من أفسده ، وتفرح في إحسانه ، وتخاف في حاله

باب في السماع واختلاف أقوالهم في معناه

قال الشيخ رحمه الله : بلغني أنه سئل ذو النون ، رحمه الله ، عن السماع ، فقال :
وارد حق يزعج القلوب إلى الحق ، فمن أصغى إليه بحق تمتق ، ومن أصغى إليه
بغيره تزدق .

وعن أحمد بن الخوارزمي ، رحمه الله أنه قال : سألت أبا سليمان الداراني .
رحمه الله ، عن السماع واستماع القصاص التي تمشد بالألحان ، فقال : من اثين أحب
إني سمعته من واحد .

وسئل أبو يعقوب النهرجوري ، رحمه الله ، عن السماع ، فقال : حال يبدى
لرجوع إلى الأمر من حيث الاحتراق .

وقال بعضهم : السماع لطف غذاء الأرواح لأهل المعرفة ، لأنه وصف يدي عن
سائر الأعمال ، ويدرك برقة الطبع لرقته ، ويدرك بصفاء السر نصفائه واطفائه
عند أهله .

وعن أبي الحسين الدراج ، أنه كان يقول : جل بي السماع في ميدان من ميادين
البيداء ، فأوجدني في وجود الحق عند العطاء ، فأسقاني بكأس الصفاء ، فأدركت به
منازل الرضا ، وأخرجني إلى رياض النزهة والقضاء .

وسئل الشبلي ، رحمه الله ، كما بلغني ، عن السماع ، فقال : السماع : ظاهره
فتنة ، وباطنه : عبرة ، فمن عرف الإشارة حل له استماع العبرة ، وإلا فقد استدعى
الفتنة وتعرض للبلية .

وحكى عن الجنيد ، رحمه الله ، أنه كان يقول : من سمع السماع يحتاج إلى
ثلاثة أشياء ، وإلا فلا يسمع ، قيل له : وما تلك الثلاثة ؟ قال : الزمان ،
والمسكان ، والإخوان .

ويقال : إن كل من لا يحب السمع الطيب من الآدميين فله نقص فيه واشتغال قد ورد على خاطره فأذهاه .

وحكى عن جعفر ، عن الجنيد ، رحمه الله ، أنه قال : تنزل الرحمة على النوراء في ثلاثة مواطن : عند السمع ، فإنهم لا يسمعون إلا عن حق ، ولا يقربون إلا عن وجد ، وعند مجازاة العلم ، فإنهم لا يتكلمون إلا في أحوال الصديقين والأولياء ، وعند أكلهم الطعام ، فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة :

قال : وسئل أبو علي الروذباري ، رحمه الله ، عن السمع ، فقال : ينزل رحمة من رأساً برأس .

وسئل أبو الحسين النوري ، رحمه الله ، عن الصوفي ، فقال : الصوفي يرى سمع السماع ، وآثر على الأسباب .

وسمعت أبا الطيب : أحمد بن مقاتل العكي يقول : قال جعفر : كان أم الحسن بن زيور من أصحاب الجنيد ، وكان شيخاً فاضلاً ، فبقي يوماً يحضر في موضع كور فيه السماع ، فإن استطابه فرش براره وجلس ، وقال : التقير مع قلبه ، إن ما سمع قائم ، جلس ، وإن لم يستطع قال : السمع لأرباب القلوب ، وإن لم يستطع .

وسمعت الحصري ، رحمه الله ، يقول في بعض كلامه : أرس عمل السمع ينقطع إذا انقطع من يسمع منه ، ينبغي أن يكون سمعك متصلاً غير منقطع .

واسئل عن السماع فقال : ينبغي أن يكون ظمأ دائم ، وشرب دائم ، وازداد شربه ازداد ظمؤه .

باب في وصف سماع العامة

وإباحة ذلك لهم إذا سمعوا ذكر الترغيب والترهيب

بالأصوات الطيبة، ويحشم ذلك على طاب الآخرة

قال بندار بن حسين، رحمه الله: كل من لم يحب السوء الطيب من آدميين
عقله في حاشده، لأن كل تمتع يتمتع به الإنسان فيه تكلف وإن كان من
موجبات إلا السوء، فبعد إذا خاص من المقصد الفاسدة بإباحة لا تحتاج إلى التكلف،
وكل من تمتع بالسوء من طريق الطيبة والتبرؤ بالنعمة واستحسان الصوت فليس ذلك
محمدا عليهم ولا مظهرا، إن لم يكن قصد في ذلك الفساد والمخافة واليهو وترك
الحدود التي شرع الله تعالى.

فصل

قال الشيخ، رحمه الله: وما يستدل بذلك على إباحة السوء قوله تعالى (وفي
القرآن الكريم) «فلا تبصرون» (١)، وقوله تعالى: «ستريهم آياتنا في الآفاق وفي
أنفسهم» (٢)، وما أراه الله في أنفسنا، وأبصرنا ذلك في الخواص الخمسة التي قد
يتميز بها بين الشيء، وضده، كالعين تميز بالنظر بين الحسن والقبيح، والأنف تميز بين
رائحة الطيبة والمنتنة، والفم يميز بالذوق بين خلابة والحرارة، واليد تميز باللمس
بين اللين والحشن، وكذلك الأذن تميز بين الأصوات الطيبة وغير الطيبة والمنكرة.
قال الله تعالى: «إن تكرا الأصوات لصوت الحير» (٣) ففي مذمة للأصوات
المنكرة محمدا للأصوات الحسنة، ولا يميز بينهما إلا بالسمع وهو الإصغاء،
والاستماع بحضور القلب، وإدراك الفهم، وإزالة الوهم.

فصل آخر

قال الشيخ ، رحمه الله : وذلك أن الله ، تعالى ، وصف ما أعد لأهل الجنة من النعيم ، فذكر ما ذكر في كتابه من السدر المنضود ، والطلح المنصور ، والفاكهة الكثيرة ، وذكر لحم الطير ، والحور العين ، والسندس ، والياستبر ، والياحوي ، لمختوم ، والأرائك ، والقصور ، والغرف ، والأشجار ، والأمهات ، والبنات ، وذكر أنهم في روضة يعبرون ، فل يجهد : وهو السماع الذي يسمونه في الحديث بأصوات شجية ، وبغوت شبيهة من الجوارى حذان و حور العين ، فليس هو الذي نحن الخالقات فلا تموت أبداً . ونحن النساءات فلا نرس أبداً كما ذكر في الحديث :

في الحديث :

وقد ذكر الله ، تعالى ، تحريم سحر من جمع حات ، فأتى من سحر من جمع حات ، وصلم : من شربها في الدنيا لم يتربها في الآخرة ، ذلك يقرب ، فذكر الله في جهنة ما أبع الله تعالى للمؤمنين في الدنيا من جمع حات ، من سحر من جمع حات ، وصبر الخمر مخصصاً من جمع ذلك ، سحر من جمع حات ، وصبر الخمر .

فصل آخر

وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم ، دخل بيت عائشة رضي الله عنها ، فوجد فيه جاريتين تغنيان ، تغربان بالدف ، فمعهما من ذلك ، فمعهما من ذلك ، رضي الله عنه ، حين غضب ، وقال : أمرت الشيطان من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : دعوهما يا عمر ، فإن رجال قوم عباد .

ولو كان محظوراً لكان سواها في العيدونير العبد ، والأحد من من ذلك .

ومثل ما روى عن أبي بكر الصديق ، رضى الله عنه ، حين دخل على عائشة ،
رضى الله عنها ، وقد وعك ، وكان يقول :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله

ومثل بلال ، كان يرفع حنجرته إذا اشتد به الوعك ويقول :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة بوادٍ وحولى إذ خر وجليل
وهل أردن يوماً مياه بحنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

وكذلك عائشة رضى الله عنها ، كانت تقول شعر لم يبد :

ذهب الدين يعاش في أكنافهم وبقيت في خانف كجلد الأجر

ثم قالت : رحمة الله على لم يبد كيف لو أدرك زماننا هذا ! وقد أشد الشعر
جماعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكره بطول ، أنشدني أبو عبد الله
الحسين بن خالويه النحوى ، قال : أنشدني ابن الأنبارى بإنشاد رضى عنه قال : أنشد
كعب بن زهير بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذه الأبيات :

بانت سعاد قلبي اليوم مقبولٌ متم إثرها لم يفد مكبولٌ
وما سعاد غداة البين إذ ظعنوا إلا أغن غضيض الطرف مكحولٌ
شجّت ندى شيم من ماء محنية صافٍ بأبطح أضحى وهو مشمولٌ
تنفى الرياح القذى عنه ، وأفرطه من صوب سارية بيض يعاليلٌ
أكرم بها خلة لو أنها صدقت موعودها ، أو لو أن النصح مقبولٌ
لكنها خلة قد سيط من دمها فجع ، وولع ، وإعراض ، وتبديل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيدُهُ إلا الأباطيلُ
أرجو وأمل أن يجعلن في أبد وما هنّ إدخال الدهر تعجيلٌ
ولا تُدسك بالوصل الذى زعمت إلا كما يمسك الماء الغرابيلُ
فلا يغرنك مامنت وما وعدت إن الأمانى والأحلام تضليلٌ

أَمَسْتُ مَعَادُ بِأَرْضٍ لَنْ يُبَلِّغِيَا
 وَلَنْ يُبَلِّغِيَا إِلَّا عَذَابُهَا
 صَخْمٌ مَقَامُهَا فَعَمَّ مَقِيدُهَا
 حَرَفٌ أَخُوهَا أَبُوهَا مِنْ مُبْجَعَةٍ
 إِلَّا الْعِتَاقُ الْجَبِيَّاتُ الْمُرَاسِيْلُ
 فِيهَا عَلَى الْأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْعِيَالُ
 فِي خَلْقِيهَا عَن بَنَاتِ النَّحْلِ تَقْضِيَالُ
 وَعَمَّهَا خَالِيَا قَوْمُ دَاوُدَ شِمِيلُ

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : إن من الشعر حكمة ، وإن قيل : إن الحكمة ضالة المؤمن ، ولما صح جوائز الإنشاد للشعر ، فسواء كان يمدح بالنعمة الطيبة والصوت الحسن ، أو يكون إنشاده بالحدو ، والحدو ، والتقصير ، والرمان ، والرجز ، إذا لم يكن لذلك مقصد فائدة ، وإرادة باطلة ، ومحو فائدة ، ومخالفة ومماناة ، والله أعلم .

فصل آخر

قال الشيخ ، رحمه الله : وقد رخص في المرح ، وستجاره جماعة من أئمة الهدى والفقهاء ، منهم مالك بن أنس ، ذكر عنه : أنه سمع رجلا في وقت المحبرة يقول بباب داره وهو يغنى ويقول :

مَا بَالُ قَوْمِكَ يَا رَبَّابُ حَبْرًا كَانَهُمْ غَصَابُ
 قَالَ فَقَالَ لَهُ مَالِكُ : اتَّقِ أَسَاتِ التَّأْدِيَةَ وَمَنْعَتِ الْقَاتِلَةَ ، قَالَ : فَسَأَلَهُ عَنِ تَأْدِيَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : تَرِيدُ أَنْ تَقُولَ : أَخَذْتُهَا مِنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، وَكَانَ مِنَ الْمَشْهُورِ عَنْهُ وَعَنِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَكْرَهُونَ ذَلِكَ ، وَفِي تَبْوِينِ ذَلِكَ أَخْبَارٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَعَنْ غَيْرِهِمَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ .

وقد أجاز الشافعي رحمة الله عليه أيضاً السماء والترجم بالشعر ما لم يكن فيه
سقاط المروية .

وقد ذكر عن ابن جريج ، مع جلالة الله ، أنه قال : ما كان سب قدومي من
أثمن ومقامي بمكة إلا ابتان من الشعر سمعتهم ، يوماً وهما :

يا لله قولي له من غير معتبة ما إذا أردت بطول المكث بأثمن
إن كنت أنتسبت ذنباً أو هيئت به فوجدت بترك الحج من أثمن

وقد ذكر عن ابن جريج أيضاً : أنه كان يرحص في السمع ، فقبل له : إذا أتيت
ك يوم القيمة ، وتوتني إحسانك وساءت ، ففي شيء الجنتين يكون سمعتك
فإن ابن جريج : لا يكون في الحسنات ولا في السيئات ، لأنه تشبه به
لا يدخل في الحسنات ولا في السيئات ، قال الله تعالى : « لا يؤخذ الله بالغو
في أيمانكم » (١) .

قال الشيخ رحمه الله : فبذه فصول مختصرة في إباحة الشعر ما عدا ما يصححه
في ذلك مقاصد وسنة .

ودخول في نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم : سماء الأوتار ومزميز
والعزف والكوبة والطبل ، لأن ذلك سماء أهل الباطل ، وهو المحذور النهي عنه
بالأخبار الصحيحة المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٥٤

باب في وصف سماع الخاصة

وتفاضلهم في ذلك

سمعت أبا عمرو : اسماعيل بن نجيد ، قال سمعت أبا عبد الله سمع من
عبد الوارث بن اعظم ، يقول : السماع على ثلاثة أوجه : فوجه منها سمع من
المبتدئين ، يستدعون بذلك الأحوال الشريفة ، ويخشى عابثه في ذلك
الفتنة والمراءاة .

والوجه الثاني : للصدّيقين يظهر لهم البرودة في الأحوال ، ويؤمنون من
موافق الأحوال وأوفئهم .

والوجه الثالث : لأهل الاستقامة من العارفين ، وهم لا يفترون
ولا يتأبون على الله في شيء على قلوبهم في حين السماع من الله والسماع
أو كما قال .

وحكى عن أبي جعفر بسعد بن محمد بن أيوب بن جعفر بن محمد بن
أهل السماع على ثلاث طبقات : الطبقة منهم تطمئن على ما سمعوا
وحرارة ، وطبقة منهم كانت في كنف الصفة ، وطبقة منهم سمعوا
فهو الضعيف منهم .

وعن بشار بن الحسين بن مالك : السماع على ثلاث درجات : السماع
بالطبع ، ومنهم من يسمع بالحال ، ومنهم من يسمع بالعلم .

قال الشيخ ، رحمه الله : من سمع بصفته سمع به الخواص والعوام
في رُوح استنساب الصفة الطيب لأنه من جسد رُوح جلي في رُوح
ذات ذلك ، ومن سمع بحاله سمع به الخواص من كونه سمع به .

شكر عتاب أو خطاب ، أو ذكر وصل أو هجر ، أو قرب أو بعد ، أو تأسف
 عن فاته أو تعطش إلى ما هو آت ، أو ذكر طمع أو يأس ، أو بسط
 أو ستمس ، أو خريف الافتران ، أو وفاء بالعهد ، أو تصديق بالوعد ، أو تقض
 أو يصد ، أو ذكر فلق واشتياق ، أو فراح الاتصال ، أو تروح الانفصال ،
 أو انجس على ماله ، أو التذوق على الذي أمال ، أو ذكر صفاء المحبة ،
 أو انكسار من المؤددة ، أو ذكر سراض الصبوة بعد تمسكه من الخطوة ،
 أو ساطعة لرقيب عند الاضطرار الحبيب ، أو تباريح الشجون وفنون الننون ،
 أو سكب العبرات ، وتورد الزفريات ، وتحدد الحكرات ،
 أو ساقب من ذلك حال ثم يوافق حاله فيكون كالفادح يقدح في سرد
 من حاله يفتد ، وقوة فادح ، فتشعل نار ترمي بتسرها ، فيبين ذلك
 من جورح ، ويظهر على ظاهر صفاته التغيير والحركة والاضطراب والتهيج ،
 على قدر طاقته يضبط ، وعلى قدر قوته ويردد يعجز عن الضبط ، فسبحان من
 يتولى سيئاتهم وحفظهم ، ولو لا فضل عليهم ورحمته ورقمهم اطارت عقولهم ،
 وتلفت قلوبهم ، وذهبت أرواحهم .

ومن يسع بالحق ومن الحق فإنه لا يترسم به هذه الرسود ، ولا يلتفت
 إلى هذه الأحوال ، ولا يشهد هذه الأفعال ، لأنها وإن كانت شريفة فهي
 مزوجة بخلوظ البشرية ، مرتبطة بحدود الإنسانية ، وهي متمسكة مع العبد ،
 ولا يؤمن عليها الزائل ، حتى يكون سماعه بالله والله ومن الله وإلى الله ،
 وهم الذين وصوا إلى الحقائق ، وعبروا الأحوال ، وفتنوا عن الأفعال
 والأقوال ، ووصوا إلى محض الإخلاص ، وصفاء التوحيد ، فخذت بشريةهم ،
 وفيت خلوظهم ، وبقيت حقوقهم ، فشهدوا موارد الحق بالحق بلا علة
 ولا حظ لبشرية ولا تنعم الروح بالعممة ، فشهدوا من موارد السماع على أسرارهم

إظهار حكمته وآثار قُدْرَتِهِ وعجائب لطفه وغرائب عِلمِهِ «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» (١).

وقال بعضهم: أدل السماع في السماع على ثلاثة ضرب: فضرب منهم أبناء
الحقائق، وهم الذين يرجعون في سماعهم إلى مخاطبة الحق لهم فيما يسمعون،
وضرب منهم يرجعون فيما يسمعون إلى مخاطبات أحرارهم وأوقانهم ومقتداتهم، وهم
مستعملون بالعلم ومطابرون بالصدق فيما يشيرون إليه من ذلك، والضرب الثالث
النفراء، المجردون الذين قطعوا العلائق وما تنبثت قلوبهم بتجربة الدين والالتصاف
بالجمع والمنع، فهم يسمعون بطريق قلوبهم، ويليق بهم السماع، وهم أقرب من
إلى السلامة، وأسلمون من الفتنة، والله أعلم.

باب في ذكر طبقات المستمعين

قال الشيخ رحمه الله : اختلف المستمعون في السماع على طبقات ، فطبقة منهم اختاروا سماع القرآن ولم يرو غير ذلك ، واحتجوا بقوله تعالى : « وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ مُخَضَّجًا سَوَآءًا » (١) ، وقوله : « أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ » (٢) ، وقوله : « مَثَانِي نَسَّحِيرٍ مِنْهُ جُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ » (٣) ، وقوله : « الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ » (٤) ، وقوله : « لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ » الآية (٥) ، وقوله : « وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا نَشَاءُ لِمَنْ نَشَاءُ » (٦) ، وقوله : « الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ » (٧) . والآيات في ذلك تكثر .

واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : فبينوا القرآن بأصواتكم ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم لابن مسعود رضى الله عنه : اقرأ ، فقل : أنا أقرأ وعليك أنزل ؟ قال : أنا أحب أن أسمع من غيري . وقول البراء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بالتين والزيتون ، فما رأيت أحسن من قراءته ، وقوله عليه الصلاة والسلام : شَيْبَتْنِي هُودٌ وَأَخْوَاتُهَا ، وقوله لأبي موسى : قد أوتي مزماراً من مزامير آل داود . وقوله حين سئل : من أحسن قراءة ؟ قال : من إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ على عصابة من أهل

(١) المزمل : ٤ (٢) الرعد : ٢٨ (٣) الزمر : ٢٢
 (٤) الحج : ٣٥ (٥) الحشر : ٣١ وتكلمة الآية : رأيت خاشعاً متصدعاً
 من خشية الله وتلك الأمثال تضربها للناس لعلمهم يتفكرون
 (٦) الإسراء : ٨٢ (٧) الزمر : ١٨

ذرارة بن أوفى من الصحابة : أمَّ بالناس فقراً آية من كتاب الله فصعق ومات ،
ومثلي أبي جبير من التابعين ، قرأ عليه صالح المرثي فشيق ومات .

وقد حكى عن الشبلي رحمه الله أنه سأله أبو علي المغازلي رحمه الله فقل : ربما
تطرق سمعي آية من كتاب الله تعالى فتُحذِرني على ترى الأشياء والإعراض عن
الدنيا ، ثم أرجعُ إلى أحوالي وإلى الناس ، ثم لا أبقى على هذا وأدفعُ إلى الوطن
الأولى : فقال : ما طرق مسامعك من القرآن فاجتذبتك به إليه فذاك عطفٌ منه
بك ، وما رُدِّدتَ إلى نفسك فهو شفقة منه عليك : لانه لم يصح لك التبري من
الحول والقوة في التوجه إليه .

وقد حكى عن أحمد بن أبي الحواري عن أبي سليمان الداراني رحمه الله أنه
قال : ربما أبقى في الآية خمس ليالي ، ولولا أني أترك الفكر فيها ما جزتها أبداً ،
وربما جاءت الآية من القرآن فيطير فيها العقل ، فسبجان الذي يرُدُّه
بعد ذلك .

وقد حكى عن الجنيد رحمه الله أنه قال : دخلتُ على سري السقطي رحمه الله
فرايت بين يديه رجلاً قد غشى عليه ، فقال لي : هذا رجل سمع آية من كتاب الله
عز وجل فنُشِيََ عليه ، فقلت : اقرأ عليه هذه الآية التي قرئت عليه ، فقرأ ، فأفاق .
فقال لي : من أين لك هذا ! فقلت : رأيت يعقوب عليه السلام كان عماءً من أجل
مخلوق ، فبمخلوق أبصر ، ولو كان عماءً من أجل الحق ما أبصر بمخلوق ، فاستحسن
منى ذلك .

وحكى عن بعض الصوفية أنه قال : كنت أقرأ ليلة هذه الآية : « كَلِّمْ نَفْسَ
ذَاتِ قُوَّةٍ السُّمُوتِ » (١) فجعلتُ أرذوها وإذا أبا بها تف يهتف : إلى كم ترذد هذه
الآية ؟ وقد قتلت أربعة من الجن لم يرفعوا رؤوسهم إلى السماء منذ خلقوا .

(١) آل عمران : ١٨٥

سمعت أبا الطيب أحمد بن مقاتل العكبي يقول : كنت مع الشبلي رحمه الله في مسجد ليلة في شهر رمضان وهو يصلي خلف إمام له وأنا يجنبه ، فقرأ الإمام هذه الآية : « وَ لَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ » (۱) الآية ، فزعق زعقة قلت : قد طارت روحه ، ورأيته قد اخضر وهو يرتعد ، وكان يقول : بمثل هذا تخاطب الأحياء يردد ذلك مراراً .

فمن اختار سماع القرآن اختاره لما ذكرنا من هذه الآيات ، والأخبار .

والمعول عند اسماء القرآن حضور القلب ، والتدبر والتفكير والتذكر وعلى ما يصادف قلبه عليه من قراءته فيكون الغالب على وقته في استماعه القرآن ، فإذا يكن له حال ولم يكن في قلبه وحده يطرده ما سمعه من القرآن ويوافقه ويرتبه فممن
« كَمَثَلِ الذَّرَى يَنْعَقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ » (۲)

(۱) الإسراء: ۸۶ (۲) البقرة: ۱۷۱ وتكملة الآية: لا ادعوا وتدا، صم بكم عمن فهم لا يعقلون

باب في وصف سماع المریدین والمبتدئين

قال الشيخ رحمه الله : سمعت أبا عمرو و عبد الواحد بن عوان بالرَّحبة ، رحية مالت ابن طوق ، قال : كان شاباً يصحب الجنيد رحمه الله ، فكان إذا سمع شيئاً من الذكر يزعق ، فقال له الجنيد يوماً : إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني ، قال : فربما كان يتكلم الجنيد رحمه الله في شيء من العلم ، فيتغير ، ويضبط عند ذلك نفسه حتى يقطر عن كل شعرة من بدنه قطرة من الماء ، وحكى لي أبو عمرو : أنه صاح يوماً من الأيام صيحة فانشقَّت وتلفت نفسه .

ورأيت أبا الحسين السبرواني صاحب الخواص بدمياط ، وكان يحكى عن الجنيد رحمه الله أنه قال : رأيت رجلاً قد سمع السماع حتى تفسخ ، ورأيت رجلاً سمع الذكر حتى مات ، أو كما قال ، وسمعت المديقي يقول : سمعت الدراج يقول : كنت إذا وبين النواطلي ماراً بن علي الدجلة بين البصرة والأبلة وإذا بقصر حسن ، له منظر وعليه رجل بين يديه جارية تغني وتقول :

كلَّ يومٍ تنوَّنُ غيرُ هذا بك أَجملُ
في سبيلِ الله وُدُّكَ كان مِنِّي لك يُبدلُ

قال : وإذا شابٌ تحت المظرب يده ركوة وعليه مرقعة يتسمع ، فقال : يا جارية بالله وبحياة مولاي إلا أعدت عليَّ هذا البيت ، قال فأقبلت الجارية عليه وهي تقول هذا البيت :

كلَّ يومٍ تنوَّنُ غيرُ هذا بك أَجملُ

وكان الشاب يقول : هذا والله ترسني مع الحق في حالي ، قال فشهو شبيقة ، وحمد ، فتأملناه فإذا هو ميت ، قال : فقلنا : قد استقبلنا فرضاً ، فوقفنا ، فقال صاحب القصر للجارية : أنت حرة لوجه الله تعالى ، قال ثم خرج أهل البصرة

وصولاً عليه ، فلما فرغوا من دفنه قام صاحب القصر وقال : أليس تعرفوني ؟ أنا فلان بن فلان أشهدكم أن كل شيء لي في سبيل الله تعالى ، وكل جوارى أحرار ، وهذا القصر لسبيل ، قال : ثم رمى بثيابه ، وأتزر بإزار ، وارتدى بالآخر ، ومر على وجهه والناس ينظرون إليه حتى غاب عن أعينهم وهم يبكون ، فما رآه أحد بعد ذلك ولا سمع له خبر ، وما رأيت يوماً أحسن من ذلك اليوم ، أو كلاماً هذا معناه ، والله أعلم .

قال : وسمعت الوجيبي يقول : سمعت أبا علي الروذباري يقول : دخلت مصر فرأيت الناس مجتمعين أو منصرفين من الصحراء ، فسألتهم ، فقالوا : كنا في جباله فتنى سمع قائلنا يقول :

كبرت عممة عبد طمعت في أن تراك

وزعق زعقة ومات . وما حكى الدقي قال : سمعت أبا عبد الله بن جلاء يقول : رأيت بالمغرب شيئين عجيبين ، رأيت في جامع قيروان رجلاً يتخطى الصوف ، ويسأل الناس ويقول : تصدقوا علي فإني كنت رجلاً صوفياً فصعقت . والآخر أتى رأيت شيخين اسم أحدهما جبلة والآخر زريق ، وكل واحد منهما تلامذة ومريدين . فزار يوماً من الأيام جبلة زريق مع أصحابه ، فقرأ رجل من أصحاب زريق شيئاً من القرآن ، فصاح من أصحاب جبلة رجل صيحة فأت ، فيما كان عداة يومئذ قال جبلة لزريق : أين صاحبك الذي قرأ بالأمس ؟ فدعا وقال له : قرأ ، فبدأ شيخ فصاح جبلة صيحة فأت القارى . في مكاب ، فقال : واحد واحد والذى أظن . هذا معناه .

وحكى محمد بن يعقوب عن جعفر البرقع ، وكان من الأبرياء ، أنه حضر في . . . مع فيه سماع ، فقام وتواجد وقال في قيامه : حتم بنا المرشدون .

قال الشيخ رحمه الله : ولا يصح السماع المرشد حتى يعرف أصحاب الله تعالى . ومن صفاته : حتى يضيف إلى الله ما هو أولى به ، ولا يكون قلبه ملوثاً بغير الدنيا وحب

النساء والمحمدية ، ولا يكون في قلبه طمع في الناس ولا تشوف^ه إلى المخلوقين ، مراعيًا
 قلبه ، حافظًا لحدوده ، متعاهدًا لوقتته ، فإذا كان كذلك يسمع ما يكون داخلًا في
 صفته النبوية والتأصيلية والطلبية والمنيبية والخاصية والخاتمية ، ويسمع ما يحته
 عن المعاملات والمجاهدة ، ولا يسمع على الجملة ، ولا يتكلم ، ولا يسمع للاستجابة
 والتأدية ، فكيف يصير عاقبته في شغل عن عبادته ورعاية قلبه ، فإن لم يكن كذلك
 لم يسمع في ذلك الوقت الاجتهاد والنباهة عن المواضع التي يحضر فيها ذلك ، ولا
 يسمع السمع إلا في مواضع تجرى ذكر ما يحته عن المعاملات ويحدد عليه ذكر الله
 على والثناء عن الله وما فيه رضا الله

من كان كذلك بعد أن لا يسمع من غير تلك المواضع فيقصد من يسمع ذلك من المشايخ حتى يتعب
 به ذلك ، حتى لا يكون سمعه لهم أوعياً ، ولا يضيف إلى الله تعالى ما هو مشرك عنه
 فيسمع ولا يدرى ، ولا تسبوه نفساً وهواً إلى اتباع الحظوظ ويخيل إليه الهوى
 والشيطان ، إنه من الحقوق فهبك عند ذلك والله ولي التوفيق .

باب في وصف المشايخ في السماء وهم المترمطون العارفون

قال الشيخ رحمه الله : سمعت الوجيبي يقول : سمعت الطيالسي الرازي يقول : دخلت على إسماعيل أستاذ ذي النون رحمه الله وهو جالس ينسكت بأصبعه على الأرض ويتنم مع نفسه بشيء ، فلما رأيته قال : أتجسّن تقول شيئا ؟ قلت : لا ، قال : أنت بلا قلب . سمعت أبا الحسن علي بن محمد الصغير في قول : سمعت : ذكره وقال مثل عن المشايخ الذين تقيهم : كيف كان يده في وقت النوم لا يزال يقطع الغم إذا وقع في وسطه الذباب ، قال : وسمعت قيس بن عمر الجعفي حدثنا ورد علينا أبو القاسم بن مروان الميهودي وكان قد صحبنا في حجة الوداع وكان قد ترك الخضوع عند السير سجين كثيرة . فحظت به في ذلك اليوم في بيت أبيات فيها هذا البيت :

ورقفت في المذبح كعقبة
فإن لم يكن يسيرت في

قال : فكان أصحابه يقولون ويناديون . إنك ساهو ساهي كل واحد عن معنى ما وقع له في هذا البيت ، فيمكن أن يكون هو قديون غير منسقين لأحوال ، وأن يكون العبد ثوبا من ثياب الذي يمشي في سبيل الله لا يقعه منهم ثوب ، فسأله ، وقال : سمعت من ساهو ساهي في بيت الأحياء ويكرم بجميع الكرامات ، فلا يطهره الله من ذنوبه ولا يكره هذا معناه ، والله أعلم .

وسمعت يحيى بن الرضا العارفي يفتاد يقول : هو ساهو ساهي في بيت الأحياء

(١) وما يشبه هذا المعنى قول بعضهم :

وأعطشتا والماء نخوض غماره
وأوحشتا والمؤاسمات شيبه

قال : سمع أبو حنبلان الصوفي رجلاً يطوف وينادي : يَسْعَتَرَا بَرِّي (۱) ، فسقط
وغشى عليه ، فلما أفاق ، سئل عن ذلك وقال : سمعته يقول : أَسْعَ تَرَى بَرِّي . قال
الشيخ رحمه الله : فكذلك قال المشايخ الذين هم من العلماء بهذا الشأن وأهل الفهم
بهذه القصة : أن السماء على حسب ما يقر في القلوب من حيث شغلها ووقته
وحضوره ، ألا ترى أن صوت الصائت حيث أدّى إلى أبي حنبلان سمعه من حيث
وقته وشغلها :

وما يستدل بذلك على ما قلناه ، والله أعلم ، حكاية حكيت عن عتبة الغلام
رحمه الله أنه سمع رجلاً يقول :

سُبْحَانَ جَبَّارِ السَّمَا * إِنَّ الْمُحِبَّ نَفِي كَعْدَا

فقال عتبة رحمه الله : صدقت . وسمعه رجل آخر فقال : كذبت : فقال بعض
من هو عارف بهذا الشأن . كلاهما أصابا ، أما عتبة رحمه الله صدقه لوجود تعبده في
محبه ، وأما الآخر فكذب لوجود راحته وأنه في محبه . وعن أحمد بن مقاتل
أن ذا النون المصري رحمه الله دخل بغداد ، فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم
قوالب ، فاستأذنه في أن يقول شيئاً ، فأذن له في ذلك ، فأنشأ يقول :

صَغِيرٌ هَوَاكَ عَدَّ بَنِي * فَكَيْفَ بَرَّ إِذَا أَحْتَسَكَ
وَأَنْتَ جَمَعْتَ فِي قَلْبِي * هَوَى قَدْ كَانَ مُشْتَرَكَا
أَمَّا تَرَى لِمَسَكْتَيْبِ * إِذَا ضَجَّكَ الْخَلِيُّ بِكِي

قال : فقام ذو النون رحمه الله ، ثم سقط على وجهه ، ثم قام رجل آخر ، فقال
ذو النون رحمه الله : « الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (۲) » قال : فجلس ذلك الرجل .

(۱) في هامش إحدى النسخ : من يشتري زعفران بري والزعفرانيت معروف عند المطارين

(۲) الشعراء : ۲۱۸

قال الشيخ رحمه الله : والمعنى في قوله «الذي يراك حين تقوم» أشار إلى قيامه
ومزاحمته لغيره بالكلف ، فعرفه بأن الخضم في دعواك بقيامك ليس غير الله ،
ولو كان الرجل صادقاً في قيامه لم يجلس ، وذلك أن المشايخ منهم مشرفون على
أحوال من هو دونهم بفضل معرفتهم ، ولا يجاوز لهم أن يسامحهم إذا جاوزوا
حدودهم وادّعوا حال غيرهم . وعن أبي الحسين النوري رحمه الله أنه حضر محاسناً
فيه سماع ، فسمع هذا البيت :

مَا زِلْتُ أَنْزِلُ مِنْ وَدَادِكَ مَنزَلاً

تَمَحَّيَّرُ الْأَبَابُ عِنْدَ نُزُولِهِ

قال : فقام وتواجد وهم على وجهه ، فوقع في أجمدة قصب قد كسحت وبقى
صولها مثل السيوف ، فأقبل يمشي عليها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يخرج من
رجليه ، ثم ورمت قدماه وساقاه وعاش بعد ذلك أياماً قليلة ومات :

وحكى عن أبي سعيد الخزاز رحمه الله أنه قال : رأيت علي بن النوفلي ، وكان
من أجلة المشايخ ، وقد حضر في وقت السبع ، وقد سمع شيئاً ، فقال : أقبوني
فأقومه ، وتواجد ، ثم قال في تواجده : أن الشيخ الزقان ، قال يوم حضر رحمه الله :
ولمعنى في ذلك ، والله أعلم ، أنه يريد أن يعطى بذلك حقه على جاسته وقوله ، يقول :
أنا الشيخ الزقان ، ومن حسن أدبه أنه يتكلم حتى يحتجب بذلك عن الناس من
والذهاب ، لأنه من أحوال المریدين والمبتدئين .

وحكى لي بعض إخواني عن أبي الحسين الخزاز أنه قال : فوصف يوم حضر
الحسين من بغداد للزيارة والسلام عليه ، قال : فلما دخلت الرومي سألت عن
فكل من أسأل عنه يقول أيتش تعمل بذلك الزانبيق لا يصبك من صدري ، حتى
عزمت على الانصراف ، فبت تلك الليلة في بعض المساجد ، فلما أصبحت قلت
في نفسي : قد جئت هذا الطريق كله لا أقول من أن أراه ، فلم أزل أسأل عما جئني
دعيت إلى مسجده ، فدخلت عليه وهو قاعد في الخراب وبين يديه رجل وفي يده

مصحف وهو يقرأ ، وإذا شيخ بهي حسن الوجه واللحية فدنوت إليه وسامت عليه فرد علي السلام ، وقعدت بين يديه ، فأقبل علي وقال لي : من أين أنت ؟ قلت : من بغداد ، فقال : وما الذي جاء بك ؟ فقلت : قصدت الشيخ للسلام عليه ، فقال لي : لو أن في بعض هذه البيران قال لك إنسان : تقيم عندنا حتى أشتري لك داراً وجديفة ، أو كجداً ، كان يعمدك عن هذا الحجي ، ؟ قال : فقلت : ما امتحنني الله بشيء ، من ذلك ، ولو امتحنني ما كنت أدرى كيف أكون ، ثم قال : أحسن أن تقول : فقلت : نعم ، قال لي : هت ، فابتدأت أقول :

يا ربنا انت خير داريت في كفتيتي * ولو كنت ذا حزم لم لهدمت كما تبني
يا ربنا انت افضل فوركنا * الا لبتنا كما اذ التيت لا نغني

من : فأطبق المصحف ، ولم يزل يبكي حتى ابتل حخته وتوربه ، حتى رحمته لم يكن . ثم قال لي : يا بهي قوم أهل الري يقولون يوسف زنديق ، من صلاة العداة هو ذا أقرا في المصحف ، تقطر من عيني قطرة ، وقد قامت على القيامة بهذين البيتين :

قال : وكان الشبلي رحمه الله يتواجد كثيراً ، إذا جمع هذا البيت :

يا ذا كرم حرجر ، وحببكم قني * كوو حلكم حرم ، ورسامكم حرب
وفم اللقي لامة إلى شطر النيل وهو يتخبط ويسقط على رأسه ويقوم ، والخلق يركون ، والقولون يقولون هذا البيت :

بالله فأردد فواد مكتسب * ليس له من حبيبه خلف

وأشبه ذلك كثير ، ولا يخفى على العاقل إذا تأمل في مقاصدهم واختلاف شربهم وأما كتبهم في السماع ، إذا تأمل في هذا القليل الذي ذكرت وكيف على مرادى من ذلك إن شاء الله ، وبالله التوفيق .

باب في وصف خصوص الخصوص

وأهل الكمال في السماء

قال الشيخ رحمه الله : سمعت أبا الحسن محمد بن أحمد بابصرة قال : سمعت أبي يقول : خدمت سهيل بن عبدالله ستين سنة فما رأيت تغييرا عند شيء كان يسألني من الذكر والقرآن أو غير ذلك ، فلما كان في آخر عمره قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية : « فَأَيُّ كُفْرٍ لَّا يَبْدُو حَيْدًا مِنْكَ فَذَكِّرْهُ » (١) الآية ، فوجدت فيه ما لم يكن ، وكاد أن يسقط ، وما رجعت إلى حال محمود بعد ذلك عن غير ما كان عليه ، فحبيبي قد ضلعت.

وحكى ابن سبط بن طبرستان عن أبيه أنه قال : سمعت أبا الحسن يقول :

أصطفى بين يديه من قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله في صلاة أو غيرها من قولته تعالى : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَأْسِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ » قال : فسأله عن ذلك لأنه كان يروي عن أبيه أنه قال :

سمعت ابن سبط يقول : سمعت أبا الحسن يقول :

والله أعلم بذلك انتهى في ذلك أبو عبد الله عليه السلام

بوجوب قراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وآله في كل صلاة

ذلك لا يتغيره ، والله أعلم بذلك انتهى

قال الشيخ رحمه الله : سمعت أبا الحسن يقول :

لله حمد حين سمعته يقول : اللهم صل على محمد وآل محمد

فقلت : اللهم صل على محمد وآل محمد ، فقال : اللهم صل على محمد وآل محمد

لأن حده قبل الذي هو بعد ذلك

وَمَعْنَى آخِرٍ : وَذَلِكَ أَنَّ مَهْلَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ حُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ :
 حَالِي فِي الصَّلَاةِ وَقَبْلَ الدُّخُولِ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ وَاحِدٌ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَرَاعِي قَلْبَهُ
 وَيُرَاقِبُ اللَّهَ تَعَالَى بِسِرِّهِ قَبْلَ دُخُولِهِ فِي الصَّلَاةِ ، ثُمَّ يَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ بِحُضُورِ قَلْبِهِ
 وَجَمْعِ كَهْمِهِ ، فَيَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ بِالْمَعْنَى الَّتِي كَانَ يَهْتَمُّ بِهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ ، فَيَكُونُ حَالُهُ
 فِي الصَّلَاةِ وَقَبْلَ الصَّلَاةِ وَاحِدًا ، وَكَذَلِكَ حَالُهُ قَبْلَ السَّمْعِ وَبَعْدَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .
 فَيَكُونُ سَمَاعُهُ مُتَّصِلًا وَوُجُودُهُ مُتَّصِلًا وَشُرْبُهُ دَائِمًا وَعَطَشُهُ دَائِمًا ، وَكَمَا أَرَادَ
 شُرْبُهُ أَرَادَ عَطَشُهُ ، وَكَمَا أَرَادَ عَطَشُهُ أَرَادَ شُرْبَهُ ، فَلَا يَنْقَطِعُ أَبَدًا .

وَسَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ عَلِيٍّ الْكِرْجِيَّ الْمَعْرُوفَ بِأَبُو جَيْهِي يَقُولُ : كَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ
 الصُّوفِيَّةِ مُسْتَجْمِعِينَ فِي بَيْتِ حَسَنِ الْقُرْآنِ ، وَعِنْدَهُمْ قَوْلُ الْوَلِيِّ يَقُولُونَ ، وَهُمْ يَتَوَاجَدُونَ ،
 فَشَرَفَ عَلَيْهِمْ مَشَاذٌ ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ سَكَتُوا جَمِيعًا ، فَقَالَ لَهُمْ مَشَاذٌ : مَا لَكُمْ
 قَدْ سَكَتُمْ ؟ أَرْجَعُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ فَلَوْ جُمِعَتْ مَلَاحِي الدُّنْيَا فِي أُذُنِي مَا شَلَعَتْ
 هَمِّي وَلَا شَفَتْ بَعْضَ مَا بِي .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَهَذَا أَيْضًا مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْكَمَالِ ، وَلَا يَكُونُ فِيهِمْ
 فَضْلَةٌ أَوْ طَرَفٌ يَطْرُقُهُمْ وَلَوْ أَرَادَ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ طِبَائِعِهِمْ وَنَفُوسِهِمْ وَبَشَرِيَّتِهِمْ
 حَاسَةٌ إِلَّا وَهِيَ مَبْدَلَةٌ وَمِهْدَبَةٌ لَا تَأْخُذُ مِنَ النَّغَاتِ حُظُوظَهَا وَلَا تَتَلَدَّدُ بِالْأَصْوَاتِ
 الطَّيِّبَةِ وَلَا تَتَنَعَّمُ بِهَا ، لِأَنَّ هُمُومَهُمْ مَفْرَدَةٌ ، وَأَسْرَارُهُمْ طَاهِرَةٌ ، وَصِفَاتُهُمْ لَا يَبْعَارُضُهَا
 كَدُورَةُ الْحُسُوسِ وَظُلُمَاتُ النُّفُوسِ وَتَغْيِيرُ الْبَشَرِيَّةِ وَمُقَارَنَةُ الْإِنْسَانِيَّةِ « ذَلِكَ فَضْلُ
 اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ » .

وَبَاغِي عَنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْجَنْسِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : كُنْتَ تَسْمَعُ هَذِهِ الْقَصَائِدَ
 وَتَحْضُرُ مَعَ أَصْحَابِكَ فِي أَوْقَاتِ السَّمْعِ ، وَكُنْتَ تَتَحَرَّكُ ، وَالْآنَ فَأَنْتَ نَهْكَذَا

ما كن الصفة ، فقرأ عليهم الجنيد هذه الآية « وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ تَمُورٌ مَرَّةً السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ آتَمَنَ كُلِّ شَيْءٍ » (١) ، فكأنه يشير بذلك ، والله أعلم ، يعني أنكم تنظرون إلى سكون جوارحي وفؤادكم ظاهرى . ولا تدرون أين أنا بقلبي وهذه أيضاً صفة من صفات أهل السكوت في السماع .

قال الشيخ رحمه الله : وهؤلاء ربما يحضرون في المواضع التي فيها السماع لأحوال شتى ، وجهات مختلفة ، وربما يجتمعون معهم من جهة مساعدة الشيخ من إخوانهم ، وربما يحضرون لعلمهم وثباتهم وكبر عقولهم حتى يعرفوا ما فيه وما عليهم من شرائط السماع وآدابه ، وربما يجتمعون مع غير أئمة جنسهم من سماع أخلاقهم وتحملهم فيكونون معهم بائنين منهم ومنفردين عنهم ببواطنهم وإن كانوا مع جاسانهم بظواهرهم ، وبالله التوفيق .

باب ق سماع الذكر والمواعظ

والحكمة وغير ذلك

قال : سمعت أبا بكر محمد بن داود الدينوري الدقي يقول : سمعت أبا بكر الزواق يقول : سمعت من أجدد رجا الله تعالى كلمة في التوحيد هي منى أربعين سنة .

وقال جعفر الخدي رحمه الله : دخل رجل من أهل خراسان على جليل رجا الله جماعة من الشيخ فقال : يا أبا القاسم متى يستوى عن بعد حواء من الله ؟ فقال : بعض أولئك الشيخ : إن دخل مؤمنة أو قبيحة بقيد من فقال : بغير حياء : ليس أحد من تلك ، ثم قال على الرجل فقال : يا حميبي ، إذا علمت أن الله عز وجل في كل شيء من ذلك ، فاحذر الرجل سبته وخروج .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : الحكمة جند من جود الله تعالى يتسوى به من الله عز وجل ، ويقال : إن الحكمة إذا خرج من القلب يقع على القلب ، وإذا خرج من اللسان لا يبرور الأذنين .

قال الشيخ رحمه الله : وهل هذا في الأخبار كثير : من ذكر من سمع كلمة أو كلمتين أو حكمة واحدة رافق ذلك وثر من ذلك في سره ووجد أو في قلبه حثرا أو يقبل ، كل من لا يركب ذلك يحظه في كلفه ، يعجز وعظه عن كلفه :

وقال أبو عوان : فعل من حكم في ألف رجل ، أفع من موعظة ألف رجل ، هي مصدقات لقوب من حيث صدق القوب عند ما يطرأ من واردات القيوب من المسموعات والمنظورات ، فإذا تثقت قويت ، وإذا خفت وتفتت ضعفت ، إلا لأهل الاستقامة والصدق والكمال فيهم فداؤرو ذلك وسقطت عنهم رفوف التميز فلا يتدرون ، وإنما ربه تجدد لهم إذ كرس به يسمعون وتصنعون

لهم المشاهدات وقتاً بعد وقت ، وذلك زيادات الصفات تجددهم عند سماع الحكمة ،
والإصغاء إلى طرائف الحكمة .

والمراد فيما ذكرتُ : أن مقصود القوم في السماع الذي يسمعون من القرآن
والقصائد والذكر وغير ذلك من أنواع الحكمة ليس كماه لحسن اللغة والطييب الصوت
والتنعم والتلذذ بذلك ، لأن الرقة والهيجان ولو وجد كمن فيهم أيضاً عند فقدان
الأصوات والنعيمات ، والسكون والهدوء كمن فيهم عند وجود الأصوات
والنعيمات ، فعلمنا أن المقصود في جميع ما يسمعون ما تصادف قلوبهم من حسن ما
قوبهم من الواجد والأذكى ، فيقوى الوجد بما تصادف قلوبهم .

باب آخر في السماع

قال الشيخ رحمه الله : قد ذكرنا أن المعول والمقصود في ذلك على مقاصد المستمعين فيما يسمعون ، وعلى حسب مصادفات أسرارهم من ذلك ، ومن حيث أوقاتهم وما يكون الغالب على قلوبهم ، فإذا سمعوا شيئاً يوافق ما هم به في الوقت تسمى بذلك مكتمات سرارهم وما انضمت عليه ضمائرهم ، فينطقون من حيث وجدتهم ، ويشيرون من حيث قصدهم وصدقهم وإلى ما يليق بحالهم ، ولا يخطر ببالهم قصد الشاعر في شعره ومراد القائل بقوله ، وكذلك لا تصطامهم غفلة القارىء عند قراءته إذا كانوا منتبهين ، ولا يوحشهم تشدّت الذاكر عند ذكره إذا كانوا مستجمعين ، وربما تتفق الخالان ، ويتشاكل الوقتان ، وتتجانس الإرادتان ، ويكون القادح أقوى والثوقت أصفى والعلل أخفى ، وإذا شملتهم العناية وصحبهم التوفيق فيهم محفوظون عن الزلل ومبرءون من العلل في جميع أحوالهم .

وبين ما ذكرت في هذه الحكايات التي أذكرها إن شاء الله. ذكر عن محمد بن مسروق البغدادي أنه قال : خرجت ليلة في أيام جاهليتي وأنا نشوان وكنت أغنى بهذا البيت :

« بِطَيْرِ أَبَاذٍ » (١) كَرُمٌ مَا مَرَرْتُ بِهِ إِلَّا تَعَجَّبْتُ مِمَّنْ يَشْرَبُ الْمَاءَ

قال فسمعت قائلاً يقول :

وَفِي جَهَنَّمَ مَاءٌ مَا تَجَرَّعُهُ خَلْقٌ فَأَبْقَى لَهُ فِي الْجَوْفِ أَمْعَاءُ

قال : فكان ذلك سبب توبتي وانتغالي بالعلم والعبادة أو كما قال ، ألا ترى أنه حين أدركته العناية المتحقق الباطن الذي كان فيه بمصادفة الحق له وكان باطله سبباً لنجاته حين صحبه التوفيق وشملته الرعاية ، وقد حكى أيضاً عن أبي الحسن بن رزقان أنه

(١) أمم بلدة

قال : كنت أمشي مع رجل من أصحابنا بين بساتين بالبصرة إذ سمعنا ضاربا بالطنبور وهو يقول :

يا صباح الوجوه ما تنصفونا طول ذا الدهر كلكم تظلمونه
كان في واجب الحقوق عليكم إذ بلينا بحبكم تنصفونه

قال : فشرق صاحبي شهقة ثم قال : وماذا عليك لو قلت ؟ :

يا صباح الوجوه سوف تموتون ن وتبني خدودكم والعيون
وتصبرون بعد ذلك رسما فاعلموا ذلك إن ذلك يقين

ألا ترى أنه أجابه من حيث وقته وأبان عمما في ضميره ، ولم يحشه قبح مقصد الغائل في قوله ، لاستيلاء الحقائق عليه وامتلائه بوجوده ؟ وقد حكى في هذا المعنى أيضا عن الشبلي رحمه الله : أنه سئل عن معنى قوله « ومسكر واو مكر الله والله خير ألما كرين » (١) ف قيل له : قد علمت موضع مكره في موضع مكر الله به ، فقال : تركهم على ما هم فيه ولو شاء أن يغير غير . قال : فشهد الشبلي رحمه الله في السؤال أنه لم يغنه جوابه فقال : أما سمعت بفلانة الطنبرانية في ذلك الجانب تقول :
ويصبح من مواء الرمل عندي وتقعاء فيحسن منك ذلك

قال الشيخ رحمه الله : فانظر أين تقع إشارته من قصدها ؟ وجميع ذلك واضح في الذي قيل : إن الحكمة ضالة المؤمن .

وصاحب المسئلة والسؤال أبو عبد الله بن خفيف رحمه الله ، روى في الله أمر

باب فيمن كره السماع ، والذي كره الحضور في المواضع التي

يقرأون فيها القرآن بالأحان ، ويتولون القصائد

ويتواجدون ويرقصون

فقد كره ذلك من جهات شتى : فتوهم كرهه ، ذلك لأخبار رويت عن بعض
الائمة المتدينين والصلحاء والتابعين أنهم كرهوا ذلك ، فكرهه من كره ذلك اقتداءً
بهم ، ومن بعدهم ، إذ كانوا هم الائمة في أحكام الدين والمتدينين في عصرهم على
جماعة السامع .

ولم يكرهوا ذلك المريدين والقصدين والقائمين بعظيم ما فيه من الخطر من
استدراجهم في بعض حظوظهم فتتجأ عند ذلك عقودهم وتندسخ عزيمتهم ويتركبوا
على شبر منهم وينصرفوا للفتنة ويقعروا في البلية .

وظيفة أخرى كرهت ذلك وزعمت أن الذي يتعرض لاسماع هذه الرثاعيات
لا ينجو من أحد وجهين : إما هم قوم متأهبون من أهل الدعاية والفتنة ، أو هم قوم
وصوا إلى الأحرار الشريفة وعانقوا المقدمات الرضية وأماوا نفوسهم بالرياضات
وبجاهدات بطارحوا الدنيا وراء ظهورهم واقطعوا إلى الله عز وجل في جميع معيهم ،
قالوا : وسنا نحن من هؤلاء ، ولا من هؤلاء فلا معنى لاشتغالنا بذلك وتوكلنا ذلك
أولى بهما ، والاشتغال بالطاعات وأداء المنترضات واجتناب المحرمات يشغلنا
عن ذلك .

قال : سمعت أحمد بن علي الوجيبي يقول : سمعت أبا علي الروذبهري رحمه
الله يقول : قد بلغنا في هذا الأمر إلى مكان مثل حد السيف فإذا مثلنا كذا
نفى النار .

عليه ، يعلمون من أين مَوْرده وإلى أين مَصْدَره ، ليس فيهم فضلة لطوارق سمع
الظاهر من معارضة طوارق سمع الباطن من دوام المناجاة والطائف
الإشارات وخفي المعاتبات والمخاطبات والمجاوبات فينكره جليسه ولا يعرفه أنيسه ،
فهم مع الله تعالى ببواطنهم ، وإن كانوا مع الخلق بظواهرهم ، « ذلك فضل الله يؤتيه
مَنْ يَشَاءُ (١) » .

فهذا مما حضرني في هذا الوقت والله التوفيق .

كتاب الوجد

باب في ذكر اختلافهم في ماهية الوجد

قال الشيخ رحمه الله : اختلف أهل التصوف في الوجد : ما هو ؟ فقال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله : لا يقع على كيفية الوجد عبارة ، لأنها سر الله تعالى عند المؤمنين الموقنين .

وذكر عن الجنيد رحمه الله أنه قال : كما أظن أن الوجد هو لمصادفة بقوة عز وجل : « وَوَجِدُوا مَا وَعَدُوا وَإِذَا حَضَرَا » (١) يعني صادفوا ، وقال : « وَكَانَ تَمَدُّمٌ لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ » (٢) أي تصادفوا ، وقال : « كُنِيَ إِذَا حَضَرَ لَمْ يَجِدْهُ » (٣) يعني لم يصادفه .

وكل ما صادف القلب من غم أو فرح فهو وجد ، وقد أخبرنا عن القلوب : أنها تفتقر وتبهر وهو وجد ، قال الله تعالى : « وَالْأَبْصَارُ وَالْأَبْصَارُ وَالْأَبْصَارُ تَعْمَى » (٤) أي تفتقر ، قال الله تعالى : « وَبَيْنَ الَّذِي تَجِدُ وَبَيْنَ الَّذِي لَا تَجِدُ » .

وقد قيل أيضاً : إن الوجد ملائمة من الحزن ، لا يكون إلا في ما كنا فيتحرك ويظفر منه الزفير والشيق ، وقد كان من هو الوجد في وجدته لا يظفر منه شيء ، من ذلك ، قال الله تعالى : « وَجِئْتُمْ قُلُوبَهُمْ » (٥)

(١) الكهف : ٤٩ (٢) البقرة : ١١٠ (٣) النور : ٣٩

(٤) الحج : ٤٦ (٥) الحج : ٣٥

قال بعض المشايخ من المتقدمين : الوجد وجدان : وجد ملك ، ووجد آفة ،
قول الله عز وجل : « فَمَنْ أَمَّ يَجِدْ » يعني من لم يملك ، وقوله تعالى : « ووجدوا ما
عمنوا حاضرا » يعني تقوا .

وقال بعضهم : كل وجد يجدك فيما لك فذلك وجد ملك ، وكل وجد تجده
فذلك وجد آفة ، تاتي بقلبك شيئا ولا يثبت .

وسمعت أبا الحسن الحصري رحمه الله يقول : النفس أربعة ، مداع ، مكشوف ،
ومعترض ، تارة وتارة عليه ، ومتحقق قد اكتفى بحقيقته ، ووجد قد فنى بما وجد .
وحكى عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه قال : كل وجد لا يشهد له
الكتاب والسنة فهو باطل .

وقال أبو سعيد أحمد بن بشر بن زياد بن الأعرابي رحمه الله : أول توجد رفع
حجب ، ومشااهدة الرقيب ، وحضور الفهم ، وملاحظة الغيب ، ومحدثة السر ،
وغير ذلك منقود ، وهو فذلك أنت من حيث أنت .

قال أبو سعيد رحمه الله : التوجد أول درجات الخسوس وهو ميراث التصديق
غيب ، فهاذا ذوقها وسطع في قلوبهم نورها ، وإن عنهم كل شك وريب .
وقال أيضا : الذي يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق
والأسباب ، لأن النفس مجبوبة بأسبابها ، فإذا انقطعت الأسباب ، وخلص الذكر
بعض القلب ورق وصفها ، ونجعت فيه الموعظة والذكر وحل من المناجاة في محل
غريب ، وخوطب وسمع الخطاب بأذن واعية وقلب شاهد وسر طاهر ، فشاهد
ما كان منه خاليا ، فذلك هو الوجد ، لأنه وجد ما كان عنده عدما معدوما .

منهم ، وإن كان غير ذلك أولى بهم ؛ لأنهم نبذوا الدنيا وراء ظهورهم ، فتواجهوا مطايبةً وتسليماً وفرحاً وسروراً بما قد عانقوا من خلع الراحة وترك المعلومات .

قال الشيخ رحمه الله : فمن أنكر ذلك ويقول : ليس هذا في العلم . فيقل له : قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا دخلتم على هؤلاء المعذبين فبكوا ، فإن لم تبكوا فتبكوا « .

١٦٩

فالتواجد من الوجد ، بمنزلة التباكي من البكاء . والله أعلم .

وصنف ثالث : أهل الضعف من أبناء الأحوال ، وأرباب القلوب والمتحقيقين بالإرادات ، فإذا عجزوا عن ضبط جوارحهم وكتمان ما بهم تواجدوا ونقضوا مالا طاقه لهم بحماهم ولا سبيل لهم إلى دفعه عنهم وردّه ، فيكون تواجدهم طامياً للتفرج والتسلي ، فهم أهل الضعف من أهل الحقائق .

قال : سمعت عيسى القصار يقول : رأيت الحسين بن منصور حين أخرج من الحبس ليقتل فكان آخر كلامه أن قال : حسب الواجد إفراد الواحد . قال : وما سمع أحد من المشايخ الذين كانوا ببغداد هذا ، إلا استحسبوا منه هذه الكلمة .

وسئل أبو يعقوب النهر جوري رحمه الله عن صحة وجد الواحد وسقمه فقال : تحته قيون قلوب الواجدين له ، وكذلك سقمه إنكار قلوب الواجدين له ، وتبرؤ جسائه ، إذ كانوا أشكالا غير أضداد وليس ذلك لغير أبناء جنسهم .

ويقال : إن أبا سعيد الجرّاز رحمه الله : كان كثير التواجد عند ذكر الموت
فسئل عن ذلك الجنب يد رحمه الله فقال : العارف قد أيقن أن الله لم يفعل شيئاً من
المكاره بغضاله ولا عقوبة ، ويشاهد في صنائع الله تعالى الخاتمة به من المكاره صنو
المحبة بينه وبين الله عز وجل : وإنما ينزل به هذه الموازن فيردّ روحه إليه اصطفاً
له واصطفاً له ، فإذا كوشف العارف بهذا وما أشبهه لم يكن يعجب أن تطير
روحه إليه اشتيفاً ، وتقلب من وطئها اشتيفاً ، فلذلك ما رأيت من التواجد
عند ذكر الموت ، ورُبّما أتى ذلك على قرب منيته ، والله يفعل بوليّه ما يشاء
وما يجب .

وسئل بعض المشايخ عن الفرق بين الوجود والتواجد فقال : الوجود بوجد
الغيبية وإرسالات الحقيقة ، والتواجد داخل في الاكتساب ، رجع إلى أوصاف العبد
من حيث العبد .

ولدى كره الوجد ، مشهدة علق في الذي يتواجد . عن أبي عثمان الخيري في عطف
حكى عنه أنه رأى رجلاً قد تواجد فقال له : إن كنت صادقاً فقد أخبرتك كونه
وإن كنت كاذباً فقد أشركت ، والله أعلم بمقصده من ذلك . ويشبهه أنه أرر بذلك
شقيقة غيره ، وحذراً من الفتنة والآفة ، والله أعلم .

سمعت أبا عمرو بن علوان يقول : سمعت الجنيد رحمه الله يقول : الشبلي رحمه الله سكران ولو أفاق من سكره لجاء منه إمام ينتفع به .

وحكى عن الجنيد رحمه الله أنه كان يقول : ذكرت المحبة بين يدي مرمى السقطلي رحمه الله فضرب يده على جند ذراعه فمدها ثم قال : لو قلت إنما جف هذا على هذا من المحبة لصدقتُ قال : ثم أغشى عليه حتى غاب ، ثم تورد وجهه حتى صار مثل دائرة القمر فما استطعنا أن ننظر إليه من حسنه حتى غطينا وجهه .

وقال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله : الذي يحل بالقنوب من الامتلاء والوجد حتى لا يبقى فيه فضل لوجود حال كان يعرفها قبل ذلك ، إنما هي زيادة للنفوس في معرفتها ، فاعظم قدر الحق وقدر ما يستحق حتى يتبين لها عن الحال التي يكون هم منفرداً بها عن كل شيء حتى لا تجد غيره ، فعند ذلك انقطع عنها حس كل محسوس ، وإنما أدركت انقطاعه عن المحسوسات بما أوقعه الحق عليه منه فلم يكن فيه فضل أعيرد .

وعن أبي عثمان المزين رحمه الله أنه كان يقول :

فَسُكْرُ الْوَجْدِ فِي مَعْنَاهُ صَحْوٌ وَصَحْوُ الْوَجْدِ سُكْرٌ فِي الْوِصَالِ

باب في الواجد الساكن والواجد المتحرك أيهما أتم ؟

قال الشيخ رحمه الله : قال أبو سعيد بن الأعرابي رحمه الله في كتابه في الوجد إن سائلاً سأل فقال : أيما أفضل وأتم ، الحركة في الوجد أم السكون فيه ؟ وقد قال قوم : إن السكون والتمكن أفضل وأعلى من الحركة والاضطراب ، قال أبو سعيد : فأجواب في ذلك والله أعلم : إن الواردات من الأذكار ، منها ما يوجب السكون ، فالسكون فيها أفضل من الحركة ، ومنها ما يوجب الحركة ، فالحركة فيها أتم : إذ حكمها القهر لأهلها ، فإذا لم يقم بهذا القهر كان الوارد ضعيفاً في وروده . ولو ورد بحقيقته لأوجب ضرورة الحركة والواردات من العلوم والأذكار والساكن علم الوجد والاستبصار على القلوب فيشاهدونها .

ورأيت جماعة يفضلون أهل السكون تكبير عقولهم وقوتهم وإشرفهم عن ما وراءهم وتمكنهم فيه . وهذا لا معنى كذلك ، ولكن ربما ورد ما لا يلازم (١) العقل الخنوقة فيكون نوره أقوى وبرهانه أقوى فيقوم شاهدته منه ويخرج العقل عن إدراكه فيكون الوارد أقوى من العقل ، فحكم هذه الحركة أتم .

قال أبو سعيد : ومن الواردات ما يكون للعقل ملاوماً (٢) فيرد عليه ما لا يظفر مع ذلك حركة لتمكن العقل ، لأنه يشير إليه بما قد عرفه ، فمن عرف أهل السكون إنما شرفهم بفضل عقولهم وشدة تمكّنهم ، ومن فضل المتحركين فضائلهم بقوة الوارد من الذكر الذي ينخس دون فهم العقل ، فكان أفضل من الوارد ، وإذا كان العقلان مستويين - ليس أحدهما أفضل من الآخر - فهذا هو المقام وهذا مالا أحسبه يكون : أن يستوي رحلان أو عقلاان أو واردان ، وقد أرى ذلك أهل العلم ، وإذا بطل التساوي رجعتنا إلى ما قلنا في أوّل المسألة : أن لا معنى

(١) لا يلازم : أي . لا يلائم (٢) في نسخة : ملازماً

تفضيل الساكن على المتحرك ، ولا المتحرك على الساكن ، باختلاف الحال الواردة
التي توجب الحركة ، والحال التي توجب السكون ؛ لأن الواجدين لا يستوون
في كونهما به ولا ما شاهدوه من حالة الذكر الموجهة إحدى الحالتين من الحركة
والسكون ، وفي الواردات التي توجب السكون ، هو أعلى من الواردات التي توجب
حركة ، وفي الواردات التي توجب الحركة فهو أفضل من الواردات التي توجب السكون ،
فليس النقص ههنا بالحركة ولا بالسكون حتى تعلم الحال الواردة على المتحركين
وعلى الساكنين ، فإن كانت الحال توجب سكوناً فلم تسكن صحتها فيكون نقص
عن غيره ، وإن كانت توجب حركة فلم تحركه ذلك ذلك عن نقص وريده ،
ولما هدت الواردات على قدر صفات القلوب ، وتخليص عن الخجب ما
لا تراك الواردات

فهذه صفته لأذكار أهل الأحرار وقيمتهم بها من حيث ما يوجبها لهم ،
فإن أهل الغلابة والشكر فلا يجوز عليهم شيء من هذا الكلام ، والله أعلم

باب جامع من كتاب الوجد الذي ألفه

أبو سعيد بن الأعرابي رحمه الله

قال أبو سعيد بن الأعرابي : الوجد ما يكون عند ذكر مُزِعِجٍ ، أو خوف مُمْتَلِقٍ ، أو توبيخ على زلة ، أو محادثة باطيفة ، أو إشارة إلى فائدة ، أو شوق إلى غائب ، أو أسف على فائت ، أو ندم على ماضٍ ، أو استجلاب إلى حال ، أو داعٍ إلى واجب ، أو مناجاة بسرٍّ ، وهي مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسرّ بالسرّ ، واستخراج ما لك بما عليك من سبق لك ، لتسعى فيه فيكتب لك بعد كونه منك ، فيثبت لك قدماً بلا فناء وذكر بلا ذكر ، إذ كان هو المبتدئ بالنعيم والمتوكل على ، ومملو الشكر والحمد والمضيف إليك كسبها ، فيثبت لك بها درجة عاجلة ، وإليه يرجع الأمر كله ، فيجد جملةً ظهر علم الوجود .

وقال أبو سعيد رحمه الله : الوجد مباشرةً رُوحٌ ومصلحةٌ مزيدة ، لا يفتقر إلى قلبه ولا يُقدَّر على كثيره ، التخمين منه متدارك ، والاستحسان منه ميسر . فإذ كان يقع اللبث وربما كان دونه التاب ، فأنما اليك والتمهييق فثبت به ما كان إذ كان لم يُعرف قبل وروده ولا أنس به مع سرعة تقصيه مع وفور مدد حتى كان جميعاً معاً ، فلم يتم الاستبشار بوروده حتى لحق الأسف على تقصيه ، والسرعة وزوال الأعضاء والعلية على العقل فإعظم قدره الرد وقوة بصره . وإذا ورد مستغرب أو مفزع مهول ، ففي سرعة وروده مع سرعته ما لا يدركه من ظاهرة ، ولو لا أنه أمسك أوليائه وألقى على قلب من ذلك ما أظفرت عاقبت عقولهم وذهلت نفوسهم ، وانكن لا حال معلومة ومناهل مورودة ، وذلك لا يروم لحظةً أو طريقة عين : رفقاً منه بأوليائه حتى ينسيهم فيما أراد كما يريد .

وقال : الوجد في الدنيا فليس بكشف ولكن مشاهدة قاب وتوهم حق وظن يقين ، فيشهد من رُوح اليقين وصفاء الذِّكر لأنه منتبه ، فإذا أفاق من غمِّرتِه فقد ما وجد ، وبقي عليه علمُه ، فتمتَّع بذلك رُوحه مع ما زيد من اليقين بالكاشفة ، وهذا من العبد على حسب قُرْبِه وبعده ، وعلى ما يُشْهده من ذلك خالقه .

ومنهم من ثبت في وجدته وشاهد من ذلك بتمكينه ، فوصف بعض ما شاهدته ، فيكون ذلك حجة على غيرهم ، ولولا ذلك ما كُتِبوا به توقيفاً عليه وصيانته لهم وإشفاقاً أن يضعوه غير موضعه فيُسَلَّبوه ، وربما وقع بهم الوجد من المسموع قبل السبر ، ومن المظور إليه قبل الفكر فيه ، ولا يأمنون أن يكون ذلك من الطبع وستحسب النفس مع ما يجدون فيه من الرقة ويشهدون بعده من الزيادة فيلتبس عليهم تمييز الحق من الباطل ، ولا يجب لمن يدعى معرفة خاتمه أن يسكن إلى سواه ويشغل خاطرُه بناقص أو يقع وهمه على زائل ، وهذا وإن كان مشكلاً عليه تشابهه ، فإنه عند أهل النظر والتحصيل مميّز بانفضيل ، إذ ليس ما تلقته القلوب بمشاهدتها كما توقفت بظنونها ، ولا من كان متروكاً مبهماً كمن كان مخبوطاً ، ولا ما استجاب كونه كما فاض عن معدنه ، ولا ما نتج عن الفكر كما رشح عن الذِّكر ، وربما يختلط ذلك على أهل التمييز لعلّه وينكشف لهم بعد زوال العلة لأن المتمييز بالفكر ليس كالمستهير بالذِّكر ولا المتخير المختار كمن غاب عليه الوجد والاستهتار ، وليس هذا صفة كل واحد لاختلاف أحوالهم ، فمنهم من وجدته عن العلم ، ومنهم من وجدته بالعلم ، ومنهم من وجدته علم .

فأما الوجد الذي يكون لأهل الثبات من السكون عن الحركة والمنعّة بالخلوّة لأن الأئس أفناهم عن الوحشة والقرب عن رؤية المسافة ، فربما بدأ لهم بادٍ فيتغالبون في وجودهم ، وربما ردهم إلى صفاتهم بقايا عليهم لما أمتطروا عاه من الحاجة إلى الغذاء والنساء فيحشمهم ذلك فيزحجون من رؤيتهم ذلك انزعاجاً يظنونها لعله وقد

خافوه زماناً فيلحقهم عند ذلك الوله لطاب ما فقدوه فيحملهم على الاقتحام على كل ما توهموه أنه يوصلهم ، غلبت رؤيتهم التمييز ، فبادروا مسرعين ، كما رأوا سرايا ظنوه ماءً ، وكما رأوا ماء ظنوه سراياً لغلبة الطمع ، فهم على وجوههم ذاهبون في كل وادٍ يهيمون وكل بارق يتبعون ، سبق سبلهم مطرهم ودر كرمهم فكرهم ، إلى كل سبب يسهون ، وعليه لا يحولون ، والطمع يطمح أبصارهم ، واليأس يزجرهم ، فلا يأسهم يدوم فينصرفوا ولا طمعهم يصح فياتفوا ، أشبه شئ ، بالخبين ، قد سمعت أنفسهم يتناف مهجته عندما يطابون ، أو توممونه في تيد ساكود ، أو وراة بحر سبحود أو وراة نار تاجج اقتحموها كما قرأش إذا رأى ضوء الدر لا يقصر عن تقحمها ، أو ما رأيتهم مشردين سميمين بالقبور والمهاك والقنار ، لا يروون ولا يؤوون ؟ إلا أنهم في ذلك محفوظون من الزال بصدقهم في قصدهم ، منهم من العلم على سبيل .

وأما من فارق العنوم الظاهرة فغير مأمون عبيد الزال ، ومن سلك غير حجة كان من السلامة على خطر .

وكما ذكرنا من عنوم الوجد ظاهر أو الحقيقية العبارة أو مينا (١) إليه بالإشارة ذوات من قام عليه ، أو مثال قاربه ، فأما ما كان غير ذلك فإنه عهد منه ، وشهده فيه ، وحقيقته كونه ، ووصفه دروقد ، لأن حجج الله تعالى على عبده بأهرة ، وانعاده غير محتسب من إلى علمها ، اقيام الشاهد فيها ، وانتفا . كل وصف عنها ، لأنها من آتى الله كسبها ، وانفرد بعلم كنهها ، وتمع أهل الإيمان بها ، لما اكتشفهم فيها ، فلم يبق من ذلك لغيبها عن غيرها ، لأن ما أبدى لهم منه له من الغيب ما لا يدرى به مقيسون باطناً ، وهو الغيب الذي وصف الله [به] المؤمنين فقال : « الَّذِينَ آمَنُوا وَهُمْ لَا يَأْتِيهِمْ غَيْبٌ مِنْ رَبِّهِمْ سِوَ الَّذِي نَدَّبُوا وَنَسُوا » (٢) ، فهم في فيه مغيبون ، وهو وإن كان غيباً ، لا يلحقه في ذلك شك ولا ريب .

(١) أومينا : أي . أو مانا . (٢) البقرة : ٢

فإن سأل سائل عن الزيادة في وصف الوجد فهيات دون ذلك! فكيف يوصف من ليس له صفة غيره ولا يقام عليه شاهد غيره؟ فهو شاهد نفسه، وحقيقته كونه، يعرفه من وجدته، وينكره من لم يعرفه، ويعجز الجميع، من عرفه ومن لم يعرفه، فهو بالذوق محسوس وصاحبه بالمراد مكاشف، وهو عزيز موجود منبع مفقود محتجب بأنوارده عن نوره، وبصفاته عن إدراكه، وبأسمائه عن ذاته: أعني ذات الوجد واليقين والإيمان والحقائق وكذلك المحبة والشوق والقرب، كل ذلك يدق وصفه ولا يدرك كنهه إلا من ذاته وتفضل عليه بارتبه به فيخيلون فيه ولا يصفونه ولا يدركونه، يلبسهم إلياساً ويذهب عنهم الوحشة إيناساً، فكلمة ازدادوا من صفته وصفاً كانوا من حقيقته أشد بعداً فخرسهم فيه أبلغ من النطق، فلن يعرف أهله منه إلا ما عزفوه، واعترافهم بالتقصير فيها نهاية العلم بها، فنطقهم عن وعيهم بلاغة وأكمتهم فصاحة.

فالسائل عن طعمه وذوقه يسأل عن محال، لأن الطعم والذوق لا يدرك بالوصف دون التطعم والتذوق.

والسائل عن كنهه فسؤاله دليل على جهله به، ولا سبيل للعالم إلى جواب كل سائل، إذ كان بعضهم يسأل عما له وبعضهم يسأل عما عليه، فقد أخذ الله على العلماء أن لا يكتموا العلم أهله كما أخذ الله على العلماء أن يصونوه عن غير أهله، وقد قلنا إن أهله غير مرتابين فيسألوا، ولا شاكين فيتعرفوا. وبالله التوفيق.

ولما كانت هذه الأحوال ليس لها نهاية كان الكلام فيها ليس له نهاية، فقطعناه فهو وصلناه لا تصل إلى ما لا نهاية له، لأنها ازديادات في المعارف وليست من كسب الآدميين بل هي داخلية في قوله عز وجل: **وَلَدِينَا مَزِيدٌ** (١) فهذا بعض عطايا العمومة (٢)، لا نهاية لها، ولا يبلغ وصفها فكيف باختصاصه أولياءه بما يُورد

(١) ق: ٣٥ ونص الآية: لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد

(٢) في نسخة: المغموضة

عليهم في كل وقت وزمان وطرفة عين؟ وأقل من ذلك من الأحوال التي هي
مذكورة عندنا علماء بفضلها معلومة «لَا يَعْزَبُ عَنْهُ مُتْقَالٌ ذَرَّةً» (١)، وهذه
وإن كانت ليست باكتساب الآدميين، وإنما هي خصوص وبعضها مواريث
الأعمال، فالطالب من عند الله المزيّد، قد أحكم الأصل الذي يوجب المزيّد،
فمن فرط فيه فليس بأمن عليه أن يسلب الأصل الذي معه، إذ لم يرعه حق
رعايته، لأن التوقّف مع النفوس يقطع الهجوم، والهجوم مع مفارقة العلوم خطأ
بين، فإذا قويت الرغبة عن التوقّف فلهجوم ربما أوصل. فأما من كان مطاناً
بأصل فخطأ تخطيه إلى الفرع قبل إحكام الأصل، لا يؤمن عليه الزمان.
وبالله التوفيق.

في هذا ما اختصرته من كتاب الوجد لابن الأعرابي، وبالله التوفيق.

كتاب إثبات الآيات والكرامات

باب في معاني الآيات والكرامات وذكر من كان له

شيء من ذلك

قال الشيخ رحمه الله : حكي عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه قال : الآيات لله ، والمعجزات للأنبياء ، والكرامات للأولياء ونخيار المسامين .

وحكي عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه كان يقول : من زهد في الدنيا أربعين يوماً صادقاً مخلصاً في ذلك تظهر له الكرامات من الله عز وجل ، ومن لم يظهر له ذلك فلما عدم في زهده من الصدق والإخلاص . أو كلاماً نحو ذلك .

وعن الجنيد رحمه الله أنه قال : من يتكلم في الكرامات ولا يكون له من ذلك شيء ، مثله مثل من يمضغ التبغ . قيل لسهل رحمه الله في الحكاية التي قبل هذه فيمن زهد الدنيا أربعين يوماً : كيف يكون ذلك ؟ فقال : يأخذ ما يشاء من حيث يشاء .

وسمعت ابن سالم يقول : الإيمان أربعة أركان : ركن منه الإيمان بالقدر ، وركن منه الإيمان بالقدر ، وركن منه التبري من الخوف والتوارة ، وركن منه الاستعانة بالله عز وجل في جميع الأشياء .

وسمعت ابن سالم رحمه الله وقيل له : ما معنى قولك الإيمان بالقدر ؟ فقال : هو أن تؤمن — ولا ينكر قلبك — بأن يكون له عبد بالشرق ويكون من كرامة الله تعالى له أن يعطيه من القدرة وما يتقلب من يمينه على يسره فيكون بالغرب يعني تؤمن بجواز ذلك وكونه .

والصحيح عن سهل بن عبد الله أنه كان يقول لشاب كان يصحبه : إن كنت تخاف من السبع بعد ذلك فلا تصحبنى .

ودخلت مع جماعة بتسترقصر سهل بن عبد الله رحمه الله ، فدخلنا في القصر بيتاً كان الناس يسمونه بيت السبع فسألناهم عن ذلك فقالوا : كان تجيء السبع إلى سهل بن عبد الله رحمه الله فكان يدخلها هذا البيت ويضيفها ويطعمها اللحم ثم يخفيها ، والله أعلم بذلك ، وما رأيت أحداً من صالحى أهل تستر يكر ذلك .

وسمعت أبا الحسين البصرى رحمه الله يقول : كان بعبادان رجل أسود فقير يروى الخرابات ، فمات معى شيئاً وطابته ، فلما وقعت عينه على تسم وأتار بيده إلى الأرض ، فرأيت . يعنى الأرض كلها ذهباً تسمع ثم قال لى : هت ما معك . فناولته ما كان معى ، وهربت منه ، وهانى أمره .

وسمعت الحسين بن أحمد الرازى رحمه الله يقول : سمعت أبا سليمان خورش رحمه الله يقول : كنت راكبا حماراً إلى يوم ، وكان يؤذيه الذب فيطأنى رأسه فكنت أضرب رأسه بخشبة كانت فى يدي ، فرفع الحمار رأسه إلى وذل : عجب فإنيك هو ذا تضرب على رأسك ، فقال أبو عبد الله : فقت لأبى سليمان : سمعت سليمان وقع لك ذلك أو سمعته ؟ فقال : سمعته تقول كما تسمعنى .

وسمعت أحمد بن عطاء الروذبارى يقول : كان لى ذهب فى مصر فماتت فماتت ليلة من الهبل استنجى — وفل كنت أتوفى — إلى أن ذهبى رُبعه ولم يطب قهبي فنجرت ، وبكيت ، وقت : يا رب الله ، ولم أرا أحداً يقول : يا رب عبد الله العنوفى العبد ، وكان عبد الله بن محمد بن فضل ، وكان يوماً من الأيام ، ليا فى حيازة فى السجن ، فماتت من الجوع قطعته ، فحل الشبهة ، وكان الذئب فى ، فوقع الذئب فى الدخان ، فمات من جوعه للفضلة مجرب فكان يدعو به وجد الذئب فى وسطه ، كان من جوعه ، والله أعلم بهم يا جامع الناس يوم لا ريب فيه اجمع على من الله ، والله أعلم .

أبو الطيب العكبي جزءاً قد جمع فيه ذكر كل ضالة رد الله إلى من دعا بهذا الدعاء في مدة قليلة، فنظرت فيه وكان أوراقاً كثيرة.

وسمعت حمزة بن عبدالله العكبي يقول: دخلت على أبي الخير التيناني وكنت قد اعتقدت في سرّي فيما بيني وبين الله تعالى أن أسلم عليه وأخرج، ولا أتناول عنده طعاماً، ثم دخلت فسلمت عليه وودعته وخرجت من عنده، فلما تباعدت من القرية فإذا به وقد حمل معه طعاماً فقال لي: يا فتى، كل هذا، فقد خرجت لساعة من اعتقادات، أو كلاماً هذا معناه.

وهؤلاء القوم مشهورون بالصدق والديانة، وكل واحد منهم إمام مشر إليه في حقيقته، ومقتدى به في أحكام الدين، فقد صدقهم المسلمون في أحكام دينهم، وفيما شهدتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رووا عنه وأسندوا إليه من الأخبار والآثار، ولا يجوز أن يكذبهم أحد ويتهمهم في هذه الحكايات وما يشبه ذلك، وإذا كانوا صادقين في واحد، ففي الجميع كفاك. وبالله التوفيق.

باب في حجة من أنكر كون ذلك من أهل الظاهر والحجة عليهم

في جواز ذلك للأولياء والفرق بينهم وبين الأنبياء

عليهم السلام في ذلك

قال الشيخ رحمه الله : قال أهل الظاهر : لا يجوز كون هذه الكرامات لغير الأنبياء عليهم السلام لأن الأنبياء مخصوصون بذلك ، والآيات والمعجزات والكرامات واحدة ، وإنما سُميت معجزات لإعجاز الخلق عن الإتيان بمثلها ، فمن أثبت من ذلك شيئاً لغير الأنبياء عليهم السلام فقد ساوى بينهم ولم يفرق بين الأنبياء وبينهم

قال الشيخ رحمه الله : من أنكر ذلك فإنما أنكرها احترازاً من أن يقع وهن في معجزات الأنبياء عليهم السلام ، وقد غلط قائل هذا القول لأن بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام في ذلك فرقاً من جهات شتى :

فوجه منها أن الأنبياء عليهم السلام مستعبدون بإظهار ذلك الخلق ، ولا حرج بها على من يدعوهم إلى الله تعالى ، فمتى ما كتموا ذلك فقد خالفوا الله تعالى في كتمانها ، والأولياء مستعبدون بكتمان ذلك عن الخلق ، وإذا أظهروا من ذلك شيئاً للخلق لا تخاذ الجاه عندهم فقد خالفوا الله وعصوه بإظهار ذلك .

والوجه الآخر في الفرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام : أن الأنبياء عليهم السلام ينجون بمعجزاتهم على المشركين لأن قلوبهم فاسدة لا يؤمنون بالله ولا رسوله ، والأولياء ينجون بذلك على نفوسهم حتى تعلمهن وتوقن ، لا تنطق بهن ولا ينجون عند فوت الرزق لآثارها أمانة بالسوء ، جاحدة مشركه ، فمعرفة النبي الصادق ، من يصدق يقين بما ضمن لها خالقها من الرزق وذكر القسم عليهم .

وقد سألت ابن ميثم عن ذلك فقالت له : ما معنى الكرامات وهم قد أنكروا حتى تركوا الدنيا اختياراً ؟ فكيف أنكروا بأن يعمل لهم الخسارة ذهباً ، فما وجه

ذلك ؟ فقل : لا يعطيهم ذلك قدرها ، ولكن يعطيهم ذلك حتى يحتاجوا بكون ذلك على أنفسهم عند اضطرارها وجزعها من فوت الرزق الذي قسم الله لهم فيقولوا الذي يقدر على أن يصير لك الحجارة ذهباً كما هو ذا تنظر إليه ، أليس بقادر أن يسوق رزقك إليك من حيث لا تحسبه ؟ فيحتاجوا بذلك على ضجيج نفوسهم عند فوت الرزق ، ويقطعوا بذلك حجج أنفسهم ، فيكون ذلك سبباً لرياضة نفوسهم وتأديباً لها .

وقد حكى لنا ابن سالم في معنى ذلك حكاية عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه قال : كان رجل بالبصرة يقال له إسحاق بن أحمد ، وكان من أبناء الدنيا ، فخرج من الدنيا - أعنى من جميع ما كان له - وقاب ، وصحب سهلاً رحمه الله فقل يوماً لسهل رحمه الله : يا أبا محمد ، إن نفسي هذه ليس تترك الضجيج والصراخ من خوف فوت القوت والقوام ، فقل له سهل رحمه الله : خذ ذلك الحجر وقل ربك أن يصيره لك طعاماً تأكله ، فقال له : ومن إمامي في ذلك حتى أفلح ذلك ، فقال سهل : إمامك إبراهيم عليه السلام حيث قال :

« رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ؟ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لَّا يُطْعَمُنِ قَتْنِي » (١) .

فالعنى في ذلك أن النفس لا تطعمن إلا بروية العين لأن من جباتها الشك ، فقل إبراهيم عليه السلام : أرنى كيف تطعمن نفسي ، فإنى مؤمن بذلك ، والنفس لا تطعمن إلا بروية العين .

فكذلك الأولياء يظهر الله تعالى لهم الكرامات تأديباً لنفوسهم وتهذيباً لها ، وزيادة لهم ، ويكون في ذلك فرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام ، لأنهم

(١) البقرة : ٢٦٠ .

يُعْطَوْنَ المعجزة للاحتجاج بها في الدعوة ، والدلالة على الله تعالى ، والإقرار بوحدانيته تعالى .

والوجه الثالث : في الفرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام لأن الأنبياء كما زيدت معجزاتهم ، وكثرت ، يكون أتمّ لعنائهم وأثبتّ لقلوبهم كما كان نبيّنا صلى الله عليه وسلم قد أعطى جميع ما أعطى الأنبياء عليهم السلام من المعجزات ثم زيادة أشياء لم يُعْطَ أحدٌ غيره مثل : المعراج ، وانشقاق القمر ، ونبع الماء من بين أصابعه .

وشرح ذلك بطول ، ومقصودنا من ذلك أن الأنبياء عليهم السلام كما زيدت لهم من المعجزات يكون أتمّ لعنائهم وفضلهم ، وهؤلاء الذين لهم الكرامات من الأولياء كما زيدت في كراماتهم يكون وجائبه أكثر ، وخوفهم أكثر حتى أن يكون ذلك من المكروه الخفيّ لهم والاستدراج ، وأن يكون ذلك نصيبهم من الله عز وجل وسبباً ، تستقطب منزلتهم عند الله عز وجل .

باب في الأدلة على إثبات الكرامات الأولياء ، وعلة قول من قال

لا يكون ذلك إلا الأنبياء عليهم السلام

قال الشيخ رحمه الله : والدليل على جواز ذلك ، الكتاب والأثر ، قال الله تعالى
« وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا خَمِيًّا » (١) ومرم لم
تكن نبياً .

١٧٠ . وحديث النبي صلى الله عليه وسلم في قصة جريج الراهب ، وكلام الصبي ، وجريج
لم يكن نبياً .

١٧١ . وقال النبي صلى الله عليه وسلم في قصة الغار : بينا ثلاثة يمشون إذ آواهم الليل إلى

١٧٢ . غار . الحديث ، وما روى عنه صلى الله عليه وسلم بينا رجل يمشى ومعه بقرة فركبها
فقات : يا عبد الله ما خفنا لهذا إنما خلقنا للحرث فقال القوم : سبحان الله فقال النبي
صلى الله عليه وسلم : آمنت به أنا وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما وليس هما في القوم ولم
يذكر أن الراكب للبقرة كان نبياً ، وكذلك حديث الذئب الذي كالم الراعي ، ولم
يذكر أنه كان نبياً .

١٧٣ . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن في أمتي مكنمون ومحدثون

١٧٤ . وإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه منهم » والمكتم والمحدث أتم في معناه من جميع
الكرامات التي ذكر الله عز وجل على البدلاء والأولياء والصالحين ، وحديث عمر
رضي الله عنه أنه قال في خطبته : « يا سارية الجبل » فسمع صوته بالسكر على
باب نهاوند .

وقد روى في الحديث لعلي بن أبي طالب ونفاطمة رضي الله عنهما كرامات

٦٧٥ وقد روى عن جماعة من أصحاب رسول الله صل الله عليه وسلم في مثل ذلك أشياء مثل حديث أسيد بن حضير وعتاب بن بشير أنهما خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة فأضاء لهما رأس عصا أحدهما كالسراج ، على حسب ما روى في الخبر .

٦٧٦ وحديث أبي الدرداء وسلمان الفارسي رضي الله عنهما أنه كان بينهما قصعة فسبحت حتى سمعا تسبيحها ، وقصعة العلاء بن الحضرمي حيث بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فحال بينهم وبين الموضع قطعة من البحر فدعا الله تعالى بهم والأعظام ومشوا على الماء كما جاء في الخبر ، وكذلك دعاؤه لما استقبله السبع .

٦٧٧ وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه حين اتى الجماعة الذين وقفوا على الظلم من خوف السبع فطرد السبع من طريقهم ثم قال : إنما يسقط على ابن آدم من خوفه ولو أن ابن آدم لم يخف شيئا غير الله لم يسقط الله عليه شيئا غيره ، ومنه في الأخبار كثير . والصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما قال : رأيت آدم أغمبر ذى طيرين لو أقسم على الله لأبرق قسمة وإن البراء بن مالك منهم : ولا يكون في الكرامات شيء ، أتم من أن يقسم العبد على الله تعالى فيبرق قسمة . وقد قال الله عز وجل (ادعوني أستجب لكم) ولم يقل في شيء ، دون شيء .

وقد روى أيضا لجمعة من التابعين بالأسانيد الصحيحة كرامات ورجعت إليها ذكرها إن ذكرنا بعضها فكيف كايا؟! وقد صنّف العالم في ذلك مصنفات ومصنفات .

وقد روى أشياء في الحديث من الكرامات كثيرة من ذلك ما مر من عبد القيس وللعسن بن أبي الحسن البصرى ولدايم بن يسار ولدت البناى والصلح المرثى وابنه ابن عبد الله المزنى ولأويس القرني ولهرم بن حيان ولأبي مسلم الخولاني واصلد بن أشيم وللريمع بن خثيم ولداود الطائي ولطارف بن عبد الله بن الشيخير وأسيد بن المسيب

واعطاء السامى وغيرهم من التابعين ، وقد رووا عن كل واحد من هؤلاء وغير هؤلاء كرامات كثيرة ، وإجابات وأشياء قد ظهرت لهم ، لا يتبها لأحد أن يدفع ذلك نصحتها عند أهل الرواية ، وكذلك الطبقة أخرى بعدهم ، مثل مالك بن دينار وفرقد السخى وعتبة الغلام وحبيب العجمي ومحمد بن واسع ورابعة العدوية وعبد الواحد بن زيد وأيوب السختياني وغير ذلك ممن كان في عصرهم . فإذا روى عنهم العلماء والأئمة الذين كانوا في عصرهم وقد صح عنهم ذلك عندهم وقد حدثوا بها ، مثل أيوب السختياني وحماد بن زيد وسفيان الثوري وغيرهم من الأئمة والثقات ولم ينكر ذلك واحد منهم ، وهم أئمتنا في الدين . وبرواياتهم صح عندنا علم الحدود والأحكام وعم الخلال والخرام ، فكيف يجوز أن نصدقهم في بعض ما يروون ولا نصدقهم في بعض ذلك ؟ !

وقد رأيت جماعة من أهل العلم جمعوا ما يشاكل هذا الذى ذكرنا من كرامات الأولياء ، والإجابات والذى ظهر لهم فى الوقت فى هذا المعنى ، فذكروا أنهم قد جمعوا فى ذلك أكثر من ألف حكاية وألف خبر ، فكيف يجوز أن يقال : ذلك كله كذب موضوع ؟ وإن صح من الجميع واحد فقد صح الكل فإن القليل والكثير فى ذلك سواء ، والذى يجتج بأن الذى كان قبل النبي صلى الله عليه وسلم لم من ذلك كان إكراماً لى ذلك الزمان الذى كان ذلك فى وقته والذى كان لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك إكراماً للنبي صلى الله عليه وسلم فيقول له : فالذى كان أيضاً للتابعين ولمن بعدهم وما يكون من مثل ذلك إلى يوم القيامة من الكرامات فكل ذلك إكراماً للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه أفضل الأنبياء عليه السلام وأُمَّته خير الأمة .

وكما استحال أن يكون لى من الأنبياء عليهم السلام شىء من المعجزات إلا وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم من مثل ذلك أو أتم من ذلك وأكثر .

فكذلك يستحيل أن يكون في الأمم السالفة لقوم منهم شيء من الكرامات إكراماً
لأنبيائهم إلا ويكون في أمة محمد صلى الله عليه وسلم أيضاً لطائفة منهم أكثر من
ذلك إكراماً لمحمد صلى الله عليه وسلم معاً إن في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من
لا يرى ذلك حالاً ولا مرتبة ولا كرامة ويرى ذلك اختصاراً ومحنة موضوعاً
على طوق أصفيناته والمخصوصين من أوليائه ، فهم يخشون من ذلك إذا ظهر لهم سقوط
منازلهم عند الله تعالى ونسكوصهم على عقبهم ونزولهم عن درجاتهم ولا يعدون من
ركن إلى ذلك ورضى به حالاً أنه من أهل الخصوص ، ونحن نذكر في ذات بياننا
نبين فيه ذلك إن شاء الله . وإما أردنا بذكر ذلك جواز كونه وبطلان قلوب من رآه
أن يكون ذلك غير جائز في الأمة .

باب في ذكر مقامات أهل الخصوص في الكرامات
وذكر من ظهر له شيء من الكرامات فكره ذلك

وخشى من الفتنة

قال الشيخ رحمه الله : ذكر عند سهل بن عبد الله رحمه الله الكرامات فقال :
وما الآيات وما الكرامات شيء تنقضي لوقتها ، ولكن أكبر الكرامات أن تبدل
خلقاً مذموماً من أخلاق نفسك بخلق محمود :

وعن أبي يزيد البسطامي رحمه الله أنه قال : كان في بدايتي يرزني الحق الآيات
والكرامات فلا ألتفت إليها ، فلما رأني كذلك جعل لي إلى معرفته سبيلاً .

وقيل لأبي يزيد رحمه الله : فلان يقال : إنه يمر في ليلة إلى مكة فقال : الشيطان يمر
في لحظة من المشرق إلى المغرب وهو في لعنة الله ، وقيل له : إن فلاناً يمشي على الماء
فقال : الحيتان في الماء والطير في الهواء أعجب من ذلك .

سمعت طائيفور بن عيسى يقول : قال موسى بن عيسى قال أبي : قال أبو يزيد رحمه
الله : لو أن رجالاً بسط مصلاه على الماء وتربع في الهواء ، فلا تغفروا به حتى تنظروا كيف
تجدونه في الأمر والنهي .

قال الجنيد رحمه الله : حجب قلوب الخاصة المختصة برؤية النعم والتلذذ بالعطاء
والسكون إلى الكرامات .

سمعت ابن سالم يقول : سمعت أبي يقول : كان رجلٌ يصحب سهل بن عبد الله
رحمه الله يقال له عبد الرحمن بن أحمد فقال يوماً لسهل : يا أبا محمد ، ربما أتوضأ
للصلاة فيسيل الماء من يدي ، فيصير قضبان ذهب وفضة ، فقال له سهل :
يا حبيبي أما علمت أن الصبيان إذا بكوا يبأولون خشخاشةً حتى يشغلوا بها
فانظراً أيش هو ذا تعمل .

وفيما حكاه جعفر الخلدی رحمه الله قال : حدثني أبو بكر الكتاني قال :
قال لي أبو الأزهر وغير واحد من إخواننا حكى عن أبي حمزة قال : اجتمعوا علي
باب يفتحونه فلم يفتح لهم ، قال أبو حمزة : تجزوا ، فخذ العاق بيده فحركه
فقال : بكذا إلا فتحته ، فانفتح العاق .

وذكر عن النوري رحمه الله أنه وافى ليلةً إلى الدجلة قال : فوجدتها وقد انزف
السط بالسط قال : فقلت : وعزتك لا عبرتها إلا في زورق .

وحكى عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله أنه قال : دخل علي أبو علي السدي
رحمه الله وكان أستاذه وكان معه جراب فصبه بين يدي فإذا هو ألوان الجواهر
فقلت له ، من أين لك هذا ؟ قال : وافيت وادي همدان فوجدت كاسرج
فحملت هذا منها قال فقلت له : كيف كان وقت ورودك لمدني ؟ قال : كان
وقتي وقت فترة عن الحال الذي كنت فيه قبل ذلك ، وذكر الحكاية
والمعنى في ذلك : أن في وقت فترة تغلوه بالجواهر .

قال : أمني علينا أحمد بن علي التوجيبي بزملة حكاية عن محمد بن يوسف السدي
قال : كان أبو تراب النخشي رحمه الله صاحب كرامات فسدرت معه سنة ذجده معه
أربعون رجلا وكان يظهر لهم من الإرفاق ما شاء الله ول : ثم دخل أبو تراب
رحمه الله على الطريق وعدنا فلم يبق معه إلا شب فحمل فقال أبو تراب :
فيهم أقوى إيماناً من هذا قال : فسیرنا أيما واحتجنا إلى طاعة الله
أبو تراب عن الطريق ساعة ثم جاء ومعه عذق من ثمر ، فخرجوا من
ونحن في وسط الرمال ، قال : فجد أبو تراب بهذا الثمن أهل من تحتهم
فلم يأكل ، فقلنا له : إنهم لا تأكل ، قال : الحال الذي اعتقده في بين وبين الله
تعالى ترك المعلومات وأنت قد صرت معوني ، فلا تصحبك من مدحت ،
قال محمد بن يوسف : قالت لأبي تراب رحمه الله : إن كنت آتياً عليه .

وإن شئت أتركه ، فقال له أبو تراب : كن مع ما وقع لك من ذلك . أو كما قال ،
والله أعلم .

سمعت ابن سالم يقول : لما مات إسحاق بن أحمد دخل سهل بن عبد الله
صومعته فوجد فيها مفضاً فيه قارورتان ، في واحدة منهما شيء أحمر ، وفي الأخرى
شيء أصفر ، ووجد شوشقة ذهب وشوشقة فضة ، قال : فأمر أبي حتى رمى
بالشوشقتين في الدجلة وخلط ما في القارورتين بالتراب ، وكان على إسحاق بن أحمد
دين ، قال ابن سالم : قال أبي : قلت لسهل رحمه الله : أيش كان الذي
في القارورتين ؟ قال : أما الأحمر فلو طرح وزن درهم منه على مثاقيل من النحاس
نصار ذهباً ، وأما الأصفر فلو طرح وزن درهم منه على مثاقيل من النحاس نصار
فضة ، والشوشقتان كانت تجربة قال : فقلت له : أيش منعه من أن يعمل ذلك ويؤدى
دينه ؟ قال : خاف على إيمانه . قلت أنا لابن سالم : فلو أدى من ذلك دينه سهل
بن عبد الله رحمه الله ألم يكن أولى من إفساده ؟ فقال ابن سالم : كان سهل رحمه
الله أخوف على إيمان نفسه منه ، ثم قال : منعه من ذلك الورع ، لأن ذلك يتغير بعد
سبعين سنة .

وذكر عن أبي حفص أو عن غيره أنه كان جالساً وحواله أصحابه ، قال : فنزل
ظبي من الجبل وبرك عندهم ، قال : فبكى أبو حفص أو الشيخ وسبب ذلك الظبي
فستل عن بكائه فقال : كنتم حولي فوقع في قلبي أن لو كان لي شاة لذبحت لكم
فإن برك هذا الظبي عندنا شبهت نفسي بفرعون حين سأل الله تعالى أن يجرى معه
النيل فأجراه ، فبكيتُ وسألته الإقالة مما تميتُ وسببت الظبي .

وقال بعض المشايخ : لا تعجبوا ممن لم يضع في جيبه شيئاً فدخل يده
فيخرج من جيبه ما يريد ، ولكن تعجبوا ممن وضع في جيبه شيئاً فدخل يده في
جيبه فلا يجده ، فلا يتغير .

قال ابن عطاء : سمعت أبا الحسين النورى يقول : كان فى نفسى من هذه الكرامات شىء ، فأخذتُ قَصَبَةً من الصبيان وقتت بين زورقين ثم قلت : وعزتك لئن لم تخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال فلا أُغرقنَّ نفسى ، قال : فخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال ، قال : فبلغ ذلك الجنيد رحمه الله فقال : كان حُكْمَهُ أن يخرج له أفعى تلدغه ، يعنى لو لدغته حيةٌ كان أنفعَ له فى دينه من ذلك لأن فى ذلك فتنة ، وفى لدغ الحية تطهير وكفارة .

قال يحيى بن معاذ رحمه الله : إذا رأيتَ الرجل يشير إلى الآيات والكرامات فطريقه طريق الأبدال ، وإذا رأيتَه يشير إلى الآلاء والنعماء فطريقه طريق أهل المحبة وهو أعلى من الذى قبيلُ ، وإذا رأيتَه يشير إلى الذِّكْرِ ويكون معلقاً بالذِّكْرِ الذى ذكره ، فطريقه طريق العارفين وهو أعلى درجة من جميع الأحوال .

باب في ذكر من كان له شيء من هذه الكرامات فأظهرها

لأصحابه لصدقه وطهارته وسلامة قلبه وصحته

قال الشيخ رحمه الله : أخبرني جعفر الخلدی رحمه الله فيما قرأت عليه قال : حدثني الجنيد رحمه الله قال ، دخلت على سري السقطي رحمه الله يوماً فقال لي : أعجبك من عصفور يبي ، فيسقط على هذا الرواق فأخذ لقمته فأفثها في كفي فيسقط على أطراف أناملتي فيأكل . فلما كان في وقت من الأوقات سقط على الرواق ففتت الخبز في يدي فلم يسقط على يدي كما كان قبل ذلك ففكرت في سبب العلة في وحشته عني فذكرت أني أكلت ملحاً بأبزار فقلت بسري : أنا تيب من الملح المصيب فسقط على يدي فأكل وانصرف .

وعن أبي محمد المرعشي ، قال : سمعت إبراهيم الخواص رحمه الله يقول تهت في البادية أياماً فإذا بشخص وافاني ، فقال لي : السلام عليك ، فقالت : وعليك السلام فقال : تهت ؟ فقلت نعم ، فقال لي : ألا أدلك على الطريق ؟ فقالت : نعم ، قال : فمشي بين يدي خنوات وغيب عن عيني فإذا أنا على الجادة ، ومنذ فارقت الشخص ما تهت ولا أصابني الجوع ولا العطش .

وفي حكاية جعفر الخلدی عن الجنيد رحمه الله ، قال : جاءني أبو حفص النيسابوري رحمه الله مرةً ومعه عبد الله الرباطي رحمه الله وجماعة وكان فيهم رجل أصابع قليل الكلام ، فقال يوماً لأبي حفص رحمه الله : قد كان فيمن مضى ، لهم الآيات الظاهرة - يعني به الكرامات - وليس لك شيء من ذلك فقال : له أبو حفص رحمه الله : تعال ، فجاء به إلى الحدادين إلى كور عظيم محمي ، فيه حديدة عظيمة فأدخل يده في الكور فأخذ الحديدة الممجة فأخرجها فبردت في يده فقال له : يجزيك هذا ، فسئل بعضهم عن معنى إظهار ذلك من نفسه فقال : كان

مُشْرِفًا عَلَى حَالِهِ فَخَشِيَ عَلَى حَالِهِ أَنْ يَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يُظْهَرِ ذَلِكَ لَهُ فَخَصَّهُ بِذَلِكَ شَفَقَةً عَلَيْهِ وَصِيَانَةً لِحَالِهِ وَزِيَادَةً لِإِيمَانِهِ .

وَحُكِيَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَيْبَانَ أَنَّهُ كَانَ فِي حَدَاتِهِ يَصْحَبُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْمَغْرِبِيَّ قَالَ : فَبِعَثْنِي يَوْمًا إِلَى مَوْضِعٍ أَحْمَلُ لَهُ الْمَاءَ قَالَ : فَوَافَيْتُ الْمَاءَ وَإِذَا أَنَا بِأَنْسَبِيعٍ قَدْ قَصِدُ الْمَاءَ قَالَ : فَالْتَقِينَا جَمِيعًا فِي مَضِيقٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَاءِ قَالَ : فَكُنْتُ مَرَّةً أَرَا حِمَّهُ وَمَرَّةً يَرَا حِمِّي حَتَّى سَبَقْتُهُ وَوَصَلْتُ إِلَى الْمَاءِ قَبْلَهُ ، وَعَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّامِيِّ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى ذِي النُّونِ الْمِصْرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ فَرَأَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ طِشْتًا مِنْ ذَهَبٍ وَحَوْنَهُ النَّدَّ وَالْعَنْبِرَ يُسْجَرُ ، فَقَالَ لِي . أَنْتَ مَنْ يَدْخُلُ عَلَى الْمَوَكِّ فِي أَوْقَاتِ سَطْوِهِ ثُمَّ أُعْطَانِي دَرَاهِمًا فَانْفَقْتُ مِنْهُ إِلَى بَلَدِي ، وَحُكِيَ عَنْ ذِي النُّونِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ رُبَّمَا يَقْضِمُ الشَّعِيرَ قِضْمًا مِثْلَ الدُّوَابِّ ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخِرَازِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، قَالَ : كَانَ حَالِي مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَطْعَمَنِي فِي كُلِّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، قَالَ : فَدَخَلْتُ الْبَيْتَ فَمَضَى عَلَيَّ ثَلَاثَةٌ مَا طَعَمْتُ شَيْئًا ، فَأَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الرَّابِعَ وَجَدْتُ ضَمْفًا فُجِسْتُ مَكَانِي وَذَلِكَ أَنَا بِهَا تَنْفِيذٌ يَقُولُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ أَيُّهَا أَحَبُّ إِلَيَّ سَبَبٌ وَ قَوْسِي ؟ قَالَ : فَدَخَلْتُ وَقَدْ لَأَيْتُ . إِلَّا الْقَوْسَى ، فَتَمَّتْ مِنْ وَقْتِي ، وَقَدْ اسْتَقَلَّتْ فُشِيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَ عَشْرَ يَوْمًا مَا طَعَمْتُ شَيْئًا ، وَلَا وَجَدْتُ أَلْمًا لَذَاتِي .

وَعَنْ أَبِي عَمْرِو الْأَعْمَشِيِّ قَالَ : كُنْتُ مَعَ أُسْتَاذِي فِي الْبَيْتِ فَأَخَذَ مِنْ مَدْرَسَةِ مَسْجِدِهَا نُسْجَةً فِيهِ مِنَ الْمَطَرِ ، وَكَانَ فِيهِ خَشَبٌ فِي سَقْفِهِ ، فَجَعَلَ يَرْتَدُّ عَلَيْهِ لِتَنْصَلِحَهُ وَكَانَتْ مَعَهَا خَشَبَةٌ فَذَهَبَ لِجَعْلِهَا عَلَى الْحَائِطِ فَتَقَصَّرَتْ فَجَاءَ بِهَا مِنْ مَدْرَسَةِهَا فَجَدَّهَا فَرَكِبَتْ الْحَائِطَ مِنْ هَاهُنَا وَمِنْ هَاهُنَا ، قَالَ عَمْرُو بْنُ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْأَعْمَشِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : أَيُّهَا الشَّيْخُ رَأَيْتَ يَوْمَ أَمْسٍ وَقَدْ جَاءَتْ الْعُرْسُ بِمَا كُنْتُ فِيهِ فَجِئْتُ خَلْفَكَ فَخَالَتَهُمَا مِنْ تَلْفِيفِ إِذَارِكَ وَقَدْ حَضَرَتْ يَدِي مَبْتَدِئَةً بِأَبِي . قَالَ : فَضَعَكَ وَأَوْمَى بِيَدِهِ إِلَى يَدِهِ فَتَنَحَّيْتُ ثُمَّ قَالَ : مَعْزُومٌ وَبِئْسَ مَا سَدَّ عَيْنَكَ وَلَا تَعُدُّ لِمِثْلِ ذَلِكَ .

باب في ذكر الخصوص وأحوالهم التي لاتعد من الكرامات
وهي في معانيها أتم وألطف من الكرامات

قال : سمعت طلحة العصائدي البصري بالبصرة يقول : سمعت المتحفي صاحب
سهل بن عبد الله ، رحمه الله يقول : كان سهل بن عبد الله يصبر عن الطعام سبعين
يوماً وكان إذا أكل ضعف ، وإذا جاع قوى .

وعن أبي الحارث الأولاسي رحمه الله أنه قال : مكثت ثلاثين سنة ما سمع
سأني إلا من سرى ثم حالت الحال فمكثت بعد ذلك ثلاثين سنة لا يسمع سرى
إلا من أسأني .

وعن أبي الحسن المزين قال : كان أبو عبسيد البصري رحمه الله ، إذا كان أول يوم
من رمضان يدخل البيت ويقول لامرأته : طيني عليّ الباب وأتني لي كل ليلة رغيفاً
في الكوة فإذا كان يوم العيد رفس الباب ودخلت امرأته البيت فإذا بالثلاثين
رغيفاً موضوعة في زاوية البيت فلا أكل ولا شرب ولا تمهياً للصلاة ولا فاته ركعة
من صلاة .

وحكى عن أبي بكر محمد بن عليّ الكتاني رحمه الله قال : ما استودعت قط
قلبي شيئاً فحانني .

وعن أبي حمزة الصوفي قال : دخل عليّ رجل من أهل خراسان فسأني عن
الأمن ، قال : فقلت له : أعرف من لو كان على يمينه سبع وعلى يساره منسورة
ما ميز على أيهما يتكى ، قال : فقال الرجل : هذا علم ، هات حقيقةً لجواب مسألتني
قال : فسكت ، قال : فخذها يا أبا بذبخت ، أعرف من لو خرج من المغرب يريد
المشرق ما تتغير عليه سره بين ذلك . قال أبو حمزة : فبقيت أربعين يوماً ونيمة لم
أكل ولم أشرب ولم أتم حتى تبين لي علم ما قال .

وسمعت أبا عمرو بن علوان يقول: كان شابٌ يصحب الجنيدَ رحمه الله، وكان له قلب فظنٌ، وربما يتكلم بخواطر الناس، وما يعتقدون في سرّ أروهم. فقيل للجنيد ذلك، فدعاه وقال: أيش هذا الذي يبلغني عنك؟ فقال: لا أدري، ولكن اعتقد في قلبك ما شئت، قال الجنيد رحمه الله: اعتقدت، فقال الفتى: اعتقدت كذا وكذا، فقال الجنيد رحمه الله: لا، فقال: اعتقد مرةً أخرى، فقال الجنيد رحمه الله: اعتقدت، فقال الشاب: هو كذا وكذا، فقال الجنيد رحمه الله: لا، قال: فاعتقد ثالثاً، فقال الجنيد رحمه الله: اعتقدت، فقال الشاب: هو كذا وكذا. فقال الجنيد رحمه الله: لا، فقال الشاب: هذا والله عجيب أنت عندي صادق. وأنا أعرف قلبي وأنت تقول لا.

قال: فتبسم الجنيد رحمه الله ثم قال: صدقت يا أخى في الأول وفي الثاني وفي الثالث، وإنما أمتحنك هل تتغير عما أنت عليه.

وعن جعفر الخادي رحمه الله: قال: سمعت جنيداً رحمه الله يقول: دخلت بيت المحاسبي رحمه الله داري فلم يكن عندي شيء طيب أطعمه، قال: ففصيت في بيتي فخرجت منها شيئاً وحمات أقمت ففتتح فمد شبعات في فيه فكان يهينه من جانب إلى جانب ولا يتناغم ثم قام وخرج فاقم في الدهان فذهبت خلفه وعسى يا عمي رأيتك لم تبلع ثم قت وأتميت في الدهان قال: نعم أبي وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان شيء من غير وجه لا يهين في بومه، وإنما كان يهين في إيداعه في إيداع السرور عليك ولم يهين أن أبوه فتمت أقامته في الدهان.

وعن أبي جعفر الخداد أنه قال: أشرف مني أحد أرباب حمه في بيته وأنا جالس على بركة ولي ستة عشر يوماً لم آكل ولم أشرب من البهائم وأشرب من الناس فقال لي: ما جالسك هاهنا؟ فقلت: أن بين العلم واليقين أنظر من يعيب بما في قلبه معه قال: سيكون لك شأن.

قال أبو عبد الله الحصري رحمه الله: رأيت إنساناً (يعنى من الصوفية) مكث سبع سنين لم يَأْكُلْ الخبز، ورأيت رجلاً مكث سبع سنين لم يشرب الماء، ورأيت رجلاً إذا مدَّ يده إلى طعام فيه شبهة جفت، وعن جعفر المبرقوع أنه قال: منذ ثلاثين سنة ما عقدت مع الله عقداً مخافة أن يفسخ ذلك فيكذبني على لساني .

وقال أبو بكر الزقاق رحمه الله: سافرنا مع إسماعيل السدوسي فوق من رأس جبل فكسرت قصبة ساقه فبكينا فقال: مالك؟ لا تغتموا إنما هو ساق من قطعة طين فإذا جف فركناه .

ومثل ذلك في الحكايات كثيرة، وما لم نذكره أكثره وجميع ذلك أحسن معاني الخطف من الكرامات التي ذكرناها، وفي ذلك كفاية لمن عقل وأنصف وفهم .

كتاب البيان عن المشكلات

باب في شرح الألفاظ الجارية في كلام الصوفية

مثل قول القائل الحق بالحق للحق ، ومنه به له ، والحال والمقام والمكان ،
والوقت ، والبادي ، والبادية ، والوارد ، والخاطر ، والواقع ، والقادح ، والعارض ،
والقبض ، والبسط ، والغيبية ، والحضور ، والصحو ، والشكر ، وصفو العبد ،
والهجوم ، والغلبات ، والفناء ، والبقاء ، والمبتدى ، والمريد ، والمراد ، والتواجد ،
والتواجد ، والنسكن ، والمأخوذ والمستتب ، ولدهشة والخيرة والتحير ، والطوال ،
والطوارق ، والكشف والمشاهدة ، واللوائح والواضع ، والحق وحقوق والتحقيق
والتحقق والحقيقة والحقائق ، والخصوص وخصوص لخصوص ، والاشارة
والإيماء ، والرمز والصفاء ، وصفاء الصفاء ، وتزويد والتزويد ، والتسامع
والمشهود ، والموجود ، والمنقود ، والمعدوم ، والجمع ، والتفرقة ، والسطح ، والصوب ،
والذهاب ، وذهاب الذهاب ، والنفس والحس ، وتوحيد العامة ، وتوحيد الخاص
والتفريد والتفريد .

وهم مفرد ، ومر مجرد ، والاسم ، والاسم ، والاسم ، وعقدان ،
والمسامرة ، ورؤية القلوب ، والروح والروح ، والعت وعت ، والاسم ،
والدعوى ، والاختيار ، والبلاء ، واللسان ، والمر ، والعت ، والاسم ،
والمحو ، والمحق ، والآثر ، والكون ، واليهون ، والفضل ، والاصل ،
والفرع ، والطمس ، والرأس ، والدنيس ، والسب ، والنسبة ، وصاحب ،
ورب حال ، وصاحب مقام ، وفلان بلا كس ، وفلان صاحب بصيرة ،

وَأَنَا بِلَا أَنَا، وَنَحْنُ بِلَا نَحْنُ، وَأَنْتَ أَنْتَ، وَأَنَا أَنَا، وَأَنْتَ أَنْتَ،
 وَهُوَ بِلَا هُوَ، وَقَطْعُ الْعَلَاتِقِ، وَبَادِي بِلَا بَادِي، وَالتَّجَلَّى، وَالتَّخَلَّى، وَالتَّحَلَّى،
 وَالْعَلَّةُ وَالْأَزَلُ وَالْأَبَدُ وَالْأَمَدُ، وَوَقْتُ مُسَرِّمِدٍ، وَبِحَرِيِّ بِلَا شَامِي، وَنَحْنُ
 مَسِيرُونَ، وَالتَّلْوِينُ، وَبَذَلُ الْمُسَهِّجِ، وَالتَّلْفُ، وَاللَّجَأُ، وَالانزِعَاجُ، وَجَذْبُ
 الْأَرْوَاحِ، وَالْوَطْرُ، وَالْوَطَنُ، وَالشَّرُودُ، وَالْقَصُودُ، وَالْإِصْطِنَاعُ، وَالْإِصْفَاءُ،
 وَالْمَسْخُ، وَاللَطِيفَةُ، وَالْإِمْتِحَانُ، وَالْحَدِيثُ، وَالسَّكَلِيَّةُ، وَالتَّلْمِيْسُ، وَالشَّرْبُ،
 وَالذَّوْقُ، وَالْعَيْنُ، وَالْإِصْطِلَامُ، وَالْحَرِّيَّةُ، وَالرَّيْنُ، وَالنَّعِينُ، وَالْوَسَائِطُ،
 وَمَا يَشَاكُلُ كُلَّ هَذِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ.

باب بيان هذه الألفاظ

قال الشيخ رحمه الله : وأما معنى قولهم « الحق بالحق للحق » فالحق هو الله عز وجل ، وفي التفسير عن أبي صالح في قوله عز وجل : « وَأَتَّبِعَ الْحَقَّ أَهْوَاءَهُمْ » (١) قال : الحق هو الله تعالى .

قال أبو سعيد الخزاز ، رحمه الله ، في بعض كلامه : عبدٌ موقوفٌ مع الحق بالحق للحق ، يعني موقوفٌ مع الله بالله لله ، وكذلك « منه به له » يعني من لله بالله لله ، وربما يكون في مواضع يعني به ما يكون من اكتساب العبد بعبادة الله كما قال أبو يزيد رحمه الله : قال لي ، أبو علي السندي : كنتُ في حالٍ منى بي لي ، ثم صرتُ في حالٍ منه به له .

والمعنى في ذلك أن العبد يكون ناظراً إلى أفعاله ويُضيف إلى نفسه أعماله فيزول قلب على قلبه أنوار المعرفة يرى جميع الأشياء من الله قائماً بالله معبوداً من مردودةً إلى الله ، والحالُ نالته تنزل بالعبد في حين ، فيحال يقاب من بعبادة الرضا والتفويض وغير ذلك ، فيصفونه في الوقت في حاله ووقته ويزول ، ويدور كما قال : الجنيد رحمه الله .

وعند غيره ، الحال : ما يعمل بالأسرار من صفات الأذكار ولا يزول ، فإذا كان حالاً يكون ذلك حالاً .

و « المقام » هو الذي يقود بالعبد في الأوقات مثل مقام الصلوة والعبادة . ومقام العبد بظاهره وبباطنه في هذه المقامات والشهادات ، لإحدى هذه المقامات العبد في شيء ، منه على التمام فهو مقامه حتى يسقل منه إلى مقام آخر . وهذا في باب المقامات والأحوال .

(١) المؤمنون : ٧١

و «المكان» هو لأهل الكمال والتمكين والنهاية، فإذا كمل العبد في معانيه تمسكن له المكان لأنه قد عمه المقامات والأحوال فيكون صاحب مكان، قال بعضهم :
مكانك من قلبي هو القلبُ كاهُ فليس شيء فيه غيرك موضعُ
و «المشاهدة» بمعنى المداناة، والمحاضرة، والمكاشفة والمشاهدة، تتقاربان في
المعنى إلا أن الكشف أتم في المعنى.

قال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله: أول المشاهدة زوايد اليقين سطعت بكواشف
الخضور غير خارجة عن تغطية الغيب وهو التماس القلب دوام المحاضرة لما وارته
الغيوب، قال الله تعالى: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى
السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (١)» يعني حاضر :
و «اللوائح» ما يلوح للأسرار الظاهرة لزيادة السمو والانتقال من حال إلى حال
أعلى من ذلك.

قال الجنيد رحمه الله: لقد فاز قوم دلتهم ولبيبتهم على مختصر الطريق فأوقفهم على
محجة المناجاة ولوح لهم على فهم الدعوة إلى المسارعة بالمناسبة إلى فهم الخطاب إذ
يقول جل وعز «وَسَارِعُوا إِلَى مَعْرِفَةِ رَبِّكُمْ (٢)» فهضت العقول مستجيبة
بحسن التوجه لإقامة منبه يحظون عنده.

و «اللوامع» معناه قريب من «اللوائح» وهو مأخوذ من لوامع البرق إذا لمعت في
السحب طمع الصدى والطمشان في المطر.

قال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله: إن الله تعالى يورد في صفاء الأوهام مثل
لوامع البرق بعضها في إثر بعض ويبدى ذلك لقلوب أوليائه بلا توهم بأصل ما عقدت
عليه القلوب من التصديق والإيمان بالغيب وما بدا للقلوب لوامعه من زيادة النور
حتى لا يتمكن النفوس توهم ذلك النور في صفاء الأوهام وتوهمت انقطع ذلك،
وقال القائل:

(٢) آل عمران : ١٣٣

(١) ق : ٣٧

واغترّ ذو دلمعٍ بلمعٍ سرابٍ

و«الحق» هو الله عز وجل قال الله عز وجل: «وإن الله هو الحق المبين» (١).

والحقوق معناه الأحوال والمقامات والمعارف والإرادات والقصود والمعاملات

والعبادات، قال الطيالسي الرازي رحمه الله: إذا ظهرت الحقوق غابت الحظوظ،

وإذا ظهرت الحظوظ غابت الحقوق:

ومعنى «الحظوظ» حظوظ النفس والبشرية لا تجمع مع الحقوق لأنهم ضدان

لا يجتمعان.

والتحقيق تكف العبد لاستدعاء الحقيقة جديده وطاقتة.

قال ذو النون رحمه الله: قلت لبعض الحكماء الذين تقيهم: لم وقت سلك

الطريق في كبد فجاج المضيق؟ فقال: من ضعف دعائم التصديق وأخذ القوم

بالتحقيق.

و«التحقق» معناه معنى التحقيق وهو مثل التعبد والتعظيم. و«حقيقة» اسم و«التحقق» جمع الحقيقة، ومعناه وقوف القلب بدوام الانتصاب بين يدي من آمن به، فلهذا

القلوب شك أو تخيلة فيما آمنت به حتى لا تكون به واقفة وبين يديه بتصيبه

لبطل الإيمان وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الكل حق حقيقة»

حقيقة إيمانك» فقال: عزفت نفسي عن الدنيا فأنهرت أبلي وأخلصت بهيبي

وكانني أنظر إلى عرش ربي بارزاً» و«كانني» يعبر عن مشاهدته قلبه بدوام وقوفه بين

بين يدي الله تعالى ما آمن به حتى كأنه رأى العين.

قال الجنيد رحمه الله: آيت الحقائق أن تدين بالله حقيقةً.

و«الخصوص» أهل الخصوص هم الذين خصهم الله تعالى من عامة المؤمنين بالحقائق

والأحوال والمقامات، وخصوص الخصوص هم أهل التبريد والتبريد التبريد ومن

(١) النور: ٢٥ ونص الآية: يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو

الحق المبين.

عبر الأحوال والمقامات وسلكها وقطع مفاوزها، وقل الله عز وجل « وَمِنْهُمْ مَّقْتَصِدٌ
وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ » (١) فالمقتصد خصوص والسابق خصوص الخصوص .
حكى عن الشبلي رحمه الله أنه قال : قال لي الجنيد رحمه الله : يا أبا بكر
ما ظلمك بمعنى خصوص الخصوص فيما تجرى إليه من القول عموم ثم قال : خصوص
الخصوص في نعت الإيماء إليه عموم .

و «الإشارة» ما يخفى عن المتكلم كشفه بالعبارة للطائفة معناد .

قال أبو علي الروذباري ، رحمه الله : علمنا هذا إشارة فإذا صار عبارة خفي ،

و «الإيماء» إشارة بحركة جارحة .

قال الجنيد رحمه الله : جلست عند ابن الكُرَيْبِي فَوَسَّيْتُ بِرَأْسِي إِلَى الْأَرْضِ

فَقَالَ : بَعْدَهُ . ثُمَّ أَوْسَيْتُ بِرَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : بَعْدَهُ ، وَقَالَ الشَّبَلِيُّ : رَحِمَهُ اللَّهُ مَنْ

أَوْسَى إِلَيْهِ فَهُوَ كَمَا بَدَوْتُ لِأَنَّ الْإِيمَاءَ لَا يَصْلِحُ إِلَّا إِلَى الْأَوْثَانِ ، وَقَالَ الْقَاتِلُ :

وَنِي عِنْدَ اللَّقَاءِ وَفِيهِ عَتَبٌ بِإِيمَاءِ الْجَفُونِ إِلَى الْجَفُونِ

فَأَبْهَتُ خَيْفَةً وَأَذُوبٌ خَوْفًا وَأَفْهَى عَنِ حِرَاكٍ أَوْ سَكُونِ

و «الرمز» معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهله ، قال القناد :

إِذَا نَطَقُوا الْعَجْزُكَ مَرَّيْ رُمُوزِهِمْ وَإِنْ سَكَنُوا هَيْبَتِ مَنْكَ اتِّصَالُهُ

وقال بعضهم : من أراد أن يقف على رموز مشايخنا فلا ينظر في مكاتباتهم

ومراسلاتهم ، فإن رموزهم فيها لا في مصنفاتهم .

و «الصفاء» ما خلاص من مازجة الطبع ورؤية الفعل من الحقائق في الحين قال الجري

رحمه الله : ملاحظة ما صفا بالصفاء جفاء ، لأن موه مازجة الطبع ورؤية الفعل .

قال ابن عطاء رحمه الله : لا تغتروا بصفاء العبودية ، فإن فيها نسيان الربوبية ، لأنها

مازجة بالطبع ورؤية الفعل ، والله أعلم .

وسئل الکتانی رحمه الله : عن الصفاء فقال : مزايلة اللذومات .

وسئل عن «صفاء الصفاء» فقال : مزايلة الأحوال والمقامات والدخول إلى النهايات .

« وصفاء الصفاء » إبانة الأسرار عن المحدثات لمشاهدة الحق بالحق على الاتصال بلا علة قال القائل :

صفوُ الصفا في صفوهِ إذعان و صفاؤُهُ في كونه إيقانُ
من بان بين ما أبان به له حق البيان بواضح التبيانُ
هذا حقيقة وجد من وجدِهِ ولو جدِهِ هل فوق ذلك بيانُ

و « الزوايد » زيادات الإيمان بالغيب واليقين كلما ازدادت الإيمان واليقين زاد الصدق والإخلاص في الأحوال والمقامات والإرادات والمعاملات .

قال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله : زوائد اليقين إذا سطعت بكوا أممات الخصور عن تغطية القلوب وإوارته للغيوب ، والنوائد تحف الحق لأهل معاملته في وقت الخدمة بزيادة القيم للتنعم بها .

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل .

و « الشاهد » ما يشهدك بما غاب عنك ، يعني يحضر قلبك لوجوده ، قال القائل :

وفي كل شيء له شاهد يدل على أنه واحد

و « الشاهد » أيضاً بمعنى الحاضر .

وسئل الجنيد رحمه الله عن الشاهد فقال : « الشاهد الحق في شهادته »

مطعم عليها ، والمشهود ما يشهده الشاهد .

قال أبو بكر الواسطي : الشاهد الحق و « المشهود » الكون ، قال عز الدين بن عبد السلام :

و مشهود (١) والموجود والمنقود اسمان متضادان ، فالوجود : ما وجد ، والمنقود : ما لم يوجد .

حين الوجود ، والمنقود : ما خرج من حين الوجود إلى حين المنقود .

قال ذو النون رحمه الله : « لا تفرح على مفقود ولا يفرح من لا شيء مفقود »

و « المعلوم » الذي لا يوجد ولا يمكن وجوده ، فهذا علمت كماله ولا يمكن وجوده فذاك مفقود وليس بمعلوم .

قال بعض أهل المعرفة : العالم وجوده من بين طرفي عدم ، لأنه موجود ، كان عدماً معدوماً ، ويصير عدماً معدوماً ، ولا يشهده العارف إلا بعدم معدوم . فيجعل له عند رؤية عدمه معرفة وحدانية خالقه ، و « الجمع » لفظ مجمل يعبر عن إشارة من أشار إلى الحق بلا خلق قبل ولا كون كان ، إذ الـكون والخلق مكوّنان لا قوام لهما بنفسهما لأنهما وجود بين طرفي عدم ، و « التفرقة » أيضاً لفظ مجمل يعبر عن إشارة من أشار إلى الـكون والخلق وهما أصلان لا يستغني أحدهما عن الآخر ، فمن أشار إلى تفرقة بلا جمع فقد جحد الباري ، ومن أشار إلى جمع بلا تفرقة ، فقد أنكر قدرة القادر فإذا جمع بينهما فقد وحد ، وقال القائل :

حمتُ وفرقتُ عنى بهِ وفردُ التواصلِ مثنى العددِ

تعنى جمعت به وفرقت عنى وفرد التواصل في الجمع مثنى العدد في التفرقة ، و « الغيبة » غيبة القلب عن مشاهدة الخلق بحضوره ومشاهدته للحق بلا تغيير ظاهر العبد و « العشيّة » هي غيبة القلب بما يرد عليه ويظهر ذلك على ظاهر العبد ، و « الحضور » حضور القلب لما غاب عن عيانه بصفاء اليقين فهو كالحاضر عنده وإن كان غائباً عنه . قال القائل :

أنت وإن غُيبتَ عنى سيدى كالحاضر

وقال النورى :

إذا غُيبتُ بدا وإن بدا غيبنى

وكذلك « الصحو » و « السكر » معناهما قريب من معنى الغيبة والحضور ، غير أن الصحو والسكر أقوى وأقبر من الغيبة والحضور ، وقد قال في ذلك بعضهم :

فحالان لي حالانِ صحوً وسكرةً فلا زلتُ في حالٍ أصحو وأسكرُ
كفك بأنَّ الصحوَ أوجد كآبى فكيف بحال السكر والسكر أجدرُ
جحدتُ الهوى إن كنتُ مدجّل الهوى عيونك لي عيناً تنص وتبصرُ

نظرتُ إلى شيءٍ سِوَاكَ وَإِنَّمَا أَرَى غَيْرَنَا أَحْلَامَ نَوْمٍ يُقَدَّرُ

والفرق بين السكر والغشية، أن السكر ليس نشأته من الطبع لا يتغير عند وروده الطبع، والحواس، والغشية، نشأتها ممزوجة بالطبع تتغير عند ورودها، الطبع والحواس، وتتقضى منها الطهارة، والغشية لا تدوم، والسكر يدوم، والفرق بين الحضور والصحو: أن الصحو حادث، والحضور على الدوام.

ومعنى «صفو الوجد» أن لا يعارضه في وجوده شيء غير وجوده كما قال القائل:
تَحَقَّقَ صَفْوُ الْوَجْدِ مِنَّا فَمَا لَنَا عَلَيْنَا سِوَاكَ مِنْ رَقِيبٍ يُخْبِرُ

و «الهجوم والغلبات» متقاربا المعنى إلا أن الهجوم فعل صاحب الغلبات، وذلك عند قوة الرغبة، والانفلات من دواعي الهوى والنفوس عند قوة رغبة الطاب إذا لاح له أعلام المزيد في حال طلبه المطلوب، فلو ظن أن مطاوبه وراءه كسجه أو في تيه سلكه بالهجوم عند غلبات الإرادة وقوة سلطان المضائق عليه لم يرأى من اقتحمها بالهجوم بتلف الروح وبذلك المنيجة سواء أوصاه ذلك إلى مطاوبه أو لم يوصاه، فذلك معنى الهجوم والغلبات.

و «الفناء والبقاء» قد ذكرته في سابقه، ومعنى «الفناء» فقد حذفه من قوله.

المنع والاسترواح إلى حال وقع، و «البقاء» بقا العبد على ذات، وهو ما هو هو، هو فناء روبا العبد في أفعاله لأفعاله بقيام الله له في ذلك، والله تعالى يقول: بَقِيَامِ اللَّهِ لَهُ فِي قِيَامِهِ اللَّهُ قَبْلَ قِيَامِهِ اللَّهُ بِاللَّهِ.

والمبتدى هو الذي يتدى بقوة العزم في سائر طوائف المذاهب من الله تعالى ويتسكن لآداب ذلك ويتأهب للتدريب بالخدمة والقبول من الله تعالى في حال الذي ابتداء به وأشرف عليه من بدايته إلى نهايته هو «المريد» الذي صح له الابتداء وقد حصل في جملة المنقطعين إلى الله تعالى بالاسم، وتشهد له قلوب الصادقين بسجدته وأدبه.

ولم يت رسم بعد بحال ولا مقام فهو في السير مع إرادته ، و « المراد » العارف الذي لم يبق له
إرادة ، وقد وصل إلى المهابيات وعبر الأحوال والمقامات والمقاصد والإرادات فهو مراد
أريد به ما أريد ، ولا يريد إلا ما يريد .

و « الوجد » مصداقة القلوب لصفاء ذكر كان عنه مفقودا ، و « التواجد »
والتساكر « قريبا المعنى ، وهو ما يترج من اكتساب العبد بالاستدعاء للوجد
والسكر ، وتساكره للتشبه بالصادقين من أهل الوجد والسكر ، و « الوقت » ما بين
ماضي والمستقبل .

قال أجنيد رحمه الله : الوقت عزيز إذا فات لا يدرك : يعني نفسك ووقتك
الذي بين النفس الماضي والنفس المستقبل ، إذا فاتك بالغفلة عن ذكر الله تعالى فلا
يحققه أبدا .

و « البادى » هو الذي يبدو على القلب في الحين من حيث حال العبد ، فإذا بدأ بآدى
حق يبدو كل بد غير الحق ، قال إبراهيم الخواص رحمه الله : إذا بدأ بآدى الحق
ففى كل باد :

و « الوارد » ما يرد على القلوب بعد البادى فيستغرقها والوارد له فعل وليس للبادى
فعل ، لأن البوادى بدايات الواردات ، قال ذو النون رحمه الله : وارد حق جاء
يزعج القرب .

و « الخطر » تحريك السر لا بداية له ، وإذا خطر بانقلب فلا يثبت فيزول بخاطر
آخر مثله ، و « الوافع » ما يثبت ولا يزول بواقع آخر .

سمعت بعض المشيخ وهو أبو الطيب الشيرازى رحمه الله قال : سألت شيخا من
مشيخي مسألة فقال لي : أرجو أن يقع جوابه ، قل الجنيب مدرجه الله خير النجاج
رحمه الله حين خرج إليه : هلا خرجت مع أول خاطرك ؟ وذلك أنه خطر بقلبه بأن

الجنيد رحمه الله على باب داره فكان يدفع نخاطره مراراً ، فلما خرج قال له الجنيد ذلك .

ويقال : إن الخاطر الصحيح أول الخاطر ، أي أول ما يخطر ، ومعنى الخاطر أيضاً ما لا يكون للعبد نسبة في ظهوره في الأسرار ، و « الخاطر » أيضاً قهر يستوعب الأسرار :

و « القادح » قريب من الخاطر إلا أن الخاطر لقبوب أهل البيضة والقادح لأهل الغفلة ، فإذا تقشع عن قلوبهم غيوم الغفلة قدح فيها قراح الذكر ، وهي نطقة مأخوذة من قدح النار بالزباد ، والقادح الذي سد عن القلوب قال القائل :

* يا قادح النار بالزباد *

وقال بعضهم : ليس ما قد حثت الحقيقة كما سكته السريفة .

و « العارض » ما يعرض للقلب والأسرار من إلقاء العدو والنفس في هذه الدنيا ، كما يكون من إلقاء النفس والعدو والخموى في العارض ، لأن الله تعالى لم يحسن الأعداء طريقاً إلى قلوب أوليائه إلا بعارض دون الخاطر والقادح والذى ورد في القرآن قال أنشد :

يعارضنى الواشون قلبى بكما تماتت في سائر الآيات

و « القبض » و « البسط » حالان شران لا يعلمان معهما إلا في حال البسط ، أي تناول القوام والمباحات والأكل والشرب والكلام ، أما في حال القبض فالتفكير في الأشياء وتولي حفظهم في ذلك ، فالتقيض حال رجل عارف من هذا الصنف يعرف معرفة والبسط حال رجل عارف سطو الحق وتولي حفظه حتى يفتتت من بعده . قال الله تعالى : « والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون » (١)

وقال الجنيد رحمه الله في معنى «القبض» و«اليسط»: يعني الخوف والرجاء، فالرجاء
يسط إلى الطاعة، والخوف يقبض عن المعصية، وقد قال القائل في صفة حال العارف
المتقبض، وصفة حال العارف المنبسط ققل:

معارفُ الحقِّ تحويها إذا نَشِرتُ	ثلاثةٌ مـدها الأرواحُ تُخْتلسُ
فعارفٌ مُحِظٌّ يوظِّقُ الحقَّ ليس له	عنه مساواة ولا منه له نفسٌ
وعارفٌ يولِّا المأنيكِ معترفٌ	يحجته الوجودُ ماولى له النفسُ
وعارفٌ غاب عنه العرفُ فاعتسفتُ	منه السرايرُ مطوى الدرَى شرسٌ
حتى استمكنَ وغاب الوعثُ في مهلِ	فطار شيطانٌ عنه الشطْقُ والخرسُ
أعانه الخسِقُ عما دونه فله	منه إليه سرارٌ وحجبه حارسٌ

يذكر أن العارفين على ثلاثة أصناف: صنف منهم ليس لهم منه نفس، وصنف
منهم يحجبهم الوجد إلى الحال الذي يتولاهم الحق بالكلاية^(١) فيها، وصنف منهم تاب
عنهم العرف والعادة وامتوى عندهم النطق والصمت وغير ذلك بعناية الحق لهم، فإن
سكتوا فلاه يسكتون، وإن نطقوا فعن الله ينطقون.

والغيبية، والحضور، والصحو، والسكر، والوجد، والهجوم، والغليات،
والفناء، والبقاء، فاعلم أن ذلك من أحوال القلوب المتحققة بالذكر والنعظيم لله
عز وجل.

و«المأخوذ» و«المستنب» بمعنى واحد، إلا أن المأخوذ أتم في المعنى وهم العبيد الذين
وصفهم في الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال: «ظن
الناس أنهم قد خواطوا وما خواطوا ولكن خالط قريتهم من عظمة الله تعالى،
ما أذهب بعقولهم».

١٨١

(١) الكلاية بمعنى الكلاءة، وهو الحفظ

٢٨٢ وفي الحديث روى أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا يباغ العبد حقيقة الإيمان حتى يظن الناس أنه مجنون، وقد روى عن الحسن في الخبر كمت إذا رأيت مجاهداً كأنه خرُّ بندجٍ قد ضل حماره لم يكن فيه من الوله والأخبار تكثر في وصف المأخوذ والمستناب وقال القائل:

فَلَا تَلْمَنِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ قَلْبِي إِنِّي بِحُبِّكَ مَأْخُودٌ وَهُوَ مُسْتَدَبٌ

و «الدهشة» سطوه تصدم عقل المحب من هيئة محبوبه إذا تقه عند الإيمان لم يبدل عاهة إذا انقضت، وقد روى عن بعضهم أنه قال: «اللهم إنك لا ترى في الدنيا فهب لي من عندك ما يسكن إليه قلبي» قال: فعشى عليه فيه، أفاق قول: سبحان الله. فقيل له: مرسحت؟ قال: ألقى إلى مكينته بدلاً من الضرر إليه وهال لذلك من بدل؟ فقلت: يارب دهشت من حُبِّك فلم أتأكد أن قلت ما قلت ولبعضهم يقول:

إِنَّ مِنْ أَهْوَاهُ فِدَاُ دَهْشَتِي لِأَخْبُوتِ الدَّهْرِ مِنْ ذَلِكَ الدَّهْشِ

وكان الشبلي رحمه الله يقول: يدهشت كلُّ معناه كل شيء مع الخلق منك دهشت كلّه:

و «الخبيرة» بديهة ترد على قلوب العارفين عند ما بهم وحضورهم تذكرهم بغيرهم عن التأمل والفكرة، قال الواصفى رحمه الله: خبيرة البديهة أصل من ساء التولي عن الخبيرة.

و «التحير» منازلة تتولى قلوب العارفين بين الأسى والخموص واليأس والطمع ومقصوده لا تطمههم في الوصوف فيرتجوا ولا تأسهم عن الخطاب فيسأرون فعمد ذلك يتحيرون، وقد سئل بعضهم عن المعنى ما هي؟ فقال: التحير ثم الاتصال ثم الافتقار ثم الخبيرة، قال: فأنال:

قَدْ تَحَيَّرْتُ فِيكَ خَذُ بِيَّامِي يَا دَلِيلَا لِمَنْ كَتَبْتُ فَمَكَ

و « الطوالع » أنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة بتشعشعها فيطمئن ما
في القرب من الأنوار بساطان نورها كاشمس الطالعة إذا طاعت يخفى على الناظر
من سجدة نورها أنوار الكواكب وهي في أماكنها ، قال الحسين بن منصور
في هذا المعنى .

قَدْ تَجَلَّتْ طَوَالِعُ زَاهِرَاتٍ بِتَشَعُّعِنَ فِي كَوَامِعِ بَرْقٍ
حَتَّى وَاحِدٌ بِتَوْحِيدِ صَدَقٍ مَا إِلَيْهَا مِنَ الْمَسَالِكِ طَرِيقُ

و « الطوارق » ما يطرق قلوب أهل الحقائق من طريق السمع فيجدد لهم حقائقهم .
حكى عن بعض المشايخ أنه قال : يطرق سمع علم من علوم أهل الحقائق فلا
شيء أن يدخل قلبي إلا بعد أن أعرضتها على الكتاب والسنة .

و « الطوارق » في اللغة ما يطرق بالليل .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو : وأعوذ بك من شر
ضو برق الليل والنهر إلا طارقاً يطرق بخير .

و « الكشف » بيان ما يستتر على الفهم فيكشف عنه للعبد كأنه رأى عين ، قال
محمد بن جرير : « من لم يعمل فيما بينه وبين الله تعالى بالتقوى والمراقبة لم يصل
إلى الكشف والشهادة » وقال النوري رحمه الله : « مكشفت العيون بالأبصار
ومكشفت القلوب بالإتصال » .

و « الشطح » كلام يترجمه اللسان عن وجد يفيض عن معدنه مقرون بالدعوى إلا
أن يكون صاحبه مستتاباً ومحفوظاً ، قال أبو حمزة : سألت رجلاً خراساني عن الأمن
فقلت : أعرف من لو كان على يمينه سبع وعلى يساره مسورة ، ميز على أيهم
اتكى ؟ فقال لي : هذا شطح فبت العلم .

وكان بعضهم إذا سأله إنسان مسألة فيها دعوى يقول : أعوذ بالله من

شطح اللسان .

وقد فسّر الجنيّد رحمه الله شطحات أبي يزيد رحمه الله : ولو كان أبو يزيد رحمه الله في ذلك عنده معلولاً ما فسّر لها ، وقد قال القنّاد :

شَطْحُ الْحَقِيقَةِ وَالْأَحْوَالِ بَيْنَهُمَا شَطْحٌ لِذَلِكَ الْبَيْنِ يَزْمُو بَيْنَ هَاتَيْنِ
فَالْحَالُ كَالْحَالِ فِي التَّنْوِينِ شَاطِحُهَا وَالْعَيْنُ تُدْفَى إِلَى شَطْحِ اللَّاقِطَيْنِ
و «الصَّوْلُ» ، لاستطاعة باللسان من المرئيين والمتوسطين عن أبيهم ، جسيمة
بأحوالهم وهو مذموم .

قال أبو علي الروذباري رحمه الله : « إن من أعظم الكبائر أن نحول الله في نفسك وتوهم أن الذي أنت فيه غيرك فتجعل دعواتك كدعوات غيره من يستحي من الله تعالى أن يفتخر بحاله ، وتنتك من الصالحين لئلا يفتخروا على من فوقك وقيامه معرفة إذا كان على من هو دونك ودعواتك كدعوات غيره من هو مثلك ، فأمم الصادقون بأعمال الكبار فمدحوا ما فعلوا من الخير إلى ما سوى الله . »

وروى عن أبي حنيفة رضي الله عنه وسأله عن قول الله تعالى : « وَبِذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » فقال إبراهيم الخواص رحمه الله في ذلك : « ما لا يعلمون »
وبالله أصول » وقال القائل :

وَ كَيْفَ يَطِيبُ الْعَيْشَ مَنْ كَعْدَرَ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْهِ رِيحُ الْوَيْلِ وَالْخُشْيِ
و «الذهب» تعني الغيبة إلا أن الذهب هو ما يبرق من الذهب
حسن المحسوسات بمشاهدة متدهكاً ، ثم أتت في قوله :
هذا مالا نهاية له .

قال الجنيّد رحمه الله في تفسيره قول أبي يزيد رحمه الله : « ما لا يعلمون »
قال : هو ذهب ذلك الله منه ذهبه من ذهبه وهو قوله : « ما لا يعلمون »
يعني قد غابت المحسوسات وتلفت الأضواء ، فليس يوجد شيء ، إلا أنه لا يعلمون .

يسميه قوم الفناء والفناء عن الفناء « وقد فقد في الفقد » فهو الذهاب عن
الذهاب ، و « النفس » ترُّوحُ القلب عند الاحتراق ، قل بعض الشيوخ : « النفس »
رُوحٌ من ريح الله المسلطة على نار الله تعالى : وكذلك « النفس » ، قال ذو
النون رحمه الله :

مَنْ لَادَ بِاللَّهِ نَجَا بِاللَّهِ وَسَرَّهُ مَرَّةً قَضَاءِ اللَّهِ
لِلَّهِ أَنْفَاسٌ جَرَّتْ لِلَّهِ لِأَحْوَالِ فِيهَا يَتَغَيَّرُ اللَّهُ

و « النفس » أيضا نفس العبد ، قال الجُنَيْدُ رحمه الله : أَخَذَ عَلَى الْعَبْدِ حِفْظَ
نَفْسِهِ عَلَى مَرَّةٍ أَوْقَاتِهِ « قال : القائل :

وَمَا تَنَفَّسْتُ إِلَّا كَمَنْتَ مَعَ نَفْسِي تَجْرِي بِكَ الرُّوحُ مَتْنِي فِي مَجَارِيهَا

و « الحسن » رسمٌ ما يبدو من صفة النفس ، وقال عمرو المكي ، رحمه الله : من
قال : إِنِّي لَمْ أَجِدْ حَسًّا عِنْدَ غَلَبَاتِ الْوَجْدِ فَقَدْ غَلَطَ لِأَنَّهُ لَمْ يَدْرِكْ فَقْدَ الْحُسُوسِ
إِلَّا بِحَسٍّ .

و « الوجد » و « الفقد » يَدْرُكُ كَانِ بِحَاسِقَتِهِمَا مَحْسُوسَانِ ، و « توحيد العامة » معناه توحيد
الإقرار باللسان والتحقيق بالقلب لما يقرب به اللسان بإثبات للوحد بجميع أسمائه
وصفاته بإثبات ما أثبت ونفى ما نفي بإثبات ما أثبت الله لنفسه ونفى ما نفي
الله عن نفسه .

و « توحيد الخاصة » قد ذكرنا في باب التوحيد ، وهو وجودُ عظمة وحدانية
الله تعالى ، وحقبة قُربِهِ بذهاب حس العبد وحركته تقيام الله تعالى له فيما أراد
منه ، قد حُكِيَ عن الشبلي ، رحمه الله أنه قال لرجل ، وقد جرى ذكرُ
التوحيد فقال : هذا نوحيدك أنت . قال : فأيشَ عندي غيرُ ذا ؟ فقال الشبلي ،
رحمه الله : توحيد الموحّد وهو أن يوحدك اللهُ به ، ويُفردك له ويُشهدك ذلك
ويغيبك به عما يُشهدك ، وهذا صفة توحيد الخاص .

و«التفريد» أفراد الممفرد برفع الحدث وإفراد القديم بوجود حقائق الفردانية، قال: بعضهم «الموحدون لله من المؤمنين كثير والمفردون من الموحدين قليل» قال: الحسين بن منصور، رحمه الله: في بعض ما تكلم به عند قتله: حسب لو وجد أفراد الواحد.

و«التجريد» ما تجرد القرب من شواهد الأنوهمية إذا صفا من كدورة البشرية، وقال: بعض الشيوخ وقد سئل عن التجريد، فقال: «إفراد الحق من كل ما تجرى وإسقاط العبد في كل ما يبدي».

و«التجريد» و«التفريد» و«التوحيد» ألفاظ مختلفة لمعان متنفدة وتصنيفها على مقدار حقائق الواجدين وإشاراتهم، قال: القائل.

حَقِيقَةُ الْحَقِّ حَقٌّ لَيْسَ يَعْرِفُهُ إِلَّا الْمُجَرَّدُ فَيَدْرِي حَقَّ تَجْرِيدِ

و«الهمم المفرد» و«السّر الجرد» بمعنى واحد، وهو همم العبد وسره إذا تجرد من جميع الأشغال وتجرد بمراقبة ذي الجلال فلا تعرضه خواطر قاطعة ولا عوالم من مصادره عن التوجه والإقبال والقرب والاتصال.

قال: الجنيد، رحمه الله: قال لي إبراهيم الأجرى: يا غلام لأن ترد بهنك إلى الله طرفة عين خير لك مما طامت عليه الشمس.

وقال الشبلي، رحمه الله لرجل: هوان الهمم في فضاء العدم، هوان ثم هوان وهمى هم هايم، و«المخادثة» وصف نهاية الصديقين، سئل: أبو بكر الصديق

أعلى حال نهاية الصديقين فقال: هو الطامع واخذت، وقال: من رأى الله عليه وسلم، فيما روى عنه «إن في أمتي مكفنون ومحدثون» أن الله رضي الله عنهم، قال: ١٨٥

وقال: سهل بن عبد الله، رحمه الله: خلق الله الخلق أسرارهم ويسارهم، قال: ١٨٦
الله عز وجل: خلقتكم لتساروني فإن لم تفعلوا فكلموني وحدثوني فإن لم تفعلوا ففاجبوني فإن لم تفعلوا فاسمعوا مني.

و«المناجاة» مخاطبة الأسرار عند صفاء الأذكار الملك الجبار، قال أبو عمرو بن عثمان سمعت أبا جعفر رحمه الله ليلة إلى الصباح يقول في مناجاته : إلهي وسيدى تريد أن تقطعني عنك بوصلك أو تريد أن تخدعني عنك بترك كهيئات قلت لأبي عمرو : ما معنى هيئات ؟ قال : التمكن .

و«المسورة» عتاب الأسرار عند خفي التذكار ، قال الروذباري :

سَكَرَتْ كَمَفْوِكَ صِبَا بِي أَشْجَانِهَا كَحَرَقِ الْمَوْسَى وَغَلِيْبِهَا نِيرَانِهَا

ومثل بعض المشايخ عن المسورة فقال : — تدامة طول العتاب مع صحة الكفر ، ورؤية القلوب هو نظر القلوب إلى ما تورث في الغيوب بأنوار اليقين عند حقائق الإيمان ، وهو على معنى ما نقل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين سئل : هل ترى ربنا ؟ فقال : وكيف نعبد من لم نره ، ثم قال : لم نره العيون يعني في الدنيا بكشف العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان ، قال الله تعالى : « مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى » (١) فثبت الرؤية بالقلب في الدنيا :

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أعبد الله كما نك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، و« لاسم » حروف جعلت لاستدلال المسمى بالتسمية على إثبات المسمى فإذا سقطت الحروف ، معناه لا يفصل عن المسمى .

حكى عن الشبلي رحمه الله أنه كان يقول : ليس مع الخلق منه إلا اسمه وكان يقول : تهت من يقول الاسم باستحقاقه قولاً ، وكان أبو الحسين النوري رحمه الله يستشهد في إشارته بهذا البيت :

إِذَا أُمَّ طِفْلٍ مَسَّ بِهَا جُوعٌ طَمَنِي

غَدَّ تَدُ بِاسْمِ الطِّفْلِ فَسَتَعَصِمَ الطِّفْلُ

وكان الشبلي رحمه الله يقول : أريد من قال لاسم وهو يتحقق ما يقول . وكان يقول : تهت الخليفة في العلم وتاه العلم في الاسم وته الاسم في الذات .

و «الرَّسْمُ» ما رُسِمَ به ظاهر الخلق برسم العلم ورسم الخلق فيمتحن بإظهار سلطان الحق عليه .

سئل الجنيد عن رجل غاب اسمه وذهب وصنه وامتحن رسومه فلا رسمه قال نعم عند مشاهدته قيام الحق له بنفسه لنفسه في منكبه ، فيكون ذلك معنى قوله : امتحن رسومه ، يعنى عِلْمُهُ وِفْعَلُهُ المضاف إليه بنظره إلى قيام الله له في قيامه . قال القائل :

رُسُومُ دَارِسَاتِ وَطَنِكَ

و «الوَسْمُ» ما وُصِمَ الله به الخلق في سابق حبه ، شيء كان له في سابقه عن ذلك أبداً ولا يتعلم على علم ذلك أحد . قال أحمد بن حنبل رحمه الله : يظهر الوسمان على القبولين والمطرودين لأنهم ممان يفران عن الأثر في الأزل .

و «لُورُوحٌ» و «الترويح» سُمِّيَتْ بِقِيَمِ قِيَمِ لُورُوحِ بِنِيعَةِ مَا حَمَّلَ مِنَ الرِّعَايَةِ بِحَسَنِ الْعَمَلِ ، قال يحيى بن عمار رحمه الله : من جنود الله يُرْسَدُ إلى قِيَمِ الْعَارِفِينَ حتى تُرَوِّحَ لُورُوحَهُمْ ، و «لُورُوحٌ» روح ولي الله في المقدس تشغله بولاه ، و «لُورُوحٌ» روح من جنود الله من دون حجب الرب معسكره ، و «لُورُوحٌ» روح من جنود الله من التراب .

و «النعته» الخبير النعتين عن أفعال مدعوته ، و «النعته» النعت والوصف بمعنى واحد إلا أن «الوصف» يكون تارة في الجملة فإذا وصف جمع وإذا فرغ .

و «الصفة» ما لا يتصل عن الوصف فلا يقال هو نوصف ولا هو نوصف . و «الذات» هي الشيء القائم بنفسه و «الاسم» و «النعته» و «الصفة» و «الذات»

يكون الاسم والنعته والصفة إلا لذى ذات ، ولا يكون ذو ذوات إلا مسمى منعوتاً
موصوفاً وذلك أن القادر اسمٌ من أسماء الله تعالى ، والقدرة صفة من صفات
الله تعالى ، والتقدير نعت من نعوت الله تعالى ، والمتكلم اسم من
أسماء الله عز وجل والكلام صفة من صفات الله تعالى ، والغفران نعت من
نعوت الله تعالى .

قال الواسطي : ليس مع الخالق منه إلا اسم أو نعت أو صفة ، والخالق محجوبون
بأسمائه عن نعوته وبنعوته عن صفاته وبصفاته عن ذاته ، فمتى ما ذكر العبد تدبيره
وأنصويره وفضله وطوله ذكر نعوته ونعته بنعوته وإذا ذكر علمه وقدرته وكلامه
ومشيئته ذكر صفاته ووصفه بصفاته وقال :

إِذَا طَلَعَتْ شَمْسٌ عَلَيْكَ بِنُورِهَا وَأَنْتَ خَاطِبٌ لِلشَّعْرِ الْمُبَاشِرِ
بَعِيدٌ مِنَ الذَّاتِ الْعَزِيزِ مَكَانِيًّا وَلَمْ تَعْرِ مِنْ نَعْتِ لِنَفْسِكَ قَاهِرِ

و «الحجاب» حائل يحول بين الشيء المطلوب المقصود وبين طائفة وقاصده .
كان سرى السقطي رحمه الله يقول : اللهم مهِّمنا عدتني بشيء فلا تعدني
بذلك الحجاب .

وقال محمد بن علي الكنتاني رحمه الله : رؤية الثواب حجاب عن الحجاب
ورؤية الحجاب حجاب عن الإعجاب ، معناه والله أعلم : أن رؤية العبد الثواب
لعبادته وذكر كره حجاب له عن الحجاب المنهني عنه ورؤيته للحجاب حجاب له
عن إعجابه بعلمه .

و «الدعوى» إضافة النفس إليها ما ليس لها ، قال سهل بن عبد الله : أغلظ حجاب
بين العبد وبين الله الدعوى ، وقال :

وَلَمَّا ادَّعَيْتُ أُحِبُّ قَالَتْ كَذَّبْتَنِي فَإِلَى أَرَى الْأَعْضَاءَ مِنْكَ كَوَاسِيَا
وكان أبو عمرو الزجاجي رحمه الله يقول : من ليس له دعوى فليس فيه معنى

وكان يعنى بذلك أن تُضَيِّف النفس إليها من الطاعات التي ليست من أخلاقها وتكون معها بيئنة لما تدعى ، و «الاختيار» إشارة إلى ما يختار الله للعبد ، ويختار العبد ذلك بعنايه الله له ، حتى يختار باختيار الله له لا باختيار نفسه .

قال يحيى بن معاذ رحمه الله : ما دام العبد يتعرف يقال له : لا تختر فإنك لست بأمين في اختيارك حتى تعرف فإذا عرف يقال له : إن شئت فاختتر وإن شئت فلا تختر ، فإنك إن اخترت فبما اخترت وإن تركت اختيارك فباختيارنا تركت : فأنت بنا فيما تختار وفيما لا تختار .

و «الاختبار» : إمتحان الحق للصادقين ، أيعمر بذلك منازل مخصوصين . ويستخرج بامتحانه لهم منهم صدقهم ، إثباتاً لحجته على المؤمنين ، ويذهب بهم المريدون .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أخبر نقابة» يعنى من شئت وامتحنته حتى تقبلوا عند استخراجه بالامتحان صدقاً من خلق الله هو فيه .

و «البلاء» : ظهور إمتحان الحق للمبطلين في حقيقة حاله لا بتلاوه دعواته بل به من التعذيب .

قال : أبو محمد الجريري رحمه الله الإنسان حيث كان بلائاً .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «كفى معاشراً لأهل النار» الناس بلاء ، الحديث ، وقال مضمونه في البلاء .

دائرات البلاء على تدور
 ما أرى للبلا بلاء سوى
 فأنا محنة البلاء وبلائي
 يا بلائي على البلا لا تعدى
 يا معين البلاء على أعينى
 كالماء على من لا يذوق
 بلائى من البلاء كالماء
 حاضن البلاء كغيره ضيق
 فمن يدرك البلاء رحمه الله
 في البلاء ، فالبلاء كالماء

و «اللسان» معناه : البيان عن علم الحقائق .

كتب أبو الحسين النوري رحمه الله إلى أئمة كرامنا ، فقال فيه : يا سيدي لك في

علم البلاء لسان ، وفي علم بلاء البلاء سنان — يعني بيان عن علمه —

وسئل الشيباني رحمه الله عن الفرق بين لسان العلم ولسان الحقيقة فقال : لسان

علم ما تَدَى إلينا بواسطة ، ولسان الحقيقة ما تَدَى إلينا بلا واسطة .

فَقِيلَ لَهُ : وَلسان الحق ما هو ؟

قَالَ : مَا لَيْسَ لِلخَلْقِ إِلَيْهِ طَرِيقٌ — يريد به إذا قال : اللسان ، يعني بيان علمه

والكشف عند البعدارة —

و «السِّرُّ» : خفاء بين العلم والوجود موجود في معناه .

وقد قيل : السِّرُّ ما غيَّبَهُ الحق ولم يُشْرِفْ عليه الخلق ، وسِرُّ الخلق ما أُشْرِفَ

عليه الحق بلا واسطة ، وسِرُّ الحق ما يطعم عليه إلا الحق ، « وسِرُّ السِّرِّ »

ما لا يحس به السِّرُّ ، فإن أحسَّ به فلا يقال له : سِرٌّ

قال سهل بن عبد الله رحمه الله : للنفس سرٌّ ما أشاعها الحق إلا على لسان فرعون

عقوب : « رَبُّكَ الْأَعْلَى ، وقال القائل :

سِرٌّ سِرٌّ يَدُقُّ حَتَّى يَخْفَى عَلَى وَهْمِ كُلِّ حَى

وظاهر باطن تجلِّي من كلِّ شَيْءٍ نَكَلٌ شَيْءٌ

و «العقد» عقدُ السِّرِّ ، وهو ما يعتقد العبدُ بقلبه بينه وبين الله تعالى أن يفعل كذا

أو لا يفعل كذا .

قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ (١) »

وقيل الحكيم : سمَّ عرفت الله تعالى ؟ فقال : بحل العقود وفسخ العزائم .

وقال محمد بن يعقوب الفرجي فيما حكى عنه : منذ ثلاثين سنة ما عقدت بيني

وبين الله عز وجل عقداً مخافة أن يفسخ عليّ ذلك فيكذبني على لساني .

ويقال : إن الفرق بين الخاص والعام : أن العامة من المؤمنين قد أوجب الله عليهم الوفاء إذا عهدوا بالسنتهم عهداً ، والخاص : قد أوجب الله عليهم الوفاء إذا عقدوا بقلوبهم عهداً ، و«الهم» إشارة إلى جميع الهموم فيجعلها همماً واحداً .

قال أبو سعيد الخراز رحمه الله : اجمع همك بين يدي الله تعالى .

وذكر عن بعضهم أنه قال : ينبغي للعبد أن يكون همه تحت قدمه ، يعني لا يهتم

بحال ماض ولا بحال مستقبل ، ويكون مع وقته في وقته .

و«اللحظ» : إشارة إلى ملاحظة أبصار القلوب لما يروح لها من زوائد اليقين

آمن به في العيون .

قال الروذباري .

لاحظته فرآني في ملاحظتي

وصادفت همتي لطن الخفي

فلا إلى أحد همي ولا فطني

الله يعلم أني لست أذكره

فعبت عن رؤيتي مني بعدد

تمكنت من كائن دون مشاه

ولا إلى رحمة أسوء أسوء

وكيف إذ لمه يثبت أسوء

و«المحو» : ذهاب الشيء ، إذا لم يبق له أثر ، وإياها في قوله فيكون محو

قال النوري رحمه الله : الخاص والعامة في قيمس العبد لله ، لا من كونه

رفع جذبهم الحق ومحاهم عن نفوسهم في حرركاتهم وأشتمهم عند الله .

قال الله تعالى : «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُكَيِّمُ» (١)

يعنى قوله : جذبهم الحق : يعنى جمعهم بين يديه ، ويشتمهم

عن رؤيتهم نفوسهم في حرركاتهم وأشتمهم عند الله ، وإياها في قوله في

أفعالهم وحرركاتهم .

و«المحق» : يعنى المحو ، إلا أن المحق إنما لا يمحى من

قال رجل للشبلي رحمه الله : مالي أراك قلتياً أليس هو معك وأنت معه ؟ فقال
الشبلي رحمه الله : لو كنت أنا معه فاتني ، واكنى محو فيما هو .
يعني : ليس مني شيء ، ولا بي شيء ، ولا عنى شيء ، والكل منه ، وبه ، وبه
كقول القائل :

كلُّه وبه ومنه فأين لي شيء فأوتره فطاح لسانها
و « الأثر » : علامة لباقي شيء قد زال .

قال بعضهم : من منع من النظر استأنس بالأثر ، ومن عدم الأثر تعطل بالذكور .
قال القائل :

ما عندي لكم أثر ولم أسمع لكم خبر
ويقال : إنه وجد على قصر لبعض الملوك مكتوب .

إن آثاره تدلُّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

وقال الخوص رحمه الله : في معنى الأثر ، وسئل عن توحيد الخالص فقال :
التفريد لله عز وجل في كل الأشياء بالإعراض عما يلحق بقومهم من آثار
الأشياء ، وقال :

لو أن دونك بحر الصين معترضا لحذت ذلك سرايا ذهب الأثر
و « الكون » : اسم مجمل لجميع ما كونه تكون بين الكاف والنون .
و « البون » معناه البينونة .

و « الكون والبون » : معناهما في علم التوحيد : ما قال الخليل رحمه الله في جواب
مسألة في التوحيد يصف الموحدين فقال : كانوا بلا كون وبنوا بلا بون .
معناه : أن الموحدين يكونون في الأشياء كأنهم لا يكونون ، ويبينون عن الأشياء
كأنهم لا يبينون ، لأن كونهم في الأشياء بأشخاصهم وبنوهم عن الأشياء بأسرارهم
فهذا معنى الكون والبون قال :

تقدّم في تبه التوحيد وحده
وغاب بعز منك حين طلبته

ظهرت لمن أثبتته بعد بونه . فكان بلا كون كأنك كنته
والوصل : معناه لحوق الغائب .

قال يحيى بن معاذ رحمه الله : من لم يعم عينيه عن النظر إلى ما تحت العرش ،
يصل إلى ما فوق العرش .

يعنى : لم يلحق ما فاته من مراقبة الذى خاق العرش .

وقال الشبلى رحمه الله : من زعم أنه واصل فليس له حاصل .

وقال بعضهم : إنما حرّموا الوصول لتضييع الأصويل . وقال :

وَوَصَلَكُمْ هَجْرٌ وَوَدَّ كَلِمًا قَلِيلًا
وَقَرَّبَكُمْ بَعْدَ وَسِيكِكُمْ حَرْبًا

و «الفصل» : فوت الشيء لمرجوه من محبوب .

ذاكر عن بعض الشيوخ : أنه كان يقول : من زعم أن الله وحده فاستغنى (١)

أنه قد انفصل . وقال آخر : فراح اتصال مزود بك لا يصل . وقد قيل :

فلا وصل ولا انفصال ولا اتصال ولا قطع

« والأصل » : هو الشيء . لمن يكون له أصل فهو أصل .

و « الأصويل » : أصل من أصل . ومن أصل من أصل .

والصدق والإحسان .

و « القرية » : هي قرية من أصل . ومن أصل من أصل .

فالأصل : هي القرية التي هي أصل . ومن أصل من أصل .

إلى الأصول . والأصل : هو أصل . ومن أصل من أصل .

زيادتها بزيادة الحديث ، والأصل : هو أصل . ومن أصل من أصل .

هذه الأصول وفروعها . وهي مسوقة باسم « الأصول » .

قال عمرو بن عثمان المكي ، رحمه الله . إن أصل الأصول هو أصل .

التقصير . وهو الحجة بالأصل . بعد الإتيان ، وزيادة الأصول .

(١) قوله فاستغنى . هكذا في الأصل ولعل الصدوق قد استغنى .

وقال بعض العلماء : ما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو الأصل ، وما تزايد عن ذلك الأصل فهو فرع مردود إلى الأصل .
و « الشمس » محسوس البين عن الشيء البين .
وقال ابن زيد رحمه الله في رسالته إلى أبي بكر الكسائي : وأنت في سبيل منة
ونجود منة .

قال الله تعالى : فَإِذَا النُّجُومُ طَمَسَتْ (١) ، يعني ذهب ضوءها .
وقال عمرو المكي رحمه الله : وإياك لا تصل إلى حقيقة الحق حتى تسلك تلك
الطرق المأمورة . يعني : أنزل تلك الأحوال التي لم ينزلها أحد غيرك ، وقد
ذهب ضوءها .

و « الشمس » و « الشمس » : يعني لدفن ، ويقال للمقبرة : الدِّيَمَس .
قال ابن زيد رحمه الله ، في رسالته إلى يحيى بن معاذ رحمه الله : ثم أدمس شاهدته
في دمس الأدمس ، وأرمس مرمسه في غيب غفر الأرمس ، وأخفي في إخفائه
عن إخفته ، ثم قطع النسب عن الإشارة إليه وعن الإيماء بما تردد له منه به .
وهذه إشارة إلى حقيقة التوحيد بذهب الخلق فيما كان ، كأنه لم يكن .
وقال سبيل رحمه الله : إذا دفنت نفسك تحت الثرى وصل قلبك فوق العرش
يعني : إذا خائفتها وفرقتها .

و « القسم » : الكسر .

حكى عن أبي بكر الزقاق رحمه الله : أنه قال : لو أن المعصية كانت شيئاً اخترته
لنفسى ما اخترتني ذلك ، لأن ذلك يشبهني ، وإنما أقسم ظهري حين سبق لي منه ذلك .
وقال الواسطي : ظهرت الأمور كلها في حقائقها على الدهور ، فمن شاهدها بشاهد
تقديم القسم مقبلته لذلك .

و « السبب » : الواسطة .

(١) المرسلات : ٨

والأسباب والوسائط التي بين الخلق وبين الله تعالى .

قال أحمد بن عطاء رحمه الله : من شهد صنعَ المسبَّب في السبب أو صدقته هدة صنعَ المسبَّب إلى السبب ؛ لأن من شيد السبب امتلأ قلبه من زينة الأسباب . ومن عرف الأسباب الشغلة عن الطاعات انقطع عنها واتصل بالأسباب الشرعية إلى صالح الأعمال .

ولأبي عليّ الروذباري رحمه الله :

من لم يكن بك قائماً عن حبه
أو تيمته صبابة جمت له
فمكانته بين المراتب واقف
وعن الهوى والأنس بالأحباب
ما كان مفترقاً من الأسباب
بما كان حظ أو حسن

و «النسبة» : الحال الذي يتعرف به صاحبه ، بمعنى : نسبة العبد لله تعالى .

قال جعفر الطيار لولاي رحمه الله : النسبة سبتان : نسبة الخلق إلى الحق ، وإذا غابت الخليفة ظهرت الحقيقة ، وإذا ظهرت الخليفة غابت الحق . وسئل التمام عن الغريب قتل : الذي ليس له في العلم سبب . وقال النوري رحمه الله : كل رأيت العيون أسب إلى العلم . سب إلى اليقين .

فذلك قلنا : معنى النسبة الاعتراف .

وقال عمرو بن عثمان رحمه الله : صنفاً الكسوف الأكبر من الكسوف الأصغر . رؤية ولا متجلياً في نسبة ، يعني في الاعتراف .

وفلان «صاحبُ قلب» معناه : أن ليس له قلب ، معناه : الذي قد اجتمع في قلبه .

حكي عن أبي حمزة رحمه الله أنه كان يقول : أهان من أهان الله عز وجل . و «ربُّ حال» معناه : أنه مربوط بحال من الأفعال التي هي في حاله .

والخوف والرجاء والشوق وغير ذلك ، فإذا كان الأغلب على العبد حال من هذه الأحوال يقال له : ربُّ حال .

و «صاحب مقام» معناه : أن يكون مقبلاً في مقام من مقامات الصالحين ، مثل التوبة ، والورع ، والزهد ، والصبر ، وغير ذلك ، فإذا عُرف بالمقام في شيء ، من ذلك يقال له : صاحب مقام .

حكى عن الجنيد رحمه الله أنه قال : لا يبلغ العبد إلى حقيقة المعرفة وصدق التوحيد حتى يعبر الأحوال والمقامات .

وذكر عن بعض المشايخ أنه قال : وقتتُ على الشبلي ، رحمه الله ، غير مرة ، رأيتُ تكلم إلا في الأحوال والمقامات .

و «فلان بلا نفس» معناه : أنه لا تظهر عليه أخلاق النفس ، لأن من أخلاق النفس الحسد ، والحدة ، والتكبر ، والشَّرُّ ، والطمع ، والحسد ، فإذا كان عبد قد سلم من هذه الآفات وما شاكل ذلك يقال له : بلا نفس ، يعني كونه بلا نفس .

قال أبو سعيد الخزاز رحمه الله : عبد رجع إلى الله عز وجل فتعلق بالله وركب في فريب الله ، قد نسي نفسه وما سوى الله تعالى ، فهو قلت له : من أنت ؟ وبلى أين أنت ؟ لم يكن له جواب غير أن يقول : الله ، لأنه لا يعرف سوى الله تعالى ، لما قد وجد في قلبه من التعظيم لله عز وجل .

و «فلان صاحبُ إشرارة» معناه : أن يكون كلامه مشتتاً على اللطائف والإشارات ، وعنده معرفة .

عن الرودباري :

فإن تحقق صفو الوجد مشتتياً على إشارات لا يباوى على أحد

وأما قول القائل : أنا بلا أن ، ونحن بلا نحن . يعني بذلك تخليته من أفعاله

في أفعاله .

سئل أبو سعيد الخزاز ، رحمه الله عن معنى قوله : « وَمَا بِكُمْ مِنْ بَعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ » .

قال : أحلامهم من أفعالهم في أقوالهم .

وأما قول القائل لصاحبه : أنا أنت وأنت أنا ، فمعناه : معنى الإشارة إلى

ما أشار إليه الشبلي ، رحمه الله : حيث قال في مجلسه : يا قوم هذا مجنونٌ بي عامرٌ

كان إذا سئل عن ليلى ، فكان يقول : أنا ليلى ، فكان يغيب بيده عن عين

حتى يفتي بمشهد ليلى ، ويُغيبه عن كل معنى سوى ليلى ويشبه الأثر في الكلام

بليلي ، فكيف يدعى من يدعى محبوبته ، وهو صبيح مسكين يرجع من مسافر

ومألوفه وحظوظه ؛ فبهتت لي له ذات ، وما يدور في ذمته ، وما يدور في

صفته من أوصافه ؟ ! (١) ثم إنَّ غرور المعجزة الذي روي في

قال الشبلي ، رحمه الله : إنَّ بنجر بن بكره من بني النجار ، فسافر في

وغرق ، وأتى الآخر فمسأه في وجهه ، فمسأه الآخر ، فمسأه

فقال لأول صاحبه : يا بني ، أنت الذي غرق في البحر ، فقلت

في البحر ، فقلت يا بني ، أنت الذي غرق في البحر ، فقلت

وقال بظهوره : يا بني ، أنت الذي غرق في البحر ، فقلت

سئني وشبلي من سئني وشبلي من سئني وشبلي من سئني وشبلي من سئني

فقال له الشبلي ، رحمه الله : يا بني ، أنت الذي غرق في البحر ، فقلت

يا بني ، أنت الذي غرق في البحر ، فقلت يا بني ، أنت الذي غرق في البحر ، فقلت

وقال بظهوره :

يا كبرياء ، ما لك من سئني وشبلي من سئني وشبلي من سئني وشبلي من سئني

فأفك يا كبرياء ، ففك يا كبرياء ، ففك يا كبرياء ، ففك يا كبرياء ، ففك يا كبرياء

(١) قوله : معيار . لعل الصواب أن يقال : وما أنت إلا

وقال بعضهم :

أَلَمْ يَكُنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا فَإِذَا أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَنَا
تَعْنِي رُوحَانِ مَعًا فِي جَسَدٍ أَلْبَسَ اللَّهُ عَلَيْنَا الْبَدَانَا

وقال سيره :

مَنْ مَنِيَّةً الْمَتَمَنِي أَفْنَيْتَنِي بِكَ عَنِّي
أَدْنَيْتَنِي مِنْكَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَنِّي

وهذه مخاطبة مخلوق لمخلوق في هواء ، فكيف لمن ادعى محبة من هو أقرب

منه من حبس الوريد ؟!

وأما قول القائل : « هو بلا هو » : فهي إشارة إلى تفريد التوحيد ، كأنه يقول :

هو بلا هو ، القائل : هو ، ولا كتابة الكاتب ، هو ، وهو بلا ظهور هذين الحرفين :

يعني هو ، أو ، بمعنى : هو .

قال الجنيد ، رحمه الله : في وصف التوحيد ، فقال : حُكْمُهَا عَلَى جَرَّتْ

عَلَيْهَا جَرَّتْ ، وساطعها على كل حق عال ، ظهرت فقهرت ، وخفيت فاستقرت .

وعصاها فغالت ، هي هي بلا هي ، تُبَدِي فُتَيْدُ مِي بَدَتْ عَلَيْهِ وَتُفْسِي مَا أَشَارَتْ
إِلَيْهِ ، شَرِيهَا بَعِيدٌ ، وَبَعِيدُهَا قَرِيبٌ ، وَقَرِيبُهَا مُرِيبٌ .

وقد أشار الجنيد ، رحمه الله : إلى معنى ما ذكرت ، والله أعلم .

وأما « قطع العلائق » فمعنى العلائق : الأسباب التي قد علق على العبد وشغله

بذلك حتى قطعها عن الله تعالى .

فإن من بعيد الخراب ، رحمه الله : أهل التوحيد قطعوا منه العلائق ، وهجروا

فيها كل ما كان ، وخلصوا لراحات ، وتوحشوا من كل ما نوس ، واستوحشوا من

كل ما حشوا .

و «بادى بلا بادی» : يريد بذلك ما يمدو على قلوب أهل المعرفة من الأحوال والأنوار وصفاء الأذكار ، فإذا قال : «البادى» أشار إلى ذلك ، فإذا قال : «بلا بادی» أشار إلى أن البادى مُبَدَى ، وهو مُبَدَى هذه البوادى على القرب .
 قال الله تعالى : «إِنَّهُ شَوَّيْبِدَى وَ عِيد (١)» فإذا شاهد الحال لدى آبدآبه هو المبدى ، فقل : بادى وأثبتته ، وإذا شاهد المبدى لدى هذه البوادى يقول بلا بادی .

قال الخواص ، رحمه الله ، في كتب معرفة المعرفة : لحق بذا ، بلا بادی ، ولا بادی ، من حيث ، لا بادی ، لأن البادى كفى كل بادی ، من حيث البادى ، فلا بادی ، وهو بادی ، من حيث لا بادی ، ولا بادی ، من قرب مشهدة الحق منهم .

و «التجلى» : التماس ، والتشبه بالصدقين ، بالأحوال ، وإدراك الأحوال .

رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «س لايمان ، تعين» .
 وإن كان ما عقر في القلب وصدقته الأعمال .

وقال بعضهم :

مَنْ تَجَلَّى بِغَيْرِ مَا هُوَ فِيهِ أَفْطَحَتْهُ شِدَاهُ لَامَتُهُ

و «النسجلى» : إشراق أنوار إقبال الحق على قلوب القوم .

وقال النورى ، رحمه الله : ترى نخاقه بنقاد ، وانسجلى بنقاد .

وقال الماسطى ، رحمه الله : في قوله تعالى : «وَأَنْتَ

تعين أهل الحق على تقدير الفناء ، وتزيد ما لا يفسد .

وقال النورى رحمه الله : بنقاد بنقاد ، بنقاد بنقاد .

وسمجت .

(٣) التماس : ٩

(١) البروج : ١٣

وقال بعضهم :

قَدْ تَجَلَّى قَلْبِي مِنْهُ نُورٌ فَاسْتَضَاءَتْ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ
 و«التخلى» : هو الإعراض عن العوارض المشغلة ، بالظاهر والباطن ، وهو اختيار
 الخوة ، وإيثار العزلة ، وملازمة الوحدة .

قال أجيبد ، رحمه الله : القلوب المحفوظة لا يعرضها ونبيها ، لمجانبة محادثة
 غيره ، فثبت مندها ، ونظراً منه لها ، وإبقاء عليها ، ليخلص لهم ما أصفاهم به
 وما جمعهم له ، وما عاد به عليهم .

وعنده بعض حقايق من أراد الله للخوة به ، وجمعه الأوس ، وحال بينه وبين
 ما يكره له .

وعن يونس بن الحسن ، رحمه الله : في معنى التخلي قال : هو العزلة ، لأنه لم
 يتوكل على نفسه ولا على غيره ، فاعتزل من نفسه إلى ربه .

وقال بعضهم :

بِشَيْءٍ كُنْتُ وَبِشَيْءٍ كُنْتُ لَا يَكْدُ أَنْ يَكْخِي
 و«كدي» : كناية عن بعض ما يمكن فكاره .

حكى ابن كثير ، رحمه الله : أن كان يقول في صفة الخلق : إن الله كاشفهم
 وأبصرهم .

وقال ذو القرنين القرظي رحمه الله : علق كل شيء : صنعه ، ولا علة لصنعه ،
 بعده ، والله أعلم ، أن وجود المصنوع في كل شيء ، مصنوع كائن ، لأنه لم يكن
 فممكن ، وليس في صنعه إلا مع مصنوعته علة :

وقال بعضهم :

بِشَيْءٍ رَيْنَ السَّقْمِ مِ وَأَنْ كُنْتُ عَيْتِي

و«الأزل» : منه معنى التبريد ، لأن القديم يسمى به غير الهري ، ويقال :

بعت صفاته ؛ لأن الصفات كائنة التغيير ، وهي متغيرة إذا لم تتغير لأنها إذا لم تتغير فقد تُفسِّر عن الحال الذي جُبلت عليه .

قال بعضهم ، وهو الشبلي :

تَسْرَمُ مَدْرَ وَقْتِي فِيكَ وَهِيَ مَسْرَمَةٌ وَأَفْنَيْتَنِي عَنِّي فَصِرْتُ مُجْرَدًا

«بجري بلا شاطيء» وقول القائل : بجري بلا شاطيء ، معناه أيضا قريب من

المعنى الذي ذكره في الوقت المسرمد ، وهذه لفظة قد حُكيت عن الشبلي رحمه

الله تعالى أنه قال - يوماً في مجلسه في عقيب كلام جرى له - قال : أنتم أوقاتكم

مقطوعة ، ووقتي ليس له طرفان ، وبجري بلا شاطيء ، يعني بذلك أن الحال التي

حسنى الله تعالى به من التعظيم لله وخالص الذكر له ، والاقطاع إليه ، لا نهاية

له ولا القطاع به والشيء إذا لم تكن له نهاية ولا غاية ، فلا يُعْتَبَرُ عند با أكثر

من ذات .

قال : الله عز وجل : «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَنُكَلِّمَاتِ رَبِّي لَنَفِذَ

الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَادًا» (١) لم يجعل لها غاية

لأن الموصوف بها ليس له نهاية .

وقال بعضهم : من عرف الله أحبه ، ومن أحبه غرق في بحر الله .

وقال آخر :

لَوْ أَنَّ دُونَكَ بَحْرَ الصِّينِ مُعْتَرِضًا نَحَلْتُ ذَاكَ سَرَابًا ذَاهِبَ الْأَثْرِ

وقول القائل : «نحن مسيروون» يريد بذلك تسيير القلوب وسيرها عند انتقالها

من حال إلى حال ، ومن مقيم إلى مقام .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : الزاهد سيار ، والعارف طيار ؛ يعني في سرعة

الانتقال في المقامات والأحوال عند الزوائد وطرف النوائد :

قال بعضهم ، وهو الشبلي :

نَسْتُ مِنْ جَمَلَةِ الْمُحِبِّينَ إِنْ لَمْ أَجْعَلِ الْقَلْبَ بَيْتَهُ وَالْمَقَامَا
وَطَرَانِي إِخَالَهُ السَّيْرَ فِيهِ وَهُورُ كَفِي إِذَا رَدَّتْ أَسْتَلَامَا
يريد بذلك : سير القلوب .

و «التأوين» معناه : التأوين العبد في أحواله ، قل قوم : علامة الحقيقة التأوين ؛
لأن التأوين ظهور قدرة القادر ويكتسب منه العبرة ، ومعنى التأوين : معنى التمييز .
فمن أشار إلى تأوين القلوب وتغير الأحمال فقل : علامة الحقيقة رفع التأوين .
ومن أشار إلى تأوين القلوب والأسرار الخاصة لله تعالى في مشيقاتهم وما يرد
عليهم : من التعظيم والهيبة وغير ذلك من تأوين الوردات فقل : علامة الحقيقة
التأوين ؛ لأنهم في كل سير مع الله تعالى في زيادة من تأوين الوردات على ما يرد
وأما تأوين الصلوات فهو كما قال القائل :

كُلُّ يَوْمٍ تَتَوَلَّى غَيْرُ عِنْدَ بَيْتِ اجْسَالِ

قال الواحشي : رحمه الله : من تخلق
ولبعضهم هذا البيتان في صفة المسيرين :

زَجَرَتْ فَوَادِي فَلَمْ يَنْزِجِرْ وَيَدَابُ شَيْءٌ وَسَمُّ نَجِرِ
يسيرُ إِلَى الْحَقِّ مُسْتَظْهِرًا وَإِنِّي أَعْيِدُ تَتَبَّقُ نَجَا

« وبذل المبيح » معناه : بذاك مجبور استطاع العبد من تارة تارة

إلى الله تعالى وإشارته لله عز وجل على جميع خلقه .

قال : الواحشي رحمه الله : من تأوين الصلوات على ما يرد

الاستراحة فيه قائم ، فلا يتخذ في اتجاهه .

قال القائل :

لَا مَبِيحَ لِدَالِ وَالْمَبِيحُ أَنْ يَسْطُرَ فِي سَبِيلِ

ومعنى «المُهِج» : جميع المحبوبات إليك ، من النفس ، والمال ، والولد .
 و«تُتَف» معناه : معنى الخُتْف ، والخُتْف والناب : ما يُنبتُ من الملائكة في حينه .
 وقد حكى عن أبى حمزة الصوفى أنه قال : وقعتُ في ثرا فطمتُ رأسيها ،
 فأيستُ من نفسى وسامتُ لأمرى إلى الله تعالى واستسلمتُ ، فإذا بسبعٍ قد نزل البئر
 فتعلقتُ برجله وأخرجنى من البئر ، فسمعتُ هاتقاً يقول : يا حمزة هذا حسنٌ ،
 حينئذٍ من الخُتْف ، فقال أبيتاً وفيها هذان البيتان :

أرى منى من عيشته نك وحشة فتمتُ نسي بالاعتك منك وباعطف
 وكثير محير أنت في نسب حنك وقد عجب : ككون حيد مع الخُتْف
 فله يبرجى رحمة الله من كثف على التوحيد يشع من شوقه ذلك به
 فلم تغرور في جهوى من الخُتف .

و«تاج» : تاج الخُتف منى الله تعالى بسدى الخُتف ورجو .
 فله يبرجى رحمة الله من كثف في معنى الآقرون ، حراً لا عند الموت ،
 يتسكف الخُتف من دور الموت .

فله يبرجى رحمة الله من كثف : تاج الخُتف منى الله تعالى بسدى الخُتف ورجو .
 فله يبرجى رحمة الله من كثف في معنى الآقرون ، حراً لا عند الموت ،
 يتسكف الخُتف من دور الموت .

فله يبرجى رحمة الله من كثف : تاج الخُتف منى الله تعالى بسدى الخُتف ورجو .
 فله يبرجى رحمة الله من كثف في معنى الآقرون ، حراً لا عند الموت ،
 يتسكف الخُتف من دور الموت .

فله يبرجى رحمة الله من كثف : تاج الخُتف منى الله تعالى بسدى الخُتف ورجو .
 فله يبرجى رحمة الله من كثف في معنى الآقرون ، حراً لا عند الموت ،
 يتسكف الخُتف من دور الموت .

وقد قيل لبعض المشايخ، أظنه إبراهيم الخواص رحمه الله أصحابك يقولون : نحن نأخذ من الله إذا أخذنا ، ولانراهم إلا يأخذون من الناس ، فقال : من ذا الذي يُزجج قلوب الناس حتى يعطوهم من غير أن يطلبوا منهم شيئاً ويسألوهم ؟
 و « جذب الأرواح » .

فألا جذب الأرواح وسُدُّوا القرب ومشاهدة الأسرار والمصلحة وخطبة وهم يشاكل ذلك ، فإن أكثر ذلك عبارات تُعبر عن التوفيق والعناية ، وما يبدو على القلوب من أنوار الهداية على مقدار قرب الرجل وبعده وصدقته وحسنه في مجده .
 قال أبو سعيد الخراساني رحمه الله تعالى جذب أرواح أوليائه أيدهم ولذمه بذكره في دعواتهم إلى قربه ، وتجل لأبدانهم التمدد بكل شيء . . . فعيش أوليائه عيش الخيوسين ، وعيش أوليائه عيش الرغائبين .

وقال الرازي رحمه الله : إنما شهدهم الطائفة التي هي حبات من نور في الدنيا .
 وقال : إذا جذب لأرواح عن الأشباح ، كانت أشباحهم من نور .
 لأنه حجبه بشرط العقول ، ويسبب أن يشاهد شيء من نور .
 « قال بعض الحكماء » (١)

و « الرط » : منية وبنية شوقه من حسن .
 ويقال : فلان هو الرط في وطاه ويعمل في طاه .
 قال القائل :

ترجحت يا بني ويا أباي في طريقتي
 وقال ذو النون رحمه الله :
 ندمت وما ماتت إيماناً مني
 مناهي مني كل مني أتت مني
 وقيل لحسان : أي من طاه أسبب تسامحك والله خير فريد

(١) يونس ٥٧ ونفس الآية : قال بعض الحكماء : من نور فليحبه .
 ما يجمعون :

فقال : أحبُّ المواطن إلى صاحبه : موطن إذا دعا فيه أو طارده أجابته ، والموطن
وطن العبد حيث انتهى به الحال واستقر به القرار .

ويقال : قد تورطن في حال كذا ومقام كذا .

قال الجنيد رحمه الله في كلامه : إن الله عباداً على وطلقات مطيِّحاً لا يركبون
وبالسرعة والبدار إليه يستبقون .
وقال النوري رحمه الله :

أما ترى كَمَيْبِي شَرَدَنِي عَنْ وَطَنِي
إِذَا تَعَيَّبْتُ بَدَا وَإِنْ بَدَا غَيْبِي
يَقُولُ لَا تَشْهَدُ مَا تَشْهَدُ أَوْ تَشْهَدُنِي

وذلك أبو سليمان الداراني رحمه الله : الإيمان أفضل من اليقين ، لأن الإيمان
وطقات واليقين خطرات .

وبما وصف قدر ما شهد من يقينه ، ووصف نفسه بذلك ، وأراد بذلك غرْبته
عنده ، لأن اليقين صفاء العلم في القلب واستقراره فيه ، والناس فيه متفاوتون .
و « الشرود » بفتح الصاد من منازل الحقائق وملازمة الحقوق .

قال ابن الأعرابي رحمه الله : أو ما تراهم مشردين ، في كل وادٍ يهبون ، والكل
بارق يتبعون ؟ ! .

قال الواسطي : غذاهم بتربية الأحوال ، ونعمهم بالملاحظة لهم في الأعمال .
يحب على المرء أن يكون في صدق الثقة واللجأ في أيام حياته ، لئلا يرد عليه
ذلك الشرود ، فيحس بذن الشرود ، ويطلب من كل أحد عوناً بدعاه وبكلمه ،
ولو كانت صحة الوجد في الأوقات مصحوبه ، ما أصابه ذلك الشرود .

و « القصود » : معناه : الإرادات والنيات الصادقة ، المقروية بالنهوض إليه .

حكى عن أحمد بن عطاء رحمه الله أنه قال : من قصد في قصوده غير الحق فقد عظمت استهانتة بالحق .

وقال الواسطي رحمه الله : خواطر القصود ، جعود للمعبود ، وكيف يشهد القصود من هو في معاني المقصود ؟ معناه : أن من يشاهد المقصود في قصده سقط عنه رؤية قصده في قصده .

و « الاصطناع » : مرتبة تخص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والمديقون .
وقال قوم : الاصطناع خص به موسى من جميع الأنبياء عليهم السلام قوله :
« وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي » (١)

وقال قوم : معنى مرتبة الأنبياء عليهم السلام دون غيره .
قال أبو سعيد الخراز رحمه الله : أول باب من الحق قد أحاط بهم في أنفسهم وكنات أنفسهم في أنفسهم ، واصطنعهم لنفسه ، وهذا أول دخول في التوحيد من حيث ظهور التوحيد بالذاتومية .

وسئل بعضهم عن قوله جل جلاله : « وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي » ، قالوا : اصطنعني عيني . (٢) فقال : ما جنوني ولا ولي من محنته ، ولا سب أحدا من مشركي ولا مني .
و « الاصطناع » معناه : الاجتباء في سابق العزم ، وهو اسم مشتق . قال أبو سعيد :
« وَاجْتَبَيْتَنَاهُمْ وَكَدَيْتَنَاهُمْ » (٣) ، وقال الله تعالى « اللَّهُ يَخْتِصُّ مَنِ اسْتَبَاهُ » (٤)
و « مِنَ النَّاسِ » (٤)

وقال الواسطي رحمه الله : ابتدأت بنفسه ، واصطنع نفسه ، وحسنت إخطار نفسه فيما بدأت ، فإن فالله تعالى من الهداية .

(١) طه : ٤١

(٢) طه : ٣٩

(٣) الأنعام : ٨٧

(٤) الحج : ٧٥

و«المسوخ» : معناه مسح القلوب ، وذلك المطر ودين من الباب ، كانت لهم قلوب متوجهة فمسخت بالإعراض عنها ، وجعلت توجهها إلى الحظوظ دون الحق ، فإذا قال القائل : فلان قد مسخ به معناه : أي أعرض بقلبه .

و«اللطيفة» : إشارة توضح في الفهم وتلهم في الذهن ، ولا تسعها العبارة لثقل معناها قال أبو سعيد ابن الأعرابي ، رحمه : الحق : يريدك بلطفة من لدنك تدرك بها ما يريد بك إدراكه .

وقال أبو حمزة الصوفي ، رحمه الله :

تألمنت في أمري فأبدت شهدي إلى غائبى والظن يدرك بالظن

و«لامتحن» : امتلا ، من الحق يحل بالقلب المتبالة على الله تعالى ، و«مختم» :

تتم وتشتت .

سكى عن خير المساج رحمه الله أنه قال : دخلت بعض المساجد ، فتعقبتى

شبه من آسمان فقال لي : يسيخ ، تعطف على فإن محنتى عظيمة . فقلت : وما ذلك ؟ فقال : ففقدت الهلا ، وقدرت بالعافية ، وأنت تعلم أن هذه محنة عظيمة .

و«الألمن» على ثلاثة ، تقوم منهم مقربة ، وتقوم منهم مخرضة ، وتقوم

منهم برودة ، وارتداد درجة .

و«كورك» : اسم لما يكون فرك .

و«عظم» : إذا أراد الله ، تعالى تهيئه العامة أحرك في العلم آية من آياته .

وإذا أراد تهيئه الخاصة أنزل عن قلوبهم في كرك الأشياء .

و«الكيد» : اسم بفتح الشىء الذى يبق منه بقية ، وإذا قال القائل : الكلى .

يريد بسات : أن يبق منه بقية إلا معناه .

قال بعضهم : لا يكون العبد عبد بالكيفية ويكون منه غير الله ببقية .

وقال آخر : إن أفبات عليه بكائتك أقباء عليك بكل الكلى ، وقال :

إن من ماكل من كلى عليك كى بكل كلك كلى كن ماشاه

و « التاليس » تحلى الشيء بنعت ضده .

حكى عن الواسطى ، رحمه الله ، أنه قال : التاليس عين الربوبية ، معناه : أن المؤمن يظهره في زي الكافر والكافر في زي المؤمن ، قال الله وتلبسنا عليهم ما يلبسون « (١) :

وقال الجنيد ، رحمه الله : امزج بالانيس واختلاف متبوعك في الاحساس ، وما يتغير علم في الاتيس يركض عنه كاسرع ماخوذ ومختص ، والتلاد في هذا المعنى :

بما يكشفت التاليس في كل ما ركز ، إذ طاح في العوى من الاله
وه الشرب : تأتي لأروح ولأسرار الطيرة ثم وردت عن الكافرات وتعد
بذلك ، فشبه ذلك بالشرب ، تشبيهاً وتعمده بما يرد على فيه من الشراب
قرب سيده .

قال : ذو النون ، رحمه الله : وردت قلوبهم من بحر الخطية فذاقوا
من الشرب ، فشربت منه بخطر القلوب فحين عيبت كان عرجان عدا
هم دون تده الحبوب .

وقال القائل في هذا المعنى :

شربت كذا على ذراتها فيك
فما وجدت شيئا عندك لي شفا
« الذوق » : بتداء الشرب :

قال ذو النون رحمه الله : ذوقنا أن يسقم من شربنا
لذاذته أتعقبه من حلاوته .

قال القائل في هذا المعنى :

يذوقون كذا من الأذوق

(١) الأعام : ٥

« والعين » : إشارة إلى ذات الشيء الذي تبدو منه الأشياء .

قال البساطي رحمه الله : ويقوم عاموا مصادر الكلام من أين ، فوقعوا على

العين فغابوا عن البحث والطلب .

وقال السيد رحمه الله : حكايات أبي يزيد البساطي رحمه الله تدل على أنه

كان قد بلغ إلى عين الجمع ، و « عين الجمع » : اسم من أسماء التوحيد ، له نعت

وومضت يعرفه الله .

وقال في ربي :

مَعْنَى خَيْرٍ مُفْلَا عَيْنٌ وَلَا أُتْرِبُ مَعْنَى عَادٍ وَفَقْدَانِ الْأَلَى إِرْمٍ

و « الاصطلاح » : نعت غيبة ترد على العقول فيستأبها بقرينة سلطانة وأكثره .

قال بعضهم : قلوب متحدة وقلوب مضطربة ، وإن وقع الاصطلاح في وجهها به

الاصطلاح .

إِذَا مَا بَدَأَتْ لِي تَعَالَى مَعْنَاهُ فَأَصْلُهُ رُوِيَ فِي حَالٍ مِنْ كَلِمَةِ يَرِي

فِيهِ مَعْنَى الْكُلِّ مَعْنَى بِهِ وَيُنَجِّبُ مَعْنَى بِهِ مَا أَجِدُ

و « الخيرية » : إشارة إلى نهاية التحقيق بعبودية الله تعالى ، وهو أن لا يملكك

شيء من المسكوبات وغيرها ، فتكون حراً إذا كنت لله عبداً ، كما قال بشر

نَسِي رَحْمَتَ اللَّهِ فِي حُكْيٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : إِنْ اللَّهُ تَعَالَى خَلَقَكَ حُرّاً ،

فَكُنْ كَمَا خَلَقَكَ ، لَا تَرَأَى أَهْلَكَ فِي الْحَقْرِ ، وَلَا رُفْقَتَكَ فِي السَّفْرِ ، اْعْمَلْ لِلَّهِ

وَدَعِ النَّاسَ عَنْكَ .

قال السيد رحمه الله : آخرُ مقام العرف ، الخيرية .

وقال بعضهم : لا يكون العبد عبداً حقاً ويكون لما سوى الله مُسْتَرَقاً .

و « الرين » : هو الصداً الذي يقع على القلوب .

قال الله تعالى : « كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (١) .

(١) الطهنيين : ١٤

وقال بعض أهل العلم : حُبُّ القلوب على أربعة أوجه : فمنها الختم والطبع ، وذلك لقلوب الكفار ، ومنها الرِّين والقسوة ، وذلك لقلوب المنافقين ، ومنها الصدا والغشاوة ، وذلك لقلوب المؤمنين .

سئل ابن الجلاء : إمامٌ سُمِّيَ أبوكَ الجلاء ، فقال : ما كان جلاءَ الخلدِ ، وإنما كان ، إذا تكلم على القلوب جلاءً من صدأ النُّيوب .

و« النِّيبُ » : قد أُكثِرَ في وصفه وهو خبيرٌ ضارٌّ ، قد رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إني أعيانُ على نبيِّ فأستظنُّ الله وأزيبُ إليه في اليومِ الذي يفتقرون فقالوا : النِّيبُ الذي كان يعارضُ قلبَ النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يفتقرون مثله مثلُ المرآةِ إذا تقسَّ فيها الناظرُ فبقيتْ من ظوئها ثم انعمتْ على من ينظرُ . وقال قوم : هذا محالٌ ، لأن قلبَ النبي صلى الله عليه وسلم لا يفتقرُ إلى خلقٍ ، لأنه مخصوصٌ بالرؤية .

قال الله تعالى : « ما كذبَ الفيوأدُ ما رأى » (١) ، وليس لأحدٍ من عباده قلبَ النبي صلى الله عليه وسلم ، يرمضُ ، أهوت ، أو يشهدُ بشاراً ، أو يفتقرون مثلاً ، أو يعمله بعلة خفية أو جليلة .

وقال أبو علي الروضباري رحمه الله في معنى الإشارة :

النِّيبُ نَيْبٌ عَنِ التَّحْمِيلِ ، أَسْتَبَدَّ
فَإِنْ تَرَأَتْ بِسَقِّ الْحَقِّ رُفَيْتُهَا
السِّكْنَى قَاتٌ مَلَّاحَتْ طَوْرَ الْعَيْهِ
وَالنُّيُوبُ مِنْهُ عَلَى مَعْنَى الْوَقْفَانِيَّةِ ،
الْقَلْبُ لِأَنَّ حَقِّ رُفَيْتُهَا
لَنْ التَّعْمِينَ فِي الْمَعْنَى
وَمِنْ التَّعْمِينَ فِي الْمَعْنَى
تَبَيَّنَ مِنْ أَوْشَاقِهَا

وهذه الألفاظ قد شرحناها على حسب ما فتح الله به على قلوبنا من الفهم .

(١) النجم : ١١ .

والذي بقي أكثر ، وإن استقصيت في شرحها يطول به الكتاب ، ويخرج عن الاختصار .

ونذكر بعد ذلك شرح الشطحيات من كلامهم الذي يكون ظاهره مستشنعاً ، ويطهه صحيحاً مستقيماً ، والله الموفق للصواب .

والوسائط : الأسباب التي بين الله تعالى وبين العبد من أسباب الدنيا والآخرة .

سئل بعض المشايخ عن الوسائط فقال : الوسائط على ثلاثة أوجه : وسائط

مواصلات ، ووسائط متصلات ، ووسائط منفصلات .

والمواصلات بوزن الحق ، والمتصلات العبادات والمنفصلات حظوظ النفس :

وقال أبو علي الروذباري رحمه الله : وهو الذي جعل الوسائط رحمة للعرفين :

يَسِّرُ شُرُوهَ عَلَيْهِ .

ما يردُّ على قلبه من سطوة أنوار حقائقه ، سطع ذلك على لسانه ، فيترجم عنها
بعبارة مستغربة مُشكلة على فهم سامعها ، إلا من كان من أهلها ، ويكون مُتبحراً
في علمها ، فسمي ذلك على لسان أهل الاصطلاح : شطحاً .

وَبَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَتَحَ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ وَأَذِنَ لَهُمْ بِالْإِشْرَافِ عَلَى دَرَجَاتِ
مُتَعَالِيَةٍ ، وَقَدْ جَادَ الْحَقُّ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ صِفْوَتِهِ وَالْمُتَحَقِّقِينَ بِالتَّوَجُّهِ وَالانْقِطَاعِ إِلَيْهِ
بِكَشْفِ مَا كَانَ مُسْتَتْرَافاً عَنْهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ مَرَاتِبِ صِفْوَتِهِ وَدَرَجَاتِ أَهْلِ الْخُصُوصِ
مِنْ عِبَادِهِ .

فكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَنْطِقُ بِحَقِيقَةِ مَا وَجَدَ وَيُصَدِّقُ عَنْ حَالِهِ ، وَيُصِفُ مَا وَجَدَ
عَنِ سِرِّهِ بِعِنْتِهِ وَمَقَالِهِ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَرُونَ حَالاً أَعْلَى مِنْ حَالِهِمْ حَتَّى يَحْكُمُوهَا ، فَإِذَا
أَحْكَمُوهَا فَعِنْدَ ذَلِكَ يَسْمُونَ مَهْمَمِهِمْ إِلَى حَالَةِ أَعْلَى مِنْ ذَلِكَ حَتَّى تَنْقُصِي الطَّرْفُ
وَالْأَحْوَالِ وَالْأَمَاكِنِ إِلَى غَايَةٍ وَمَهْيَاةٍ ، هِيَ أَعْلَى الْمَهْيَاةِ وَغَايَةِ الْغَايَاتِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ » (١)

وَقَالَ : « وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ » (٢)

وَقَالَ : « أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ » (٣)

وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَبْسُطَ لِسَانَهُ بِالْوَقْعِيَّةِ فِي أَوْلِيَائِهِ وَيُقَيِّسَ بِفَهْمِهِ وَرَأْيِهِ مَا يَسْمَعُ مِنْ
الْفَاظِهِمْ وَمَا يُشْكِلُ عَلَى فَهْمِهِ مِنْ كَلَامِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ فِي أَوْقَاتِهِمْ مُتَفَاوِتُونَ ، وَفِي
أَحْوَالِهِمْ مُتَفَاوِلُونَ وَمُتَشَاكِلُونَ وَمُتَجَانِسُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، وَلَهُمْ أَشْكَالٌ وَنُظْرَاءُ
مَعْرُوفُونَ ، فَمِنْ بَانَ شَرَفُهُ وَفَضْلُهُ عَلَى أَشْكَالِهِ ، بِفَضْلِ عِلْمِهِ وَسَعَةِ مَعْرِفَتِهِ ، فَلَهُ
أَنْ يَتَكَبَّرَ فِي عِلْمِهِمْ وَإِصَابَتِهِمْ ، وَنَقْصَانِهِمْ وَزِيَادَتِهِمْ ، وَمَنْ لَمْ يَسْلُكْ سَبِيلَهُمْ ، وَلَمْ
يَنْحُ نُحُوسَهُمْ ، وَلَا يَقْصِدْ مَقْصِدَهُمْ ، فَالْإِسْلَامَةُ لَهُ فِي رَفْعِ الْإِنْكَارِ عَنْهُمْ ، وَأَنْ يَكُلَّ
أُمُورَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَسْتَتِمُّ نَفْسَهُ بِالْغَلَطِ فِيمَا يَنْسِبُهُ إِلَيْهِ مِنَ الْخَطَأِ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

(١) يوسف : ٧٦

(٢) الزخرف : ٢٢

(٣) الإسراء : ٢١

باب تفسير العلوم وبيان ما يشكك على فهم العلماء من

علوم الخاصة وتصحيح ذلك بالخجعة

قال الشيخ رحمه الله : إعلم أن العلم أكثر من أن يحيط به فهم النبوة أو يدرك عقول العقلاء ، وكفناك بقصة موسى والخضر عليهما السلام مع جلالته موسى عليه السلام وما خصه الله به من الكلام والنبوة والوحي والرسالة .

وقد ذكر الله تعالى في الحكيم الناطق على نسان نبيه الصادق عجز موسى عليه السلام عن إدراك علم عبده من عباده إذ قال تعالى : « فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ رَبِّهِمْ يَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا » (١) الآية ، حتى سألته فقال : « هَلْ أَتَيْتَكَ » (٢) الآية ؟ مع تأييد موسى عليه السلام وشرفه وعظمته من الإنكار عليه ، على أن الخضر عليه السلام لم يلحق بدرجة موسى عليه السلام في النبوة والرسالة والتكليم أبدًا .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قبلا ولتبكين مني ولما تلبذتم بالنساء ، ولا تقاررتن على فرشكم ، ولخرجتم إلى الصعدات تجأون إلى الله تعالى . والله لو ددت أني كنت شجرة تمضد » رواه إسماعيل بن إبراهيم عن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي هذا الخبر دليل على أن قوله : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » (٣) ولم يقل ما تعرفنا به إليك .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قبلا ولتبكين مني » بالبلاغ لبلغهم ، ولو صالح لهم أن يعلموه لغابهم ، لأن ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم عليه وسلم بعلوم ثلاث :

(١) الكهف : ٦٥

(٢) الكهف : ٦٦

(٣) المائدة : ٦٧

علم بين الخاصة والعامية وهو : علم الحدود والأمر والنهي .

وعلم يخص به قوم من الصحابة دون غيرهم : هو العلم الذي كان يعلم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حتى كان يسأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع جلالاته وفضله ويقول : يا حذيفة ، هل أنت من المنافقين ؟ .

وكذلك روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : «عاشني رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين باباً من العلم لم يعلم ذلك أحد غيري» . قال : «وكان أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إذا أشكل على أحدهم شيء ، يلتجئون في ذلك إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه» .

ويعلم يخص به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما يشركه فيه أحد من أصحابه : وهو العلم الذي قال : لو تعلمون ما أعلم .

من أجل ذلك قال : لا ينبغي لأحد أن يظن أنه يحوي جميع العرف حتى يتخفى ، فإنه كلام الخصم حين ويكتمه ويترقبه وهو متعبر من مدرسة حو لمه ومذاهبه حقه تقه وأعمده .

وتقسم الشريعة على أربعة أقسام .

فالقسم الأول منها : علم الرواية والآثار والأخبار ، وهو العلم الذي ينتقله الثقات عن الثقات .

والقسم الثاني : علم الدرية وهو : علم الفقه والأحكام ، وهو : العلم المتداول بين العامة والتقهاء .

والقسم الثالث : علم القيس والنظر واحتجاج عن الخلفين ، وهو : علم الجدل والبرهان الحجج على أهل البدع والضلالة نصرة الدين .

والقسم الرابع : هو أعلاها وأشرفها ، وهو : علم الحقائق والمنازلات ، وعلم العمدة والحجرات ، والإخلاص في الصلوات ، والتوجه إلى الله عز وجل من جميع الجهات ،

والانقطاع إليه في جميع الأوقات ، وصحة القصور والإرادات ، وتصفية السرائر من الآفات ، والاكتفاء بمخالق السموات ، وإماتة النفوس بالتحلقات ، والصدق في منازلة الأحوال والمقامات ، وحسن الأدب بين يدي الله في السر والعلانية في الخطوات ، والاكتفاء بأخذ السبغة عند غلبة الفاقات ، والإعراض عن الدنيا وترك ما فيها ، طلباً للرفعة في الدرجات ، والوصول إلى السكرات .

فمن غلط في علم الرواية غلطاً لم يسأل عن غلظه أحداً من أهل الدراية .
ومن غلط في علم الدراية شيئاً لا يسأل عن غلظه أحداً من أهل الرواية .
ومن غلط في شيء من علم القياس والنظر فلا يسأل عن غلظه أحداً من أهل علم الرواية والدراية .

وكذلك من غلط في شيء من علم الحقائق والأحوال فلا يسأل عن غلظه أحداً من علماء منهم كما لا في معناه .

ويمكن أن توجد هذه العلوم كلها في أهل الحقائق ، ولا يمكن أن يوجد الحقائق في هؤلاء إلا مشاءة ، لأن علم الحقائق ثمرات العلوم ، وهو علم الغنم ، وغاية جميع العلوم إلى علم الحقائق ، فبذلك ينبغي أن يقع في علم الحقائق وهو علم التلويح ، وعلم المعرف ، وعلم الأسرار ، وعلم الحقائق ، وعلم الحقائق ، والأحوال ، وعلم المعاملات ، وأن كانت شتى ، فمعرفة الحقائق .

قال الله تعالى : **قُلْ إِنَّمَا كَانَ الْبَحْرُ مِثْقَالَ حَبِّ خَمَلٍ إِذ دُعِيَ إِلَى اللَّهِ فِى قُبُلٍ أَن تَنْفَكُوا مِنْهُ لِيُتَبَأَ مِمَّنْ نَبَأَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** .
الآية التي أن حد لا لا ينكرون الله عن من يهدى ، والله أعلم .
إلا مشاءة الله .

وكل صنف من هؤلاء لا يدرى في علمه ، فكل من غلط في فهمه ، فلا بد منه من الرجوع إلى الله في كل حال منهم .

(١) الكهف : ١٠٩

وإذا اجتمعت هذه الأقسام الأربعة في واحد فهو الإمام الكامل ، وهو القطب
والحجة والداعى إلى المنهج والحجة .

كما روى عن علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه أنه قال ، في كلام له لكُمبيل
ابن زياد : اللهم بئى ، لا تخلو الأرض من قائم لله بحججه نثلا تبطل آياته وتدحض
حججه : أو انك لأقرون عدداً ، الأعظمون عند الله تعالى قدراً .

وقد رجعتُ إلى معنى الشطح وتفسير الشطحيات ، وأقل ما يوجد لأهل الكمال
الشطوح : أنهم متمسكون في معانيهم ، وإنما وقع في الشطح من كان في بداية ،
وكان مراداً بالوصول إلى الكمال والغاية ، فتكون بدايته نهاية الإرادات ، وهي
في معناها : بداية الغايات والكمال والنهايات .

والله أعلم بالصواب .

باب في كلمات شطحيات تحكى عن أبي يزيد

[قد فسر الجنيد [طرفاً منها]

قال الشيخ رحمه الله : قد فسر الجنيد رحمه الله شيئاً قليلاً من شطحيات أبي يزيد رحمه الله ، والعاقل يستدل بالتفصيل على الكثير ، ومن النحال أن أجد الجنيد رحمه الله تفسيراً لكلامه ، وأدرك ذلك وأتاكم من عندي له جواراً غيره .

قال الجنيد رحمه الله : الحكيمات عن أبي يزيد مختصة ، والاقربون منه في سمهود منتزقون ، وذلك ، والله أعلم ، باختلاف الأوقات والظروف والحوادث ، واختلاف المواطن المتداولة بها ، فكل من عنده من طرف من طرف ، ويتردى ما سمع من تفصيل مواطئه .

وقال الجنيد رحمه الله : وكان من كلام أبي يزيد رحمه الله ، تقوية نورده ورواه معانيه ، مغترف من بحر قد انورد به ، ويجعل ذلك البحر له وحده .

قال الجنيد رحمه الله : ثم إنى رأيت الغيبة القصدى من حديثه ، يعنى من حول أبي يزيد رحمه الله ، حالاً قل من يفهمه عند أو يعبر عنها عند من يراه ، لا يَحْتَمَلُهُ إِلَّا مَنْ عَرَفَ مَعْنَاهُ وَأَدْرَكَ أَسْتَقْبَلَهُ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ فَسَيُحْتَمَلُهُ ، فَذَلِكَ كَمَا عِنْدَهُ مَرْدُودٌ .

وقال الجنيد رحمه الله : رأيت حكيمات عن أبي يزيد رحمه الله ، من معانيه ينهى عنه : أنه قد غرّف فيما وجد من ذهب من سلفه حتى مرده لم يرد عليه ، وهى معاني غرّفته على ترات من العرف ، ما هى من حديثه غير صاحبها .

وقال الجنيد رحمه الله : أما ما وصف من بدايات حمله فهو قورى شاملاً ، قال به .

منه الغاية ، وقد وصف أشياء من علم التوحيد صحيحة ، إلا أنها بدايات ، فيما يطلب منها المرادون لذلك .

وهذه الكلمات التي أريد أن أذكرها ليست هي مما يكتب في المصنفات ؛ لأنها ليست من العوم الموثوقة عند العلماء ، وإنما رأيت الناس قد أكثروا الخوض في معانيها : فواحد قد جعله حجة باطلة ، وآخر قد اعتقد في قائلها الكفر ، والجميع قد غلطوا فيما ذهبوا إليه ، والله الموفق للصواب .

باب في ذكر حكاية حكيمة عن أبي يزيد البسطامي

رحمه الله تعالى

وقد شاع كلام الناس أنه قال : ذلك ، ولا أدري : يصح منه ،
ذلك أم لا ؟

ذكر عن أبي يزيد أنه قال : رفعتي مرة فأتاني بين يدي ، وقل لي :
يا أبا يزيد ، إن خالي يخبرني أن برؤك .

فقلت : كزيتي بوحدها ، وأنت بيني وبينك . ورفعتي بيني وبينك .
إذا رأني تخلفت قلبي : رأيتك . فتكون أنت ذلك ، ولا أكون أنا ذلك .

فإن صح عنه ، ذلك فقد قل : اجتهد . رحمه الله ، في ذلك تفسيره . وكان أبو
يزيد ، رحمه الله : عند كلام من ما يابسه حتى قهره . فحدثني في ذلك عن
التوحيد ، فيكون مستغنياً به . فحدثني عن كونه .

وسئل له لذلك يد على أنه مقرب له . فحدثني ، فحدثني . فحدثني .
فيه عن كونه . ولا يمكن .

وقوله : أنت بيني وبينك . فحدثني . فحدثني . فحدثني .
وهكذا ، ولم يكن حظه . فحدثني .

قلت : فحدثني فحدثني . فحدثني . فحدثني .
كأنه في أشد إليه أبو يزيد ، رحمه الله .

فأما ما يحدث المتعنت والمعاد من لا يظعن عن الله ، فحدثني .
وإلى ذلك المعنى والتفكير وبالله التوفيق .

وقوله : رفعتي مرة ، فحدثني بين يدي ، يعني كونه في ذلك وأحضر قاضي مالك ،
لأن الخلق كانوا بين يدي الله تعالى ، كما يذهب عليه من لا يظعن عن الله ، فحدثني .

وقد ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما روى عنه : سبق المفردون ١٩٥
 قيل : يا رسول الله ، ومن المفردون ؟ قال : الحامدون في السراء والخسراء .
 وأما قوله : ألبسني أدانيتك حتى إذا رأيت خاتمتك قالوا : رأيتك ، فتكون أنت
 ذلك ، ولا أكون أنا هناك : فهذا وأشبه ذلك تصاب فناءه ، وفقد عين فناءه ،
 وقيم الحق عن نفسه بالوحدانية ، ولا خلق قبيل . ولا كون كان .

١٩٦ وكان ذلك مستخرج من قوله صلى الله عليه وسلم : تقول الله تعالى « ما زال ربي
 يتقرب إلي بالنوافس حتى أحبه . فإذا أحببته كنت أعينه التي يبصر بها ، وأذنه
 الذي يسمع به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويد التي يبطش بها ، واليد التي
 في الحديث » .

وقد قال القائل في وجوده بقوله في مثنويه ، وقد وصف وجوده بعبارة أخرى فقال
 أنه من أعمى ومسا أعمى أنه في أعمى أعمى
 تحن روحان معاً في جسد أيسر الله كبريتا
 فإذا كان مخلوق يبدى جوى ، في قول من ذلك ، وطاق من
 وباعى من بعض المشكاه أنه قال : لا يبع المشكاه حقة الله فليحس
 الواحد الآخر : يا أذ .

وشرح ذلك بطول إن استقصيت ، وفي ذلك من يد ، وفي ذلك

باب آخر في تفسير حكاية ذكرت عن

أبي يزيد رحمه الله

قال الشيخ رحمه الله : قلت : وقد حكي أيضا عنه أنه قال : أول ما حسرتُ
إلى وحدانيته ، فصيرتُ طيراً جسده من الأحذية ، ووجهه من اللآلئ ، فلم
أزل أطيرو في هواء الكيشية عشر سنين ، حتى حسرتُ إلى هواء مثل ذلك مائة
ألف مرة ، فلم أزل أطيرو إلى أن حسرتُ في ميدان الأزلية . فرأيت فيها
شجرة الأحذية .

وصفت أرضها وأصاب وقرعها وأغصانها وثمرها ، ثم قال : فحسرتُ فعمتُ
أن هذا كله خدعة .

قال الجنيد ، رحمه الله ، ما قوله : أول ما حسرتُ إلى وحدانيته : فذلك أول
حفة إلى التوحيد ، فقد وصف ما لاحظ من ذلك ، ووصف النهاية في حال
بوغه ، واستقر في تدهي رُسوخه :

وهذا كله طريق من طريق المطوبين : لبوغ إلى حقيقة علم التوحيد بشواهد
معانيها ، منظورا إليها ، متوهجا بها إلى فيها ، مُرسلين في حق ما لاحظوه
ثم شهدوه .

وليس لذلك إذا كان كذلك غاية كونه يقوى عليه المطوب به ، ولا رسوب
في راسهم يصيرون إليه ، بل ذلك على شاهد التأيد فيه ، وإيثار التخليد فيه
وجدوا منه .

وقال الجنيد ، رحمه الله : وأما قول أبي يزيد ألف ألف مرة فلا معنى له ، لأن
نعتة أجل وأعظم مما وصفه وإنما نعت من ذلك على حسرت ما أمكنه .

ثم وصف ما هناك ، وليس هذا ، بعد ، الحقيقة المطوية ، ولا الغاية المستوعبة ،
وإنما هذا بعض الطريق .

ففي هذا ما فسره الجنيد ، رحمه الله ، وفيه بآفة وكفاية من يفهم والله
الموفق للصواب .

قال الشيخ رحمه الله : غير أن الجنيد قد تكلم على حل أبي يزيد ، رحمه الله ،
فيما شطح به وما نطق بذلك عن وجده .

فأما ما نجد المتعنت مطعناً في قال أبو يزيد فلم يذكره ، وهو قوله طيرت
طيراً ، ولم أزل أظير ، فكيف يهين الأمر ، أن يصير طيراً ويظير ؟

والمعنى ، هي أشار إليه ، سمو الهمم وطيران القلوب ، وذلك موجود في لغة
العرب : أن يقول القائل : كئدت أظير من الفرج ، وقد ظن قاصي وكذا
يظير عقي .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : نزهة سير ، والعرف طير ، يريد بذلك : أن
المعارف — في قصده إلى مطوية — أسرت من نزهة وعند جاز .

وقد قال الله تعالى « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه » (١)

روى عن سعيد بن جبير رحمه الله عليه في معنى تمسه : أنتم من السعداء
له من السعادة والشقوة :

وقال الشاعر :

رب يوم كأنه يوم كآبٍ من دمع من دمع يوم كآبٍ
فأترني رأيت يوم توتاه جسد وانف دمع من دمع

« وأما قوله » : وما يضيف جذبه وحسه إلى الأحذية والكتوم .

(١) الإمراء : ١٣

بذلك تَبَرَّيه من حوله وقوته في طبرانه ، يعني في قصده إلى مطلوبه ، وأن يضيف فعله وحر كته ، في قصده إلى الأحد الدائم ، بلفظة مستغربة .

ومثل ذلك موجود في كلام الواجدين والمستهترين ، وإذا كان الغالب على سر لواجد وقلبه ذكر من يجده ، يصف جميع أحواله بصفات محبوبه ، مثل يحنون بنى عامر : كان إذا نظر إلى الوحش يقول : ليلي ! وإن نظر إلى الجبال يقول : ليلى ! وإن نظر إلى الناس يقول : ليلي ! حتى إذا قيل له : ما اسمك وما حالك ؟ يقول : ليلي . وفي ذلك يقول :

أَمْرٌ عَلَى الدِّيارِ ديارِ ليلي أَقْبَلُ ذَا الجِدارِ وَذَا الجِدارِ
وَمَا حُبُّ الدِّيارِ شَغَفَنَ قَلْبِي وَلكِنْ حُبٌّ مِنْ سَكَنِ الدِّيارِ

وقال غيره :

أَفْتَشُّ سُرَى عَنْ هَوَايَ فَلَا أَرَى سِوَايَ وَأَنَّى عَنكَ وَالسَّكَنُ أَكْبَرُ
فَإِنْ وَجَدتْ أَنَّى فِي الوَجدِ أَمْرًا فَإِنَّ عَبرَتُ عَنِّي فَعِنها تَعَبَرُ

ومثل ذلك كثير ومستحسن من القائلين في معنى ما قالوا في وصف وجدهم مخوف وفي هوى باطل ، والإشارة في معنى المراد من ذكر ذلك تغني عن العبارة وبالله التوفيق .

وأما معنى قوله : عشر سنين ، وألف ألف مرة ، وميدان الأزلية ، وهواء الكينية : فذاك قد قال الجنيد رحمه الله : أنه وصف بعض الطريق .

وما قال الجنيد رحمه الله : كفاية عن كلامنا وتكرارنا في هذا .

وأما قوله فنظرت فعمت أن ذلك كله خدعة ، معناه والله أعلم : أن الالتفات والاشتغال باللاحظة إلى الكون والمماسكة : خدعة عند وجود حقائق التصريد وتجويد التوحيد .

فمن أجل ذلك قال الجنيد رحمه الله : لو أن أبا يزيد ، رحمه الله ، على عظم
إشارته خرج من البداية والتوسط ! ولم أسمع له نطقاً يدل على المعنى الذي ينهى
عن العاية ! وذلك ذكره للجسم ، والجناح والهواء ، والميدان .

وقوله : فعلمت أن ذلك كله خدعة ، لأن عمداً أهل النهاية أن الالتفات إلى أمي
شيء - سوى الله خدعة ، فمن أنكر ذلك فقد قال سيد الأوائل والآخرين ، صلى
الله عليه وسلم ، أصدق كلمة قالتها العرب قول نبينا :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل (۱)

(۱) وتمامه : وكل نعم - لا محالة - زائل

باب أيضا في شرح كلام حكي عن أبي يزيد

رحمه الله تعالى

قال الشيخ رحمه الله : وقد ذكر عن أبي يزيد أيضا أنه قال : أشرفت على ميدان اليبسية فما زلت أظير فيه عشر سنين ، حتى صرت من ليس في ليس بليس . ثم أشرفت على التضييع ، وهو ميدان التوحيد ، فلم أزل أظير بليس في التضييع ، حتى ضعت في الضياع ضياعاً ، وضعت فضعت عن التضييع بليس في ليس في ضياعه التضييع ، ثم أشرفت على التوحيد في غيبوبة الخالق عن العارف ، وغيبوبة العارف عن الخلق .

قال ابن زيد ، رحمه : هذا كله وما جالسه داخل في علم الشواهد على العيبة عن استدراك الشاهد ، وفيها معان من الفناء بتغييب الفناء عن الفناء .

ومعنى قوله : أشرفت على ميدان اليبسية ، حتى صرت من ليس في ليس بليس . فذلك أول النزول في حقيقة الفناء ، والذهاب عن كل ما يُرَى ولا يُرَى ، وفي أول وقوع الفناء انطراس آثارها .

وقوله : ليس بليس ، هو ذهاب ذلك كله عنه وذهابه عن ذهابه ، ومعنى ، ليس بليس : أي ليس شيء ، يحس ولا يوجد ، قد طمس على الرسوم ، وقُطِعَت الأسماء ، وغابت المحاضر ، وبلعت الأشياء عن المشاهدة ، فليس شيء ، يوجد ، ولا يحس بشيء . يفقد ، ولا اسم لشيء ، يعهد ، ذهب ذلك كله بكل الذهاب عنه ، وهو الذي يسميه قوم الفناء ، ثم غاب الفناء في الفناء ، فضاع في فناءه ، فهو التضييع الذي كان في ليس به ، وبه في ليس .

وذلك حقيقة فقد كل شيء ، وفقد النفس بعد ذلك ، وفقد النقد في المقد ،
والارتماس في الانطماس ، والذهاب عن الذهاب ، وهذا شيء ليس له أمد
ولا وقت يُعهد .

وقال الجنيد ، رحمه الله : ذكره عشر سنين : هو وقت ، ولا معنى له . لأن
الأوقات في هذا الحان غائبة ، وإذا مضى الوقت وغاب بعده فمن غيب عنه .
عشر سنين ومائة وأكثر من ذلك كله ، في معنى واحد .

قال الجنيد ، رحمه الله ، في معنى : ثم قال أبو يزيد ، رحمه الله : أشرف من
التوحيد في غيبوبة الخلق عن العرف ، وغيبوبة العرف عن الخلق : قول الله
أشرف في التوحيد تحقق عندي غيبوبة الخلق كما هم عن الله تعالى ، وأشرف من
عز وحسن ، بكبريائه عن خلقه .

ثم قال الجنيد ، رحمه الله : هذه الألف التي في قوله ، أشرف من الله ،
في إدخال المراد في أريد من .

فيبدأ ما بلغني عن جنيد ، رحمه الله ، في تفسير هذه الكلمات لا في تفسير
الله : والذي فسر جنيد ، رحمه الله أيضا : مسائل لا يسأل عنها في
ذلك وأشده على من لم يسمع في العلم ، ولم ينظر في علوم ، ولم يقرأ
الكتب عند العلماء ، في وصف عظمة الله تعالى ، ووصف عظمة النفس
بذلك على ما لم يدون في الكتب : فساد ، وأخص من ذلك
وخاصته وخاصته .

على أن الفهم من العظمة بالله : يعنون أن كل من لم يقرأ كتابه في عظمة الله
خص به من أحول المتعلمين إلى الله ، تعالى ، وهو في زيادة الخلق ، و
في كمال نفس وطرفة عين من المزيد ، كانية في كمال نفس من زيادة من كمال .

فهو في الانتقال في كل نفس من حال إلى حال ، إلى مالا نهاية له ، حتى يبلغ وطنه في مكانه إلى محله الذي هو مراد بذلك ، فكأن حال هو منقول إليه ، فهو : فإن به عن الحال الذي انتقل منه .

وهذا معنى قوله : الفناء ، والفناء عن الفناء ، والذهاب ، والذهاب عن الذهاب ، ووضعت فضيحت عن التضييع ضباعاً ، وإن كانت عباراته مختلفة ، فإن معانيه متفقة ، وحقايقه متسقة .

وبيان ذلك ، فيما روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، في قوله تعالى : **وَنَسْفَعُ السَّمَوَاتِ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ مُّفْجَأٌ لِّهَا وَالْأَرْضَ نَسْفَعُهَا وَأَنبِيَاءَ طَائِفِينَ** (١) .

قال : فقالت الملائكة : يارب ، فو لم تأتكم ، ما كنت صانعاً بهما ؟
قال : كنت أساط عليهم دابة من دوابي تبتلعهما في لقمة .

قالت : يارب ، وأين تلك الدابة ؟

قال : في مرج من مروجي .

قالت : يارب ، وأين ذلك المرج ؟

قال : في غامض علمي .

ألا ترى أن في الدابة واللقمة ذهب السموات والأرض ، وفي المرج ذهب لذهاب ، وفي لذهاب تنبيه قلوب العارفين ؟ ! فما شاهد بقلبه ذلك ، فكيف يشهد نفسه ، والمملك ، وجميع ما خلق الله تعالى ؟ .

(١) فصلت : ١١٠ .

ويقال : إن فى بعض الكتب أن الله أوحى إلى جهنم : إن لم تأمري ما أمرتك به لأحرقنك بنيرانى الكبرى .

فقيل لبعض العارفين : ما معنى قوله : لأحرقنك بنيرانى الكبرى :

قال : يطالع بذرة من حبه قدماه ، فيكون مثل جهنم فيها كتشور خباز فى حريق الدنيا ، بل أقل من ذلك .

ومعنى قوله : ليس بليس فى ليس : فإنه يشير إلى بسببته فى هو فيه ، إذ الأنس كليا فى معانيها ، ووجودها أشباح فى لله تعالى ، فهى ، وإن كانت بالإيجاد مرسومة فى حقائقها بالعدم والتلاشى ، مرسومة ، ولأهل الحقائق فى مشاهدتهم مراتب مقسومة ، « والله يقبض وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » (٢) .

باب آخر في شرح ألفاظ حكيت عن أبي يزيد رحمه الله

وكان يكفره في ذلك ابن سالم بالبصرة

وذكر كرمه، ملاحظة جرت بيني وبينه في معنى ذلك

عن الشيخ رحمه الله : سمعت ابن سالم يقول في مجلسه يوماً : فرعون لم يقل
قال أبو يزيد رحمه الله ، لأن فرعون قال : أُرَبِّكُمُ الْأَعْلَى ، وَالرَّبُّ يَسْمَى بِهِ
مُحِبُّونَ ، فَيَقُولُ : فَلَانِ رَبُّ دَرِّ وَرَبُّ مَالٍ ، وَرَبُّ بَيْتٍ ، وَقَالَ أَبُو يَزِيدَ
رَحِمَهُ اللَّهُ : سُبْحَانِي سُبْحَانِي ، وَسُبْحَانَ اسْمِهِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي
لَا يَدْرِي مَنْ يَسْمَى بِهِ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى

فقلت له : هذا الكلام قد صحَّ عندك عن أبي يزيد ، رحمه الله ، وصحَّ عندك
أن عمدة في ذلك : كان كاعتقاد فرعون في قوله : أُرَبِّكُمُ الْأَعْلَى ؟ فقال ابن
سالم : قد عرفت ذلك حتى يصحَّ عندى : أنه أَيْشَرُّ رَدِّ بَدَاك : يَزِيدُ الْكُفْرَ .

فقلت : إذا لم يتبين لك أن تشهد عليه بما اعتقد عند قوله ذلك فبطل أن
تكفره ، لأنه محتمل أن يكون لهذا الكلام مقدمات ، فيقول : يعقبه سبحانه
سبحاني : ينبغي عن الله تعالى يقول : سبحانه سبحانه ، لأننا نسمع رجلاً يقول :
لأنه لا أشك في عبودون ، ما كان يخلج في قلوبنا شيء غير أن علم : أنه هو ذا يقرأ
القرآن ، أو هو ذا يصف الله تعالى بما وصف به نفسه .

وكذلك نسمعنا دائماً ، أبا يزيد ، رحمه الله أو غيره ، وهو يقول : سبحانه
سبحاني : لما شك بأنه يسبح الله تعالى ، ويصفه بما وصف به نفسه . .

وإذا كان الأمر هكذا وعلى ما قلده ، فتكفيرك لرجل مشهور بالزهد ، والعبادة ،
والعلم ، والمعرفة : من أعظم المحلات .

وقد قصدت بسطام وسألت جماعة من أهل بيت أبي يزيد رحمه الله عن هذه الحكاية : فأنكروا ذلك وقالوا : لانعرف شيئاً من ذلك ، ولولا أنه شاع في أفواه الناس ودونوه في الكتب ما اشتغلت بذكر ذلك .

وسمعت ابن سالم أيضاً ، وهو يحمي في مجلسه عن أبي يزيد رحمه الله . أنه قال : ضربت خيستي بإزاء العرش أو عند العرش وكان يقول هذه الكلمة ككفر ، ولا يقول مثل هذا إلا كافر .

وكان يقول أيضاً : إن أبا يزيد ، رحمه الله ، اجتمع بمقبرة اليهود ، فنادى : معدورون ، ومر بمقبرة المسلمين فقال : مغرورون .

ومع جلاله ابن سالم كان يسرف في الصعن على أبي يزيد رحمه الله ، وكان ينادي من أجل أنه قال ذلك .

فقلت : له عافاك الله ! إن عندنا وحيداً يتبركون بقرابته أبي يزيد ، رحمه الله ، إلى يومنا هذا ، ويتكلمون عن المشايخ المتقدمين أنهم كانوا يزورونه ولدهم من بيتهم بطائفة ، وهو عندهم من أجله العبيد والزهاد وأهل المعانيب ، من الذين أتوا وفق أهل عصره بلورع والاجتهاد ودوام الذكر لله تعالى : حتى حكي عنه حماسة منهم رأوه قد ذكر الله تعالى ، حتى بال لهم من حشمة الله تعالى ودوام تعظيمه لله عز وجل .

وكيف يجوز أن نتقدم فيه الكفر بحكاية تعالي سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا نستطاع على حاله في الوقت الذي قال : يا أهل بيتي ! إن من جسدكم من جسد محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا بعد أن يكون له حال مثل حاله ، ووقت مثل وقته ، وهو من جسد محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد قال الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ كَمَا اتَّقَوْا اللَّهَ يَوْمَ تَخْرُجُونَ مِنَ الْأَرْحَامِ إِنَّ كَيْفَ الْمَخْرُجِينَ لَخَبِيرٌ »

فهذا كلام جرى بيني وبين ابن سالم في مجلسه في الحكايات التي حكاها عن
أبي يزيد رحمه الله ، أو كلام هذا معناه أو قريب من معناه .

فأما قواه : ضربت خيمتي بإزاء العرش أو عند العرش : فإن صح عنه أنه قال
ذلك : فهذا غير مجهول أن الخلق كلهم ، والكون ، وجميع ما خلق الله ، تعالى :
تحت العرش ، وإزاء العرش .

ومعنى قواه : ضربت خيمتي بإزاء العرش . يعني وجهت خيمتي نحو مالك
العرش ، ولا يوجد في العالم موضع قدم إلا وهو بإزاء العرش ، فلا سبيل للمتعتت
في هذا بالطعن .

وأما قواه عند اجتيازهم بمقبرة اليهود ، وقواه : معذرون أي : كأنهم معذرون .
فكأنه ، لما نظر إلى ما سبق لهم من الله بأشقاوة واليهودية من غير فعل ، كان
موجوداً في الأزل ، وأن الله تعالى جعل نصيبهم منه السخط عليهم ، فكيف يتنبأ
هم أن يكونوا مستعملين إلا بعمل أهل السخط ؟ ! فقال : كأنهم معذرون ، وهم
غير معذورين ، ومن حيث مارسه القلم ، ونطق به الكتاب ، وما وصفتهم الله
تعالى بقوله :

« عَزَّيْرُ ابْنِ اللَّهِ (١) » وَ « نَحْنُ أَقْبَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ (٢) »

والله عدل في جميع ما حكم ، حكيم في جميع ما رسم « لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون » (٣)

وأما قواه لما مر بمقبرة المسلمين فقال : مغرورون ، إن صح عنه ذلك ، كأنه لما
نظر إلى المتعارف بين عامة المسلمين في نظرهم إلى أعمالهم وطمعهم في النجاة
باجتهادهم ، وقلة من تخلص من ذلك ، فسأهم : مغرورين ؛ لأن أعمال الخلق كلها

(٣) الأنبياء : ٢٣

(٢) المائدة : ١٨

(١) التوبة : ٣٠

لو جعلت بإزاء نعمه ممأ نغم الله تعالى على الخلق : بأن دلهم عليه وزين قلوبهم بالإيمان نه ، والمعرفة بوحدانيته تبطل واضمحلت ذلك .

وأنيس من جميع الخلق حركة ولا نفس إلا وبدؤها من الله سبحانه وانتهائها إلى الله عز وجل .

فمن ظن أن أحداً ينجو إلا بفضل الله وسعة رحمته فهو مغرور هالك .

ألا ترى سيد الأنبياء ، وإمام الأتقياء صلى الله عليه وسلم ، يقول : لا نفس من أحد ينجيه عماه ، قالوا ، ولا أنت يا رسول الله فقل : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة .

فاتعنت والجساراة باطنين وانوقية من العنماء فيمن تكون جوارحه مشغولة مقيدة بالعلم والأدب ، بحكوية أو بكلام لا يخيطن به النهم في لوقت : زنة من العلم وهنوة من احكيم ، وخطأ بين من العقل بالأه رما تصحيف على احكيم ، لأن الحكمة رجا تجرى ونحضرها من لا يقف على معانيها ، ولا يحق نفسه بالصدق التكلم بها ، فعند ذلك تجرى على الألسنة بظن معناه ، فيجحد احكيم عند ذلك نقص عند من لا يقف على مر ميه ، ويشكل عليه مع نيه ، وما يشك في عنده ولا يسأل عن بيانه ، لأن الغافض من العيون لا يبدون إلا بالغمض من التهور .

والتصحيف لدى يقع في الحكمة يقع من وجهين : فوجه أولهما تصحيف الحروف وذلك أيسرهُ ، ووجه الثاني تصحيف المعنى ، وهو : أن احكيم حيا من حيث وقته وحاله ، فلا يكون مستقيم لذلك حال ، بل يفتن ، ويغتر ، فيعبر عنها من حيث ما ياتيق بنهاه ووقته ومقامه ، وهو رفق في ذلك من حيث سمعت أبا عمرو بن عتبة ان يقول : سمعت جدي ، رحمه الله ، يقول : حكيت أحب هذه الطائفة ، وأنا كحدث ، فكنت أسبغ عليهم كلاماً لم أفهم منهم ما يقولون ، إلا أن قلبي قد سلم من الإنكار عليهم ، فبذلك مات ما مات .

وَمَا يُقَوِّي هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ : أَنِي كُنْتُ فِي مَجْلِسِ ابْنِ سَالِمٍ بِالْبَصْرَةِ بَعْدَ هَذَا
 لَحْوُضِ الَّذِي جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي كَلَامِ أَبِي يَزِيدَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَحُكِيَ يَوْمًا عَنْ
 سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، أَنَّهُ قَالَ : ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِاللِّسَانِ : هَذَا يَنْ ، وَذَكَرَ
 اللَّهُ تَعَالَى بِالْقَلْبِ : وَسُوسَةٌ ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : كَأَنَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ : أَن يَكُونَ
 قَوْلُهُ بِمَنْدُكُورٍ لَا بِاللَّذِكُورِ .

ثُمَّ حُكِيَ فِي مَجْلِسِ آخَرَ عَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ : مَوْلَايَ
 لَا يَسْمَعُ وَأَنَا لَا أَسْمَعُ ، فَقُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ مِمَّنْ كَانَ مُخَصَّدًا : لَوْلَا أَنَّ الشَّيْخَ أَمِيرًا
 لَوُيَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، مِنْهُ بَلَى أَبِي يَزِيدَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، لَسَكَانَ يَخْطُطُهُ
 نَفْسًا ، فَمِنْ فَدَحِيكِي عِنْدَهُ ، كَمَا خَطَّ أَبُو يَزِيدَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَكَفَرَدَ بَيْنَ يَدَيْكَ ،
 فِي السُّكْلَامِ الَّذِي حُكِيَ عِنْدَهُ ، لِأَنَّ فِي هَذَا الَّذِي فَدَحِيكِي عَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ
 مَعْنَاهُ ، وَأَعْطَى النَّاسَ عِنْدَهُ : يَكْبِدُ التَّمَعُّتَ مَقْدَلًا ، إِنْ قَصِدَ إِلَى ذَلِكَ ، وَالَّذِي يَعْنِي
 أَنَّ هَذَا الَّذِي حَكَاهُ عَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَجِبَا غَيْرَ مَا يَجِبُ التَّمَعُّتَ فِيهِ
 مَقْدَلًا ، فَسَكَانُكَ جَوْرٌ أَنْ يَكُونَ نَكْلَامُ أَبِي يَزِيدَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ الَّذِي حَكَاهُ عِنْدَهُ وَجِبَا
 لِيُؤْتِيَهُ الَّذِي هُوَ ذَا كَثْرَتِهِ بِدَوْنِ خَطِّهِ فِي قَوْلِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ جَوَابٌ عِنْدَ ذَلِكَ
 فِي كَلَامِهِ عِنْدَ قَرِيبٍ مِنْ مَعْنَاهُ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ .

وَيَقَالُ : لَوْلَا مَا خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْعَصْمَةِ وَالتَّيِيدِ وَمَا شَمَّتَهُ
 مِنَ نُورِ النُّبُوَّةِ وَالسُّكْلَامِ وَالرَّسَالَةِ حَتَّى وَفَّقَ وَسَدَّدَ مِنَ الْإِنْسَانِ عَلَى الْخَضِيرِ
 مَا كَانَ يَرَى مِنْهُ : مَنْ قَتَلَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْكَبِيرَاتِ !
 ثُمَّ يَرْضَى أَنْ يَقُولَ لَهُ :

«أَقْتَنَنْتَ نَفْسًا كَيْفَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا» (١) ، حَتَّى كَانَ
 يَرُدُّ عَلَيْهِ :

(١) الكهف : ٧٤ .

« أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا » (١) ، فيقول :

« إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تَصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا »
 بعد ما عين منه قتل النفس التي حرم الله تعالى ، وأمر فيه بالقصاص . فكان
 يجب على موسى عليه السلام أن يطالبه بالثأر ويهجره ، ولا يستحل محاسبته
 ومصاحبته (٢) ، غير أن عناية الله تعالى ، وتخصيصه وتسديده ، وتوفيقه الذي كان
 مصحوبه حجز بينه وبين ذلك .

فكذلك دأب كل ولي وصديق إلى يوم القيامة ، ولا يجوز لأحد منهم -
 يالحق درجة من درجات النبوة ، والله الموفق للصواب .

وحكى عن أبي يزيد رحمه الله : أنه لم يستند قط إلى جدار إلا أن يكون
 جدار مسجد أو رباط ، ويقال : إنه ما رأود مفطرا قط إلا أيام العدا ، حتى
 لحق بالله عز وجل ، ويكثر في مثل هذا عند الأخبير .

(١) الكهف : ٧٥

(٢) الكهف : ٧٦

(٣) قد يجاب بأن إينه معه ، كان لأمر الله به بمصاحبته له وتعايه منه ، الله له .

باب في ذكر كلام حكى عن الشبلي رحمه الله

وشرحه عن ذلك

قال الشيخ رحمه الله : سمعت أبا عبد الله بن جابان يقول : دخلت على الشبلي رحمه الله ، في سنة القمحط ، فسلمت عليه ، فلما قمت على أن أخرج من عنده ، فكان يقول لي ولين معي ، إلى أن خرجت من الدار : مرؤوا أنا معكم حيث ما كنتم ، أنتم في رعيتي وفي كلاءتي ، قلت : أراد بقوله ذلك : إن الله تعالى معكم حيث ما كنتم ، وهو يرعاكم ويكفؤكم ، وأنتم في رعايته وكلاءته .

والمعنى في ذلك : أنه يرى نفسه محققاً فيما غلب على قلبه : من تجريد التوحيد ، وحقبة التفريد ، والوجد إذا كان وقتاً كذلك ، فإذا قال : أنا يعبر عن وجاهه ويترجم عن الحال الذي قد استولى على سرده ، فإذا قال : أرى ، يشير بذلك إلى ما غلب عليه من حقيقة صفة مشاهدته قرب سيده .

وسمعت الحصري رحمه الله يحكي عنه : أنه كان يقول : لو عرضت ذلي على ذل اليهود والنصرى لكان ذلي أدل من ذلتهم ، فإن قال القائل : أين تقع هذه الحكاية من ذلك ؟ فيقول له : الحكايتان صحيحتان ، والوقتان مختلفان . فوفاً خص بصفاء المشاهدة ، فنطق عن وجدده وحقيقته بمحض الإخلاص وخالص التوحيد ، ووقتاً رداً إلى صفتة ، وعجز بشرية ، وذل آدميته ، فنطق بها وجد من ذلك .

كما قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله : العارف إذا ذكر ربه افتخر ، وإذا ذكر نفسه افتقر واختر ، وهذا المعنى موجود في العلم .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لي وقت لا يعنى شيء غير الله ، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر » .

وروی عنہ صلی اللہ علیہ وسلم أنه قال : « لا تفضلونی علی یونس بن متى ۲۰۰
عایہ السلام ، أنا ابن امرأة كانت تأکل القدید .
فکم بین الخبیرین وتفاوت ما بین الوقتین ! ! واللہ اعلم .

ومما یضاهی هذا الذی قلناه ما حکى عنه . یعنی عن الشبلی رحمہ اللہ : أنه
أخذ من ید إنسان کسرة خبز فأکأها ، ثم قال : إن نفسی هذه تطاب منی کسرة
خبز ، ولو التفت سری إلى العرش والکرسی لاحترق . أو كما قال ، یرید بذلك
الالتفات بسرہ إلى العرش والکرسی : أن یجد له فی سرہ أثرًا فی الحدایہ
والآدم : لأن العرش والکرسی محدثان مخلوقان مما لم یکن فکان .

وحکی عن الشبلی . رحمہ اللہ : أنه سئل عن أبی یزید البسطامی رحمہ اللہ
وعرض علیہ ما حکى عنه : مما ذکرناه . وغیر ذلك ، فقد الشبلی . رحمہ اللہ :
لو کان أبو یزید ، رحمہ اللہ : هاجم لأسلم علی ید بعض صحبائہ ، وقال : ما أش
أحدًا یفہم ما أقول لشدت اورتا یر .

قلت : قد أشار إلى ما قال الجنید ، رحمہ اللہ : إن أبی یزید ، رحمہ اللہ : معصوم
حاله وعلو اشارته : لم یخرج من حد البدایہ . ولم یسمع ید أحدًا من
الکمال والنہایة .

والمعنی فی ذلك : أن هؤلاء ، مخصوصین بهذا العلم : فکأنه قد خدعهم
کل واحد منهم یرى أن حاله أعلى الأحوال . وذلك غیرة من الخس .
لا یسکن بعضهم إلى بعض .

ألا ترى أن أبی یزید . رحمہ اللہ : تکلم وأشبهه من مهم شمس .
وأهل عصره .

ثم قال الجنید ، رحمہ اللہ إنه لم یخرج من حد البدایہ . ولم یسمع له لفظًا یدل
على أنه وصل إلى النہایة .

ثم يقول الشبلي ، رحمه الله : لو كان أبو يزيد ، رحمه الله : عندنا لأسلم على يد
بعض صبياننا ، يعني لاستفاد من المريدين الذين هم في وقتنا .

وحكى عن بعض المشايخ أنه قال : وقتتُ على الشبلي عشرين سنة ما سمعتُ
منه كلمة في التوحيد ، كان كلامه كله في الأحوال والمقامات .

وهذا كله قليل في عظم ما أشاروا إليه من الحقيقة ، لأن حقيقة التوحيد لا غاية
لها ولا نهاية ، وكل واحد منهم قد غرق في بحر لا يوصف حدُّه ولا يُدرك منتهاه :
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

باب في معنى حكاية حكيت عن الشبلي رحمه الله

قال الشيخ ، رحمه الله : قل بعضهم : وقعت على الشبلي ، رحمه الله فسمعته يقول : أمر الله تعالى الأرض أن تبعني إن كان في فضل منذ شهر أو شهرين لذكر جبريل وميكائيل ، عليهما السلام .

وسمعت الحصري يقول : كان الشبلي رحمه الله يقول لي : إن برئياتك تدرك جبريل وميكائيل عليهما السلام أشركت .

فرايت جملة قد أنكروا هذا ، فأنقص جبريل وميكائيل من الملائكة المقربين .

وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : رأيت جبريل وميكائيل عليهما السلام مثل الخس الذي فعمت به فضل عبد وحبيبه جبريل وميكائيل .

فقال : إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رآه عليهما السلام ، فماذا يقال فقال أن يقول مثل ذلك .

فأقول ، والله متوفيق : إن كلامه جليل ، مستطير ، منزه عن الغش ، والخبث ، محملاً وتصيلاً ، ورأيت من المصنف في هذا قوله والظن في هذا الخبر المنفصل ، لأن الجمال إذا يكون له مقدمة ما لا يوجد ، وإنما هو مشروحا مبيناً مختصراً ، وهو محال لا يمكن أن يكون ، وهذا الخبر الذي

الشبلي ، رحمه الله : كلامه محال له مقدمات ، وهذا الخبر الذي رواه الشبلي ، رحمه الله ، رحمه الله ، وإذا لم يسمع به ، فإنه لا يكون الكلام ، فأحرى أن يشهد عليه به .

وبيان ما ذكرنا في حكاية حكاية أبي محمد السبلي ، رحمه الله ، هذه المقدمات هذه الحكاية بغيرها ، وهي : ومعنى هذه الحكاية : أن الحكاية ، أنه قال :

Marfat.com

وقف رجل على الشبلي ، رحمه الله ، فسأله عن صورة جبريل عليه السلام فقال
الشبلي ، رحمه الله : سمعت في الرواية : أن لجبريل عليه السلام سبعائة لغة وسبعائة
جناح : منها جناحان ، إذا نشر واحداً غطى به المشرق ، وإذا نشر الآخر غطى
به المغرب ، ذأيش تسأل عن ملك تغيب الدنيا بين جناحيه رآه على صورته قد سد
الأفق لا ثم قال الشبلي رحمه الله للرجل : نعم .

٢٠٣

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه : أن صورة جبريل عليه السلام في قائمة
الكرسي : مثل الزردة في الجوشن ، والكرسي وجبريل والعرش ، كل ذلك مع
الملكوت الذي ظهر الأدل العلم مثل لومة في أرض فلاة .

ثم قال : أيها السائل ، ههنا علوم أظهرها ، فهل تخمها الأجساد ، أو تطيقها
الأيدي ، أو يحويها العقول ، أو تحدها الأبصار ، أو تخرق في الأسماء ؟ يدك بها منه ،
وعينه وإيد ، المتأثر الحق بملك هو له غيب ، لا يسع سواه ، ككشف منه ذرة
وقف على الأرض ذير ، ولا حجات الأشجار ، ولا جرت البحار ، ولا أظلم ليل
ولا أشرق نهار ، ونكته حكيم عليه ، إنهم لا يطيقون هذا .

ثم قال : أيها السائل : إنك سألتني عن جبريل عليه السلام وأحواله ، فأمر الله
نعني لأرض أن تتلغى إن كان في فضل ، منذ شهر ولا شهرين لذكر جبريل
وميكائيل عليهما السلام ، فإذا كان كلاماً محتجج أن يكون له مثل هذه المقدمات
التي ذكرنا ، حتى يتبين معناه ، فيتصد المتمنت إلى آخر الكلام منها ، وينقلها إلى
من لا يفهم ذلك ، حتى يبسط لسانه بالوقية والطعن في أولياء الله تعالى وأهل
خصته ، فيكون ذلك من أكبر الكبائر وأعظم الإثم .

وبالله التوفيق .

باب آخر

في معنى أحوال كانوا ينكرون بها على الشبلي ، رحمه الله

قال الشيخ رحمه الله : ومن ينكرون على الشبلي ، رحمه الله ، أيضا : أنه كان
يحب أن يلبس ثياباً مثمناً ، ثم يمزعها ويضعها فوق الدر .

وذكر عنه أنه أخذ قطعة عنبر فوضعها على الدر ، فكان يبخر بها تحت ثياب
حمار ، وأنه كان يقول : لو كانت الدنيا تجمد في فم طائر لرحمنا ذلك الطائر .

وقال بعضهم : دخلت عليه ، فرأيت بين يديه الموز والسكر وهو يمزجهم بيده
وحكى عنه أيضا أنه كان يقول : وجدت أن لو كانت الدنيا تجمد ، والآخرة تجمد
أجمعها في فمي ، حتى أتيت هذا الخاق بلا واسطة .

وحكى عنه أيضا : أنه بيع عترة بثمان كثير ، ففهم من مؤمنه حتى أتته
وفرقها على الناس ، وكان له عيال لم يدفع إليهم شيئا من ذلك .

قلوا : هذا وأشبهه هذا محنة لهم ، وقد هي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
عن إخضاع المال ، ومن إمامه في الذي كان يدفع إلى الناس ولم يترك إمامه

فيقال : إمامه أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، به خرج من جميع ما كان له ،
فما قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : ما خفت بعدك ؟ قال : الله ، رسول الله ،
ينكر عليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ذلك .

وإضاعة المال أن ينفقها في معصية الله تعالى ، فليس أدق من أن ينفق في معصية
يكون ذلك من إخضاع المال ، وله أنفق ما ندم أن يدر في غير المعصية ثم يهرب ذلك
من إخضاع المال .

أما الذي كان يمزقه بالنار فلاه كان يشغل بقلبه عن الله تعالى .

وقد ذكر الله تعالى في قصة سليمان بن داود، عليه السلام، فقال: «وَوَهَبْنَا لَهُ إِذْ يُرِيدُ أَنْ خَارِجًا فِي الدَّارِ الْأَيْمَىٰ» * إِذْ عَرَّضَ عَلَيْهِ بِالصَّخِيَّاتِ الْكَبِيرَاتِ * فَذَكَرَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ حُبَّ نُحَيْرٍ عَنِ دَكْرٍ رُبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رَدُّهَا عَلَىٰ قَطْفِقٍ، سُجَّدًا بِالشُّوْبِ وَالْأَعْنَاقِ (١)، يقال: إنه كان له ثلاثة نفر من بنيات لم يكن لأحد منهن مثلهما قبلاه ولا بعده، فكان يعرضُ عليه ذلك، فاشتغل قلبه لذلك حتى، فأتته صلاة العصر عن وقتها، فعاد ذلك قال: «رَدُّهَا عَلَىٰ قَطْفِقٍ وَسُجَّدًا بِالشُّوْبِ وَالْأَعْنَاقِ (٢)»، فمَرَّبَ جَمِيعَ وَخَرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فشكر الله له ذلك، وورد له الشمس إلى موضعها الذي تكون فيه وقت العصر، حتى صلاها كجود في نُحَيْرٍ (٣).

وقد روى أيضا عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في هذا المعنى: أنه سمع فاته صلاة العصر يومه، فمَدَّقَ، ووجد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لذلك وجدنا ذلك حتى قال: «شكرت عن الصلاة الوسطى: صلاة العصر، ما لألله قوتهم وبيوتهم نرا»، وكانوا قد آذوه قبل ذلك أذى كثيرا، وضربوه، وطردهوه، وشتموه وطرحوه عليه الكرش والدم، ولم يدع، صلى الله عليه وسلم، يوم يرد على أن قال: «اللهم اغفر تقومي فيهم لا يعلمون» فاه، اشتغل قلبه بما فاته من الصلاة عن وقتها، دعا عليهم من شدته وأجده بذلك.

وهذا أتى في معناه مما فعل سليمان عليه السلام.

فإن سأل سائل فقال: أليس المعنى في رد الشمس سليمان إلى موضعها ولم ترد للذي صلى الله عليه وسلم؟

(١) ص: ٣٠ - ٣٣

(٢) المطلوب شرعا نفع الناس به لا هذا الإهلاك بدون فائدة، وتلك حكاية لا تنهض دليلا.

فيقال : لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، بعث بالحنيفية السمحة ، فسومح له بذلك ، لأن فرضاً منعه عن الفرض ، لأن حفر الخندق كان من أمر الجهاد في سبيل الله ، فلما حبسه فرض الجهاد عن فرض الصلاة سومح له بذلك ، وسأمان عليه السلام لم يحبسه عن فرض الصلاة فرض ولا تطوع ، فمن أجل ذلك لم يسامح له ، وإكرام نبينا ، صلى الله عليه وسلم بالسامحة أنه من رد الشمس لسلمان عليه السلام ، وإنه سجد لم تورد عليه الشمس .

وبعد فإن عند أهل الحقائق أن كل شيء تغلبهم عن الله تعالى ، من الدنيا والآخرة ، فذاك عدوهم ، يطلبون الخلاص منه بجميع ، يتكلمهم ، ولا ينبغي أن يكون فيهم فضل لسواه ، فهذا على هذا المعنى : وبالله التوفيق .

والذي قال : وددت أن الدنيا تمسك أجمعها في فم يهودي ، من حرمها عليه

وقدر دوى في هوان الدنيا عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، إنما هو من شدة

دروى عنه ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لا يسلم من يبيع نفسه بالدينار »

وزروي عنه ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لا يقر أن الدنيا أول ما يفتن به

بعوضة ، سقى كافراً منها شربة من مائه ، حدثت به »

باب آخر في شرح كلام تكلم به الشبلي رحمه الله

وهو مما يشكل فهمه على قلوب الامراء والنقياد ، وأتماظ جرت بينه

وبين الجنيد رحمه الله

قال الشيخ ، رحمه الله : حكى عن الشبلي ، رحمه الله أنه قال ، يوماً لأصحابه ،
يقومون مشركين إلى مالا وراء فلا أرى إلا وراء ، وأمر يميناً وشمالاً إلى مالا وراء ، فلا أرى
إلا وراء ، ثم أرجع فأرى هذا كله في شعرة من خنصرى .

قال ، شكل على جماعة من أصحابه ، إشارته فيما قال .

قال الشيخ أبو نصر : إشارته في قال ، والله أعلم ، إلى الكون ، لأن الكرمي
بأنه من تحت ، . . . وليس في الدنيا وراءه وراء ، ولا تحت تحت لانها ية ،
ولا من أحد من الخلق أن يحده أو يصفه إلا به وصفه الله تعالى به ، ولا يحيط بذلك
من خلق ، فقد انفرد بعلم ذلك خاتمة وصانعه .

قال : أرجع فأرى هذا كله من شعرة من خنصرى ، يريد بذلك : أن قدرة
الذير في خلق هذا كله وفي خلق شعرة من خنصرى واحد .

بوجه من وجهها آخر وهو أن يقول : إن الكون جميعه ، خلق ، وإن كانت
مسافته بعيدة ، وطوله وعرضه عظيماً ، في كبرياء خاتمه وعظمة صنعه كشعرة من
خنصرى بل أقل من ذلك .

وحكى عنه أنه قال : إن قلت كذا فإله ، وإن قلت كذا فإله ، وإنما أتمنى منه ذرة
كأنه يشير إلى قوله : « وَهُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا (١) » وأنه حاضر لا يغيب ، وهو
بكل مكان لا يسعه مكان ، ولا يخلو منه مكان .

وقوله : إنما أتمنى منه ذرة يعني الخلق محجوبون عنه بأسمائه وصفاته ، وما أعطاهم منه غير اسمه وذكره ، لأنهم لا يستطيعون أكثر من ذلك .

وفي ذلك كان ينشد الشبلي رحمه الله ويقول :

فقلت : أليس قد فضوا كتابي
فقال : نعم ، فقلت فذاك حسبي
واه أيضاً :

أليس من السعادة أن داري
مجردة لدارك في السعادة
وأناشد :

أظلت عاينه منذ يوماً خمسة
أضيات له برد ، وأبطل ريشه
فلا غيم ، وهو فريس طابع
ولا غيب ، يأتي فيروى عيطه

وقال الشبلي رحمه الله : كتبت حديث والنقد لأليس من حسبي السعادة
إلى كل من كتبت عنه فقلت : أريد فقه الله تعالى ، ثم معنى حسبي

ومعنى قوله : حتى أسفر الصبح ، يعني به حتى أتت أمد حظه ، ومعنى
إني حقيقته النقد والعمد والمعرفة .

ومعنى قوله : هات فقه الله تعالى ، يعني فقهه في علمه لأمره
والله تعالى ، في كل لحظة وطرفة عين .

قال : وقال الشبلي للجنيب رحمه الله ، يا أي القوم ما فعل حسين بن علي
وحقيقة لا فقال له الجنيب ، رحمه الله : يا أبا بكر ، ذلك ه بين أمير المؤمنين في ذلك
هذا عشرة آلاف مقام ، أوله نحو ما بدأت به .

والمعنى فى ذلك : أن الجنيد رحمه الله ، كان منتشرهً على حاله بفضل علمه وتمكينه فأوراء موضع ما يخشى عايه من الدعوى فيما يقول ؛ لان من كان الله حسبه قولاً وحقيقة يستغنى عن السؤال ، فسؤاله للجنيد ، رحمه الله ، عن ذلك ينبىء عن أنه مقرب لما هناك .

وهكذا سمعت بن علوان يقول : كان الجنيد ، رحمه الله ، يقول : قد أوقف الشبلى رحمه الله ، فى مكانه ، فما بعد ، ولو بعد لجان منه إمام .

وقال أبو عمرو : ربما كان نبي - الشبلى ، رحمه الله ، إلى الجنيد ، رحمه الله ، فيسأله مسألة ، فلا يجيبه ، ويقول : يا أبا بكر ، هو ذا أشفق عليك وعلى ثباتك ؛ لأن عند الاضطراب ، والأزعاج ، والخذلة ، والغيث ، والشطح : ليست هى من أحوال المتسكنين ، وهى منسوبة إلى أحوال أهل الهدايات والإرادات .

وكذلك حكى عن الشبلى ، رحمه الله ، أنه قال : قال الجنيد يوماً : يا أبا بكر "ش تقول ؟"

قلت : أنا أقول ، الله

قلت : أمرًا ، سلمك الله

يعنى بدلت : بك فى خطر عظيم ، فإن لم يسلمك الله فى قونك : الله ، من

لا تفت إلى شئ - سوى الله ، فأسوأ حالك !!

وكان الشبلى ، رحمه الله ، يقول : أنف عام ماضية فى أنف عام واردة ، هو ذ

الوقت ، ولا تقرنك الأشباح .

وكان يقول : أتم أوقاتكم مقطوعة ، ووقتي ليس له طردن !!!

وربما كان يشطح ويقول : أنا الوقت ، وقتى عزيز ، ليس فى الوقت غيرى ،

وأن محق .

وكان ينشد هذين البيتين :

مَكِينٌ فِي مَعْمَلِهِ مَبْكِينٌ	أَمِينٌ الْحَقِّ آمَنَهُ آمِينٌ
تَعَاوَزَ عِزُّهُ فَأَعْتَزَّ عِزًّا	فَقَدَّ فَاتَ الْيَقِينُ مِنَ الْيَقِينِ

وربما كان يقول : نظرت في كل عز فزاد عزِّي عليهم ، ورأيت عزهم ذلك في عزِّي ، ثم كان يتلو في إثره : « من كان يريد العززة فليله العززة جميعاً » (١) ثم يقول :

مَنْ أَعْتَزَّ بِذِي الْعِزِّ فَقَدِرُ الْعِزِّ كَلُّ عِزِّ

قال الشيخ ، رحمه الله : أما قوله : الوقت ، فإنه يشير إلى النفس الذي من النفسين ، والخاطر الذي بين الخاطرين ، إذا كان بالله وقت ، وعمد وقت ، وإراد وقت نفس ، ولو في ألف سنة ، فقد فت ما لا يحق ولا يسر كما يفتن من .
يعني : أن ألف عام ماضية ، وألف عام واردة ، هفتك الذي بين النفسين ، يجب أن لا تفوتك ، والعزير : من أجزد ، فلا يحق أحد في عاوية هفتك الدليل : من شغل الله عنه غيره ، لا يحق أحد في ذلك .

وقوله : لا تغربك الأضبح ، فكأن شي . سوى الله من : أضبح ، من أضبح إليه فقد غربت .

وقوله : أن كحق ، يعني في فوني : أن وقت ، لا يشير بذلك إلى الله .

وقوله : وقتي ليس له طرفان ، لأن في كل شيء وقت ، فليس له طرفان ، فإن الاشتغال بغير الله ، والسكون إلى جميع ما سوا الله من غير الله ، نفس فيه مسحة ولو في ألف سنة .

وحكى عن الشبلي : أنه قال ، أيضاً : ما بهر إن كنت تعلم أن في كل شيء وقت ، فخرقتي ببارك ، لا إله إلا أنت .

فيذا وما يشبه ذلك : غلبات وجد عبير عه على حسب ما وجد في وقته .
ولا يكون ذلك على الدوام ، لأن ذلك : حال ، فيه الحال نازلة ، تنزل بالعبء
في الحين ، ولا ثابت به على الدوام ، وذلك رفق من الله ، عز وجل ، بأوليائه
وخاصته ، ولو دام ذلك لبطنا عن الحدود والحقوق ، وتعطلوا عن الآداب والأخلاق
ومعاشره الخلق .

ألا ترى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سألوا عن ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : « يا رسول الله ، إنا إذا كنا عندك وسمعنا منك ترقق
قلوبنا ، فإذا خرجنا من عندك نرجع إلى الاشتغال بالأهل والولد ، فقد رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « لو بقيتم على الحال الذي تكونون عندي تصفحتكم الملائكة »
كما جاء في الحديث .

٢٠٨

وذكر عن الشبلي ، رحمه الله : أنه كان يقول : لو خطر بي إلى أن أجهيم بنيرانهم
وسعبرها تحرق مني شعرة لكنت مشركاً ، لمؤكلاً قال .

فكذلك يقول : نحن أيضاً : إن جهنم ليس إليهم شيء ، من الإحراق ، لأنهم
مأمورة ، وإنما يوصل ألم الاحتراق إلى أهل النار بقدر ما قسم لهم (١) .

فما حكى عنه أيضاً أنه قال : أيش أعمال بلطني وسقر : عندي : أن لظني
وسقر فيهما تسكن ، يعني في القطيعة والإعراض ، لأن من عرفه الله بالقطيعة فهو
أشد عذاباً من عذبه بلطني وسقر .

وذكر عنه : أنه سمع قارئاً يقرأ هذه الآية « أخصوا فيها ولا تكلمون » (٢)
فقال الشبلي : ليتني كنت واحداً منهم ، كدنه أشار إلى رد جوابه إليهم ، فقال :
ليتني كنت ممن يرد جوابي ، ولو في النار ، من شدة وجهه ، لأنه لا بدري مسبق
له منه بالسعادة والشقاوة والإعراض عنه أو بالإقبال عليه

(١) هذا من أدق الأوصاف لجهنم وينبغي أن يفهم (٢) المؤمنون : ١٠٨

وذكر عنه ، أيضاً ، أنه قال في مجلسه : إن الله عبادكم بزقوا على جهنم لأطفوها (١) ،
فصعب ذلك على جماعة من كان يسمع ذلك :

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : تقولون جهنم يوم القيامة قتلة من :
جزء يامؤمن ، فقد أطفأ نورك أبي .

وفيما يحكى عن الشبلي ، رحمه الله : مثل هذا كثير لا يتعبنا ذكره - كرهة
التطويل ، والعاقل يستدل بالقليل على الكثير .

وبالله التوفيق

(١) قوله : لأطفوها : أى . لاطفأوها

باب في ذكر أبي الحسين النوري ، رحمه الله

وما شهدوا عليه بالكفر عند الخليفة،

وغير ذوات

قال أبو نصر : وفي بلغني أن أبا الحسين أحمد بن محمد النوري ، رحمه الله ، كان في أيام الموفق ، وكان ينكر عليه غلام الخليل ، فرفع إلى الموفق ، وهو يومئذ أمير المؤمنين ، أن يبغداد رجلا من الزنادقة دمه حلال ، فبين قتله أمير المؤمنين ، قدمه في عنقي ، قال فبعث الخليفة في طاه ، فحمل إياه ، فشهد عليه « غلام الخليل » : أن سمعته يقول : « أعشق الله وهو يعشقتني ، فقال النوري ، رحمه الله : سمعت الله على ذكره يقول : « يحبهم ويحبونه » ، وليس العشق إلا كراهة من الخوة ، غير أن العشق ممنوع ، والمحبة يتمتع بحبه . قال فبكي الموفق من رقة كلامه !

وشهدوا عليه أيضا : أنه سمع آذان مؤذن فقتل طعنة وشم موت ، وسمع يوحى الكلاب فقال : البيت وسعد بن

فقتل له في ذات ، فقال : « ما المؤذن فؤاد غار عليه أن يذكر الله وهو غافل ، ويأخذ عليه لأجرته ، ولولا لأجرته ، القليل من حطام الدنيا ، التي يأخذها ، ما ذكر الله ، فلهذا قتلت له : طعنة وشم موت ! وقد قال الله جل ذكره : « وإن من شيء إلا يسبغ به نبيذنا ونسقيه ونسقيه ونسقيه » (١) « فانسكب ، وكل شيء يذكر الله بالارياء ولا سمعة ، ولا طاب للعرض ، فبذلك « قتلت ما قتت » :

قال : وحمل النوري مرة أخرى إلى الخليفة وشهدوا عليه بأنه قال : « كنت البارحة في بيتي مع الله » فسئل عن ذلك ؟ فقال : صدق ! وأن الساعة مع الله ، وإذا

(١) الإمراء ، ٤٤

كنت في البيت فأنا مع الله ، وإذا كنت في برّيه فأنا مع الله ومن كان في الدنيا مع الله فهذه في الآخرة مع الله! أليس يقول الله جل ذكره: « وَآتَقَدُ خَلْقَكَ الْإِنْسَانَ وَعَلِمَ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١) » .

قال : فعانقه الخليفة بيده وقال : تكلم بما شئت ! فتكلم النوري بكلام لم يسمع به قط ، فبكى الخليفة وبكوا جميعا وقالوا : « هؤلاء أعرف بالله من غيرهم ! » .

وسمعت أبا عمرو بن عوان يقول : حملني إلى أبي الحسين النوري « فلما أتته » ثم عقار بيع له فصعد قاطرة الصرقة ، وكان يرمي واحدا واحدا منهم إلى ما وراءه « حبيبي تريد أن تخدعني منذ كنت بمنزلة هذا ! » .

فقلت بعض الناس : بس ما فعل لايم أنفقهم في سبيل خير كان خير . قلت إن عدم أن تلك الدابة كانت تشغله عن الله طرفة عين فكان لأوليها من الخير في الماء مذفوة واحدة ، حتى يكون أمرت بخلاصه من فمذمة كماله . قلت عن سليمان عبيد السلام حيث يقول : « تطمين مسجودك في وكلاءك (٢) » . ذكرت ذلك في موضعه .

قال أبو نصر : « وأبو حسين نوري من نور حسين ، ومن نور حسين كان نور الطيفة ، وله كلام مشكل وأشعر كثيرا وكان يعرف من عرفه به . »

ذكر عنه أنه قال : قرب القرب ، في معنى ما أمر به من قرب من الله . وهذا كلام معناه من يوم عند أهلوه وهو قريب من قول القائل : « حسنات الأمور » (٣) ، وقول القائل : « الخالص من الدين » .

ولأبي الحسين النوري أبيات كثيرة من أبي سعيد خرداذبة :

(٢) ق : ١٦ (١) ح : ٢٣

(٣) والمحفوظ : حسنات الأبرار سيئات المقربين

أعمري ما امتودعت سرى وسره سواء (١) حذاراً أن تشيع السر أتر
 ولا لاحظته مقلتي بنظرة ، قد شهد نجومنا العيون النواظر !
 وإنكن جعلت أوهم بيني وبينه رسولا: فأدى ما تسكن الضائر !
 وفيه إشارات غريبة ومعان عجيبة يشير إلى سره الذي هو مخصوص به وينطق
 من وجدده الذي لا يضيف ذلك إلى صفته ولا ينسبه إلى مكان ليس ذلك من نعمته .
 والنوري مثل ذلك كثير ، وفيما ذكرنا كفاية ، وبالله التوفيق !

(١) من معاني السواء : الغير

باب في ذكر أبي حمزة الصوفي ، رحمه الله

فأما أبو حمزة الصوفي : فكان من أجلة المشايخ ، وكان من أهل الإشارة
والعبارة ، وله أيضاً كلام وأقفاظ مشككة ، سمعت أحمد بن علي الوجيزي يقول :
سمعت أبا علي الروذباري ، رحمه الله يقول : أطلق على أبي حمزة أنه سبوي ، وذلك
أنه كان إذا سمع صوتاً مثل هبوب الرياح ، وخرير الماء ، وصياح الطيور ، فكان
يصيح ويقول : « لبيك ! » فرموه بالخلول ، لبعده فهمهم في معنى إشارته ، وذلك
أن أرباب القلوب ، ومن كان قلبه حاضرًا بين يدي الله ، ويكون دائمًا في الله ، فيرى
الأشياء كلها بالله ، والله ، ومن الله ، وإلى الله ، فإذا سمع كلامه فكان يسمع
سمعه من الله ، ولا يكون ذلك الخال إلا بعد مجموع عن الله ، لا يصح في هذه الحالة
إلى سوي الله ، فعند ذلك يقع له حقائق الفهم عن الله في جميع ما سمع وسمع به من
من الأشياء ! .

ويبلغني عن أبي حمزة أنه دخل دار حارت حمصي ، وكان الخواص من حارس
وثياب نظاف ، وفي داره شدة مروح ، فصاح الشدة ، غير مشتم في أبو حمزة ،
وقال : « لبيك يا سيدي » قال : فغضب الحارت ، وعهد بين مكان ، فقال : « إن
تتب من هذا الذي أنت فيه أذنك » . قال له أبو حمزة : أنت في دارك
أن تسمع هذا الذي أنت فيه لا تأكل الخبثة بل ما لا تأكل الخبثة ،
الطيبات والتوسع في الدار والتمتع ، يريد بذلك : أن لا يترك
المريدين والمبتدئين ، وتوسعك على نفسك وبسائط في التوسع في التوسع ،
حال الأنبياء ، والصديقين « الذين يظهرونهم في السوء » .

ويبلغني عن أبي حمزة رحمه الله أنه دخل عليه ، قال من أهل حرسان ، فساله
عن مسألة في الأمن ، فسطح أبو حمزة ، وقال : « أريد أن يكون من يمشي

مسورة (١) وعلى يساره سبع لم يبال على أيهما يتكى، وكأنه أشار إلى نفسه بذلك .
وزعم أن الأمن لا يصح إلا لمن يكون بهذه الصفة .

قال : فذل له الخراساني : هذا شطح هات العلم . ثم قال : خذها يا بدبخت (٢)
أعرف من لم كان بالغرب وهو يريد المشرق لم يتغير سره في بين ذلك . ثم خرج .
قال : قال أبو حمزة : فبقيت أربعين ليلة لا آكل ولا أنام : حتى يتبين لي علم ما قال
ذلك لرجل . فكأنه أشد بأن الأمن لا يصح إلا لمن يكون حاله كذلك . فزاد
في المعنى من ما قال أبو حمزة ! فإني قل قاتل : هذا دعوى من الجميع ، فيقال له :
« لا يجوز أن تعلم (٣) أقوال المنقدهين ، ويوجد ما يذكر عنهم وجه . وقد قال اللحن
٣١٠ ذكره في كتابه بنعمية ربات فحدث (٤) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا أعم
الله على عبد نعمته ، أحب أن يرى أثره عليه » وهذا من أعظم النعم — فيجوز أن
قرئوا من أعظم الله عليهم . ومن قال غير ذلك فيحتاج إلى بيان ودليل .

٤

(١) سلكاً من جلد (٢) عظيم (٣) قوله تعال : أي تعال (٤) الضحى : ١١

باب ذكر جماعة المشايخ الذين رموهم بالكفر

ونصبوا العداوة معهم ورفعوهم إلى السلطان قال أبو نصر: « فأما الذين نصبوا العداوة مع هؤلاء القوم، واعتقدوا فيهم الباطل فعلى وجهين: فمنهم قوم لم يفهموا معاني ما أشاروا إليه في كلامهم من غمض العيون وجبير الخطب، ولم يكن لهم زاجر من العقل ولا واعظ من الدين أن يستبحثوا عن المعاني التي أشكلت عليهم ويسألوا ذلك عن أهلها، وقد قالوا ما يسمعون من خلق مما سمعوا من العلوم المبتوثة بين عوام الناس حتى أنكروا، فمهم من رجع عن ذلك بآب وأتاب، ومنهم من مات على ذلك فأسره إلى الله بن شاذان عبدون من بني كندة، ومنهم من علم مقصدهم وبعثهم في أقاليم أوقد صدمهم رجوعهم إلى الباطل، فمهم على حالهم ودعاء شيطانهم وحمولهم إلى حباب لؤيصة وجمع من أهل الجاهلية والباطل به فجعل المعاداة والمنافاة معهم، واللعن واللعن عليهم، واستنابوا إليهم عليهم، وسلموا إلى جمع الدنيا وسيد إلى قبور (١) القبول من الجاهل من أهل الجاهلية، وأسرتهم أهواؤهم، واستحدثت في طينته: أن يفتك بهم، ويأكلهم، ويأكلهم للمآثم، ويشهد بالزور، ويكتب عن الله عن رسول الله، ويشتبه بالحق والباطل على أوليائه وأحفاده، وينسبهم إلى الكفر، واللعن عليهم، واللعن عليهم على سفات دمامهم: الغاغ (٢)، والجبهة من أوهامهم، ومن أهل الجاهلية من رموا هؤلاء، وكما جمع في طاعة الله ورضاه قد فرقه بالأمم، ومنهم من رموا هؤلاء شرا من هؤلاء.

ولو ذكرت قصص هؤلاء مما أسد من عقولهم، لكانت أطول من أن يكتبها، يقول (٣) ... ولكن يذكر من ذلك طائفة من أهل الجاهلية من

(١) قبول: أي إقبال قلوب الجاهل إليه
 (٢) الغاغة: الغوغاء، من الناس، كما يستفاد من العاموس
 (٣) الأولي أن يقال: لطال الكلام.

فمن ما وقع الذي النون المصري ، رحمه الله ، حيث شهدوا عليه بالكفر والزندقة
ورفعوه إلى السلطان حتى أشخص وشيل وأجاب عما سئل وردّوه إلى موضعه
بزيارة مكرمة (۱) .

خبر عن ابن العربي أنه قال : كنت مع ذى النون فى الزورق ، وإذا بزورق
تجدد من الدنيا من الناس فذى النون : « هؤلاء هم الذين يشهدوا عليّ
بند السلطان بالزندقة ، فقال ذى النون : « لعلهم إن كانوا كاذبين فخذوا ! » ، قال :
بن العربي : فى سبهم كلامه حتى انقلب الزورق وغرق القوم . قال : فقلت لذي
النون : ما سبب أن الزورق استقر فى مشهدك فذهب الملاح ؟ قال : لم حمل الفسق ؟
فغرق ، وإذا هؤلاء يوم القيامة ، شهداء الفرق ، حيرهم من أن يقوموا شهداء ،
زورقهم قال : سمى الفسق فخذوا وقال « وعزتك وجلالك لا أذكر على
خفت أبداً . »

فصل آخر

وسمى سمون : كان يقال له : « سمون حجب » وكان موصوفاً بحسن أوجه وحسن
الكلام فى النجبة وعذوبة المنطق ، بلغنى أن امرأة ماتت إليه وهو يتد ، فماتت سمون
بذلك طرفها من مجسده ، ول : تجرت هذه امرأة إلى جنين ، رحمه الله ، فقالت :
ما تقوى فى رجل كان طريقى إلى الله ، فذهب الله وبقي الرجل ؟ .

فبعد الجنبات من مهادهم فماتهم وقال : « حسبت الله ونعم الوكيل ! » ثم عرضت
نفسها بالزواج على سمون فبى ثبات عيها سمون .

فهمت أن غلام النجيب هو منكر على هؤلاء - وهو عاديهم - فقصدت إليه
وقالت : إن هؤلاء صوفية فلان وفلان وذكركمهم « يجمعون معى كل نبي على الحرام »

(۱) الأولى : أن يقال : معززا ليناسب ما بعده

فشهد عليهم غلام الخليل بذلك وقال : « هؤلاء زنادقة ودمهم في عنقي » فباعني أن
السلطان أمر بضرب أعناقهم ، حتى كشف الله عنهم ذلك ونجاههم وخلصهم ! .

وأما أبو سعيد أحمد بن عيسى الخزازي الكوفي عليه جملة من العلماء ، واسمهم في
الكفر بالفظا وجدوه في كتب صنده وهو : كتاب السر ، في شهادته وعنده
وهو قوله : « عبد رجع إلى الله وتعنى بالذكر ، وذكر في قرب الله وطاه ما كان به
من العظم لله ونسى نفسه وما سوى الله ، فهو قاتل له ، من بين ثلث وأربعين
لم يكن له جواب غير قول « الله الله » .

وأشبهه ذلك موجود في كتبه ورواياته ، وقد شرحت كتاب في بيته .

فصل آخر

وأما عمرو بن عثمان ملكي : كان عدو حرمه في عهد مروان بن الحكم ، فباعه
في يده بعض تلاميذه فخذ الكتاب وقرأه ، فوجد في الكتاب خبر من كان
موت يتطوع بيده في جبهه ويضرب مقدمه ، قال : بين هؤلاء من يبيع نفسه
الكتاب ، كان « الحسين بن منصور الحلي » ، قال : في ذلك من يبيع نفسه
عمرو بن عثمان .

فصل آخر

وأما سليمان بن عبد الملك عليه جملة من العلماء ، فباع نفسه في عهد مروان بن الحكم
مع كل نفس ، ما كان في جبهه من بين الناس إلى العمدة والعمدة من بين العلماء
وركبه وسبه إلى القبر مع صدقته حتى ما به ما به ، وكان في ذلك من يبيع نفسه
تسخره لنقله إلى البصرة ، حمد الله .

فصل آخر

وكذاب أبو « عبد الله الحسين بن مكي الصبيحي » تكلم في شيء من علم الأسماء
والصفات وعلم خروف ، فكفره « أبو عبد الله الزبيرى » وهيج عليه العامة فقال :
إن سهل بن عبد الله قال له : نحن فتحنا للناس جراب الخلتيت فلم يصبروا علينا !
فكلمك ككلمتهم أنت ، لا يعرفون ؟ فكان ذلك سبب خروجه من « البصرة » ومات
بمدينة « شوشان » وبها قبره .

بغوى من أتى عبد الله الصبيحي : أنه لم يخرج ثلاثين سنة من بيت من تحت
الأرض من كثرة جهاده وتمده ، وكان إذا تكلم بهود المعرّف يدعش العالم
خساره على ذلك !

فصل آخر

رأى « أبو العباس أحمد بن عطاء » مع جلالة وسعة معرفته وكثرة عاهة وحسن
الخط ، رفع إلى السلطان ونسب إلى الكفر والزندقة فدعاه الوزير وهو « على بن عيسى »
فزيّره وجفد عليه في الكلام .

فقال له ابن عطاء : ارتقى يارجل ، فغضب عليه كما بلغنى . فأمر حتى نزعوا خفه
وصنعوه به ، وكان ذلك سبب موته ! .

فصل آخر

وكذلك الجنيد مع كثرة عاهة وتبحره وفهمه وموظفته على الأوراد والعبادات
وفضاه على أهل زمانه : بالفهم ، والعلم ، والدين ، حتى يقال له : « طاووس العلماء » .
فكبر من مرة قد طاب وأخذ وشهدوا عليه بالكفر والزندقة .

وذكر ذلك يطول! وإنما أردنا أن نذكر ذلك حتى لا يتعجب من أهل عصرنا من يبسط لسانه بالوقعة في هذه العصابة فإن الشيء قديم: فأول من امتحن بذلك «عمر بن عبد قيس» من التابعين، رفع إلى «عثمان بن عفان» أنه يقول: «إنه خير من إبراهيم»، «وأنه يحرم ما أحل الله» حتى كتب «عثمان بن عفان» رضى الله عنه، إلى «معاوية بن أبي سفيان» في ذلك، وأشخص «عمر بن قيس» إلى «معاوية» على ظهر قتب. فلما سُئل عن حاله: «وعرف محله ومكانه أكرمه» وردّه إلى موضعه، وكذلك من بعده في كل وقت. «مقصودون: بالأذى، واللعن والوقعة والإنكار، والشنعة، والسذجة» فليس هذا إلا كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاءً»، ثم لا بأس بالامتنان ٢١١ ويبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة فكيف تنزل به الخصال؟ قال، والله أعلم.

فمن امتحن بشيء من في تلك فعليه بالصبر، فإن شجع حزينه في صبره ما أخرج القرج، وأنشد لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه ما أشبهه من الصبر: ما أحسن الصبر في موطنه، ما أصعب في آفة من وطن حزين، حسبك من حسنه عواقبه، رفقتك من صبره في موطنه.

باب في ذكر « أبي بكر علي بن الحسن بن يازدانبار »

سمعت « أبا سعيد بن عبد الوهاب » يقول : كنت ببغداد وقت الذي ورد
 ابن يازدانبار فهجروه المشايخ من أجل أنه رماهم بالكفر والإنكار عليهم ،
 فذكروا ذلك : فقال : « لم أقل شيئاً من ذلك » حتى مشى الناس فيما بينهم ويوقع
 بينهم الصالح .

فإن أبو نصر : وكان « أبو بكر بن زياد نير » ممن قد أحب المشايخ وسافر معهم
 في كلهم واجاب عن المسائل الكبيرة في علوم المعارف والأحوال والتفهمات ، فمضى
 على ذلك برهة من الدهر ، فمما رجع إلى نجرته وأسراجه أهواؤه ومما أتى الزيادة
 وإلى جمع الناس عليه وتصرف الوجوه إليه واستحلى جمع الناس والسياسة ، فاستطاع
 سانه في مشيخته بأرقية ونسبهم إلى البدعة والضلالة وإلى الغلط وخيبة وحسب
 معهم الهدوء والندوات : من التمرد ، ومباعدة كل به البلاد ، ووزع منه الخيل
 « وصار من المطرودين » وقد كان قبل ذلك من المعدودين فيعد المعرفة الكريمة .
 ومن بعد المواصلة هجرهم ، فضيع الأمانة ، وحلف الخيانة ، وترك المحبة ، وترك
 المحبة ، فترك في كتابته سبهم إلا رماهم به ، ولا اهتدى إلى مكارهه إلا فصددهم
 به ، حتى كتب إلى البلاد : يحذر منهم العباد ، وينسبهم إلى الكفر والبدع .
 كل ذلك اضرب لرياسة واتخاذ الجاه عند العامة . فمما يكتسب من جميع ذلك
 إلا فرحة قليلة أعقبها ترحمة طويلة وبقي عليه القبحة والعر والشدة والندامة
 والملامة إلى يوم القيامة .

وهؤلاء المشايخ السادة والأئمة القادة قد زاد الله بذات في مناقبهم ورفع في
 مراتبهم ولم ينقصوا مطعن الطاعنين واتعت المتعنتين عند العقلاء والأدباء وعند

الفقهاء من العلماء ، بل زادوا بذلك عندهم محاسن وفضائل « فرفع الله بذلك أقدارهم
وأخطارهم إلى الأبد » بلا زوال ولا أمد !

وهؤلاء المتعنتون مأثومون مذمومون بخامرون خاسثون موسوون بذلك
إلى يوم الدين . لقد ضلوا ضلالاً بعيداً وخسره خسراً مبيناً .
أعاذنا الله وأياكم من مثل ذلك .

وفي مثل ذلك يقول عبيد الرحيم القناد [رحمه الله] يصف ابن زاذانير :
ويذكر المشايخ الذين طعن عليهم ويقول : —

تكنفت أمراً ظناً عنك حياءه فكيف تسمى وتلقى في
سموت بأحوال العظيمة شخية تزلزل من طيه الطامة
فمهم جنيد [قدس الله روحه] وألجى سبي القدس من طائفة
فكيف منلاً أنت تعرف عينه : فوالك أرض هجرت
وطعنك في النوري أعجب ما به من ملك من يدرك
تبغضت أشيخ التصوف عاب من ملك لا يملك
فكيف طمعت لأن في عيب مشهور

فأنت تسمى عاباً ومبغضاً

وتمنون وانصري ذو الدين بعينه من مذهبنا
إذ جعفر الخدي لم تزل حقه فبأول خير من
وكيف يرجى خير من سب سيدنا من سبنا
فإن نسوان لحق بولده ومشر إذا يطلق عليه
أسرهم سرّاً فلا السر ظاهر عن مسقط الرأس

قد استشعروا كتم السرائر وامتنعوا لموعده ججراً فمات ابتذاله
 إذا نطقوا أعجزك مرعى رموزهم وإن صمتوا هيبات منك اتصاله
 بيانا لكشف اللبس من كل ما كر إذا طاح في الدعوى وطاح انتحاله
 والمعنى أن ابن بزديار وقف على الشبلي فقال: « يا أبا بكر، أريد أن
 أسألك مسألة، وقد قصدتك لهذا »؟

فقال الشبلي: لو كان بيننا وصلة ما أردت أن تتعنى، وان كنت ائذني غيران.
 قال: فمما بيننا وبين ما قد أعدت من الصغين والإسكار عليهم والإطباق عن
 الشبلي ما سمعت من فكأن يسألني ثور الأرمي، وكان إذا جاء من ذمته إنسان
 فقلت: « ثور الأرمي ثور الأرمي »؟

وسمعت أبا عبد الله يقول: رأيت ابن بزديار
 يوردني مسألة في العلم فأحسن جوابي.

ثم سأله مسألة في الدين فحسن فيها ولم يحسن جوابه فقلت له: رد
 جوابي - رحمت الله - فقال: « لا أحببت حتى تقضى دينك » وكان يعلم
 أن ما عني في يستلذني.

قال أبو عبيد: فقلت لأصحابي: يا أصحابي، لا تظنوا أن هذا فراسة، لأن
 هذا عادة:

قال: فحجل من جمعة وانقطع.

وسمعت الحسين بن عبد الله الفارسي يقول: سمعت أبا بكر الفارسي يقول
 دخلت على ابن بزديار فحضرت مجلسه، فقام فرج ناداني فقال: ما تقول في هؤلاء
 العراقيين؟ [يعني الجنيد والثوري والشبلي] قال: فقلت أرباب التوحيد. قال:
 فغضب من كلامي، وقام، وقال لي بعض من كان يسمع كلامه: يا رجل،

اتق الله . قم واخرج من هاهنا ومن هذا البلد أيضاً ، ولا تقم الليلة . . فإنك إن أقيمت الليلة هاهنا نالك مكروء ، ويكون دمك في عنقك وهذه أمانة بيني وبينك قال : « فقامت وخرجت » . أو كما قال

وإنما ذكرت هذه الحكاية ؛ حتى يعلم الناظر في هذا الكتاب أن هؤلاء الذين يطعنون على هذه العصاة لا يكون منهم أحد يرجع إلى دين وأمانة ، وكلهم يكونون مستحلين منسلخين من الدين . أعاذ الله وإني لكم من ذلك .

باب فی ذکر محمد بن موسی الفرغانی

و بیان ما ذکر عنه من الکلام الذی ظاهره مستشنع

و باطنه صحیح مستقیم

قد نظرت فی کلام ابواسنی اکثره فوجدت کلاما فصیحا و اصولا صحیحة .
 إلا أن عامة ما تمکم به استند من منبع العرقیین . و وجدت کثیرا من کلامه
 مدونا فی دواوین العرقیین . و فی کلامه مدخل المتعنت (۱) الباطن و الإنکار غیر شی
 وجدت مغزاه و مقصداه مقصدا صحیحا . و مرایه مرایه موجوده فی الأصوات و در
 فی التصوات . مش ما ذکره غیره من المشیخ المتقدمین .

و باغنی أنه سکن مرو . و ذکر أنه یجد بحر سان قوم أوسع فیه منهم .
 لإدرائه علمه و الاستیفاء معانی الفخاد و فضونه . و إن شرته تکثرین ذکره ذلت .
 غیر أن حکم من العبد یدل قیاده عن کثیره . و یستنبط جنبا من سیره
 و بانه التوفیق .

ذکر عن محمد بن موسی المعروف بابواسنی أنه قال : « من ذکر افتری .
 و من صبر جتری . و من شکر «بری» .

و قد حکى هذا الکلام بعینه لابن عطاء . إلا أن مشهور المستفاد مدون
 فی الکتب ابواسنی .

و هذا الکلام ظاهره مستشنع . و لأهل التعنت فیه مقال . إلا أن إشارته
 فی نطق به صحیحة .

ما قوله : « من ذکر افتری » یحتمل وجوها :
 وجه منها : یحتمل أنه أراد بذات : أن من ظن أنه قد ذکر الله باستحقاق ذکره
 فقد افتری . و إن کان ذاکرا لله .

(۱) الأولى : التعنت

والوجه الثاني : یحتمل أن يقول : من ذكر الله بلسانه ولم يذكره بقلبه فكأنه قد افترى ، لأن الافتراء : هو الكذب ، والكذب : هو النفاق ، وهو أن تقول بلسانك بخلاف ما يكون في قلبك ، فإذا قلت : الله أكبر فقد ذكرت الله بلسانك ، فإن كان في قلبك شيء أكبر وأعظم من الله ، فكان ذكر الله افتراء على الله ، فإذا معناه والله أعلم .

والوجه الثالث : یحتمل أنه أراد بذلك : أن من ظن أنه قد ذكر الله ، وهو ذاكر لله بالحققة ، فقد افترى ، حتى يعلم أن ذكر الله له قبل ذكره لله ، قال الله تعالى : « ولذكر الله أكبر » (۱) .

فل أهل النهج : ذكر الله في الأزل بالإيمان به ولم يفقه . والله أكبر من ذكره .

وقوله : « من صبر اجترى » یحسن یض وجهه :

نوعه لأول : أن طوره محنة ویرد لا یطیق ذلك أحد من جنده بهن من في بؤره واحتمل ذلك ، فیرد بهن من جنه فیه ، قال الله عز وجل : « وما صبرنا إلا بالله » (۲) ، فمن صبر فليس له صبر في صبره ، ومن ظن أنه صبر أو يقدر أن يصبر على ذرة من طوارق محنة فقد جترى ، والله أكبر من صبره .

والوجه الثاني : أن الصبر على طوارق الدعوى : ذكر الله من جنده من الدعوى ، وإلى استدعاء جنه والتمس منه ، والله أكبر من صبره .

حادی بندو صحبه إلى الذم والنار ، وتم فبقدر من جنه في داره .

كما قال يحيى بن معاذ الرزقي : ذب أئمة عن جنه من جنه من جنه ، أدل بها عليه .

(۱) العنكبوت ۴۵

(۲) النحل : ۱۲۷

فهذا معنى قوله « من صبر اجترى » ومن قوله « ومن شكر انبرى » ؛
لأن الشكر جزاء النعمة .

ومن خطر بياله أنه شكر لأقل نعمة من نعمه . ولو بذل في ذلك مہجته ،
وقام بذلك روجه : فقد انبرى ، يعني قد انفصل من درجة المتوجهين .

ووجه آخر ، وهو : أن كل عمل ينقطع وله غاية ونهاية إلا الشكر ؛ لأن
الشكر أيضا نعمة يجب عليها الشكر .

وفي الخبر : أن موسى عليه السلام قال : يا رب كين أشكرك ، وشكرى لك
عامة منك على ما يجب على فيها التكرار ؟ قال : فوحي الله إليه : يا موسى ، الآن
قد شكرتني — فكأن يريد بقوله « انبرى » يعني : انفصل عن جميع الأشغال
بشكر ؛ لأن الشكر نعمة ، والشكر على الشكر أيضا نعمة ، فلا ينقطع
قال ابن القيم :

« هذا الذي ذكرت جوابه وبه : على معنى التفصيل . وأما جوابه على الجملة :
فإن جميع ما أخيف إلى العيب : من حر كانه ، وخطر انه ، وأفعاله ، وأحواله فيس
ذمها — في الحقيقة — غير الله ، فمن لم ينظر إلى قيم الله ، حتى يذهب عن مشاهدة
قيمه ببقية خلقه في جميع حر كانه ، وخطر انه ، فإن ذكر فقد اجترى ، وإن صبر
فقد اجترى ، وإن شكر فقد انبرى ، وبالله التوفيق ،

ورأى حماد بن عمار في الشرح ، حتى يعلم القص والمستبحث عن هذا العلم
أن تحت كل كلمة من كلام هؤلاء الحكماء كنوزا لا يظن بها إلا بصدق الطيب
ودوام النصب والسكد والتعب ، ولا ينبغي لأحد أن يقيس ما يسمع من هذا العلم
برأيه ويزين ذلك بعبارة ، فإنه يتيه ويزل ، ويهلك ويضل : « وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
كَيْدَ الْخَالِقِينَ » ،

ومما وجدوا في مجموع كلام « الواسطي » وأضافوا إليه كلاما قد هلك به خاق من الناس ؛ لأنهم لم يفهموا معناه ولم يعرفوا ما قصد به في مقاله ، وهو الذي ذكر عنه وعن غيره من العراقيين ، والله أعلم : أنه قال :

إياك أن تلاحظ حبيبا أو كليا أو خليلا وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلا « فقبل له : أفلا أصلي عليهم ؟ فقال : صل عليهم بالأوتر ولا تجعل لها في قلبك مقدارا وكل من قلل هذا الفضل فقد أخطأ ، ولا معنى لوصفه في الكتب وإنما ورثه بين الناس ؛ لأن هذا كلام هلك به طائفتان من الناس : فطائفة ظنت بأن قدر القائل فيما قال : هذا أراد بذلك وهنا ونقص في اعتقاد القلب في معنى تعظيم الأئمة عليهم السلام وحرمتهم وما خصهم الله به من الشرف والتضيق في رتبته ونبيينا محمد صلى الله عليه وسلم : « والذي نفس محمد بيده لا يبيع أحدكم دينه بأحد شيء أكون أحب إليه من نفسه وماله » وفي خبر آخر « لا يبيع أحدكم دينه بأحد شيء »

وطائفة جعلت معادها وما فهمت فبسطت أسننها على جمهورهم في حق الأبياء عليهم السلام ، حقهم من التعظيم والتضيق ، والذي خصهم الله بذلك ، وبغضى أن بناحية الجبل خلفا من العمة افتتحوه فكانت حتى يقولون : إن هؤلاء محمديون وهؤلاء ليس محمديين ، وذلك أن رجلا منهم كان يفتنهم في كل بلد طمعا في كثرة حصاد الدنيا من قد أشبهت بولادة الصوفية حتى قالوا : « أبو سعيد البسطامي » وقع إليهم فقال لهم في قصصه التي كان يرويها :

إن الصوفية لا يقولون : « محمد » صلى الله عليه وسلم ، وإنما يقولون : « محمد » الذي ذكرت من كلام « الواسطي » وغير ذلك حتى خرجوا من بلادهم ونواحيهم ومتناسكيا وصالحيا ، وظن من سمع منهم من بلادهم من بلادهم بذلك نصيحهم وكان قصده في ذلك العداوة والبغضاء والتغيير من الصوفية ، لأنهم كانوا قد طردوه من بلاد كثيرة احتسابا منهم من كثرة ما كان ينادى على الله

(١) جمعهم : أي هيجهم وحرصهم

عز وجل ، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكثرة استجلاله ، وقلة مبالاته ،
وكان يستقر قبضته وفضائه بالتسامح وكثرة الروايات والحكايات ، ودقة البيان ،
ووضوحه ، وادعائه ما ذهب أهل الحديث ، ومحبة أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أخوف ما أخاف عليكم
سائق شيم أسنان » .

وقد ذكرت بعض ما وقع به هذه العصبية بين المعادين والمعادين من بوقت
البراءة إلى يومنا هذا من أمثال هؤلاء ، فلا يضرهم ذلك .
وإن شاء الله لا يهدى كيد الكافرين (۱) ، وهو يقول الصالحين ولا يصعب
تجر الخسرين .

(۱) يوسف : ۵۲

ثم وصف الله الأصنام ، فقال : « واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا شوراً » (١) . وقال : « أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم ؟ أفلكم وليا تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون ؟ » (٢) .

والأبياء عليهم السلام ، وغير الأنبياء : كانوا في مراتبهم ومواقفهم ومقاماتهم التي جعلت لهم ووصفوا بها .

وهي لاحظ خلق فيرى تخصيصهم وتفضيلهم وتشريفهم . ومن لاحظ سطوات صفاته المرحلية ، ويروى سلطان الربوبية ، وقدم الأحدثية والفرديانية ، فيعبر عنه عن الخلق ، وغيورته الخلق عنه ، فأين هو والخلق ، وكيف نجد السبيل إلى ملاحظة الخلق ؟

ذلك معنى قوله : « إنك أن تلاحظ حبيبا ، أو كعبا ، أو خليلا إن وجدت إلى ملاحظة خلق سبيلا ، يعنى المشاهدة ، والحاضرة ، والروية أتم من الملاحظة .

وقال النبي . صلى الله عليه وسلم : « اعبد الله كأنك تراه » . ٢١٥

وقال عل بن أبي طالب رضى الله عنه : « رأته القلوب بحقائق الإيمان » .

وقد روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « ليس منا أحد يتجيد عمده فقيلا له : ولا أت يرسل الله ؟ فقال : « ولا أنا إلا أن يتعدنى الله برحمته منه ! » . ٢١٦

وقد قال ذلك ، لأنه لم يلاحظ نفسه عند ملاحظة الحق ، وقال في وقت آخر :

« أنا أول من تنشق عنه الأرض والأنبياء تحت لوأى . والجنة حرام على كل أحد حتى أدخلها » ، لأنه لاحظ نعم الله عليه ومنه لديه . ٢١٧

ومن قال : إيه أراد بقوله : لا تجعل لها في قلبك مقدارا ، يعني الأنبياء عليهم السلام يعني به عند مقدار عظمة الله تعالى ، وكبريائه ، لأنه لا يجوز أن يأخذ مقدار شيء من جميع ما خلق الله : من الملائكة ، والأنبياء ، والجنّة والنار ، والعرش ، والكرسي ، موضعاً من قسب المؤمنين ، عند موضع مقدار عظمة الله تعالى ، وكبريائه ، وقدرته ، وسلطانه ، ووحده البتة .

فهذا في معنى التوحيد وحقيقة التفريد .

وأما من حيث العرف والشرح ، وما كتب الله إليه الخلق ودعاهم إلى تعظيم الرسل والأنبياء ، جاء به ، وفيما خص الله بيده ، صلى الله عليه وسلم ، من جميع الرسل ، فقد ثبت في علم المعنى أبو الحسن باب : متمسكات أهل الصفوة في تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم ، من كتب الله تعالى ، وأخبار رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وقد فتح من ذلك في قلوب أولياء الله .

وأقرب ما يقرب أهل الصفوة في الرسول ، صلى الله عليه وسلم : أنه عبد أوحده لا يجوز لأحد أن يركبه في جميع ، خص به .

مثل أبو يزيد السبكي ، رحمه الله : قال يزيد أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس ، لا تقولوا : اللهم صل على محمد وآل محمد ، فإن ذلك كفر ، بل قلوا : اللهم صل على محمد ، فإنه خير من ذلك » .

ثم قال أبو يزيد ، رحمه الله ، جميع ما يفهم الخلق وأدركوه من شرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهم ولم يدركه ، مثل قرينة زرقاء مألوفة من بين ، فما رشح أدرك الخلق وفيه من شرفه وفضله ، وما سوى ذلك فلم يفهمه أحد ولم يدركه .

وأقرب ما يصف به أهل الصفوة رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنهم قالوا : ما وعد الله تعالى رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، بأن يعطيه جميع ما يسأله بقوله : يا محمد ، سل الله ، فلا يجوز أن يسأله شيئاً إلا أن يعطيه .

وكان من دعائه ، صلى الله عليه وسلم : « اللهم اجعل من فوقى نوراً ، ومن
تحتى نوراً ، وعن يمينى نوراً وعن شمالى نوراً ، ومن ورائى نوراً ، ومن قدامى نوراً
ومن خلفى نوراً ، اللهم اجعل فى قلبى نوراً ، وفى بصرى نوراً ، وفى سمعى نوراً ،
وفى لحمى نوراً ، وفى عظمى نوراً » كما جاء فى الحديث .

قالوا : الدليل على أن الله تعالى ، أعطاه ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « والله
بأنى لأرأى كما خلف ظهري كما أرى كما قدامى » .

وكل فضيلة وشرف خص بذلك أحد من أئمة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فذلك
شرف رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وفضله ، فلا ينبغي لأحد أن يشركه
بما لا يعجز .

قال بعض الحكماء : إذا شرف القاب لأعرض عن الله تعالى ، فهو جاهل ، فبما
فى أوليه الله ، تعالى .

والمستحسنت عن هذا العلم نجده فى كتب عزلا . وهو كلاميه من كتب الفقه
وإنما بينت هاتين الكلمتين ، وفسرت على الاختصاص حتى يتبين ذلك
منه ذكره . وبالله التوفيق .

باب في ذكر من غلط من المترسمين بالتصوف

ومن أين يقع الغلط ، وكيف وجوه ذلك

قال الشيخ رحمه الله : سمعت أحمد بن علي الكرخي يقول : سمعت أبا علي
الروذباري رحمه الله يقول : قد باعنا في هذا الأمر إلى مكان مثل حد السيف .
فإن قاما : كذا في النار وإن قلنا : كذا في النار .

يعني : إن غاطنا فيما نحن فيه بدقيقة فنصير من أهل النار ، لأن الغلط في كل
شيء ، أهدرك من الغلط في التصوف وفي علمه ، لأنها : مقدمات ، وأحوال ، وبيانات
وعقائد ، وإن كانت في ذلك إلى ما ليس له فقد اجترأ على الله فيكون
الله خصمك ، فإن شاء عفا عنه وإن شاء عقبه بما شاؤ كيف شاء .

وذكر من يرسووم هذه العصابة أو أشد إلى نفسه بأن له قدما في هذه القصة
أو توجهت من نفسك ببعض آداب هذه الطائفة ، ولم يحك أسسه على ثلاثة أشياء
فهو مخلوق ، ولم مشى في الهواء ونطق بالحكمة ، أو وقع له قبول عند الحاجة
أو العافية .

وهذه الثلاثة أشياء :

أولها : اجتناب جميع الحارم : كبيره وصغيره .

والثاني : أداء جميع الفرائض : عسيرها ويسيرها .

والثالث : ترك الدنيا على [أهل] الدنيا : قليلا وكثيرا إلا مالا يدر

منه من .

وهو ما روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : أربعة في الدين .

وليست هي من الدنيا : كسرة تسد بها جوعتك ، وثوب توارى عورتك ، وست
تسكن فيها ، وزوجة صالحة تسكن إليها .

فأما سوى ذلك : من الجمع ، والمنع ، والإسك ، وحب التكبر ، والمباهاة ،
فجميع ذلك : حجاب قاطع يقطع العبد عن الله عز وجل .

فكل من ادعى حالا من أحوال أهل الخصوص ، أو توهم أنه سلك منزلا
من منازل أهل الصفة ، ولم يبين أساسه على هذه الثلاثة فإنه إلى الغلط أقرب
منه إلى الإصابة في جميع ما يشير إليه أو يدعيه أو يترسم برسمه ، والعالم مُتَمِّدٌ
بِالْجَاهِلِ مَدَّعٍ .

باب في ذكر الفرقة لذين غلطوا

وطبقاتهم ، وتفاوتهم في الغلط

قال الشيخ رحمه الله : ثم إني نظرتُ إلى الفرق التي غلطوا ، فوجدتهم على

ثلاث طبقات :

الطبقة منهم : غلطوا في الأصول من قلة إحكامهم لأصول الشريعة ، وضعف دعائمهم في الصدق والإخلاص ، وقلة معرفتهم بذلك ، كما قال بعض المشايخ ، حيث قرأ : إنما حرموا الوصول لتضييع الأصول .

والطبقة الثانية : منهم غلطوا في الفروع ، وهي : الأدب ، والأخلاق ، والمقامات ، والأحوال ، والأفعال ، والأقوال ، فكان ذلك من قلة معرفتهم بالأصول . ومدى ضعفهم في حفظ النفوس ومزاج الطبع ، لأنهم لم يدنوا من يروضهم . ويخرجهم عن مراتب ، ويوقفهم على المنهج الذي يؤديهم إلى مطلوبهم .

ثالثهم في ذلك : كمثل من يدخل بيتاً مظلماً بلا سراج ، فالذي يفسده أكثر من يصحبه ، وكما ظن أنه قد ظفر بجوهر نفيس فلم يجد معه إلا خزفاً خسيساً ، لأنهم لم يتبع أهل البصيرة الذين يميزون بين الأشياء ، والأشكال ، والأضداد ، والأجسام فعند ذلك يقع لهم الغلط ، ويكثر منهم الهنوة والشطط ، فيهم متحيرون ، ومتفرقون بين مهزوم ومفتون ، ومتجبر ومحزون ومغتر بالظنون ، ومخترف بالجنون ، ومتبس بالجنون ، ومكمد بالشجون ، ومدع ومفتون ومتمن للمنون . فسبحان من قسم لهم بذلك وهو العالم بدائهم ودوائهم ، وسقمهم وشفائهم .

والطبقة الثالثة ، كان غلطهم فيما غلطوا فيه : زنة وهنوة ، لا علة وجفوة ، فيدبرون ذلك عادوا إلى مكارم الأخلاق ، ومعنى الأمور ، فسددوا الخلل ، ولبسوا الشعث ، وتركوا العناد ، وأذعنوا للحق ، وأقروا بالعجز فعادوا إلى الأحوال الرضية

والأفعال السنية، والدرجات الرفيعة، فلم تنقص مراتبهم هفوتهم، ولم تظلم الوقت عليهم جفوتهم، ولم تمزج بالكدورة صفوتهم.

وكل طبقة من هذه الطبقات الثلاث على أحوال شتى: من النفوس، والإرادات، والمقاصد، والنيات.

وقد قال القائل:

مَنْ تَحَلَّى بِغَيْرِ مَا هُوَ فِيهِ فَضَحَّتْهُ سَانُ مَا كَيْدُهُ

وقد ذهب عليه ما روى عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: **مَنْ تَحَلَّى بِغَيْرِ مَا هُوَ فِيهِ فَضَحَّتْهُ سَانُ مَا كَيْدُهُ** ٢٢٢
بالتحلى ولا بالتمنى، وإن كان هو ما وقع في القاب وصدق الأعمش كما روى في الحديث: «

فمن غلط في الأصول فلا يسر من الضلالة، ولا يرمى له عيب، بل يرمى له الله ذلك، والغلط في الفروع أقل آفة، وإن كانت بعيدة من الضلالة.

باب في ذكر من غلط في الفروع التي لم تؤد بهم إلى الضلالة
وبتدبير في ذكر الطائفتين الذين غلطوا في الفقر والغنى

قال الشيخ رحمه الله: ثم إن طائفة من المترسمين بالصوفية، تسكروا في تشریف
الغنى على الفقر، وكانت إشارتهم في ذلك: إلى الغنى بالله، لا إلى الغنى بالأعراض
الدنية من الدنيا، [فغلطت طائفة] . فطالب التأويلات، وتعلقت بالاحتجاجات
والاختراعات: من الآيات والروايات، أن تبعل الغنى بأعراض الدنيا حالاً محموداً
أو مقدماً من مقدمات طلاب الآخرة، فذهبت في ذلك وغضت، لأن الذي تسكروا
في الفقر والغنى، وعد الغنى حالاً من أحوال المتقطعين إلى الله تعالى: أشار إلى
الغنى بالله، لا إلى الغنى بأعراض الدنيا التي لا تزين عبد الله جناح بعوضة.

وسابقة أخرى: تسكمت في حقائق الفقر والافتقار إلى الله تعالى، ما يقربها:
من الصبر، والشكر، والرضا، والتفويض، والسكون، والطمأنينة، عند العدم.
فضلت طائفة أخرى وتوهمت أن التقير الختج الذي يعدم الصبر والرضا:
لا فصيحة له ولا ثواب له على فقره، والتقير المضطر المعدم لرضا والصبر: له فضل
من الغنى الذي يكون عند الدنيا.

وختمت النفس محتاجة، وليس من صفات البشرية: الطمأنينة والسكون عند
عدم التمرام والتقوى، والفقر تسكره النفس ولا يلائمه الطبع والهوى، لأنه من
الخطوق والغنى تحبه النفس ويلائمه الطبع والهوى، لأنه من [الخطوظ] .

وقد وعد الله تعالى الغنى على الحسنة الواحدة، إذا عملها، عشر أمثاتها:
تقوله عز وجل: « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » (١)، والحسنة

من التقیر کائنة فی کل نفس ، لصبره علی مرارة الفقر ، وایس لثواب الصبر
نهایة معدودة .

لقوله عز وجل : « إِنَّمَا يُؤَيِّتُ فِي الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » (۱) .
والفقر فی ذاته محمود ، فإن صحبته علة فالعلة فیه مذمومة .

۲۲۲ نقول النبی صلی الله علیه وسلم : الفقر أزیّن علی المؤمنین من العذار الجید علی
خذ الفرس .

ولم یشرط مع الفقر غیر الفقر شیئاً .

والغنی بالدنیا فی ذاته مذموم . فإن صحبته خصلة محمودة من أخص البر فی
محمودة لا نفس الغنی .

۲۲۳ نقول النبی صلی الله علیه وسلم : یس الغنی عن كثرة العرض ، ویشاء
مع الغنی شیئاً غیر الغنی .

فشیان بین خصلة محمودة فی ذاتها لا یقع سم مذموم علیها لا یقع ذم
من أعمال الخیر .

وطبقة أخرى : زعمت أن الفقر والغنی حالان . یس الغنی أن یعبره ، ویشاء
عنده أن یعبره . وین یقت معهما ، وین عند أهل الخلق وین من الغنی
الحقیقة عند المہیات ، فطنت طائفة أخرى أن الذی قال ذم الغنی من الغنی
والغنی وقافوا : لا فرق بین الفقر والغنی فی معنی الخلق .

فیقال لهم : قدیراً لا یكفر من الفقر . وین الغنی من الغنی
حالین مستویین ، فأین السواد لا فی السواد . وین الغنی من الغنی
والمعاقلة لهم : فقد تبین غلطهم فی ذات .

(۱) الزمر : ۱۰ .

وغطت طائفة أخرى في الفقر فتوهمت أن المراد من حال الفقر العدم والفقر فقط ، فاشتغلت بذلك ولم تسمُ بهمستها إلى آداب الفقر ، وخفي عليها أن رؤية الفقر في الفقر حجاب التمييز عن حقيقة الفقر .

وأيضاً التمييز الصادق في حال الفقر خصلة أقل من الإعدام ، والفقر ، والصبر ، والرضا ، والتواضع ، في معانيها : أتمُّ من الفقر الذي لم يكن مقروناً بهذه الخصال ، ورؤية الفقر والمسكنة إلى الفقر والإعجاب به علة في الحجب وحجاب في المكان .

والله أعلم بالصواب ، وبالله التوفيق .

باب في ذكر من غلط في التوسع . وترك التوسع من الدنيا بالتقشف

والتقال ، ومن غلط في الاكتساب وترك الاكتساب

قال الشيخ ، رحمه الله : لا يصح الدخول في السعت إلا نبي أو صدق .
معناه : لأهم يكونون في الأشياء لغيرهم ، ويقومون في الأسباب بحقوقها
لا بحظوظها ، لأهم يعرفون الإذن : إذا أذن الله لهم بالانفاق فيفقروا ، وإذا أذن
لهم بالإمساك أمسكوا :

فمن لم يعرف الإذن ، ولم يكن من أهل السك والتهبت ، غلط عند دخوله
في السعات بالغرور والتأويلات .

ومن زعم أنه لا يسكن إلى ذلك فيترك له من لا يسكن إلى ما في ذلك من
أسباب الدنيا ينبغي أن لا يمسك ولا يطلب ، ويكون القليل ولا الكثير عند الله .
فمن لم يكن القليل أكثر عنده من الكثير ، ولا يكون الواحد أكثر من الاثنين ،
ولا يخسر سره من الطالب لفقيره من أسباب الدنيا ، ولا يمسك بوجوده في جهنم من
طالب الدنيا والمترتبين به كتسببهم بخطئهم لا نعمهم .

فمن توشح أن له حلالاً غير ذلك فهو في غلط

وطبقه أخرى : تعاقب بالتقشف والتفلسف ، واستدراكه من الدنيا من
التقوت ، وظنوا أن كل من رفق بنفسه ، أو تبدل شيئاً من المصائب ، أو أوجع
من الطيبات : أن ذلك علة وسقوط من منزلة ، وعلى من يريد أن يكون في الدنيا
عندهم ذلة ، وقد غاضوا في ذلك ، لأن العبد كائناً في الدنيا من العبد
كائناً في الترف والترفة ، والتقال والتعسف . وقد ورد في الحديث : لا يرضى العبد
العبد مراداً بذلك وقتان الأوقات ، أو ينادى فيها به . وقد ورد في الحديث :
شاهدنا آفاتنا ، واستعلى ، والحقه الخاق له بذلك ، ولم يعلم في الآفاق من العبد
يكون حاله كما ولا يرجي خيراً أبداً

وطبقة أخرى من المتسكين : تعقوا بأخذ القوت من الكسب ، وركنوا إلى اكتسابهم ، وأنكروا على من لم يكتب مثبهم وتوهموا وظنوا أن الحلال لا يصح إلا بتصفية الغذاء ، وتصفية الغذاء والقوت - عندهم - لا تصح إلا بالاكتساب . واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : أحل ما يأكل المؤمن كسب يده .

وقد غلطوا في ذلك ، لأن الكسب رخصة وإباحة لمن لم يطق حل التوكل ، لأن التوكل حل لرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ، مأموراً بالتوكل والثقة بالمؤمنين من الرزق ، وكذلك الخلق كلهم مأمورون بالتوكل على الله ، عز وجل ، والثقة بما وعدهم الله تعالى ، والسكون عند عدم الرزق حتى يسوق الله ، عز وجل ، إليهم أرزاقهم ، فمن ضعف عن ذلك ولم يطق فقد من الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الكسب المباح بشرطه حتى لا يهلك .

وشروط الكسب : أن لا يركن إلى كسبه ، ولا يرى رزقه من كسبه ، ولا يكون في كسبه مغتصباً ، بل ينوي بذلك معونة المسكين ، ولا يشغله كسب من أول أوقات الصلاة المفروضة ، ويتعمد العلم حتى لا يأكل الحرام ، ثم يتوكل خصالة من هذه الخصال فقد صار كسبه معقولاً بعهده ، وإن كان له إخوان ممن لم يكتبوا ويعلم أنهم محتاجون ، فيجب عليه أن يتقدمهم بما فضل من قوته .

فمن لم يمهدهم هذه الشروط فأخشى عليه الغلط في إيجابه وتعلقه به كسبه .

وطبقة أخرى : طعنوا على المكتسبين ، وجاسوا متعمدين على حاكمهم ، متشرفين إلى من يتقدمهم ، وعندهم أن هذا هو الحلال ، وقد غلطوا في ذلك ، لأن الجاسوس عن الكسب ينبغي أن يكون من قوة اليقين والصبر ، فمن ضعف يقينه وغضب عليه عليه وطعمه يؤمر بالدخول في الطاب ، والطالب مباح ، وترك الطالب بقوة الإيمان أتم وأفضل .

باب في ذكر طبقات الذين فتروا في الإرادات ، وغلطوا

في المجاهدات ، وسكنوا إلى الراحة

قال الشيخ ، رحمه الله : ثم إن طبقة من الصوفية غلطت في العبادات ، والمجاهدات ، ورياضات النفوس ، والمكابدات ، فلم تحك في ذلك أساليبهم ، ولم تضع الأشياء في مواضعها ، فانهزمت ونكصت على أعقابهم القهقري ، وذلك أنهم حين سمعوا بمجاهدات المتقدمين ، وما نشر الله بذلك أعلامهم في خالقه ، وبالنسب الجميل ، والقبول عند الناس ، وبظهور الكرامات ، فطعمت بمرسومهم وتوسلوا ، فتكفروا شيئاً من ذلك ، فما طات لمدة ولم يصعوا إلى مرادهم ، فإذ ذكروا داعى العلم إلى المجاهدة والعبادة ورياضة النفس : فلا يقم لذلك عندهم وزن .

ولو جذبهم بحق جذبة إلى خدمته ، وأرادهم بملذومه على طاعته ، ورواه الله باطنه وعنايته ، لا زادت رغبتهم ، وقيوت قوتهم ، ودامت عندهم نياتهم ، فلو لم يكونوا من دين بذلك ، لطمعوا بخدمته ، وفقدوا قلوبهم ، وأرادوا أن ذلك فتور .

وقد غلطوا في ذلك ، لأن الفتور ما يتروح به فساد شتم بين فسادين ، ولا يعود إلى الحال .

فأما وقع فيه هؤلاء ، فهو الكسل والتواني والإسراف في العبادات .

قال : وسعدت أحمد بن علي الكرخي يقول : سمعت أبا عبد الله

رحمه الله يقول : البداية هي البداية ، والنهاية هي النهاية ، والابتداء هو البداية ، والنهاية هي النهاية ، وكان يعمل في بدايته ، فهو مجتهد .

وطبقة أخرى : ساحت ، وسفرت ، وفتت ، شح ، وفسدت ، فاصطنعت ، وتناوت على أبنائها ، فبأنهم قد قويت مالم يلق قوتهم ، فلو كان الله ينظر إليه جاسداً ، وعدت نفسها من المستغنين .

وقد غلطت في ذلك ، لأن السفر سمي سفراً لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ، وإنما يسافرون حتى يشاهدوا من أنفسهم خلقاً مذموماً فيعملوا في تديب ، ويعرفوا أيضاً من أنفسهم من الخبيات ما لم يعرفوا ذلك في حضرهم ومعرفتهم .

ويقتضيه احتياج إلى الأدب ، والحرمة ، والإرادة ، وأن يأتي جميع ما يعبه ، ويقبل من الشيخ ما يرضيه به ويشير عايد ، ويطلب نفسه بحق الشيخ ، ولا يقتضى نفسه من الشيخ إقبالا عايد ولا رفقاً ، ويحفظ قلبه ، ويستمع نظره إياها ، ويخاف أن تكون عيبه وتجاهه شيخاً عايداً .

فمن ساج أو سافر ، أو في شيخاً من مشايخ على غير ما ذكرت ، وتوهم أنه من مسافرين ، أو من قد عذب المشايخ : فهو في غلط عظيم .

وطبقة أخرى : أنفقوا الأموال والأموال ، وبذلوا ، وتوهموا أن المراد البذل والإسراف ، والتخلف بالسخرية والبذل والسحرة .

وقد غلطوا في ذلك ، لأن مرد القوم وقصودهم ، فيما أنفقوا وبذلوا : لم يكن ظهر السخرية ، ولا شهير بالسحرة ، ولكن رأوا أن التعاقب بالأسباب مع المسبب : عند في مكان ، وحجب فاطع عن الحقيقة ، فكان إنفاقهم وبذلهم وخروجهم من الأملاك : فراراً من العلة وقطعاً للعلاقة ، فمن بذل شيئاً من طريق السحرة والسخرية ، وظن أن طريقاً طريق القوم فهو في غلط .

وقوم آخرون انبسطوا في المباحات ، ولم يتكفوا المراعاة للأوقات ، وقالوا : ليس لنا معنوم أيش ، ما وجدنا أكلاماً ومما ، فذلك وقتنا !

وقد غلطوا في ذلك ، لأن الوقت إذا فات لا يدرك ، وليس الوقت ما يكون معسوراً بالإرقاق ، إنما الوقت ما يكون معسوراً بدوام الذكر ، ومربوطاً بالإخلاص والشكر ، والرضا والصبر ، والنفس والهوى والشيطان : أعداء يطلبون فرصة الضرب بالعبد ، فإذا غفل العبد عنهم طرفة عين فلا يرجي خيره ولا يؤمن ماله .

فمن توهم أنه وصل إلى حال قد آمن من ذلك فهو في غلط .

باب في ذكر طبقات الذين غلطوا في ترك الطعام

والعزلة والانفراد وغير ذلك

قال الشيخ، رحمه الله: ثم إن جماعة من المريدين والمبتدئين سمعوا عند مخالفة النفوس، فتوهموا: أن النفس إذا انكسرت بترك الطعام يقو من شرها ويوثقها وعوثقها، فتركوا عاداتهم من الطعام والشراب، ولم يستعملوا الأدب في ترك الطعام، ولم يستبحثوا عن الأستاذين آدابها، فعدوا إلى ترك الطعام، ورضوا باليأس واللام، وظنوا أن ذلك حال.

وقد غلطوا في ذلك، لأن المريد ينبغي أن يكون له مريدان يقفه عن ما يفتن به حتى لا يتولد من إرادته بلاء وفتنة لا يقدر أن يداوم ولا يتطهر من فسادها، والنفس لا يقو من شرها، ولا يذهب عنها ما حبيت عليه من الشر، وهي لا تتركها بالنسوة، فمن ظن أن النفس إذا انكسرت بانحسار بقية الطعام فقتل شرها، فتركها وآفت بشريتها، حتى يذهب صاحبها، فقد غلط.

وسمعت بن سالم يقول كانوا إذا أرادوا أن يتناولوا يتقصدون من الطعام ما يفي بجمعة مثل أذن السنور.

وسمعت يقول: كان سهل بن عبد الله - رحمه الله - إذا أراد أن يتناول اللحم في كل جمعة مبرقة حتى لا يضعفوا عن العبادة.

واقدر أيت جماعة حمير على أنفسهم في مثل هذه الأقسام، فتركوا شرب الخشيش، وترك شرب الماء، حتى مات منهم القاصدة، لأجل أنهم لم يتقاربوا بآداب من سلك هذا المسلك من المريدين.

وطائفة اعتزلت ودخلت في الجبال، ولبسوا أثيابهم من ثياب الجبال، أو يأمنون في الجبال والنوات من شرها، أو يمسكونها من ثيابها.

بالانفراد والخلوة إلى ما أوصل إليه أولياءه من الأحوال الشريفة ولا يوصلهم إلى ذلك بين الناس .

وقد غاطوا في ذلك ، لأن الأئمة من المشايخ الذين قلّ معطعمهم ، ودامت خدمتهم وانفرادهم ، واحترروا العزلة : إنما حذاهم على ذلك ودعاهم إليه ، داعي العلم وقوة الخيال ، فورد على قلوبهم ما أذهابهم وشغلهم عن المعارف والأوطان ، وأخذهم عن الطعام والشراب وجذبهم الحق إليه جذبة أعماهم بها عمن سواه (١) .

فمن لم يكن مصحوبه قوة الخيال وغلبة الوارد ، ثم يتكلم ويحمل على نفسه ما لا تطيقه ، بظلم نفسه : فيدخل على نفسه الضرر ، ولا يندرك ما ذاقه ، ويتفوت به ما معه ، فمن فعل شيئاً من ذلك بتكلمه ، ويتوهم أنه قد وصل إلى شيء من مراتب المحضرين : فهو في غلط .

قال نور آيت بهر عتمة من الأحداث كقولهم يقرون الطعام ويسهرون الليل ويندكرون الله تعالى ، عن الإدوام ، حتى كان أحدهم يريد يغشى عليه ، وكان يحتاج بعد ذلك إلى أن يدركه ، ويرفق به أيماً ، حتى يقدر أن يصلي التريضة .

وجه عتمة جئوا أنفسهم ، وظنوا أنهم إذا قطعوا ذلك ساءوا من آفات الشهوة

الفسقية .

وقد غاطوا في ذلك ، لأن الآفة تبدو من البطن ، فإذا قطعت الآفة ، والعدو موجودة في البطن لم ينفع ذلك ، بل يضر وتزداد الآفة ، فمن ظن أن الآفة في الآلة الظاهرة ويتاحص قطع ذلك من شرها ، فهو في غلط .

وقودها هو على وجودهم ودحوا البراري والوادي ، بلا زاد ولا ماء ، ولا آلة الطريق ، وتوهموا أنهم إذا فعلوا ذلك نالوا ما دل الصدقون من حقيقة التوكل

(١) ومن ذلك قوله ، صلى الله عليه وسلم : ولست كأحدكم : أبيت عند ربي

يطعمني ويسقيني .

وقد غلطوا في ذلك، لأن القوم الذين كان هذا دأبهم كانت لهم بدايات، وتأديبوا بأداب، وراضوا أنفسهم قبل ذلك بالمجاهدات، وكانوا مستقابين بأحوالهم: لم يبالوا بالقلة ولم يستوحشوا من الوحدة، فكم من مَوْتَةٍ ماتوا ويك من مرارة ذاقوها؟ حتى استوت أحوالهم في الخراب والعمران، والسهب والجليل، والجماعة والوحدة، والعز والذل، والجوع والشبع، والحياة والموت.

فمن فعل شيئاً من ذلك وتوهم أنه قد نطق بشيء من أحوال المتوكلين فيه في غلط.

وجاعة تكفوا لبس الصوف، واتخذوا المرقعات المعسولة، وجمعوا إلى ذلك (١) ونسوا المصبوغات، وتعلموا الإشارات، وظنوا أنهم إذا فعلوا ذلك، أتوا من الصوفية.

وقد غلطوا في ذلك، لأن التحلي والتأبس والتشبه، لا يورث صاحبه من الصوفية والندامة، والعتب والملامة، والشنار والذرف في يوم القيمة.

فمن ظن أو توهم أنه يصل إلى أحوال أهل الحقائق بالتأبس والتشبه بهم في غلط.

وجاعة أخرى جمعوا علوم القوم، وعرفوا إشاراتهم، وحفظوا حكاياتهم، وتكفوا ألفاظاً صحيحة وعبارات فصيحة، وظنوا أنهم إذا فعلوا ذلك، أتوا منهم، ووصلوا إلى شيء من أحوالهم، وقد غلطوا في ذلك.

وجاعة أخرى أحرزوا قوتهم وسكنت نفوسهم بغيره، ثم عمدوا بعد ذلك إلى أورادهم: من الصوم، والصلاة، والعبادة، والقيام، واللباس الخشن، والبكا، والخشبة، والتمسك بالصدق المقصد الذي لا يكون بعده حال.

(١) بكسر الراء بجمع ركوة؛ ما يجعل تحت المعصرة فيجمع فيه عصير العنب ويعود

وقد غلطوا في ذلك ، وما أظن أن أحداً ممن أشار إلى علم التصوف يذكر عنه أنه لم يخرج في بدايته من المعلوم ، ولم يأمر أصحابه في أول الأمر بقطع العلائق ، وأن يجعوا قوتهم في الغيب ، فمن كان منهم ، ورجع إلى سبب معلوم ، أو ادّخار قوت في ذلك لم يسكن من أجل نفسه ، وإن كان لمن حوله من أصحابه وعياله ، ولمن يرد عليه من إخوانه .

فمن أشار إلى التصوف ، وادعى حذو ، وعدّ نفسه منهم ، ولم يكن أصله كذلك على ما ذكرت : فهو في غلط .

والشيخ رحمه الله : وجماعة ظنوا أن التصوف : هو السماع والرقص ، والتخاذ الدعوات ، وطلب الإرفاق (١) ، والتكف للاجتماعات على الطعام ، وعند سماع القصائد والتواجد والرقص ، ومعرفة صياغة الأغان بالأصوات اللطيفة ، والنغبات الشجية ، والاختراع من الأشعار الغزلية ، بما يشبه أحوال القوم ، على نحو ما رأوا من بعض الصديقين ، أو باغبيهم ذلك عن المتحققين .

وقد غلطوا في ذلك ، لأن كل قلب ملوث بحب الدنيا ، وكل نفس معتادة بالبطالة والغفلة ، فسبغته ، ووجوده ، معلول ، وحركته وقيامه تكف .

فمن ظن أنه يصير بتكفه رحيبه وتمنيه ، من المتحققين ، في وقت السماع ، والحركة ، والوجود وغير ذلك : فقد غلط في ذلك .

(١) وفي نسخة : الأرفاق .

باب ذكر من غلط في الأصول ، وأداه ذلك إلى الضلالة

ونبتدىء بذكر القوم الذين غلطوا في الحرية والعبودية

قال الشيخ رحمه الله: تكلم قوم من المتقدمين، في معنى الحرية والعبودية، على معنى: أن العبد لا ينبغي له أن يكون في الأحوال، والمقامات التي بينه وبين الله تعالى، كالأحرار، لأن من عادة الأحرار: طلب الأجرة، وانتظار عوض عن ما يعملون من الأعمال، وليس عادة العبيد كذلك؛ لأن العبد لا ينتظر من مولاه أجرة ولا عوضاً على ما يأمره به مولاه، فمضى طمع في شيء من ذلك، فارتكب سيئة العبيد؛ لأن العبيد إن أعطاهم مولاهم [عطية]، على ما أمرهم به، واستعملهم فيه: كان ذلك من تفضل مولاهم عليهم، لا باستحقاقهم.

وليس عادة الأحرار كذلك.

وقد صنف شيخ من المشايخ كتاباً في مقامات الأحرار والعبيد في هذا المعنى، فظلت الفرقة الضالة أن اسم الحرية أتم من اسم العبودية، فاعتقدوا على ذلك خلق: أن الأحرار أعلى مرتبة، وأسمى درجة في أحوال الدنيا من العبيد، فقامت على ذلك، فضلت، وتوهمت: أن العبد، ما دام بينه وبين الله تعالى تعبد: فهو مسمى باسم العبودية، فإذا وصل إلى الله فقد صار حراً، وإذا صار حراً سقطت عنه العبودية.

وإنما خلت هذه الفرقة، لقلّة فهمها وعلمها، وتصديقها لأخبار المشركين، فخفيت على هذه الفرقة الضالة أن العبد لا يكون في الدنيا حراً، حتى لا يكون قلبه حراً من جميع ما سوى الله، عز وجل، فبذلك يكون في الحقيقة عبداً لله.

وما سمى الله تعالى المؤمنين باسم أحسن من اسم العبد، إذ يقول: ﴿وذكر عباده﴾

الرَّحْمَنَ» (١) «نَبِيِّ عِبَادِي» (٢) ، لِأَنَّهُ اسْمٌ سَمِّيَ بِهِ مَلَائِكَتُهُ ، فَقَالَ: «عِبَادُ
مُكَرَّمُونَ» (٣) .

ثُمَّ سَمِّيَ بِهِ أَنْبِيَاءُهُ وَرُسُلُهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَقَالَ: «وَأَذْكَرُ عِبَادَنَا» (٤) ،
«وَأَذْكَرُ عِبْدَنَا» (٥) ، وَقَالَ: «نِعْمَ الْعَبْدُ» (٦) ، وَقَالَ لِحَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» (٧) .

فَكَانَ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصَلِّي حَتَّى وَرَمَتْ قَدَمَاهُ ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
أَلَيْسَ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ عَلَى ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قُلْ: «أَفَلَا أَكُونُ
عِبْدًا تَكْوَرًا» .

وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «خُسْرَتْ بَيْنَ أَنْ أَكُونَ نَبِيًّا
مِمِّكَ وَنَبِيًّا عَبْدًا ، فَأَشَارَ إِلَى حَبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَوَاضَعُ ، فَقَمْتُ:
بَلْ نَبِيًّا عَبْدًا» .

فَبَرَّكَ بَيْنَ الْخَاقِ وَاللَّهِ تَعَالَى دَرَجَةُ أَعْلَى مِنْ دَرَجَةِ الْعِبُودِيَّةِ لَمْ يَفُتْ ذَلِكَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلِلَّهِ جَلٌّ وَعِلاٌّ كَمَا يُعْطِيهِ ذَلِكَ .
وبالله التوفيق .

(١) الفرقان : ٦٣ (٢) الحجر : ٤٩ (٣) الأنبياء : ٢٦ (٤) ص : ٤٥
(٥) ص : ٤١ (٦) ص : ٢٠ (٧) الحجر : ٩٩

باب في ذكر من غلط من أهل العراق في الإخلاص

قال الشيخ رحمه الله : وزعمت الفرقة الضالة من أهل العراق [وغيره] :
أن الإخلاص لا يصح للعبد ، حتى يخرج عن رؤية الخلق ، ولا يوافقهم في جميع ما يريد أن عمله ، كان ذلك حقاً أو باطلاً .

وإنما ضلت هذه الفرقة لأن جماعة من أهل الفهم والمعرفة تكلموا في حقيقة الإخلاص : أن لا يصفو لهم ذلك حتى لا يبقى على العبد بقية من رؤية الخلق والكون وكل شيء ، غير الله تعالى ، فظننت هذه الفرقة وطعت أن ذلك يصح فيه بالدعوى ، والتقليد ، والتكاتب قبل سنون منهجه ، والتأديب بالهدى ، والابتداء ببدايتها ، حتى يؤديه ذلك إلى نهايتها حلاً بعد حل ، وهدى بعد مقام ، فأداهم الدعوى ، والطمع الكاذب ، إلى قنبر الميولات ، ورسد الكذب ، ومجاوزة الحدود ، فأسرهم الشيطان ، وغلبتهم النفس والدعوى ، ثم أحسن ردهم إليهم ، برسم المخلصين ، في الإخلاص ، وهم في سبيل الضلالة والافتقار .
وأنسى لهم من ذلك الإخلاص ؟

وقد خفيت عليهم - نشقاؤهم - أن العبد المضروب بمرية الإخلاص هو : المذهب المهدب المؤدب ، الذي هجر السيئات ، وجراد الطائت ، وهو في بلادهم ، ونازل الأحوال والمقامات ، حتى أداه ذلك إلى ضلال الإخلاص .

فأذا من هو أسير هواه ، ورهين نفسه وشيطانه ، دعوى في سبيل الإخلاص
فوق بعض إذا أخرج يده لم يكذب يوماً (١) .

فہو محبوب عن حال أهل البدايات ، فكيف يصلُ إلى ما بعد ذلك ؟
 فمثل هؤلاء : كمثل من سمع بالجوهرة النفيسة : أنها تكون صافية مدوّرة .
 فوقع في يده خرزةٌ من الزجاج فأعجبته تلك ، لأنها مدوّرة صافية ، فلما احتاج
 إليها حملاً إلى من يعرف الجواهر ، فقال له : هي زجاجة لا قيمة لها ، فلم يدعها
 جِبِلٌّ والطامع [الكاذب] أن يرمى بها من قلّة معرفته بالزجاج والجوهر .
 فبهؤلاء كل يوم في ضلالتهم يخسرون ، وفي طغيانهم يعمهون .
 آمين اللهم وإياكم .

باب في ذكر من غلط في النبوة والولاية

قال الشيخ رحمه الله: ثم ضلت فرقة أخرى في تفضيل الولاية على النبوة ، ووقع غلطهم في قصة موسى والخضر عليهما السلام ، وتفكرهم في ذلك برأيهم . إذا يقول جل وعز: «عبداً من عبادنا آتيناك رحمة من عندنا ونعلمه من لدنا علماً» (١)

ثم قال موسى عليه السلام ، مع تخصيصه بالكلام والرسالة وما كتب الله من «في الألواح من كل شيء» ، مؤيضة وتفضيلاً كما في قوله «(٢) يقول الخضر عليه السلام: «إني أستطيع معي صبراً» (٣) فيقول له موسى عليه السلام: «لا آخذني مما آتيتك إلا بالبرهان» (٤) أمرى عسراً» (٥) في آخر القصة:

فضنت هذه الطائفة الضالة ، أن ذات فضل في يد موسى عليه السلام ، وزيادة للخضر عليه السلام على موسى في التفضيل ، وقد ثبت في الحديث الأوني ، على الأبي ، عليهم السلام .

وقد ذهب عنهم أن الله جل وعز ، ينزل من يشاء من عباده ما يشاء ، كما خص آدم عليه السلام سجود ملائكة ، وخص نوح عليه السلام السفينة ، وخص عيسى عليه السلام بالأسف ، وخص إبراهيم عليه السلام بالهدى ، وخص موسى عليه السلام بالوحي ، وخص علي عليه السلام بالولاية .

(٢) الأعراف : ١٤٥

(٤) الكهف : ٧٣

(١) الكهف : ٦٥

(٣) الكهف : ٦٧

بإحياء الموتى . وخصَّ نبينا صلى الله عليه وسلم بانشقاق القمر ، ونبع الماء بين أصابعه .

فأما غير الأنبياء عليهم السلام .

فقد ذكر الله تعالى مرَّ حيث يقول: « وَهَزَىٰ بِأَمْرِكِ النَّخْلَةَ فَسَاقِطُ عَنَيْكَ رُطَابًا حَبِيًّا » (١) ، ولم تكن مرَّ بمبيَّة ، ولم يكن ذلك لغيرها من الأنبياء عليهم السلام ، ولا يجوز لقائل [أن يقول] : إنه تزيد بالفضل على الأنبياء عليهم السلام .

وأصنَّ بن برخية : كان عنده علم من الكتاب حتى أتى بعرش بلقيس قبل أن يرتد [إليه] طرفه ، فكيف يجوز أن تقول : إنه أتى من سليمان عليه السلام مع ما آتاه الله تعالى من النبوة والفهم والملك ؟

وقد سمعت بقصة المُرَّ هـ ، وكان قد خصَّ بمعرفة المياه ، لم يخصَّ بذلك غيره من الفيور وغيره : من الجن والإنس .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « أَوْفِرْ ضُبُّكُمْ زَيْدًا ، وَأَقْرَبُكُمْ أَبِيًّا ، وَأَعْدُكُمْ بِالْحِلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَدِّ بْنِ جَبَلٍ » رضى الله عنهم .

وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من الصحابة بالجنة ليس هؤلاء فيهم ، ونحن نعلم أن أب بكر الصديق رضى الله عنه أفضل منهم .

ومثل ذلك كثير !

وكل ولى من الأولياء ينال ما ينال من الكرامة بحسن اتباعه نبيه صلى الله عليه ، فكيف يجوز أن يفضل التابع على المتبوع ، والمقتدى على المقتدى به ؟ وإنما يعطى الأولياء رشاشة مما يعطى الأنبياء عليهم السلام .

(١) مريم: ٢٥

والذي قال : إن الأنبياء عليهم السلام يُوحى إليهم بواسطة ، والأولياء يتلقفون من الله بلا واسطة ، فيقال لهم : غلظتم في ذلك ، لأن الأنبياء عليهم السلام ، هذا حالهم على الدوام ، يعنى الإلهام ، والمناجاة ، والتلقف من الله عز وجل ، بلا واسطة ، والأولياء وقتاً دون وقت .

وللأنبياء عليهم السلام الرسالة ، والنبوة ، ووحى^ه ينزل جبريل عليه السلام ، ونيس للأولياء ذلك :

ولو بدت ذرة على الخضر عليه السلام من أنوار موسى عليه السلام ، وتخصيصه بالكلام ، لا متحقق الخضر عليه السلام ، ولكن حجبه الحق عن ذلك لهيباً وزيادة موسى عليه السلام ، فافهم ذلك إن شاء الله تعالى .

والولاية والصدقية منورة بأنوار النبوة ، فلا تلحق النبوة أحد ، فكيف تفضل عليها ؟

باب في ذكر الفرقة التي غلطت في الإباحة والحظر

والرد عليهم

قال الشيخ رحمه الله: ثم زعمت الفرقة الضالّة، في الحظر والإباحة، أن
لأشياء في الأصل مباحة، وإنما وقع الحظر للتعدي، فإذا لم يقع التعدي تكون
لأشياء على أصلها من الإباحة، وتوّلوا قول الله عز وجل:

« قَدْ بَيَّنَّنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا. وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا. وَحَدَائِقَ غَابِيًا.
وَوَاعظًا لَّيْلًا وَأَنبًا. مَتَاعًا كَثِيرًا وَلَا تَعْلَمُونَ (١) »

فقلوا: هذا على الجملة غير مفصل، فذات ذلك جوابهم، إلى أن طمعت نفوسهم
بأن المحظور المنوع منه المساهون: مباح لهم، إذا لم يتعدوا في تدونه.

وإنما غلطوا في ذلك بدقيقة كخفيت عليهم، من جيبهم بالأصوات، وقلة حظه
من عم الشريعة، ومتابعيتهم شهوات النفوس في ذلك؛ لأنهم سمعوا بمسكرة
الأنجلى، وحسن عشرة، ومؤاخاة، كانت بين جمعة من المشيخ المتقدمين،
فجرب بينهم أحول: من رفع الخشمة والبسط، بعضهم مع بعض، حتى كان
أحدهم يمر إلى دار أخيه، ويمد يده فيأكل كل من طعمه، ويأخذ من كسبه حاجته،
ويبتعد أسوار أخيه وهو غائب كما يفتقد نفسه.

وهذا، كما حكى عن فتح السورحلي: أنه مر إلى دار بعض إخوانه، فقل
جارية: أخرجني كييس أخي، فأخرجته إليه، فأخذ منه حاجته، فلما رجع
أخوه إلى البيت أخبرته الجارية، فقل: إن كنت صادقة فانت خائفة
لوجه الله تعالى.

(١) عبس: ٢٧ - ٣٢

وكذا ذكر الحسن البصرى رحمه الله ، أنه كان يأكل من رؤوس زنا بيل أخ
من إخوانه وهو غائب ، فسئل عن ذلك قال : يا ألكع ، وهل كان الناس قبلك
إلا مثل هذا ؟ كان أحدهم يمر إلى بيت أخيه ، فيأخذ من طعامه ، ويأخذ
من دراهمه ، يريد بذلك إدخال السرور على أخيه ، ويعلم أن ذلك أحب إليه
من حمر النعم .

وكذلك جمعة ، كانوا يقولون ليس بين هذه الطائفة مؤسدة ، إنما سئف
مذهبهم على المؤسدة .

كما قال إبراهيم بن شيبان : كنت لأصحاب من يقول : تعسى يوم
ذلك كثير .

فظننت هذه الطائفة الصالحة بالإباحة ، لأن حيث كان مذهبهم على حد ، لم
تترك حدود ، أو أن يجوزوا حداً متبوعاً للأمر واليهى ، هو قبح من يهتد
في التيه ، وتعدو ، وطلبوا ما ماتت أيديهم به ، من تشيخ الشبهات ، والحدود
المحظورات ، وأقرباً ، وحبالاً ، وشدداً ، وتوبوا .

وإنى زعمت لأشبه ، في الأصل مباحة ، فإباحة من لا يمتنع في الأمر
محظورة ، وإن وقعت بإباحة الأمر واليهى ، في التيه ، والحدود
حتى لا يقع في القبط ، نعم أن الحلال : هو حرامه لله تعالى ، والله أعلم
الله تعالى .

وليس أحد من مؤيديه مستعبد بإباحة ما كان حراماً ، ولا
ما كان عليه الأدان ، بل المدان : مستعبد من إباحة ما كان حراماً ،
والأتم ، ما نهى الله عنه ، ويقتب .

وتقول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « الحلال بين والحرام بين وبينهما
مشتبهات ، وحدهم الله وحى ، فمن وقع حول الحلال واليهى ، فليس عليه
عقوبة » .

وليس قول من زعم أن الأشياء في الأصل على الإباحة ، بأولى من قول من يقول : إن الأشياء في الأصل محظورة ، وإذا استملك لا يبيح ذلك لأحد إلا مُحِجَّة .

ونس هذا من قياس النجاسة والطهارة ، لأن الأشياء عند الفقهاء وجماعة من أهل العلم في الأصل طاهرة ، حتى يقوم الدليل على نجاستها .

والفرق بين هذا وبين ذلك : أن النجاسات والطهارات تدخل في العبادات والحظر ، والإباحة تقع على الأملاك ، وما وقع عليه الملك لا يبيح ذلك لأحد إلا بدليل وحُجَّة .

وبالله التوفيق .

باب في ذكر غلط الحلوية ، وأقاويلهم

على ما بلغني ، فلم أعرف منهم أحداً

ولم يصح عندي شيء غير البلاغ

قال الشيخ ، رحمه الله : بلغني أن جماعة من الحلوية ، زعموا أن الحق ، تعالى ذكره : اصطفى أجساماً حلَّ فيها ، بمعاني الربوبية ، وأزال عنهم معاني البشرية .

فإن صح عن أحد [أنه] قال هذه المقالة ، وظن أن النوحيد أبدى له صفحته بما أشار إليه ، فقد غلط في ذلك ، وذهب عليه أن الشيء في الشيء . محاسن الشيء الذي حل فيه ، والله ، تعالى ، بأن من الأشياء ، والأشياء بثمة منه . والشيء والذي أظهر في الأشياء : فذلك آثار صنعته ودليل ربوبيته ، لأن التصريح على صناعته ، والمؤلف يدل على مؤلفه .

وإنما ضلت الحلوية ، إن صح عنهم ذلك ، لأنهم لم يميزوا بين القدرة التي هي صفة مقدر ، وبين الشواهد التي تدل على قدرة المقدر وصحة تصديقه ، عند ذلك .

فبلغني أن منهم من قال بالأخبار :

ومنهم : من قال بالنظر إلى الشواهد المستحسنات نظراً بها .

ومنهم : من قال : حال في المستحسنات وغير المستحسنات .

ومنهم : من قال : حال في المستحسنات فقط .

ومنهم : من قال : على الدوام .

ومنهم : من قال : وقتاً دون وقت في معنى .

فمن صح عنه شيء ، من هذه المقالات : فهو ضال يضيع الأمة ، كما هو شأنه .

الكفر فيما أشار إليه

والأجسام التي اصطفاها الله تعالى أجسام أوليائه وأصفيائه : اصطفاها بطاعته

وخدمته ، وزينها بهدايته ، وبين فضلها على خلقه

والله ، تعالى ، موصوف بما وصف به نفسه ، كما وصف به نفسه « ليس كمثل

شيء ، وهو السميع البصير » .

والذي غلط في القول ، غلط لأنه لم يحسن أن يميز بين أوصاف الحق وبين

أوصاف الخلق ؛ لأن الله ، تعالى ، لا يحل في القلوب ، وإنما يحل في القلوب الإيمان

به ، والتصديق له ؛ والتوحيد والمعرفة ، وهذه أوصاف مصنوعاته ، من جهة صنع

لذاتهم ، لا هو بذاته أو بصفاته ، يحل فيهم .

تعالى الله عز وجل ، عن ذلك علوا كبيرا ؟

باب في ذكر من غلط في فناء البشرية

قال الشيخ، رحمه الله: أما القوم الذين غلطوا في فناء البشرية: سمعوا كلام المتحققين في الفناء، فظنوا أنه فناء البشرية، فوقعوا في الوسوسة: فهم من ترك الطعام والشراب، وتوهم أن البشرية، هي القالب، والجثة إذا صعدت زالت بشريتها فيجوز أن يكون موصوفا بصفات الإلهية.

ولم تحسن هذه الفرقة الجاهلة الضالة، أن تعرف بين البشرية وبين أخلاف البشر، لأن البشرية لا تزول عن البشر، كما أن لون السواد لا يزول عن الأسود، ولا لون البياض عن الأبيض، وأخلاف البشرية تبدل وتغير بما يرد عليها من سلطان القوى الحقائق، وصفات البشرية ليست هي عين البشرية.

والذي أشار إلى الفناء: أراد به فناء رؤيا الأعمال والطاعات بقدر قوى العبد، فبقاء الحق للعبد بذلك.

وكذلك فناء الجهل بالعلم، وفناء الغفلة بالذكر، والذي طبع في فناء البشرية: فناء البشرية طبع في ذلك، وفناء البشرية بالبشرية صلت من صلت البشرية.

والذي يتوهم أنه ذهاب النفس وذوال التوهم عن العبد وقت دون وقت، وذهاب البشرية فقد غلط وجهل من وصف البشرية: لأن التعيين والتميز من صفة البشرية، فإذا زال عنها التمييز والتميز: فقد تغير الآن عن صفة البشرية، ومعناها، لأنها إذا لم تتغير ولم تتبدل فقد تغير وتميز عن صفتها.

والله أعلم.

باب فی ذکر من غلط فی الرؤیة بالقلوب

قال الشيخ ، رحمه الله : بلغني عن جماعة من أهل الشام ، أنهم يدعون الرؤیة بالقلوب فی دار الدنيا ، كالرؤیة بالعيان فی دار الآخرة ، ولم أر أحداً منهم ، ولا بلغني عن إنسان ، أنه رأى منهم رجلاً له محصول .

ولكن رأيتُ لأبي سعيد الخزاز ، رحمه الله كتاباً كتبه إلى أهل دمشق يقول فيه : بلغني أن بناحيكم جماعة قالوا : كذا وكذا ، وذكر قولاً قريباً من هذا القول ، ويشبه أن في زمانه قوم غلطوا في ذلك وذلوا وتاهوا

والذي قال أهل الحق والإصابة في هذا المعنى ، وأشاروا إلى رؤیة القلوب : إنما أشروا إلى التصديق والمشاهدة بالإيمان ، وحقيقة اليقين .

كما روى في حديث حارثة حيث يقول : « كأنني أنظرُ إلى عرش ربي بارزاً » ۲۲۸
كما جاء في الحديث بطوله ، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : « عبد نور الله ، تعالى ، قلبه » أو كما قال ، كما جاء في الرواية .

والذي تاه وتوسوس في هذا المعنى قوم من أصحاب الصبيحي من أهل البصرة ، كما بلغني ، وقد رأيتُ جماعة منهم وذلك : أنهم حملوا على أنفسهم في المجاهدة والسهر ، وترك الطعام والشراب والانشداد والخلوة ، وكثرة التوكل ، وصحبهم الإعجاب مع ذلك بما هم فيه ، فاصطادهم إبليس لعنه الله ، فخيل إليهم : كأنه على عرش أو سرير وله أنوار تتشعشع : فمنهم من ألقى إلى بعض الأستاذين الذين يعرفون مكابدة العدو ، فعرفوهم ذلك ودلوهم وردوهم إلى الاستقامة .

كما حكى عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله : أن بعض تلامذته قال له يوماً : يا أستاذ ، أنا في كل ليلة أرى الله بعين رأسي ، فلم سهل رحمه الله ، أن ذلك من كيد العدو ، فقال له يحنيني : إذا رأيتُ الليلة فأبزيق عليه ، قال : فلما رآد من

ليئته بزق عليه ، قال : فطار عرشه ، وأظلمت أنواره ، وتخلص من ذلك الرجل ، ولم ير شيئاً بعد ذلك .

ومن لم يقع إلى الأستاذين ، فيدفع ذلك ، ويتكلم بالهوس ، وينسليخ عن دينه بانظنون الكاذبة إلى آخر عمره .

وبلغني أيضاً أن جماعة هربو من عبد الواحد بن زيد ، حيث كان يمرهم بالمجاهدة والعبادة وأكل الخلال والزهد في الدنيا .

وبلغني أن عبد الواحد ، رأى واحداً منهم بعد ذلك ، فدنا عن جود وخبر أصحابه ، فقال يا أستاذ ، نحن كل ليلة ندخل الجنة ، ونأكل من ثمرها ، قال : فقد له خذوني الليلة معكم . قال : فأخرجوه معهم إلى الصحراء ، فبقيت معهم الليل فإذا يقوم عليهم ثياب خضراء ، وإذا بستين وهو كنه ، قال : فظنوا أنهم إلى أرجال هؤلاء الذين عليهم الثياب الخضر ، فإذا هم مشحونون في أبواب ، وهم أنهم شياطين ، فلما أرادوا أن يفرقوا قال لهم : إلى أين تذهبون ؟ ليس من أمر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أن يدخل الجنة ثم يخرج منها ، قال : فسألت أصحابي فإذا هم على مزابيل بين رؤس الأبواب وبعر الحمار ، فذهبوا وهم جميعاً من محبة عبد الواحد بن زيد ، رحمه الله !

وينبغي أن يعلم العبد أن كل شيء ، رأته العيون ، في الدنيا ، من لا بد له من أن ذلك مخلوق ليس بينه وبين الله ، تعالى ، شبهة وليس ذلك من جنس الله ، بل جميع ذلك خلق مخلوق .

ورؤية القلوب ، بمشاهدة الآيات وحقيقة اليقين ، والتصديق ، حق .

فقول النبي ، صلى الله عليه وسلم « أعبد الله ، ذلك تراه ، من لم يصدق »

فإنه يراك . »

والذي قال من التابعين : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً ، أشار إلى حقيقة يقينه وصفاء وقته ، وتكلم بذلك من غلبت وجدده ، وليس الخبر كالمعاينة في جميع المعاني في الدنيا والآخرة .

وقد قيل في قول الله ، تعالى ، : « مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى » (١) يعني لم تكذب عينه ما رآه بقلبه ، ولم يكذب فؤاده ما رآه بعينه .

وهذا خصوصاً للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، ليس لأحد غيره .

باب ذكر من غلط في الصفاء والطهارة

قال الشيخ رحمه الله : وطائفة أدعت الصفا والطهارة على الكمال والدوام ، وأن ذلك لا يزول عنهم ، وزعموا أن العبد يصفو من جميع الكدورات والعلل ، بمعنى البيئونة منها .

وقد غلطوا في ذلك ، لأن العبد لا يصفو على الدوام من جميع العلل ، وإن وقعت له الطهارة وقتاً فلا يخلو من العلل ، وإنما تصفو له وقتاً دون وقت على مقدار أماكنهم ، فيذكر الله بنعت الصفاء ، ثم يبقى عليه الذكر مع جرين ذكر الأشياء عليه .

والطهارة تكون لقلب العبد : من الغل والحسد ، والشرك والهم ، فبما الصفاء الذي لا يحتمل العلة ، والطهارة من جميع أوصاف البشرية ، على الدوام بدون توين ولا تغيير : ليس ذلك من صفات الخلق ، لأن الله تعالى هو الذي لا تحفه العلل ، ولا تقع عليه الأغيار ، والخلق مراد بالابتلاء ، أي يخون من العلل والأغيار وحكم العبد ، إذا كان ذلك كذلك : أن يتوب إلى الله ، تعالى ، ويستغفر الله ، تعالى ، في كل وقت .

لقول الله عز وجل : « وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (١) ، كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إنه تسعون مرة في اليوم فاستغفر الله في اليوم مائة مرة) .

باب ذكر من غلط في الأنوار

قال الشيخ ، رحمه الله ، وطائفة غلات في الأنوار ، وزعمت أنها ترى أنواراً ،
 و [بعضهم] يصف قلبه بأن فيه أنواراً ، ويظن [أن] ذلك من الأنوار التي وصف
 الله تعالى بها نفسه ، وهذه الطائفة تصف ذلك النور بصفة أنوار الشمس والقمر ،
 وتزعم : أن ذلك من أنوار المعرفة والتوحيد والعظمة ، وتزعم أنها ليست بمخلوقة .
 وقد غلط هؤلاء في ذلك غلطاً عظيماً ، لأن الأنوار كلها مخلوقة ، نور العرش ،
 نور الكرسي ، ونور الشمس ، والقمر والكواكب ، وليس لله نور موصوف
 محدود ، والذي وصف الله تعالى به نفسه فليس ذلك بمدراك ولا محدود ، ولا يحيط
 به علم خالق ، وكل نور تحيط به العنوم والجهنم : فهو مخلوق ، وأنوار الله ، تعالى ،
 كلها هدايات الخالق ، وأنوار المصنوعات دلائل وعبرة ، ليستدلوا بها على معرفة
 التوحيد ، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر .

ومعنى أنوار التوب : معرفة الفرقان والبيان من الله عز وجل ، وذلك قوله .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا » . (١)

قوله في التفسير : نوراً يوضع في القلب حتى يفرق به بين الحق والباطل .

هذا معرفة الأنوار كما ذكرته في الوقت .

ومتابعة الأمر والنهي ، وحسن الطاعات ، والقيام بشرط الأدب ، وسلوك المهج
على حد الاستقامة .

وأما معنى قول الزنديق بهذه المقولة ، فإنما يقول ذلك ، حتى لا يجره شيء من
من ركوب المعاصي ، أنه أداء جهل إلى الجسارة والاعتداء بإضافة أفعاله وجميع
حركاته إلى الله تعالى ، حتى أزال اللاتمة عن نفسه في ركوب المآثم بغواية الشيطان
وتسويله ، وتأويل الماثل .

أخذ الله وإياك من ذلك !

باب في ذكر من غلط في الأنس والبسط وترك الخشية

قال الشيخ ، رحمه الله : وطبقة أشاروا إلى القرب والأنس ، وتوهموا أن بينهم وبين الله ، عز وجل ، حال من القرب والدنو ، فأحشمتهم . عند ذلك التوهم ، الرجوع والابتفات إلى الآداب التي كانوا يراعونها ، والحدود التي كانوا يحفظونها قبل ذلك ، فانبسطوا إلى ما كانوا محاشمتين ، وأنسوا بأشياء كانوا عنها مستوحشين من قبل ذلك ، وتوهموا أن ذلك قربه ودنوهم .

وقد غلطوا في ذلك وشكوا ، لأن الآداب والأحوال إنما هي من عند الله تعالى : على عبادة وكرامة لهم ، وهم مستوجبون الزيادة ، إذا صدقوا في قلوبهم ، فتي ما تركهم وخلاهم عن توفيقه وعنايته بهم ، حتى جاوزوا حدودها ، وما أمروا به ، قد نكصوا على أعقابهم ، وسلبوا نفع كل ما كانوا يربون من الطاعات ، وقد طردوا من الباب ، وصارت سمهم سم النار ودين ، رزقهم من غير من المتبولين ، وكما توهموا أن الذي هم عليه قرب ودنو ، رزقهم من غير سحقا وبعدا .

وهذا كما حكى [عن] ذي النون رحمه ، أنه قال : ينبغي أن لا يظن ، لا يظن ، نور معرفته نور وردة ، ولا يعتقد بطل من العلم ينطق عن الحكمة ، ولا تحمله كثرة الكرامة من الله تعالى من حيث الكرامة من الله تعالى .

كما كان يقول بعض الحكماء : اللهم لا تشغلني بآياتك ، ولا تغني بآياتك بعد ما كنت لي من غير طابتي .

فهذا على المعنى ، والله أعلم بالصواب .

باب في ذكر من غلط في فئاتهم عن أوصافهم

قال الشيخ ، رحمه الله : وقد غلطت جماعة من البغداديين في قولهم : إنهم عند فئاتهم عن أوصافهم ، دخروا في أوصاف الحق ، وقد أضافوا أنفسهم ، بجعلهم ، إلى معنى يؤدسون ذلك إلى الخلو ، أو إلى مقالة النصارى في المسيح ، عليه السلام .

وقد زعم أنه سمع [عن] بعض المتقدمين ، أو وجد في كلامه : أنه قال في معنى تقدم عن الأوصاف والدخول في أوصاف الحق .

فالمعنى الصحيح من ذلك : أن الإرادة تعبد ، وهي من عند الله : عطية ، ومعنى خروج العبد من أوصافه والدخول في أوصاف الحق : خروجه من إرادته ودخوله في إرادة حق وبهني أن يعد أن الإرادات : [هي عطية من الله تعالى ، وبهنيته] ، وبهنيته جعل له ما يعطيه ذلك قطعه عن رتبة نفسه حتى ينقطع بكايته إلى الله تعالى : وذلك منازل من منازل أهل التوحيد .

وأما الذين غلطوا في هذا المعنى ، إنما غلطوا بدقيقة خفيت عليهم ، حتى ظنوا : أن أوصاف الحق هي الحق ، وهذا ككثير ، لأن الله تعالى ، لا يدخل في القلوب ، وإنما كان في القلوب الإيمان به ، والتوحيد له ، والتعظيم له ، بمعنى التحقيق والتصديق .

ولا فرق في ذلك بين الخاص والعام ، غير أن للخاصة معنى يشتركون به ، وهو مشارقتهم في دعوى دعوى ، وإفناء حظوظهم من الدار وما فيها ، وخصوص أسرارهم بمن آمنوا به .

وسائر العوام محبوبون عن هذه الحقائق بالقيادهم للهوى ومطابعتهم للنشوس . فهذا هو الفرق بين الخاص والعام في هذا المعنى .

وبالله التوفيق .

باب في ذكر من غلط في فقد الحسوس (١)

قال وزعمت طائفة من أهل العراق أنهم يفقدون حسهم عند المواجهيد ، حتى لا يحسوا بشيء ، ويخرجوا عن أوصاف المحسوسين ، وقد غلطوا في ذلك ، لأن فقد الحس لا يعامه صاحبه إلا بالحس ، لأن الحس صفة البشرية ، وإن غاب عليه باد من الواردات التي ترد على الأسرار وتغيرها بسلطانها ، فيطمئن ويتمتع ، ويكون مثل ذلك كمثل الكواكب : إذا طلع عليها سلطان أنوار الشمس ، تظلم أنوار الكواكب ، وهي ممتحنة في أممائها .

فكذلك الحس لا يزول ولا يفقد على البشر حتى ، وإن كان ربه يغيب أعمد عن حسه بحسه عند المواجهيد الحادة عن الأذكار القوية .

كما حكى جعفر الخاردي في قرأت عبيد عن جنيد ، رحمه الله : أنه قال : سألت سري السقطي ، رحمه الله : عن موحيد حادة ، عند الأذكار القوية ، قال : يضرب على العبد ، فقال : نعم يضرب وجهه بالسيف ولا يحس ، وإنما يعنى به أن الحس أعلم : لا يحس ، يعنى لا يجد ألمه ، وهو بالحس لا يجد ألمه إلا في حسه حين يجد ألمه .

وما دام في العبد روح ، وهي حتى : لا يزول منه الحس ، لأن الحس ليس بالحياة والروح .

وبالله التوفيق

باب في ذكر من غلط في الروح

قال الشيخ رحمه الله : ثم جماعة غلطوا في الأرواح ، وهم طبقات شتى ، كلهم تاهوا وغلطوا ، لأنهم تفكروا في كينية ما رفع الله عنه الكيفية ونزّهه عن إحاطة العلم في أن يصفه أحدهم إلا بما وصفه الله به .

وقوم قالوا : الروح نور من نور الله ، فتوهّموا أنه نور ذاته فيها كوا .

وقوم قالوا : حيث من حيث الله تعالى .

وقوم قالوا : الأرواح مخلوقة ، وروح القدس من ذات الله تعالى .

وقوم قالوا : أرواح العامة مخلوقة ، وأرواح الخاصة ليست بمخلوقة .

وقوم قالوا : الأرواح قديمة ، إنها لا تموت ، ولا تعذب ، وتبئلى .

وقوم قالوا : الأرواح تتناسخ من جسم إلى جسم .

وقوم قالوا : للكافر روح واحد ، وللمؤمن ثلاثة أرواح ، وثلاثة أنبياء والصدّيقين

خمس أرواح .

وقوم قالوا : الروح خلق من النور .

وقوم قالوا : الروح روحانية خلقت من الملكوت ، فإذا صفت رجعت

إلى الملكوت .

وقال قوم : الروح روحان : روح لاهوتية وروح ناسوتية .

وهؤلاء كلهم قد غلطوا فيما ذهبوا إليه ، وضلّوا ضلالاً مبيناً ، وجهلوا ما يلزمهم

في ذلك من الخطأ ، وذلك من تعمّتهم وتفكيرهم بأرائهم فيما منع الله تعالى قلوب

العباد من التفكير فيه بقوله تعالى :

« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي » (۱)

والذي عليه أهل الحق والإصابة عندي ، والله أعلم : أن الأرواح كلها مخلوقة ، وهي أمرٌ من أمرِ الله تعالى ، ليس بينها وبين الله تعالى سببٌ ولا نسبةٌ غير أنها من ملكه وطاوعه وفي قبضته ، غير متناسخة ، ولا تخرج من جسم فتدخل في غيره ، وتذوق الموت كما يذوق البدن ، وتتنعم بتنعمة البدن ، وتعذب بعذاب البدن ، وتحشر في البدن الذي تخرج منه .

وخبث الله تعالى روح آدم عليه السلام من الملكوت ، وجسمه من القرب ، ولكل فرقة من فرق الأديان ذكرت لهم في غلطهم اختصت ، ولاشك في الحق والإصابة رده عليهم ، وبين واضح غلطهم .

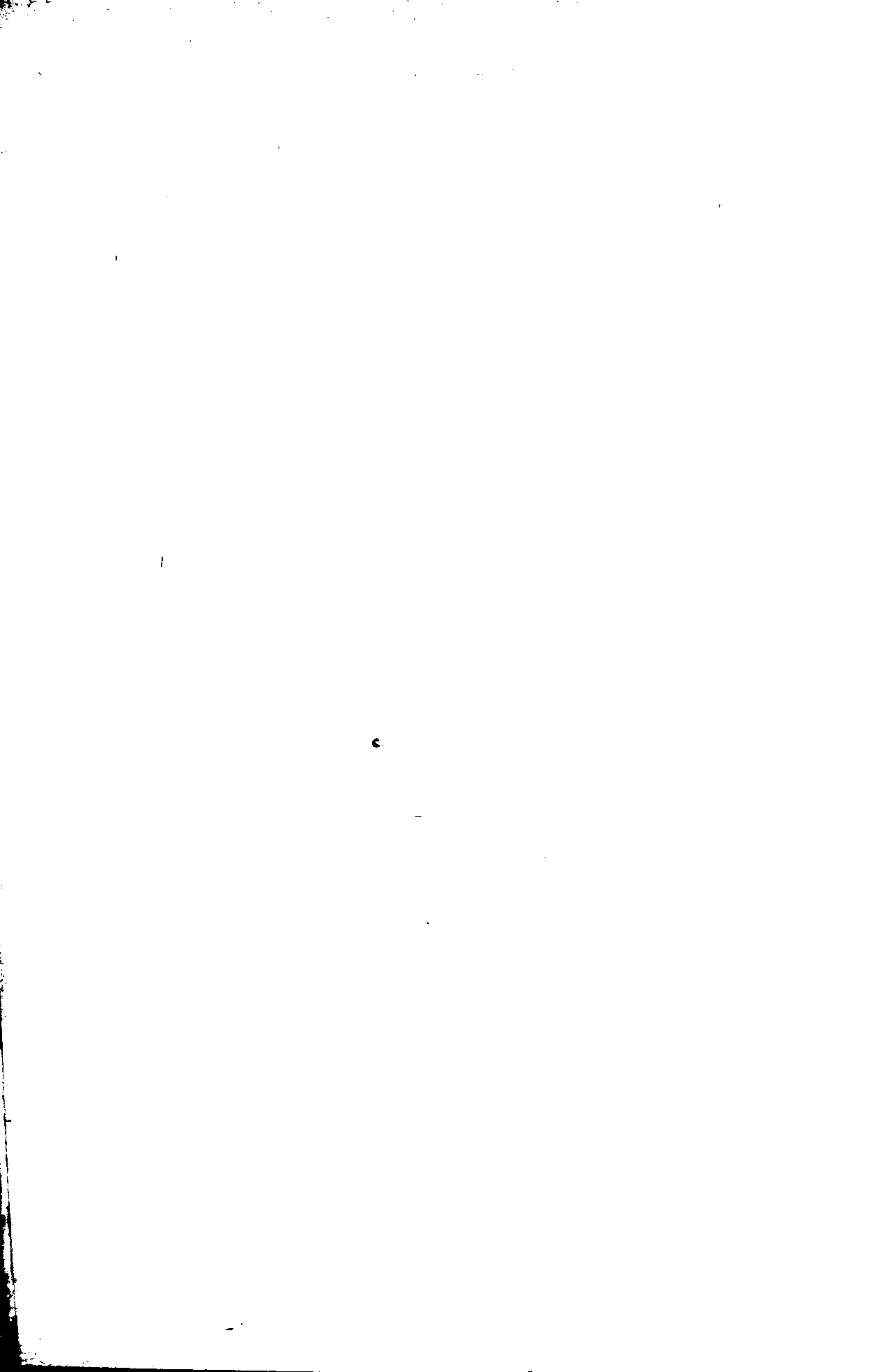
وقد اختصرت في ذلك ذكرها هنا لتأويل ، وفي ذلك ذكرها في كتابي « عقول من المسترشدين والراغبين في هذا العلم ، إن شاء الله تعالى » .

ثم الكتاب بحمد الله وعونه وتوفيقه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله ما زهر كوكب ، وما أظلم غيب ،
وما وضح فجر ، وما غبر دهر ، وما عرض فكر ، وما ذكر ذكر ،
وما سر سر ، وما هطل هطل ، وما أفل آفل ، وما نطق قائل ، وما امتد
الظل ، وما در الوابل ، وما عرف الكلام ، وما بقى الأنم ، وما حسن
الإسلام ، وما عسعس الدجور ، وما اختلفت الظلام والنسور ، وما فلق
الإصباح ، وما هببت الرياح ، وما سبحت الأملاك ، وما جرت الأفلاك ،
وما زال في ، وما بقى حى ، وما عدت عدد ، وما بقى الأبد ، وما نطق
لسان ، وصدق عيان ، وما در القطر ، وما امتد الدهر ، وما اضطربت
الأمواج ، وما أضاء السراج ، وما تالأت الأنوار ، وما انعكست الظلم ،
صلاة دائمة على الأبد ، متصلة بالانهاية ولا أمد .

فرغته في عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستة .

تخریج احادیث
کتاب التمعن



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رقم
الصفحة

رقم
مسلسل

٢٢ ١ العلماء ورثة الأنبياء :

قال الحافظ العراقي : أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه ،
وابن حبان في صحيحه ، من حديث أبي الدرداء ، ورواه الإمام
أحمد عنه ، والحاكم عن صفوان المرادي .

وقال الحافظ بن حجر : له طرق تشهد بأن له أصلاً ،
وحسنه حمزة الكاتاني .

٢٢ ٢ حديث جبريل عليه السلام ، عن الإسلام والإيمان وإحسان ،
في الصحيحين ، وأبي داود ، وابن ماجه عن أبي هريرة .
وفي مسند الإمام أحمد ، والبخاري عن ابن عباس ، ومسلم ، وأصحاب
السنن عن عمر ، والبخاري عن أنس .

٢٣ ٣ الناس سواء كأسنان المشط :

أخرجه الديلمي عن سهل بن سعد ، وله عن أنس : الناس
مستوون كأسنان المشط ، ليس لأحد علي أحد فضل إلا بقدر

٢٥ ٤ من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار :

رواه الشيخان عن علي ، والبخاري عن مسلمة بن عبد الله ، وهذا من
التواتر ، ورواه عنه صلى الله عليه وسلم أكثر من سبعين تنبيهاً ،
منهم العشرة المبشرة بالجنة .

٢٥ ٥ نضر الله وجه امرئ سمع مني حديثاً فبلغه :

رواه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود وغيره ، ورواه أحمد وابن ماجه ، من حديث أنس ، وابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود ، إلا أنه قال : رحم الله امرأ .

وقال الترمذى : حسن صحيح ، وبمعناه عن زيد بن ثابت .
رواه أصحاب السنن ، وابن جبير بن مطعم ، ورواه الإمام أحمد .
وابن ماجه ، والطبرانى من الكبير ، ولأحمد طريق عن صالح بن كيسان عن الزهري بسند حسن ، وقد ذكره السيوطى في الأحاديث المتواترة .

٢٧ ٦ من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين :

رواه الإمام أحمد ، والشيخان وابن ماجه من حديث معوية ، والترمذى عن ابن عباس وحججه ، والبزار ، والطبرانى في الكبير عن ابن مسعود بسند لا بأس به ، وفي الخلية عنه بسند حسن : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ويلهمه رشده .

٢٩ ٧ أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك :

« أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك » :

رواه البيهقى في الزهد عن ابن عباس بإسناد ضعيف ، وله شاهد من حديث أنس .

رقم
الصفحة
رقم
مصادر

ساجد لله ، والله لم تعاون ما أعلم فضحكتم قليلا ولبسكم كثيرا ،
ولما تلوذتم بالنساء على الفرش ، ونخرجتم إلى الصعدات تجأرون
إلى الله ، والله لو ددت أنى شجرة تعضد ، والله لو ددت أنى شجرة
تعضد . مدرج في الحديث من كلام أبي ذر ، ورواه البخارى
باختصار ، والحاكم وصححه ، والترمذى إلا أنه قل : ما فيها موضع
أربع أصابع ، وأوله عند أحمد ، والشيخان من حديث أنس ،
وفي أفراد البخارى من حديث عائشة رضى الله عنها ، ورواه الحاكم ،
والطبرانى من حديث أبي الدرداء ، وصححه الحاكم ، وأقره الذهبى .

اختصاص حذيفة بعلم أسماء المنافقين ۱۲ ۳۸

في الصحيحين عن أبي الدرداء ، ومسلم عن حذيفة ، وفي صحيح
البخارى عن زيد بن وهب

عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه . عافنى رسول صلى الله عليه
وسلم سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحداً غيرى ۱۵ ۳۸

في الخلية لأبي نعيم وعن ابن عباس قال : كنا نتحدث أن النبي
صلى الله عليه وسلم عهد إلى عليّ سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحداً
غيره ، في الخلية لأبي نعيم . عن ابن عباس قال : كنا نتحدث أن
النبي صلى الله عليه وسلم . عهد إلى عليّ سبعين عهداً لم يعهده إلى غيره

لبس الصوف دأب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ۱۶ ۴۰

كانت الأنبياء يستحبون أن يلبسوا الصوف ، زواد الخاء موقوفاً
على عبد الله بن مسعود وقال : صحيح على شرطهما

٤٨ ١٧ عن أبي بكر رضى الله عنه كان يقول : أى أرض تقطنى وأنى
سما تظلىنى إذا قلت فى كتاب الله عز وجل برأى ؟ رواد أبو عبيد
القاسم بن سلام عن إبراهيم التيمى ولم يدرك إبراهيم التيمى الصديق
رضى الله عنه وصرح بمعناه عن عمر رضى الله عنه ، رواد ابن جرير
عن أنس .

٥١٧ ١٨ من كلام الصديق رضى الله عنه . سبحن من لم يجعل الخلق طريقاً
إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته ، تفكروا فى خلق الله ولا تمكروا
فى الله فإنكم إن تقدروا قدره . رواد أبو نعيم عن ابن عباس .
وروى الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب أحمد بن محمد بن محمد .
وروى أحمد والطبرانى وأبو نعيم أحمد بن محمد بن عبد الله بن
سلام وأسافيدها ضعيفة لكن الجزء مما يكسب أسد قوة ومعنى صحيح
وفى صحيح مسلم . عن عائشة عن صلى الله عليه وسلم لا أحسن من
عليك ، أنت كما أثبت على نفسك .

٦٠ ١٩ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ نقبان . أخرجه الترمذى
من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال : حسن صحيح فرجه
وأخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن عمر . وقد مر فى كتابنا
ضعيف .

٦٣ ٢٠ وما خالقت الجن والإس لا يولدن

قال ابن عباس : أجمع فوفى ، نقله الحافظ ابن جرير فى التفسير عن
ابن جرير عنه . تراجع الطبرانى

رقم
الصفحة مسلسل

- ٢١ ٦٥ الأرواح جنود مجنونة .
- البخارى عن عائشة والإمام أحمد ومسلم وأبو ذر عن أبي هريرة
والطبراني ، عن ابن مسعود
- ٢٢ ٦٦ خير الذكر ، الخفي
- الإمام أحمد وابن حبان وأبو عوانة في صحيحهما ، والبيهقي في
الشعب عن سعد بن أبي وقاص وصحبه السيوطي ، وفيه محمد بن
عبد الرحمن أبي ليثة ، قال الحافظ الميمني : ابن عبد الرحمن وثقة ابن
حبان وضعفه معين وبقية رجاله رجال الصحيح
- ٢٣ ٦٧ ملاك دينك نورع ، خير دينك نورع ، أبو الشيخ في الثواب بسند
حسن قاله السيوطي والزار والطبراني في الأوسط عن حذيفة مرفوع
فضل العلم خير من فضل العبادة وخير دينك نورع . بسند حسن
والطبراني عن ابن مرفوع « أفضل العبادة التوبة وأفضل الدين نورع »
وفي إسناد محمد بن أبي يعلى قاله المنذرى
- ٢٤ ٧٥ الإمام ، حاله في الصدر ، البر حسن الخلق ، وإيمانه ما حاله في
صدره ، إيمانه أحمد وسليو الترمذي عن الثوراس بن سمعان والبخارى
في الأدب المفرد ، وإيمانه أحمد بن حنبل عن أبي ثعلبة والإمام أحمد عن
وابصة بسند حسن .
- ٢٥ ٧٦ سئفت قلبك مكر
- ٢٦ ٧٣ لو كانت الدنيا قرآن عند الله جرح بوجهه ما بقي الكافر منها شربة
ماء ، من حديث سهل بن سعد رواه الترمذي وقال : حسن صحيح
وبن مسعود مثله . وعند أحمد في زهد عن أبي ذر ، موقوف

۲۷ ۷۴ الفقير أزين بالعبد المؤمن من العذار الجيد على خد الفرس ، الطبرانی
عن شداد بن أوس : ولا يصح سنده ، والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن
ابن زياد بن أنعم كما رواه عدی في الكامل
۲۸ ۷۷ زكريا كما وضع المنشار عليه إن أنت إلى آخره

عن وهب من أخبیر بنی إسرائيل ولا تصح نسبه إلى النبي
صلى الله عليه وسلم أعبد الله كأنك تراه حديث جبريل في الصحيحين
الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، عن عمر وأبي هريرة وأحمد عن
ابن عباس والبخاري عن أس رضى الله عنهم

۲۹ ۸۲ أعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى وإياك ودعوات المظوم ،
الطبرانی عن أبي الدرداء وحسن السبوطي سنده وضعفه المنذرى
وقال الحافظ الهيثمي : الرجل الذي من النجس لا أعرفه « عبيد الله ولا
تشارك به شيئاً وأعمال كأنك تراه وعد نفسك في الموتى » روى
الطبرانی والبيهقي عن معاذ . قال الحافظ العراقي : رجاله ثقات وفيه تقطاع
« أعبد الله كأنك تراه » فإن لم تكن تراه فبهديرك واحسب نفسك
في الموتى واتق دعوة المظوم » في الحلية عن زياد بن أرقم .

۳۰ ۸۸ فإذا أحببته كنت سمعه إلى آخره ، وهو حديث قدسي روى عنه
عن أبي هريرة وأحمد عن عائشة والطبرانی في الكبير .
وابن السني عن يمين ، وقد أخطأ من أعين من يمدى القدر رواية
لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لا يتدلا

ليس بمحدث ، وهو من كلام بعض السلف . قال السيوطي
أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن ثبوت الثاني من قوله
وقال : كانا سواد

رقم
الصفحة مسلسل

٩٥ ٣٢ ألا هل مشتاق إلى الجنة ؟ هي ورب الكعبة ريحانة تهتز ونهر مطرد وزوجة حسناء .

٩٥ ٣٣ أسألك لذة النظر إلى وجهك

النسائي والحاكم عن عمارة وسنده صحيح وأوله ، اللهم بعفمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي

٩٥ ٣٤ من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات

ابن حبان بسند ضعيف ، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفي معناه : من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا أن ساعة الله غالية ، ألا إن ساعة الله الجنة . الحاكم ، عن أبي هريرة والترمذي وحسنه

٩٥ ٣٥ اشتاقت الجنة إلى ثلاثة

إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة ، علي ، وعمار ، وسلمان . الترمذي عن أنس ، ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أبي ربيعة الأيادي وقد حسن الترمذي حديثه ، قاله الحافظ الميثمي

١٠٠ ٣٦ أعبد الله كأنك تراه (تقدم)

١٠٢ ٣٧ سلوا الله تعالى العفو والعافية واليقين في الدنيا والآخرة

الإمام أحمد والترمذي عن أبي بكر قال المنذري : رواه الترمذي من رواية عبد الله بن محمد بن عبيد وقال : حسن غريب ، ورواه النسائي من طرق أحد أسانيدنا صحيح ، قال المناوي : ورمز السيوطي بحسنه

١٠٢ ٣٨ رحم الله أخى عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشي في الهواء :

قال الحافظ العراقي : هذا حديث منكر لا يعرف هكذا .
والمعروف ما رواه ابن أبي الدنيا في كتابه اليقين من قول بكر بن
عبد الله المزني : قال : فقد الحواريون نبينهم ، فقال لهم : توجه نحو
البحر ، فانطلقوا يطلبونه ، فلما انتهوا إلى البحر إذا هو أقبل يمشي
على الماء ، فذكرا حديثا على الماء . وروى أبو منصور الديلمي
في مسند الفروس بسند ضعيف من حديث معاذ بن جبل : لم عرفتم
الله حق معرفته لمشيتم على البحور ، ولزالت بدعاتكم الجبال .

١٠٢ ٣٩ الخلق يبعثون على ما يتوتون عليه :

مسلم ، وابن ماجه عن جابر .

١٠٢ ٤٠ ليس الخير كالمعاينة :

أحمد ، والطبراني ، والحاكم ، وابن حبان عن ابن عباس .
وأورده الضياء في المختارة ، والطبراني في الأوسط عن أنس .

وقال الحافظ بن حجر في الآلء المشورة : فإن قيل هو معناه
بما قاله ابن عدي في الكامل من أن هشام بن يسلم قال : حدثت
من أبي بشر فداسه ، قلت : قال ابن حبان في صحيحه : لم ينفرد
به هشيم ، فقد رواه أبو عوانه عن أبي بشر أيضا : إذ صح
ولا تجزي ، عن أحد بعدك ، قاله صلى الله عليه وسلم لأبي بردة ، رواه
الشيخان ، وله طريق أخرى ذكرتها في المعتبر في تخريج أحاديث

المبهاج والمختصر ، ورمز السيوطي لحسنه ، وهو كما قال أعلى ،
فقد قال الهيثمي : رجاله ثقات ، رواه الخطيب عن أبي هريرة .

١٠٥ ٤١ القرآن حبل الله المتين :

الترمذي عن الحارث الأعور عن علي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

١٠٦ ٤٢ قول عبد الله بن مسعود : من أراد العلم فليثور القرآن :

الطبراني بأسانيد ورجال أحدهما رجال الصحيح ، قاله الحافظ
الهيثمي .

١١١ ٤٣ الشرك أخفى من ديب النمل على الصفا في الثيلة الظلماء وأدناه أن
تحب على شيء من الجور أو تبغض على شيء من العدل :

الحاكم عن عائشة رضي الله عنها ، وتعبه الذهبي بأن فيه
عبد الأعلى بن أعين ، وفي مسند الإمام أحمد : اتقوا هذا الشرك
فإنه أخفى من ديب النمل ، رواه أبي علي رجل من بني كاهل من
أبي موسى .

وقال الحافظ المنذرى : ورواه إلى أبي علي محتج في الصحيح ،
وأبو علي وثقه ابن حبان ، ولم أر أحداً جرحه ، ورواه أبو يعلى
بنحوه من حديث حذيفة ، ورواه أبو يعلى ، وابن عدى ،
وابن حبان عن أبي بكر ، ورواه الحكيم عن ابن عباس بسند ضعيف .

١١٨ ٤٤ الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة :

الإمام أحمد عن عائشة رضى الله عنها ، ورواه الترمذى
وابن أبي حاتم من حديث مالك بن مقول بنحوه ، وابن ماجه ،
والحاكم وقل : صحيح الإسناد ، وقال الحافظ العراقي : منقطع بين
عائشة رضى الله عنها وعبد الرحمن بن سعد بن وهب والترمذى ،
عن عبد الرحمن بن سعد عن أبي حازم عن أبي هريرة ..

١٢٢ ٥٥ قول الملائكة : سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك :

عن سلمان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« يوضع الميزان يوم القيامة ، فهو وزن فيد السموات والأرض لو سعه ،
فتقول الملائكة : يا رب لمن وزن هذا ؟ فيقول الله : لمن شئت من
خلقى ، فيقولون : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » رواه الحاكم
وقال : صحيح على شرط مسلم (يراجع فى المستدرک) .

١٣٢ ٤٦ قوله صلى الله عليه وسلم فى الوصال : (نلت كأحدكم) بنى
نلت كهيئةكم :

رواه مالك ، والشيخان ، والترمذى عن أس .

١٣٣ ٤٧ إذبح ولا تجزىء عن أحد بعدك :

قاله صلى الله عليه وسلم لأبى بردة بن نيار ، رواه الشيخان
من حديث البراء بن عازب .

رقم رقم
الصفحة مسلسل

٤٨ ١٣٣ كان صلى الله عليه وسلم خاتمه القرآن :
الامام أحمد ، ومسلم ، وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها .

٤٩ ١٣٣ إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق :
رواه مالك في الموطأ بلاغا عن النبي صلى الله عليه وسلم ،
ورواه أحمد عن أبي هريرة بسند رجاله رجال الصحيح ، كما
ذكره الحافظ الهيثمي باللفظ (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)
ورواه البخاري في الأدب المفرد ، والحاكم ، والبيهقي ، وروى
الطبراني في الأوسط عن جابر نحوه ، وفي سننه عمر بن إبراهيم
القرشي ، وهو ضعيف .

٥٠ ١٣٤ أدبني ربي فأحسن تأديبي :

تقدم بـ ٩ .

٥١ ١٣٤ أنا أعلمكم بالله وأخشاكم لله :

البخاري عن أنس (والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له) .
والشيخان عن عائشة (والله إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية)

٥٢ ١٣٤ خير صلى الله عليه وسلم بين أن يكون ملكا نبيا أو عبدا نبيا ،
فاختار أن يكون عبدا نبيا :

الطبراني عن ابن عباس بسند حسن ، والبيهقي في الزهد ،
وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة .

١٣٤ ٥٣ عرضت على الدنيا فأبيتها

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز عرضت « أي الدنيا » على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها ، الحديث رواه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا ، ورواه أحمد والطبراني متصلًا عن أبي بصير في أثناء حديث فيه .

١٣٤ ٥٤ إني قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة . الحديث وسنده صحيح ولأحمد والترمذي من حديث أبي أمامة (عرض عن ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا) وقال : حديث حسن

١٣٤ ٥٥ لو كان لي أحد ذهباً لأنفقته في سبيل الله
رواه الشيخون عن أبي ذر ، عنه صلى الله عليه وسلم ، ورواه ابن ماجه (مختصر)

١٣٤ ٥٦ إنه صلى الله عليه وسلم لم يدخر شيئاً بعد
عن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً إلا وإني لأكثر ديناراً ولأدرهما ولا أخيراً رزقاً بعد . رواه الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب ، وأبو عبد الله عليه وسلم ، إنما ادخر مرة قوت سنة اعياله ولما يرد عليه من الوفود

ادخاره صلى الله عليه وسلم قوت السنة ، أخرجه الشيخان من حديث عمر : كان يعزل نفقة أهله سنة

رقم رقم
الصفحة مشاشن

٥٧ ١٣٤ أن صلى الله عليه وسلم لم يكن له قميصان ولم ينخل له طعام

وأنه خرج صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز برقط
اختياراً إلا اضطراراً لأنه لو سأل الله تعالى أن يجعل له الجبال ذهباً
ولم يحاسب عليها لفعّل.

لم يكن له قميصان ، روى الطبراني في الصغير والأوسط عن
أبي الدرداء رضي الله عنه قال لم ينخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدقيق ولم يكن له إلا قميص واحد ، ورواه البزار وروى الشيخان عن
أبي هريرة رضي الله عنه ، وعن عبد الرحمن بن عوف خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع هو ولا أهله من خبز الشعير ،
رواه البزار بإسناد حسن ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، خرج
رسول الله ، صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير ،
رواه البخاري والترمذي ، وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال :
مارأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منخلًا من حين ابتعثه الله
حتى قبضه الله فقيل كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول قال كنا
نطحنه ونفجه فيطير ماطار وما بقي ثربناه ، رواه البخاري ، وعن
الحسن قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواسي الناس بنفسه
حتى جعل يرفع إزاره بالأدم ، وما جمع بين غداء وعشاء ثلاثة أيام
حتى لحق بالله رواه ابن أبي الدنيا في « كتاب الجوع » مرسلًا

٥٨ ١٣٥٠ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لبلال :

(أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا)

١٣٥

عن بلال أمّوذن قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم وعندي
صبرة من تمر فقال : ما هذا ؟ فقلت : ادخرناه اشتقائنا ، قال عنه
الصلاة السلام : أما تخاف أن ترى له نخلًا في جيبهم ؟ (أنفق بلال
ولا تخش من ذي العرش إقلالا) .

قال الهيثمي : إسناده حسن ، ورواه الأبرار عن بلال
ورواه الطبراني في الكبير والمصنف في سننه عن ابن مسعود .
قال الهيثمي : رواه بسندين أحدهما حسن ، ورثي الآخر ، ورواه
تزييع وفيه كلام ، وبقيّة رجاله ثقات

ورواه أيضًا عن أبي هريرة ، وفيه من ثقات بنى عليه ، وفيه
رجال الصحيح ، ورواه الأبرار عن أبي هريرة ، وفيه من ثقات
وأما حاتم بن عمار بن محمد بن عيسى بن جهم بن
قال أحمد بن حنبل بن حبه ، من ثقات بنى عليه ، وفيه من ثقات
ورواه أبو هريرة ، وفيه من ثقات بنى عليه ، وفيه من ثقات
أبيه الهيثمي .

١٣٥ ٥٩

وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم :
وسمى ، وأما حاتم بن محمد بن حبه ، من ثقات بنى عليه ، وفيه من ثقات
أنت به فقلت : لم أسمعه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم :
أفمن شئنا أن لا يكون لنا منكم ؟

رقم رقم
الصفحة مسلسل

١٣٥ قال الحافظ الميمني : ورواه أحمد ورجال الصحيح غير هلال
ابن المعلى ، وهو ثقة .

١٣٥ ٦٠ أنه صلى الله عليه وسلم لم يحب طعاماً قط ، ولا خير بين أمرين
إلا اختار أيسرهما ، إنه لم يحب طعاماً قط ، يتفق عليه من حديث
أبي هريرة ، ولا خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، مالك والشيخان
وأبو دود عن عائشة .

١٣٥ ٦١ وكان من تواضعه صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف ، ويتعمد
المخضوف ، ويركب الحمار ، وينحلب الشاة ، ويخصف نعله ، ويرقع
ثوبه ، وكان لا يأنف أن يركب الحمار ، ويردف خلفه .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل
خشناً ، ولبس خشناً ، لبس الصوف ، واحتذى المخضوف ، رواه
ابن ماجه ، والحاكم .

وعن أبي موسى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يركب الحمار ، ويلبس الصوف ، ويعتقل الشاة ، ويأني مراعاة
الضيف ، رواه الطبراني ، ورجال الصحيح . قاله
الحافظ الميمني .

قيل لعائشة ماذا كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في
بيته ؟ قالت : كان بشراً من البشر . يغلى ثوبه ، ويحلب شاته ،

ويخدم نفسه ، رواه أبو نعيم في الحلية . كان يعمل عمل البيت ،
وأكثر ما يعمل الخياطة - الجامع .

وروى أبو الشيخ عن عائشة : يخفض النعل ، ويرقع الثوب .

كان يركب الحمار موكفاً عليه قطيفة ، وكان مع ذات يستردف
متفق عليه إلى حديث أسامة بن زيد .

وكان يكره الغنى ، ولا يخشى من الفقر ، وكان يمر به ويرزقه
الشهر والشهران فلا يوقد في بيته من الخبز ، وأنه كان طعمه من الأسودين
التمر والماء .

۶۳ ۱۳۵

وعن أبي أمامة رضي الله عنه : عرض علي زبي الأجهول لي بجمعة
مكة ذهباً قلت : لا يأرب ، وكان أشيع يومئذ وأبرح يوماً من
ثلاثاً أو نحو هذا ، فإذا جعت تضربت إليك وذلك ، فرددت
شكرتك وحمدتك . ثم قال : الترمذي هذا حديث حسن .

وكان يمر به الشهر والشهران لا يوقد في بيته من الخبز ،
عائشة ، وأبو يعنى ، عن أبي هريرة .

اللؤلؤ أحيى مسكينة .

۶۳ ۱۳۵

الترمذي ، وابن ماجه ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
الإسناد ، ورواه الطبراني بسند ، جاله نقات عن سعد بن الصامت ،
وقال الحافظ بن حجر : دأبني ابن الجوزي ، وابن أبي عمير أنه يروي

رقم رقم
الصفحة مسائل

وليس كما قالوا ومعنى الحديث دلالة الأمة على طلب التواضع .
وأن لا يكون من الجبابرة .

١٣٦ ٦٤

اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا ، يوماً بيوم .
رواه الشيخان ، والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة .

١٣٦ ٦٥

وكان أبو سعيد بخاري رضى الله عنه يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما روى عنه . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقل البعير ، ويعتف المذبح ، ويقيم البيت ، ويخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويحب الشاة ، ويأكل مع الخادم ، ويقطن مع عبده إذا أعتب . وكان لا يمد له لحية ، أن يمس بضاعته من السوق إلى أهله ، فكان يصدح الغني والفقير ويسم مبدئاً ، وكان لا يرد من دمه ، ولا يخرق ما دس إليه ولو على حشف التمر . وكان بين الخلق . كريم الطبع . جميل المشورة طاق فوجده يسماً من غير ضحك ، محزوناً من غير عبوس من غير ضعة ، من غير مدانة جوداً من غير سرف . رقيق القلب . دائم الإصرار . رجي بكل مسلم لم يتجشأ قط من شبع . ولا مد يده إلى ضبع . قال الحافظ العراقي : أخرج أبو الحسن الضحاک في الشرائع حديث أبي سعيد الطوري الذي قال فيه : متواضع من غير مدانة وإسناده ضعيف .

وقد خربت جمع فيه محسن من محسنه صلى الله عليه وسلم
التي لا تحصى وهي من ضمن أوصافه وسجيده مشهورة مشهورة في كتب
السنة الصحيحة :

رقم
الصفحة مسلسل
رقم

١٣٦ ٦٦ يلبس الصوف ويعقل البعير :
البيزار من حديث أبي موسى .

١٣٦ ٦٧ يعلف الناضح ويقم البيت :

للبخاري من حديث عائشة : كان يكره أن يكون في موهبة أهله .
وفي مسند الإمام أحمد : ويعمل في بيته كإيمان أحمك في بيته .
ورجائه رجاء الصحيح .

١٣٦ ٦٨ وينكح مع ثلثه ويهجن دمه في ثلثه .

يؤذي بكر من الظالمين في ثلثه من دمه .
وروى مسلم من حديث أبي بصير عن النبي صلى الله عليه وسلم :
وأهملوه في ثلثه .

وحديث أبي بصير عن النبي صلى الله عليه وسلم :
وإذا نكح ثلثه فليس له ولد .

١٣٦ ٦٩ وكان لا يمدح له في الدنيا .

أبو بكر في الدنيا .

١٣٦ ٧٠ ما كان يمدح له في الدنيا .

أبو بكر في الدنيا .

أبو بكر في الدنيا .

١٣٦ ٧١ وكان يمدح له في الدنيا .

في الدنيا من حديث أبي بصير .

من حديث أبي بصير .

رقم رقم
الصفحة مسلسل

- ٧٢ ١٣٦ وكان لا يرد من دعاه ولا يحقر ما دعى إليه :
روى الإمام أحمد وابن حبان والترمذى عن أنس لو أهدي إلى
كراع لقبات ولو رغبت إليه لأجبت .
- ٧٣ ١٣٦ وكان لين الخلق كريم الطلع جميل المعاشرة طلق الوجه :
الترمذى فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب كان دائم
البشر كامل الخلق لين الجانب .
- ٧٤ ١٣٦ وكان بساماً من غير ضحك :
الترمذى من حديث عبد الله بن الحارث : ما كان ضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مبتسماً ، وقال : صحيح غريب ،
وله فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة .
- ٧٥ ١٣٦ محزوناً من غير عبوس :
الشيخان عن عائشة (إمّا ضحكه التبسّم) أبو الحسن فى الضحك
فى الشمائل من حديث أبى سعيد الخدرى فى صفته صلى الله عليه وسلم
- ٧٦ ١٣٦ وكان متواضعاً من غير مذلة :
كان يجلس مع أصحابه مختلفاً بهم كان أحدهم يعانى الغريب
فلا يدري أيهم هو أبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة وأبى ذر
- ٧٧ ١٣٦ وكان جواداً من غير سرف :
لأنه لا ينفق إلا فى طاعة الله عز وجل .
- ٧٨ ١٣٦ وكان رقيق القلب :
قد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم .

رقم
الصفحة
رقم
مسلسل

١٣٦ ٧٩ وكان دائم الإطراق :

أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير : لأصحاب السنن من حديث أسامة بن مريك .

١٣٦ ٨٠ وكان رحيمًا بكل مسلم : حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم :

١٣٦ ٨١ لم يتجشأ قط من شبع :

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، فقال : كف عن جشائك ون . فإن أكثرهم شبعًا في الدنيا أطولهم جوعًا يوم القيامة .

رواه الترمذى وابن ماجه والبيهقى من رواية يحيى اليكنى عنه . وقال الترمذى : حديث حسن ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أهل الشبع في الدنيا أطولهم جوعًا في الآخرة ، رواه الطبرانى بإسناد حسن . وعن ابن عمر عن أبي جحفة رضي الله عنه بإسنادين رواه أحمد بن حنبل .

١٣٦ ٨٢ ولا مد يده إلى طمع ، بل كان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر .

وقالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود من الزئبق المرسل في الصححيين عن ابن عمر .

الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في الخير . رواه ابن عمر . وفيه خبر جليل كان أجود بالخير من أربعين ألف دينار .

وذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين يدي من العلم فرجال واحد ، فرجع ذلك الرجل إلى قومه فقال : إن محمدًا صلى الله

رقم الصفحة
رقم مسلسل

عليه وسلم يعطى عطاء من لا يخشى الفقر . الإمام أحمد ، ومسلم
عن أنس .

٤٣ ١٣٦٦
ولا يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخبيا
بالأسواق ولا يجزى بالسيدة السيئة . وان كان يعفو ويصفح .
رواه الترمذي عن عائشة وحده .

٤٤ ١٣٦٧
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض .
عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٤٥ ١٣٦٨
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي على الأرض . ويحسب
دعوة منسوك من خبز الشعير .
رواه الطبراني .

٤٦ ١٣٦٩
ويجلس العبد .
رواه أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك .

٤٧ ١٣٧٠
وأمكن خشا ليس خشكة .
وفيه يروى عن أبي كثير عن نوح بن ذكوان .

٤٨ ١٣٧١
ويجلس منسكين . ويجلسه صلى الله عليه وسلم للفقر . ثابتة .
كما أمره ربنا ليبرك ونهني .

وروى يروى من حديث أبي سعيد . مجلسه الفقراء ليعدل
بنفسه فيهم . وابن ماجه من حديث حبيب . كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمشي معناه .

رقم رقم
الصفحة مسلسل

١٣٧ ٨٩ ويمشي في الأسواق وهذا ثابت في الكتاب ، وحديث أبي هريرة
في دخوله السوق وحمله السراويل :

رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى .

١٣٧ ٩٠ وكان صلى الله عليه وسلم إذا دخل السوق قال : « اللهم إني أسألك
من خير هذه السوق وخير ما فيها » الحديث :

الطبراني والحاكم عن بريدة ، وسنده صحيح .

١٣٧ ٩١ ويتوسد يده :

وكان إذا عرس وعاليد نيل وتوسد يمينه ، وإذا عرس وعاليد يار
وضع رأسه على كفه اليمنى وأقام يده عنده :

الإمام أحمد وابن حبان والحاكم عن أبي قتادة .

١٣٧ ٩٢ ويقتص من نفسه :

وحديث عكاشة بن محصن ثبت في الصحيح .

١٣٧ ٩٣ ولم يركب حكا ما فيه :

وقد تقدم أن حكا ما فيه حديثه في الصحيحين .
وفيه حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت :
عاليد وسلم مستحسنا ، فذكرنا حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم

١٣٧ ٩٤ ولم يركب حكا ما فيه :

حديث أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
الحراطين في مكاتبهم لا يركب حكا ما فيه .

رقم
رقم
الصفحة مسائل

۱۳۷ ۹۵ ولا ضرب عبده قط :

متفق عليه من حديث عائشة .

ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادما ولا امرأة قط .
أبو داود عن عائشة .

۱۳۷ ۹۶ ولا ضرب أحداً بيده إلا في سبيل الله عز وجل :

متفق عليه من حديث عائشة .

ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده ، ولا
امرأة ، ولا خادماً إلا أن يجاهد في الله عز وجل وما نيل منه شيء
قط فينتقم من صاحبه إلا إن انتهك شيء من محارم الله فينتقم لله
عز وجل .

۱۳۷ ۹۷ وكان لا يجلس متربعاً ولا يأكل متكئاً ويقول: آكل كما يأكل العبد .

وأجلس كما يجلس العبد :

كان لا يأكل متكئاً ، الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو

آكل كما يأكل واجلس كما يجلس العبد .

ابن سعد وأبو يعلى ، وابن حبان والحاكم في التاريخ عن عائشة
رضي الله عنها .

۱۳۷ ۹۸ وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه شد الحجر على بطنه من الجوع ولو

سأل ربه أن يجعل له أبا قبيس ذهباً لأجابه :

متفق عليه من حديث جابر ، وروى الترمذی من حديث أبي طلحة شكونا إلى النبي صلى الله عليه وسلم الجوع ورفونا ثيابنا عن حجر حجر إلى بطوننا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين

١٣٧ ٩٩ وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى أبي الهيثم بن التيهان .
مالك والترمذی ومسلم عن أبي هريرة .

١٣٢ ١٠٠ ودعاه رجل وخمسة معه فلم يدخل السادس إلا بإذنه :
عن أبي مسعود رضی الله عنه ، أخرجه الشيخان والترمذی

١٣٧ ١٠١ لبس صلى الله عليه وسلم منديلا له علم ثم رمى به :
متفق عليه ، في حديث عائشة .

١٣٧ ١٠٢ وسئل عن الصلاة في ثوب واحد فقال : أو كما يكملون بين
مالك ، والشيخان ، والترمذی ، وأبو داود عن أبي هريرة .

١٣٧ ١٠٣ إنما أنا ابن امرأة كانت تاكل القديد :
الحاكم ، من حديث جرير وقال : صحيح على شرط الشيخين

١٣٧ ١٠٤ لا تفضلوني على يونس بن متى :

لا ينبغي اعباد أن يقول : لا خير من يونس بن متى ، ولا يونس بن متى ،
وأبي داود عن ابن عباس ، وقيل الشيخان عن أبي هريرة ، وغيره في
الصحيح عن عبد الله بن جعفر عن عبد الله بن مسعود حدث قال أن
يعلم أنه أفضل الخلق وقد ثبت ذلك عنه .

رقم
الصفحة مسلسل

١٣٧ ١٠٥ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة .

مسلم ، وأبو داود عن أبي هريرة ، وأحمد ، والترمذي وابن ماجه ،
عن أبي سعيد ، سيادة ولا فخر .

١٣٧ ١٠٦ أني لأعطي أقواماً إلخ .. .

الشيخان ، والإمام أحمد ، والنسائي عن سعد .

١٣٨ ١٠٧ أول من يدخل الجنة فقراء الأنصار ، الشعبة رؤسهم الأنسة ثيابهم :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه
وسلم ، رواه أحمد والبزار ، ورواهما ثقة ، وابن حبان في
صحيحه وفيه الفقراء المهاجرون ، عن ثوبان ، رواه الطبراني في
الصحيح ، وفي الترمذي وابن ماجه نحوه ، والحاكم وقال : صحيح
الإسناد .

١٣٧ ١٠٨ مالي ودينيا :

رواه أحمد وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي عن عباس ،
والترمذي عن عبد الله بن مسعود ، وقال : حسن صحيح وابن ماجه .

١٣٨ ١٠٩ ليكن بلغه أحدكم كزاد الزاكب :

رواه أبو يعلى والطبراني عن حبان بإسناد جيد ، والبيهقي في
الشعب عنه ، وروى الحاكم وابن حبان في صحيحه نحوه من حديث
سلمان ، ورواه ابن مسعود ورواه ثقت احتج بهم الشيخان إلا جعفر

رقم رقم
الصفحة مسلسل

١٣٨ ١١٣ حبيب إلى من دنيا كم ثلاث :

رواه الإمام أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي عن أنس من غير
نقطة «ثلاث» ، وسنده حسن ، قال الحافظ العراقي : بسند جيد
وضعه العقيلي

١٣٨ ١١٤ أنتم أعلم بدنيا كم :

مسلم عن أنس وعائشة .

١٣٨ ١١٥ لم يضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنة على ابنة إلى أن خرج من
الدنيا وكان يقول : عريشاً كعريش أخى موسى :

ابن حبان في الثقات عن الحسن مرسل ، مات رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ، وأبو نعيم في الحلية ، والطبراني
في الأوسط عن عائشة بعض حديث وإسناده ضعيف وأخرج المخلص
في فوائده ، وابن النجار عن أبي الدرداء : عريشاً كعريش موسى
تمام ، وخشيبات والأمر أعجل من ذلك ، وأخرج الدارقطني في
الأفراد من حديث أبي الدرداء ، وقال : غريب أن سئل أن يكحل
المسجد فقال : لا عريش كعريش أخى موسى .

١٣٨ ١١٦ وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الدنيا ودرعه مرهونة

على صانع من شعير :

البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، عن عائشة

توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين ، وعن البيهقي بثلاثين

صاعاً من الشعير، والترمذى والنسائى والبيهقى عن ابن عباس بعشرين
صاعاً من طعام أخذه لأهله، وسنده حسن ولم يترك ولا درهما، مسلم
عن عائشة:

١٣٨ ١١٧ ولم يقيم له ميزان:

١٣٨ ١١٨ ما ترك ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا أجيماً:

مسلم، عن عائشة.

١٣٨ ١١٩ لم يوجد في بيته أثاث:

الشيخان عن عائشة رضي الله عنها، كان فراشه أدهم حشود
لينف، والشيخان عن عمر: أنه كان ينام على سرير مرمر موشى
حتى يؤثر في جنبه.

وقال: نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، مات
والشيخان والترمذى وأبو دود عن ابن بكر، وعمر، وعثمان، وطاهر
والزبير، وسعد، وأبي هريرة، وعائشة.

١٣٨ ١٢٠ وكان يقبل الهدية، ولا يكل الصدقة:

متفق عليه من حديث أبي هريرة، والترمذى، والبخاري،
عن عائشة، وأبي هريرة.

١٣٨ ١٢١ ما أوحى الله تعالى إلى أن أجمع مال وأهل بيته:

ابن عدى من حديث ابن مسعود، والابن عمر، والعلاب في

التاريخ ، والبيهقي في الزهد من حديث الحارث بن سويد في
أثناء الحديث : لا تجمعوا مالا لا تأكلون .

١٣٩ ١٢٢ حديث عائشة رضي الله عنها ذبحنا شاة فتصددقنا بها حتى لم يبق
إلا كتفها :

الترمذي : عن عائشة ، وقال حسن صحيح .

١٣٩ ١٢٣ ان الله يحب مكارم الاخلاق ، ويكره سفافيا ، ان الله يحب معالي
الامور ، ويبغض سفافيا :

الحاكم من حديث سهل بن سعد . وابن ماجه ، وأبو نعيم ،
والطبراني عن سهل ، ان الله كريم يحب الكريم ، ويحب
معالي الاخلاق ، ويكره سفافيا ، ويعنده الطبراني عن الحسن
ابن عبي رضي الله عنهما ، والبيهقي من حديث سهل متصلا ،
ومن رواية طاحنة بن عبد الله بن كزيب مرسلا ، ورجلها ثقات
ذكره الخافظ العراقي .

١٣٩ ١٢٤ بعثت لآتي بمكارم الاخلاق : مكرر عن ٤٩

١٣٩ ١٢٥ كان متواصلا لاحزان دائم التفكير .

الطبراني في الكبير عن الحسن بن علي سألت خالي هند بن
هذلة ، وكان نصدده أزيك كزيب المرجل : عن مطرف عن أبيه
أبو داود ، والنسائي ، وابن حزين ، وابن حبان ، ونصدده أزيك
كزيب الرحي ، وبعضهم . وجوفه أزيك كزيب المرجل . عن عبد الله
ابن الشخير أبو داود ، والترمذي في الشمائل ، والنسائي .

رقم
الصفحة مسلسل

۱۳۹ ۱۳۶ صلی حتی تورمت قدماہ :

الشیخان ، والنسائی ، والترمذی عن المغیرة بن شعبہ ،
والشیخان عن عائشة ، حتی تفتطر قدماہ : والترمذی عن
أبی هريرة .

۱۴۰ ۱۳۷ کان یعطی من حرده ، ویعین من قطفه ، ویعفی عن من خلیه
لیتخری من حبه ، یأمن بنحوه ، والترمذی عن
ولاء غنیم ، ولا صحاب فی الأسارى ، ولا یزیر
وکان یعفی ریحان .

۱۴۰ ۱۳۸ أن أولی بقر من ثمنه من یزیر
لیتخری من حبه ، والترمذی عن
أبی هريرة .

۱۴۰ ۱۳۹ اللهم ولی من أحب رسولی
والشیخان عن ابن عباس .

۱۴۰ ۱۳۰ یرک من حبه من یزیر
والترمذی عن ابن عباس .

۱۴۰ ۱۳۱ یرک من حبه من یزیر
والترمذی عن ابن عباس .

عنه ویعفی عن من خلیه ، والترمذی عن
أبی هريرة ، والترمذی عن ابن عباس .

رقم
الصفحة مسلسل

رحيم كريم ثم أعاد عليهم القول فقالوا مثل ذلك ، فقال : إني أقول كما قال أخي يوسف : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لي وانكم وهو أرحم الراحمين : ولابن سعد من طريق الزهري عن بعض آل عمر بن الخطاب ، وأخرج نحوه حميد بن ربحونة في كتاب الأسوان عن طريق ابن أبي حسين ، وأخرجه عبد الرازق في الجامع عن ابن عمر يا معشر قريش : ما ترون نبي فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

١٤١ ١٣٣ إني بعثت بالحنيفية السمحاء :

رواه أحمد بإسناد حسن عن عائشة ، وترجم البخاري « أحب لدين إلى الله الحنيفية السمحة » والخطيب عن جابر : بعثت بالحنيفية السمحة .

١٤١ ١٣٣ وكان يحب الخلو البارد :

وكان أحب الشراب إليه الخلو البارد . الإمام أحمد ، والترمذي ، والحاكم عن عائشة .

١٤١ ١٣٤ إني أنسى لأسن :

مالك بلاغاً ، وهو من الأحاديث الأربعة في النوط التي لم يجدها ابن عبد البر موصولة ، ووصلها ابن الصلاح .

١٤٣ ١٣٥ حديث حارثة : لكل حق حقيقة ، تقدم في حديث ٨

۱۴۳ ۱۳۶ احفظ الله يحفظك . الترمذی عن ابن عباس :

والإثم ما حاك في الصدر ، تقدم في ۲۶

۱۴۳ ۱۳۷ الحلال بين والحرام :

الشيخان وأصحاب السنة عن النعمان بن بشير : الحلال بين ،

والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات :

الحلال بين ، والحرام بين ، فدع ما ريبك إلى ما لا ريبك .

الطبرانی في الأوسط عن عمر .

۱۴۳ ۱۳۸ لا ضرر ولا ضرار في الإسلام .

لا ضرر ولا ضرار . رواه مالك من معمر بن يحيى بن زبير عن أحمد

أحمد ، وعبد الرزاق ، وابن ماجه عن ابن عباس .

۱۴۷ ۱۳۹ من عمل شرا ، علم ورثه الله علم ما لم يعلم :

أبو نعیم في الحلیة من حديث انس بن مالك .

۱۴۸ ۱۴۰ قال رجل : علمي من غرائب العلم :

ابن السنن وأبو نعیم في كتب الأئمة . من غرائب العلم

حديث عبد الله بن مسعود ، سئل عن رجل قال : يا رسول الله ،

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ،

فقال له : ما صنعت من رأس العلم . قال : ما صنعت من

هل عرفت الرب تبارك وتعالى . قال : ما صنعت من

حقه . قال : ما شاء الله . قال صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ،

ما هنالك ثم تعال أعلمك من غرائب العلم .

رقم رقم
الصفحة مسلسل

١٥٩ ١٤١ إنما الأعمال بالنيات :

الشيخان عن عمر ومالك في الموطأ برواية محمد بن الحسن .

١٥٨ ١٤٢ أعود برضاك من سخطك ، وأعود بعفوانك من عقوبتك :

مسلم ، ومالك ، وأبو داود ، والنسائي ، والترمذي .

١٥٧ ١٤٣ صدق مكة فاقم الحرب :

الشيخان عن أبي شريفة وابن مسعود .

أعود برضاك من سخطك ، والترمذي .

١٥٦ ١٤٤ : لو تعلمون ما أعجزه مكارر ١٦ .

أما هذا مكارر الله ، مكارر ٥١ .

١٦٠ ١٥٥ كفاي كرامة التوبة :

وجهت وجهي إليك يا رب النبي صلى الله عليه وسلم لبعض

تعبه لتبني من حديث الترمذي .

الذي انتهى بسعي برصمري به الترمذي . والحكاية عن

أبي شريفة .

١٦١ ١٥٦ لا تكلمني بغيري طرفاً عن :

الحكاية من حديث أنس قال سمعت علي بن شريك الشيباني . وهو

في يوم الاثنين ، وعلمه صلى الله عليه وسلم ما بينه وبينه رضي

الله عنه .

١٦٠ ١٥٧ واكرهه عند موت النبي صلى الله عليه وسلم :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قالت . واكره أباه فقال صلى

الله عليه وسلم : ليس على أهلك كرب بعد اليوم ، في الصحيح .

أنا سيد ولد آدم . تقدم في حديث ٧٣ . ١٤٨ ١٦١

أستغفروا الله وتوبوا إليه فإني أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة ١٤٩ ١٦١

وقال حذيفة : كنت ورب المسمان علي أعلى فقلت يا رسول الله

لقد خشيت أن يدخلني اسمي النار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم

فأين أنت من الاستغفار ؟ فإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة ورواه

الحافظ العراقي للنسائي في اليوم والليلة والبرقي .

ورواه الحاكم ، وقال صحيح على شرط الشيخين : ما صححت منه

قط إلا استغفرت الله فيها مائة مرة .

للطبراني عن أبي موسى . ما صححت منه قط إلا استغفرت

تعالى مائة مرة .

وعن أحمد بن حنبل ، في ما عدا ذلك من الاستغفار في اليوم مائة مرة

حتى أستغفر الله تعالى في اليوم مائة مرة ، ما صححت منه قط إلا استغفرت

تعالى مائة مرة . وفي رواية لمسلم : فإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة

ربّي توبت وتعالى في اليوم مائة مرة .

رحم الله أخي عيسى عليه السلام . تقدم في ١٥٠ ١٦١

لمني مع الله وقت لا يسعني فيه شيء . ١٥١ ١٦١

من رسالة القسيري لمي وقت لا يسعني فيه شيء . ما صححت منه قط

ما كان السند لا يرف .

رقم
رقم
الصفحة مسلسل

١٦١ ١٥٢ ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدى المؤمن :

قال الحافظ العراقي : لم أر له أصلا .

١٦١ ١٥٣ إن لله أواني في أرض وهي القلوب :

إسناده جيد .

١٦١ ١٥٤ حديث عائشة : انتهت آية فلم أجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

في فراشة :

البيهقي من طريق العلا عن عائشة ، وقال : هذا مرسل جيد

العلا ، لم يسمع من عائشة .

١٦٢ ١٥٥ أطيب ما أكل الرجل من كسبه يده :

أطاب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور :

رواه أحمد والطبراني والحاكم عن رافع بن جريح والطبراني

عن ابن عمر .

١٦٢ ١٥٦ جعل رزقي تحت ظل رمحي :

أحمد من حديث ابن عمر وسنده صحيح .

١٦٢ ١٥٧ لو توكلتم على الله حق توكله :

الإمام أحمد والترمذي والحاكم وصححه من حديث عمر

وابن ماجه : لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله .

١٦٣ ١٥٨ اعبد الله كأنك تراه :

تقدم ٣١ و ٣٧ .

رقم
الصفحةرقم
مسلسل

١٦٣ ١٥٩ جبل ولی الله :

. ما جبل ولی الله إلا على السخاء .

الذهبي عن عائشة مرفوعاً بسند صحيح .

١٦٤ ١٦٠ إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت ؟

١٦٤ ١٦١ حبك الشيء يعنى ويصم :

قال الحافظ ابن حجر تبعاً لعمري وبكعب سكوت أبو ذؤيب

فليس بموضوع ولا بشديد الضعف فهو حسن رواه أبو ذؤيب عن

أبي الدرداء مرفوعاً ، ورواه الإمام أحمد موقوفاً عنه وجرى في

إعلال المكروب عن ابن رزق وابن عبد بكر عن عبد الله بن أسد

وحسن السيوطي منده : إذا رأيتم أهل البيت فسد الله فيهم .

١٦٤ ١٦٢ حرام على قلب عليه زبانية من الدنيا أن يند حلالة الأعداء ؟

لولا الشاخين .

١٦٤ ١٦٣ سئل العلماء ، وخلف الحكماء ، وجالس الكبار :

جالسوا الكبراء ، وسأله العلماء ، وخلف الحكماء .

الطبراني عن أبي جعفر صحيح .

١٦٤ ١٦٤ المذنب تسرد حسنة وتسوده سيئة .

من سرته حسنة وسرته سيئة سادته سيئة .

١٦٤ ١٦٥ الذي معاونة ما عدان . فيه إلا أن الله .

عن أبي هريرة . إن الدنيا مائة مائة مائة . فمن إلا أن الله

وما إلا دولة أو متعلم . ابن ماجه والبيهقي والترمذي وابن ماجه

رقم الصفحة مسلسل	رقم	موضوع
١٦٥	١٦٦	سأل النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عن شجرة لا تسقط ورقها : في الصحيح عن ابن عمر .
١٦٦	١٦٧	أصحابي كالنجوم : رواه البيهقي ، وأسنده الديلمي عن ابن عباس وأخرجه رزين عن عمر .
١٦٧	١٦٨	أرحم أمتي بأمتي أبو بكر : رواه أحمد والترمذي عن أنس والطبراني عن جابر وابن عدي عن ابن عمر بالنظر أرأف أمتي الخ ، والعقل عن أبي سعيد .
١٦٨	١٦٩	أقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر : الترمذي عن حذيفة وحسن سنده الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة وابن عبد عن أنس .
١٦٩	١٧٠	لو نادى مناد من السماء أنه لن يابح الجنة إلا رجل واحد : خطبة أبي بكر عن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم :
١٧٠	١٧١	من المسند للإمام أحمد وعبد الرزاق ، وفي الصحيح عن عائشة وفيه عن ابن عباس وابن أبي شيبة من حديث ابن عمر .
١٧١	١٧٢	ما تركت لأهلك يا أبا بكر : الترمذي عن عمر ، وقل : حسن صحيح ، وأبوداود ، والترمذي والحاكم ، وصححه من حديث ابن عمر .
١٧٢	١٧٣	قوله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : اللهم إن تهلك هذه العصابة ، وقل أنى بكر : دع مناشدتك ربك مسلم والترمذي عن ابن عباس عن عمر .

رقم
الصفحة مسلسل

١٧٠ ١٧٤ لو تعلمون ما أعلم : مكرر

١٧٠ ١٧٥ رأى أبي بكر في مقاتلة مانع الزكاة :

مالك والشيخان وأصحاب السنن عن أبي هريرة

١٧٠ ١٧٦ جيش أسامة :

البيهقي وابن عساكر عن أبي هريرة

١٧٠ ١٧٧ معروف ماني بطن زوجته :

مالك عن عائشة

١٧٠ ١٧٨ اتقوا فريسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله :

الترمذي والخبراي من حديث أبي أمامة والترمذي

أبي سعد والخبراي وأبو نعيم والبخاري بسند حسن عن أبي هريرة

عباداً يعرفون الله بأفرسه

١٧١ ١٧٩ ما فاتك أبو بكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ولا حرم . ما فضلك : قال الخليل بن أحمد : لم

وهو عند الحكيم الترمذي في سنن أبي هريرة عن عائشة . وقال في

قول بكر بن عبد الله المزني ما من أحد يكلم أصحاب رسول الله

١٧١ ١٨٠ يا بني آدم قوموا إلى ربكم ما أنتم منكم . قال أبو هريرة

عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم : من أتى الله

عند كل صلاة : يا بني آدم قوموا إلى ربكم ما أنتم منكم . قال أبو هريرة

أنفسكم فطوبوا .

الخبراي في الأوسط والبيهقي . وقال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

رقم رقم
الصفحة مسلسل

قال الحافظ الميثمى : ولم أجد من ذكره إلا أن روى عن أزهر بن
سعد السمان وروى عن يعقوب بن إسحاق المحرمى وبقية رجاله
رجال الصحيح .

١٧١ ١٨١ تنبيهه طعام الشبهة :

البخارى عن عائشة ، وأحمد عن ابن سيرين ، فى الزهد

١٧١ ١٨٢ الدر أوى بما نبت من حرام :

الترمذى وابن حبان من حديث كعب بن عجرة : كل لحم نبت
من سحت فالنار أولى به . البيهقى وأبو نعيم عن أبى بكر .

١٧١ ١٨٣ وددت أن أكون خضراء تأكلنى الدواب :

وأخرج أحمد عن قتادة قال : بلغنى أن أبا بكر قال : وددت أنى
خضرة تأكلنى الدواب .

١٧١ ١٨٤ ثلاثة آيات من كتاب الله اشتغلت بهن :

١٣٣ ١٨٥ سرية جبل الجبل :

البيهقى فى الدلائل واللال كائى فى شرح السنن والزين الدعوى

فى قوله وابن الأعرابى فى كرامات الأولياء عن ابن عمر وهكذ

ود فى حرمها فى جمع حدث ابن وهب قال حافظ ابن حجر : وهو

السنة حسن والتعريب فى روضة صائب وأبو نعيم فى الدلائل عن عمرو

بن مهران

١٨٦ ١٨٦ فى حرمها فى جمع حدث ابن وهب قال حافظ ابن حجر : وهو

السنة حسن والتعريب فى روضة صائب وأبو نعيم فى الدلائل عن عمرو

بن مهران

رقم الصفحة
رقم المسائل

١٨٣ ١٨٧ قول عمر : رحم الله امراً أهدي إلى عيوبي :

١٧٣ ١٨٨ الشيطان يفرق من ظل عمر :

الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما بقيت الشيطان سالكاً فجاً قد
إلا سلك فجاً غير فجك ، وأخرج الترمذي عن عائشة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فرّوا من
عمر ، وأخرج أحمد عن طريق بريدة قال صلى الله عليه وسلم : إن
الشيطان يفرق منك يا عمر ، وابن عسكراً عن عائشة مرفوعاً عن
الشيطان يفرق من عمر .

١٧٣ ١٨٩ قوله رضي الله تعالى عنه : من خاف الله تعالى ما يشاء غير ما :

١٧٤ ١٩٠ ما ابتليت بعبادة إلا كان لله علي فيها أربع نعم :

١٧٤ ١٩١ شكاً إليه رجل النقر فقتل عندك ثم شاكك الموت :

روى مسلم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٧٤ ١٩٢ عن علي . ما أحب إلى من أن يكون الله جالساً في بيتك

من البيت الذي بين يدي من الله عز وجل

١٧٤ ١٩٣ قال علي بن أبي طالب : من أحب الله أحب الله

أبداً

١٧٤ ١٩٤ قال علي بن أبي طالب : من أحب الله أحب الله

أبداً

١٧٤ ١٩٥ قال علي بن أبي طالب : من أحب الله أحب الله

أبداً

١٧٦ ١٩٦ عن عثمان : لولا أنى خشيت أن يكون فى الإسلام ثلثة أسدها بهذا
المال ما جمعتة :

١٧٦ ١٩٧ جيز جيش العسرة واشترى بئر رومة للمسلمين ، وقال صلى الله عليه
وسلم ما ضر عثمان ما فعل بعد . الترمذى عن عبد الرحمن بن ضباب
والبخارى عن أبى عبد الرحمن السلمى .

١٧٣ ١٩٨ بعث إلى أبى ذر كيساً فيه ألف درهم ودفعتها إلى عبد الله وقال له :
أنت حر إن قبلها منك .

١٧٤ ١٩٩ ما تميت ولا تعيت وما مسست ذكرى بيمينى منذ بايعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم . ابن ماجه عن عثمان .

١٧٥ ٢٠٠ قتال والمصحف فى حجره - عبد الله بن الإمام أحمد وأبو يعلى عن مسلم
ابن سعيد مولى عثمان ورجله ثقت . قتال والمصحف بين يديه .

١٧٦ ٢٠١ قل : وجدت تخير مجموعاً فى أربع : .

١٧٧ ٢٠٢ قل لعلى بما عرفت ربك ؟ قال : بما عرفنى نفسه لا تشبهه صورة
ولا يدرك بالحواس .

١٧٨ ٢٠٣ خاق الأشياء لا من شىء كان معه ولا عن شىء احتداد ولا عن
شىء امتثله .

١٨١ ٢٠٤ أحب حبيبك هو نوما :

أبو داود والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة موقوفة .

١٨٢ ٢٠٥ يا صفراء ويا بيضاء غرى غيرى :

الإمام أحمد عن أبى صالح المدنى عن على رضى الله عنه : فرق
جميع ما فى بيت المال وهو يقول : يا صفراء ويا بيضاء غرى غيرى ثم

رقم
الصفحة مسلسل

أمر بنضحه وصلی فیہ رکعتین . روى أحمد عن علي ورجاله وثقوا
إلا أن مجاهداً لم يسمع من علي خرجت فأتيت حائطاً فقال دلوا بثمره
قال فدليت حتى ملأت كفي ثم أتيت الماء فاستعنت يعني شربت ثم
أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأطعمته نصفه وأكات نصفه وصدره
عند الترمذی أنه عمل ليهودی دلوا بثمره .

٢٠٦ ١٨١ إن أردت أن تلقى صاحبك فرقع قميصك واخصف نعلك :

٢٠٧ ١٨١ لولا علي لهلك عمر : أخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب قال : كان
عمر يتعوذ من معضاه ليس فيها أبو حسن .

٢٠٨ ١٨١ خطبة الحسن بعد قتل أمير المؤمنين :

٧٥٠ درهم فصات من عطائه أراد أن يشتري به منة من الله
الطبراني في الأوسط عن أبي الطيب .

٢٠٩ ١٨١ كان يتغير لونه وقت الصلاة رضى الله عنه :

٢١٠ ١٨١ مجالسته صلى الله عليه وسلم وسؤالاته له من حديث

البخاري من حديث أبي هريرة حديثه في حديثه

البخاري من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا يؤمنون إلى أنزل ولا مال ولا من أجورهم ولا من

اليهم ولم يتكلم منهم وإذا تكلموا فليس مني ولا يؤمنون

وأشركهم فيها .

٢١١ ١٨٣ يا من عاتبني فيه ربي :

٢١٢ ١٨٣ كان يجلس مع أهل العترة .

في الخليفة عن محمد بن سيرين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم إذا أمسى قسم نساء من أهل العترة على من من الله به من كان

رقم رقم
الصفحة مسلسل

الرجال يذهب بالرجال والرجال يذهب بالرجال والرجال يذهب بالرجال حتى
ذكر عشرة فكان سعد بن عبد الله يرجع كل ليلة إلى أهله بمائة
منهم يعيشهم .

٢١٣ ١٨٣ لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار
وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم منها ما يباغ نصف الساق ومنها
ما يباغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته .

رواه البخاري عن أبي هريرة

٢١٤ ١٨٤ عن ابن بريذة قال : قال لي أبي : لو رأيتنا ونحن مع نبينا وقد أصابتنا
السراة حسب ريحنا بريح الضأن :

رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال : حديث صحيح وذلك
لأنه لم يسمهم كان الصوف وجاء نحوه عن سلمان .

٢١٥ ١٨٤ أحرق بطوننا النمر :

الحاكم عن طاحنة البصري وسنده صحيح وهو في مسند أحمد .

٢١٦ ١٨٤ وقف على جماعة من أهل الصفة وقد استتر بعضهم ببعض :

رواه الترمذي وأبو داود والبخاري عن أبي سعيد الخدري .

٢١٧ ١٨٥ طاحنة يخط طرف إزاره ، وهو أمير :

٢١٨ ١٨٥ أحرق حنكك فوعرثك إلى الأحبك :

رواه في الخبر

رواه في الخبر

الحاكم عن أبي سعيد الخدري

رواه في الخبر

- ١٨٥ ٢٢٠ سلمان الفارسي لما نزلت هذه الآية « وإن جهنم لم وعدهم أجمعين » صح
ثم خرج هاربا قال الحافظ العراقي : بحثت عنه فلم أجده .
- ١٨٥ ٢٢١ زار سليمان أبا الدرداء من الشام إلى العراق راحلا وعليه ثياب غليظة .
- ١٨٦ ٢٢٢ أبو الدرداء أردت أجمع بين العبادة والتجارة :
- عن خيشمة عن أبي الدرداء رواد الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .
قال الحافظ الهيثمي : ورواه أبو نعيم في الحلية عنه .
- ١٨٦ ٢٢٣ أبو ذر :

وعن أبي شعبة قال : جاء رجل إلى أبي ذر فعرض عليه ثوبا
فقال أبو ذر : عنده أعز نخلة وحمير تنقلنا ومحررة تخدمنا وفضل
عبادة عن كسوتنا إني لأخاف أن أحسب على الفضل : رواد الطبراني
أبو شعبة البكري له أعرفه وبقيته رجاله رجال الصحيح . قال الهيثمي
الهيثمي ورواه أبو نعيم في الحلية .

١٨٦ ٢٢٤ دعى إلى وثية فرجع :

١٨٦ ٢٢٥ أبو عبيدة الخراج :

١٨٧ ٢٢٦ عند الله من سعير :

أه نعم في حيا

١٨٧ ٢٢٧ من سعير :

أه نعم في حيا

أه نعم في حيا

رقم
الصفحة مسلسل

١٨٧ ٢٢٨ عبد الله بن عباس :

١٨٨ ٢٢٩ حديث الحرث بن مالك :

تقدم عدد ٨ .

١٨٨ ٢٣٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يجر إزاراً وجعل يضرب الأرض برجله وهم أمير على البحرين فقال له : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله لا ينظر يوم القيامة إلى من جر إزاره بظراقل . وكان أبو هريرة يستغاث على المدينة فيأتي بحزيمة الخطب على ظهره فبشق السوق ويقول : طرقتوا الأمير ، حتى ينظر الناس إليه .

لنالك والشيخين بنفط مسلم .

١٨٨ ٢٣١ قول أنس : إن أول من يرد المشرك يوم القيامة الذاهبون الكهون ، أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤوسا الدنيا ثيابا .

الترمذي وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح الإسناد البخاري عنه من ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم .

١٨٨ ٢٣٢ عن عبد الله بن عمر كنت شبا عزباً أهد في المسجد وعن أبي سعيد البخاري عنه صلى الله عليه وسلم : لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعمك إلا تقي . رواه أبو داود والترمذي .

١٨٨ ٢٣٣ حذيفة بن اليمان :

أبو نعيم في الحلية .

٢٣٤ ١٨٩ عبدالله بن جحش

الطبراني في الكبير عن سعد بن أبي وقاص

٢٣٥ ١٨٩ صفوان بن محرز المازني

٢٣٦ ١٨٩ أبو فروة

٢٣٧ ١٨٩ أبو بكرة

٢٣٨ ١٨٩ عبدالله بن رواحة

٢٣٩ ١٨٩ تميم الداري

٢٤٠ ١٩٠ علي بن حاتم

٢٤١ ١٩٠ كل محمود القلب صدوق الناس . قلنا : يا رسول الله أي الناس صدوق

قال : كل من صدق من محمود القلب صدوق الناس ، قلنا يا رسول الله ما الصدوق
على أثره ؟ قال : الذي يشهد الدنيا ويمسب الآخرة .

قال الحافظ البرقي : قلنا يا رسول الله وما محمود القلب ؟ قال :

المتقى للشيء ، أخرجه ابن ماجه عن حديث عبد الله بن مسعود

عن قول رسول الله في من صدق في الدنيا والآخرة

مكارم الأخلاق

٢٤٢ ١٩٠ محمد بن كعب

٢٤٣ ١٩٠ زرارة بن أوفى

عن جابر بن حكيم قال : قال زرارة بن أوفى رضي الله عنه ، في

مسجد بني بشير قال المدثر فلما بلغ « فإذا بقوم في السابقين » خابهم بينة ، وروى

الحاكم وقال : صحيح الإسناد

١٩٠ ٢٤٤ حديث حنظلة

مسلم والترمذى من حديث حنظلة بن الربيع كاتب رسول الله
صلى الله عليه وسلم

١٩١ ٢٤٥ البجلاج .

الطبراني بإسناد لا بأس به

١٩١ ٢٤٦ أبو جحيفة

١٩١ ٢٤٧ حكيم بن حزام

١٩١ ٢٤٧ اشترى أسامة فرساً إلى شهرين . . .

رواه ابن أبي الدنيا في كتاب قصر الأمل . وأبو نعيم في الحلية،
والبيهقي في الشعب، والطبراني في سنن الشاميين عن أبي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال : اشترى أسامة بن زبير وليدة بمائة دينار إلى شهر
فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا تعجبون ؟ أسامة
المشترى إلى شهر ؟ إن أسامة لطويل الأمل

١٩١ ٢٤٩ بلال وصهيب (أنظر إلى هذا نور الله قلبه)

١٩١ ٢٥٠ عبد الله بن ربيعة ومصعب بن عمر

ما كان فيه مصعب بن عمر من الرفاهية بمكة ، الترمذى وأبو يعلى
عن علي رضي الله عنه .

١٩٢ ٢٥١ مؤاخاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف

وسعد بن الربيع ، في الصحيح عن أنس

٢٥٢ ١٩٢ ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة

البخارى عن أبي هريرة والبخارى ومسلم والنسائي من طريق عن
فضل بن غزوان وفي رواية لمسلم تسميه الأنصارى بنى طاححة رضى
الله عنه .

٢٥٣ ١٩٢ أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس ثور
فقال : إن أخى كان أحوج إليه منى .

ابن كثير ذكر في غزوة اليرموك أن عكرمة بن أبي جهل
وهو جريح

٢٥٤ ١٩٤ مانجل والد ولده أفضل من أدب حسن

الترمذى والحاكم عن عمرو بن سعيد بن العاص . قال الترمذى :

حسن غريب مرسل ورواه الطبرانى عن ابن عمر بسند ضعيف

٢٥٥ ١٩٤ إن الله أدبني فأحسن تأديبي مكره

٢٥٦ ٢٠١ إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يتوضؤون ويصومون

إلا بات التراب ، أخرجه أبو داود في سننه عن شريك بن عبد الله

حديث نومهم عن صلاة الصبح في العدى ، قال ابن عمر

الله عليه وسلم وضوا بالتمبات وما التراب ثم التراب إلا ما كان . قال

الحافظ بن حجر إسناده صحيح .

٢٥٧ ٢٠٥ ليس للمرء من صلواته إلا ما عقل منها .

قال الحافظ العراقى : لم أجدهم يروونه ، وروى محمد بن نصر المروى

في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن دهرش مرسلاً « لا يقبل الله من عبد عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه » ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب ولا بن المبارك في الزهد مرفوعاً على عمار « لا يكتب للعبد من صلاته ما سها عنه » وعن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : القلوب أوعية أو بعضها أوعى من بعض فإذا سألتم الله عز وجل بأية الدس فاسأئوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب ، قال الحافظ المنذرى : رواه أحمد بإسناد حسن ونحوه للحاكم عن أبي هريرة :

٢٥٩ ٢٠٨ لا يزال العبد في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه :

البخارى ومسلم عن أبي هريرة وعن أس عن النبي صلى الله عليه وسلم : صلى الناس ووقفوا ولم يزلوا في صلاة منذ انتظرتموها . رواه البخارى

٢٦٠ ٢٠٨ للإمام ضامن :

الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن
رواه ابن حبان في صحيحه عن عائشة ، وأبو داود والترمذى ، وابن خزيمة ، عن أبي هريرة ، ورواه ابن حبان في صحيحه عن عائشة . رواه أحمد من حديث أبي أمامة بإسناد حسن ، وابن ماجه والحاكم عن سهل بن سعد ، الإمام ضامن فإن أحسن فله ولهم وإن أساء فعليه ولا عليهم .

- ٢١٧ ٢٧٠ إذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يفسق فإن شتمه إنسان فليقل : إني صائم
الشيخان وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه .
- ٢١٧ ٢٧١ الصوم جنة : النسائي عن معاذ أبي عبيدة والبيهقي عن جابر ، الصيام
جنة ، أحمد والبخاري والنسائي عن أبي هريرة
- ٢١٨ ٢٧٢ أفضل الصيام صيام أخي داود :
- أحب الصيام إلى الله صيام داود ، الشيخان وأصحاب السنن
- ٢٢١ ٢٧٣ من مات ولم يحج :
- الترمذي والبيهقي من رواية الحارث عن علي كرم الله وجهه ،
ورضى الله عنه ، والبيهقي عن ابن أمية ، رضى الله عنه
- ٢٢٦ ٢٧٤ لا تشد الرحال إلخ ..
- الإمام أحمد وللشيخين ، وأبي داود والنسائي وابن ماجه عن
أبي هريرة والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد
- ٢٤٤ ٢٧٥ اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه .
- أبو داود والترمذي وحسنه ، وابن ماجه من حديث ابن عباس
رضي الله عنهما .
- ٢٥٥ ٢٧٦ لو صدق السائل ما أفلح من رده
رواه الطبراني بسند ضعيف عن ابن ماجه مرفوعا .
- ٢٦٥ ٢٧٧ تقبيل أحد أولاده صلى الله عليه وسلم والأقرع ابن حابس موجود في
من لا يرحم لا يرحم :
- الإمام أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة ، والشيخان
عن حرز بن عبد الله ، وقال السيوطي : هذا حديث متواتر .

رقم
الصفحة مسلسل

٢٧٤ ٢٧٨ كان صلى الله عليه وسلم إذا عمل عملا أتقنه :

٢٧٩ ٢٧٩ زر غبا تزدد حبا :

٢٩٢ ٢٨٠ يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام : مكرر ٧٨

٢٩٤ ٢٨١ تمام عيناى ولا ينام قلبى :

إن عيني تمامان ولا ينام قلبى : الشيخان عن عائشة رضى

الله عنها

٢٩٤ ٢٨٢ إنما أنسى لأمن : مكرر ١٨

مالك فى الحرثى وهو أحد الأحاديث الأربعة التى لا يحددها

ابن عبد العزيز موصولة ووصلها ابن الصلاح .

٢٩٤ ٢٨٣ إني أظال عند ربى يطعمنى ويستقبنى . مكرر ٥٦

٢٩٨ ٢٨٤ اتقوا فراسة المؤمن : مكرر ١٢٣

٢٩٨ ٢٨٥ إنما الناس كالإبل المذمومة لا تكاد تجد فيها راحلة :

الشيخان والترمذى ، ورواه فى رواية : لا تجد فيها إلا راحلة

٢٣٨ ٢٨٦ ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت

الترمذى فى الشئال عن قتادة . وزاد قوله . وكان يركب

الصوت . قال الحافظ العراقى . ورواه متصلا فى المعجم

رواية قتادة عن أنس والصواب الأول ، ورواه ابن جرير فى المعجم

من حديث على بن أبى طالب وطريقا كغيره .

٢٣٨ ٢٨٧ ما أذن الله بشئ أكثر منه لمبى حسن الصوت يعنى

بشئ به .

الشيخان وأبو داود والنسائى عن أبى هريرة

رقم رقم
الصفحة مسلسل

٣٣٨ ٢٨٨ لله أشد إذنا الرجل حسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته :
أحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن حديث فضالة
ابن عبيد والبيهقي .

٣٣٨ ٢٨٩ حسن صوت داود عليه السلام :

قال الخافظ العراقي : لم أجده أصلاً .

٣٣٨ ٢٩٠ تمد أعطى أبو موسى مزماراً من مزامير آل داود :

متفق عليه من حديث أبي موسى .

٣٣٨ ٢٩١ قرأ صلى الله عليه وسلم يوم الفتح قد مداً :

ناشخين وأبي داود عن أنس وعبيد الله بن مغل .

٣٣٩ ٢٩٢ ثم علمت أنك هو لخبرتك لك تحبيراً .

مسلم والنسائي عن ابن موسى .

٣٣٩ ٢٩٣ زينوا القرآن بأصواتكم :

أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من

حديث البزار .

٣٤٥ ٢٩٤ نحن الخلدات فلا نموت أبداً :

الترمذي عن علي قال : حديث غريب

والبيهقي وأبو نعيم عن أبي أوفى في صفة الجنة .

٣٤٥ ٢٩٥ من شرب الخمر في الدنيا :

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه

وسلم قال :

من مات من أمتي وهو يشرب الخمر حرم الله عليه شربها في الجنة ، ومن مات من أمتي وهو يتحلى بالذهب حرم الله عليه إبسه في الجنة : رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات .

وعن ابن عمر : كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يأت منها ، لم يشربها في الآخرة : مالك وأحمد والشيخان والنسائي والترمذي وأبي داود وابن ماجه عن أبي هريرة .

٣٤٥ ٢٩٦ غناء الجريقتين في بيت عائشة ، عن أبي هريرة

في الصحيحين عن عائشة ، عن أبي هريرة

٣٤٦ ٢٩٧ قول أبي بكر :

كل امرئ ، متبرح في أهله وبائلي : لا يوت منه من الجنة

ذهب ثمانين بعاش في الدنيا فبها : ثمانون في الآخرة

في ثلثات الآخرة في الدنيا ثمانون في الآخرة

٣٤٦ ٢٩٨ أشد أحب إلي من الدنيا والآخرة

رحمة الله وبركاته

٣٤٧ ٢٩٩ من الشرب في الدنيا والآخرة

رحمة الله وبركاته

٣٤٧ ٣٠٠ من الشرب في الدنيا والآخرة

رحمة الله وبركاته

٣٤٧ ٣٠١ من الشرب في الدنيا والآخرة

رحمة الله وبركاته

عبد الله بن جعفر ، ابن عبد البر في الاستيعاب وعبد العزيز بن عمر

ابن طاهر وابن حزم .

٣٥٣ ٣٠٢ نهى صلى الله عليه وسلم عن سماع الأوتار والمزامير والمعازف .

في صحيح البخاري سيتلوني من أمتي أقوام يستحلون الخمر والخير

والخمر والمعازف : رواه من حديث أبي مالك الأشعري .

٣٥٢ ٣٠٣ أقرأ وعليك انزل ؟

للشيخين والترمذي وأبي داود عن ابن مسعود .

٣٥٢ ٣٠٤ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ «والذين والزيتون» فما رأيت

أحسن من قراءته .

٣٥٢ ٣٠٥ لقد أوتي مزامراً من مزامير آل داود : مكرر ٢٩٠

٣٥٢ ٣٠٦ إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله مكرر ٢٩٠

٣٥٢ ٣٠٧ مر على عصابة يستر بعضهم بعضاً من العري وقارىء يقرأ لهم .

أبو داود والترمذي والبزار عن أبي سعيد ، وزاد البزار : حتى

إن التي يود أنه كان كان سترك

وأن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ « فكيف إذا جئنا من كل أمة

بشهادة فصعق ، في الصحيحين عن ابن مسعود أنه قرأ صلى الله عليه

وسلم فمما انتهى إلى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهادة . وجئنا

بك على هؤلاء ، شهيداً) قل حسبك فإذا عينا تذر فان بالدموع

وروى ابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب عن طريق من حديث

أبي حرب ابن أبي الأسود برسلا : أنه قرأ عنده (إن لدينا

أنكالا وججي وطمانا ذا غصة وعذاباً أليماً) فصعق . وأنه قرأ (إن

تعذبهم فأنهم عبادك) فبكى .

عن عبد الله ابن عمرو ورواه مسلم .

٣٥٣ ٣٠٨ وأنه كان إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر وإذا مر بآية عذاب دعا واستغفر واستعاذ ، حديث حذيفة رضي الله عنه كان لا يمر بآية عذاب إلا تعوذ ولا بآية رحمة إلا سأل ولا بآية تنزيه إلا سبح :

مسلم ونيس في الحديث واستبشر .

٣٥٣ ٣٠٩ لاخير في قراءة ليس فيه تدبير :

روى رزين من قول سيدنا علي رضي الله عنه :

ألا لاخير في قراءة ليس فيه تدبير ولا عبادة ليس فيها تفكير .

٣٥٤ ٣١٠ زرارة بن أوفى رضي الله عنه : أم بالناس فقرا آية من القرآن فصدق ومات : الحاكم عن مهز بن حكيم وحمده .

١٥٦ ٣١١ وإن من الشعر حكمة : مكرر ٢٩٩

٣٥٦ ٣١٢ القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود :

قال الحافظ السيوطي في الآلي ، مصنوعة : أخرجه بحري في

خلق أفعال العباد قال حدثنا الحاكم بن محمد الطبري كذا في

قال حدثنا شعبان بن عتبة قال أدركت أصحاب رسول الله

وسلم فمن دولهم منذ سبعين سنة يقولون : ما

والقرآن كلام الله منه خراج وإليه يعود

عليه وسلم إنكم لا ترجعون إلى غيره من شيء

القرآن . رواه الحاكم وحمده .

٣٦٥ ٣١٣ هكذا كنا حتى قست القلوب :

- ٣٧٣ ٣١٤ من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه .
- أحمد وأبو يعلى والترمذى وابن ماجه عن أبي هريرة وأحمد
عن الحسين بن على والعسكرى عن على وبعده وأوضحه الشيخان في
تخريج الأربعين .
- ٣٧١ ٣١٥ وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ (فكيف إذا جئنا من
كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) فصعق
- ٣٧٨ ٣١٦ إذا دخلتم على هؤلاء المعذبين .
- أخرج البخارى فى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما :
لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن
يصيبكم ما أصيبهم ثم تقع رأساً حتى أجاز الوادى . وفى رواية للإمام
أحمد ، إلا أن تكونوا باكين فإنه لا تكونوا باكين فتبوا كواخشية أن
يصيبكم ما أصيبهم .
- ٣٩٥ ٣١٧ أشقى بينة صلى الله عليه وسلم ما أعطى الأنبياء فى المعجزات .
- ٣٩٥ ٣١٨ أشقى القمر .
- الشيخان والترمذى عن ابن مسعود وأنس والترمذى عن
جابر بن شعبة . ومراج عن مالك بن صعصعة وأبي هريرة وأنس
وبريدة وشذاد بن أوس وغيرهم ، وأخرجه أصحاب الصحيح والسنن
والمسانيد وهو متنوع ونوع الماء من بين أصابع الموطأ والشيخان
وأنس والترمذى عن أنس ، والشيخان عن جابر يوم الخديبية .
- ٣٩٥ ٣١٩ حديث جبرئيل :
- شيعتكم عن أبي خزيمة .

رقم
الصفحة مسلسل

عبد الله بن عمر والسبع :	٣٢٨	٣٩٧
ذكر السبكي في الطبقات أنه قال الأسد الذي منع الناس الطريق تنح فبصبص بذنبيه وذهب .		
رب أشعث أغبر مكرر (١١)	٣٢٩	٣٩٧
حديث حارثة : مكرر (٨)	٣٣٠	٤١٣
يظن الناس أنهم قد خواطوا وما خواطوا ولكن خايط قلوبهم من عظمة الله تعالى ما رهب لغولهم .	٣٣١	٤٢٠
لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يظن الناس أنه مجنون . في معناه . أكثر واذا ذكر الله حتى يقولوا مجنون : رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والخام وقال : صحيح الإسناد .	٣٣٢	٤٢١
أعوذ بك من شر طواريء الليل والنهار :	٣٣٣	٤٢٢
رواه أحمد وأبو يعلى ولكن واحدا منهما إسناده جيد يحتج به . ورواه مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد مراسلا ، ورواه النسائي من حديث ابن مسعود .		
اللهم بك أصول وبك أحول :	٣٣٤	٤٢٣
كان إذ أراد سفراً قال : اللهم بك أصول وبك أحول وبك أسير . الإمام أحمد والبخاري عن علي كرم الله وجهه - وقال الحافظ البيهقي : رجائه ثقات .		
المحذون مكرر (٣٠)	٣٣٥	٤٢٥
قول سيدنا علي : وكيف نعبد من لم نر ؟ :	٣٣٦	٤٢٦
أعبد الله كأنك تراه : مكرر (٣٠)	٣٣٧	٤٢٦

	رقم الصفحة مسلسل	رقم
أخبر ثقاه :	٣٣٨	٤٢٩
عن عبد الرازق والطبرانی وابن عدی ، وأبو نعیم فی الحلیة عن أبی الدرداء .		
أشد الناس بلاء الأنبياء : مكرر (٧٩)	٣٣٩	٤٢٩
ليس الإيمان بالتجلى ولا بالتبني ولكن ما وقر في القلب :	٣٤٠	٤٣٩
ابن النجار ، والديلمي في مسند الفردوس ، وسنده ضعيف .		
إنه ليغان على قلبي :	٣٤١	٤٥١
عن أغر مزينه رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في يوم وليلة مائة مرة ، أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي ، وفي رواية يفتسح به إلى ربكم فوالله إني لأتوب إلى ربي تبارك وتعالى في يوم وليلة مائة		
لو تعلمون ما أعلم : مكرر (١٦)	٣٤٢	٤٥٥
علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين باباً من العلم : مكرر (١٨)	٣٤٣	٤٥٦
كان صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يدخل في الصلاة قال : اللهم بين يدي الملائكة الجبار :	٣٤٤	٤٦٢
سبق المفردون :	٣٤٥	٤٦٣
الترمذي ، والحاكم عن أبي عبد الله ، وسنده صحيح ، رواه وأقره الذهبي والطبراني عن أبي عبد الله ، وسنده صحيح ، رواه سبق المفردون ، قوله : وما بلغه من شأن النبي صلى الله عليه وسلم رواه مسلم عن أبي هريرة .		

رقم
الصفحة مسلسل
رقم

- ٤٦٣ ٣٤٦ ما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل : مكرر (٣٢)
- ٤٦٧ ٣٤٧ أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل :
رواه الشيخان عن أبي هريرة ، وعن أحمد والترمذي عن أشعر
كلمة تكلمت ؟ العرب كلمة لبيد .
- ٤٧٥ ٣٤٨ ليس منا أحد ينجد عماد ، قالوا ولا أنت يا رسول الله الخ . .
الشيخان عن عائشة مرفوعا : سدوا وقتربوا وأبشروا واعلموا
أنه إن يدخل أحدكم الجنة عماد ، قالوا ولا أنت يا رسول الله قال :
ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته . .
- ٤٧٨ ٣٤٩ لي وقت لا يسعني شيء . غير الله برحمته مكرر (٩٨)
- ٤٧٨ ٣٥٠ أنه سيد ولد آدم ولا فخر : مكرر (٧٣)
- ٤٧٩ ٣٥١ ولا تنظروني : مكرر (٣٢)
- ٤٧٩ ٣٥٢ وأنا ابن امرأة من كل القديس : مكرر (٧١)
- ٤٨٠ ٣٥٢ رأيت جبريل عليه السلام مثل الخاس البلي :
مررت ليلة أسرى بي بالأسفل الأعلى وجبريل كخاس البلي من
خشية الله تعالى .
- ٤٨٢ ٣٥٣ رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته قد سد الأفق :
رأى جبريل في حبة من زخرف قد ساد ما بين السماء والأرض
الشيخان ، والترمذي عن عبد الله بن مسعود .
- ٤٨٤ ٣٥٥ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إبداء قول الإمام أحمد ، وخرج
بوكرة من جميع بلد ، أما الله تعالى : رضى لك فلا وكردك

رقم رقم
الصفحة مسلسل

لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما
كانت على إبراهيم حتى إن النار، أو قال: لجهم خبيجا من بردهم ثم
ينجي الذين اتقوا ويذر الظالمين، رواه أحمد ورواه ثقات، والبيهقي
بإسناد حسن.

٥١٣ ٣٩٣ بحمد الله لا بحمدك :

في الصحيح عن عائشة .

٥١٣ ٤٦٥ من صلى على الله واحدة صلى الله عليه عشرأ :

رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة ،
ورواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي والحاكم عن أنس :
من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات ، ورواه أحمد
عن ابن عمر بلفظ : من صلى على صلاة صلى الله عليه وملائكته بها
سبعين صلاة فليقل عند ذلك أو ليكثر ، ورواه النسائي بمعناه عن أبي طلحة .

٥١٤ ٣٦٥ صل تعط ، حديث الشفاعة :

في الصحيحين والسنن والمانيد عن أنس وأبي بكر وأبي هريرة

وغيرهم ، وهو حديث متواتر .

٥١٤ ٣٦٦ اللهم أجعل من فوق نوراً :

الإمام أحمد والشيخان والنسائي عن ابن عباس والترمذي ومحمد

ابن نصر في الصلاة ، والضبراني والبيهقي في الدعوات عنه .

٥١٤ ٣٦٧ والله إني لأراكم خلف ظهري كما أراكم قدامي :

الشيخان عن أنس ، وعن أبي هريرة في صحيح البخاري ، والله

ما يخفى على ركوعكم ولا خشوعكم وإني لأراكم وراء ظهري .

٥١٦ ٣٦٩ أربعة في الدنيا وليست هي من الدنيا كسرة تسد بها جوعك وثوب
توارى عورتك وبيت تسكن فيه؟ وزوجة سالحة تسكن إليها:
عن أبي عبيد قال عمر: يا رسول الله إنا نستولون عن هذا يوم
القيامة؟ قال: نعم إلا من ثلاث خرقة كست بها عورته أو كسرة
سد بها جوعته أو جحر يدخل فيه من الخمر والقر، روى الإمام أحمد
ورواته ثقات، وروى الترمذي والحاكم وصححه والبيهقي عن عثمان
ابن عفان نحوه.

٥١٩ ٣٧٠ ليس الإيمان بالتجنى ولا بالتمنى (والتجنى أن يمشى المؤمن من العار
الجيد) مكرر (٢٩).

٥٢٤ ٣٧١ أحل ما يأكل المؤمن من كسب يده:

٥٣٢ ٣٧٢ أفلا أكون عبدا شكورا: مكرر (٩١).

٥٣٢ ٣٧٤ اختر أن يكون عبدا نبيا: مكرر (٥٢).

٥٣٦ ٣٧٥ أفرضكم زيد وأقربكم أبي وأعلمكم بالخلال والخرد: بعد بن جهم.
رضي الله عنهم: مكرر (١١٣).

وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من صحبه
بالجنة ليس هؤلاء منهم، عن سعيد بن زيد رضي الله عنه
يسب عاليا رضي الله عنه بحضرة بعض الأئمة من الصحابة
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسبون من لا يسبون ولا
تغيروا؟ سمعته صلى الله عليه وسلم يقول بولاهي نعم أن أقول منه ما
يقل فيسأني عنه غدا إذا قمته، أبو بكر في الجنة، عمر في الجنة،
وعثمان في الجنة، وطالحة في الجنة وزيد في الجنة والزيد في الجنة.

وأبو عبده بن الجراح في الجنة ، وسكت عن العاشر ، قالوا : ومن
هو العاشر ؟ فقال : سعيد بن زيد - يعني نفسه - ثم قال : والله
لشهد رجل منهم مع النبي صلى الله عليه وسلم يغبر فيه وجهه خير
من عمل أحدكم ولو عمر عمر نوح :
رواه أبو داود ، والترمذي .

٥٣٩ ٣٧٦ الخلال بين وأخرام بين :

الشيخان وأصحاب السند عن العيان بن بشير .

٥٤٦ ٣٧٧ ليس الخبر كالمعاينة : مكرر (٤١)

٥٤٥ عبد الله كأنك تراه مكرر (٣١) .

٥٤٧ إنه ليغان على قلبي فأستعذ بالله : مكرر (٢٩٣) .

فہرہ من الکتاب

- ۱ --- فہرہ من الأعلام
- ۲ --- " " موضوعات

فهرس الأعلام

أبو بكر الصديق : ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٧ ،
 ، ٦٥ ، ٧١ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
 ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ،
 ، ١٧٥ ، ١٨٢ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،
 ، ١٩٣ ، ٢١٠ ، ٢٤٦ ، ٥١٣

أبو بكر الطوسي : ٧٥

أبو بكر الواسطي : ٥٩ ، ٦٠ ، ٧٩ ،
 ، ٨٠ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،
 ، ١٠١ ، ١١٣ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ،
 ، ١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ،
 ، ١٦٩ ، ٢٨٤

أبو بكر الوجيبي : ٧٥ ، ١٧٩ ، ٢٣١

أبو بكر الوراق : ٩١

أبو تراب النخشي : ٧٨ ، ٢٢٣ ، ٢٣٨ ،
 ، ٢٤٤ ، ٢٥٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ،
 ، ٢٨٦

أبو الحسن القناد : ٤٦ ، ٤٧ ، ١٧٠

٥٠٣ ، ٩٠ ، ٨٠

أبو الحسين أحمد بن محمد النوري : ٤٦

، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٨٥ ، ٨٧ ،

، ١٠٣ ، ٢٨١ ، ٢٦٣ ، ٤٠٣ ،

، ٤٣٠ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ،

٥٠٤ ، ٥٠٣

(١)

إبراهيم بن آدم : ٢٠٢ ، ٢١٩ ، ٢٣٥ ،

، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٦٥ ، ٢٣٢ ،

إبراهيم بن شيبان : ٢١٠ ، ٢٢٤ ،

، ٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،

، ٢٤٣ ، ٢٥٣ ، ٣٣٦ ، ٤٠٥ ،

إبراهيم الحربي : ١٤٥

إبراهيم الخليل عليه السلام : ٩٨ ،

، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ٢٨٣ ،

٣٩٤

إبراهيم الخواص : ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ،

، ٨٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ،

، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،

، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨ ، ٢٥٠ ،

، ٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٧٨ ،

، ٢٨٢ ، ٢٩٨ ، ٣٢٠ ، ٤٠٤ ،

، ٤١٨ ، ٤٢٣ ، ٤٣٢ ، ٤٤٣ ،

٤٤٥

إبراهيم المارستاني : ٩٧ ، ٢٤٦ ،

إبراهيم بن المولد الرقي : ٤٧ ، ٢٣٣ ،

إبراهيم الأجرى : ٨٢

إبراهيم بن مهاجر : ٤٥٥

أبو بكر الزقاق : ٧٤ ، ٧٨ ، ١٢٩ ،

، ٢٣١ ، ٢٤٠ ، ٢٥٠ ، ٢٦٣ ،

، ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٣٦٣ ، ٣٦٨ ،

أبو الحارث الأولاسي : ١٥١

أبو العباس بن سريج : ١٤٥

أبو العباس أحمد بن عطاء البغدادي :

٥٥ . ٥٦ . ٥٩ . ٧٨ . ٨٢

٨٢ . ٩٢ . ١٠٢ . ١٢٤

١٢٨ . ١٦٨ . ١٩٦ . ٢٨١

٢٨٢ . ٢٨٦ . ٢٨٩ . ٢٩٠

٢٩٧ . ٣٠٠ . ٣٢٤ . ٤٠٢

٤٣٥ . ٤٤٧ . ٥٠٠

أبو سعيد أحمد بن عيسى الخزاز : ٥٣

٥٦ . ٧٠ . ٨٧ . ٩٠ . ٩٤

١٠٠ . ١٠١ . ١١٢ . ١١٤

١١٥ . ١٢٠ . ٢٠٥ . ٢٠٦

٢٢٤ . ٢٢٩ . ٢٥٩ . ٢٧٤

٢٧٥ . ٢٨٢ . ٢٨٥ . ٢٨٨

٣٠٠ . ٣٠٥ . ٣٠٩ . ٣١١

٣١٤ . ٣١٥ . ٣١٩ . ٣٢٦

٣٣٤ . ٣٦١ . ٣٦٣ . ٣٨٠

٤٠٥ . ٤١١ . ٤٣٦ . ٤٣٧

٤٢٨ . ٤٤٥ . ٤٤٧ . ٤٤٩

أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد الداراني

٥٩ . ٦٦ . ٧١ . ٧٦ . ٨١

٨٢ . ٩٨ . ١٢٠ . ١٤٦

٣٤٠ . ٣٤٥ . ٣٥٨ . ٣٦٩

٣٥٤ . ٣٥٥ . ٣١٥ . ٤٤٦

أبو عبد الله بن أحمد بن يحيى الجلاء :

٤٦ . ٧٤ . ٧٥ . ٩٠ . ١٧٦

٢٢٥ . ٢٣١ . ٢٣٨ . ٢٤٠

٢٤٤ . ٢٩٣ . ٤٥١

أبو علي الروذباري : ٧٥ . ١٢٩

١٤٥ . ١٧٩ . ١٩٨ . ٢٢٩

٢٤٠ . ٢٤٢ . ٢٤٣ . ٢٥٥

٢٥٠ . ٢٥٢ . ٢٦٢ . ٢٧٤

٢٨٠ . ٢٩٣ . ٢٩٦ . ١٠٦

٢٠٨ . ٢٠٩ . ٢١٤ . ٢٢٠

٢٤٠ . ٢٤٣ . ٢٥٩ . ٢٧٢

٢٩١ . ٢٩٤ . ٤٢٣ . ٤٢١

٤٣٥ . ٤٣٦ . ٤٥١ . ٤٩٥

٥٠٤ . ٥٢٥

أبو القاسم الجنيد بن محمد : ٤٦ . ٤٥

٤٩ . ٥٠ . ٥١ . ٥٧ . ٥٨

٦٦ . ٦٧ . ٧٢ . ٧٥ . ٧٦

٧٩ . ٨٠ . ٨٢ . ٨٥ . ٨٨

٩٧ . ١٠٢ . ١٢٨ . ١٤٤

١٤٥ . ١٥١ . ١٦٠ . ١٦١

١٦٢ . ١٦٢ . ١٦٤ . ١٧٢

١٧٨ . ١٧٩ . ١٩٨ . ٢٠٤

٢٢٠ . ٢٢٣ . ٢٢٤ . ٢٢٢

٢٢٥ . ٢٢٧ . ٢٢٩ . ٢٤٠

٢٤١ . ٢٤٤ . ٢٤٦ . ٢٤٨

٢٤٩ . ٢٥٧ . ٢٥٩ . ٢٦١

٢٦٣ . ٢٦٨ . ٢٧٢ . ٢٧٢

٢٧٤ . ٢٧٥ . ٢٧٧ . ٢٧٩

٢٨٠ . ٢٨٢ . ٢٨٢ . ٢٨٥

٢٨٦ . ٢٨٧ . ٢٨٨ . ٢٨٩

٢٩٠ . ٢٩١ . ٢٩٣ . ٢٩٥

أبو يعقوب النهرجوري : ٧٩ ، ١٠٢

٢٧١ ، ٢٥٦ ، ١٠٢

أبو يعقوب يوسف بن حمدان السوسية

٢٥٢ ، ٨٨ ، ٨٥ ، ٦٨

(ب)

بشر بن الحارث الخافي : ٧٠ ، ٢١٤

٢٤٤ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٧٢

٢٧٢ ، ٢٧٧

بكر بن عبد الله الملقب : ١٧١ ، ٣٤٧

بكران الدينوري : ٢٨٠

بلايا : ١٩١ ، ٣٤٦

بشار : ٣٦٥

بشار بن الحارث : ٣٠٤ ، ٣٠٥

بشار الدينوري : ١٧١

بشار بن الحارث : ٨٠

بشار بن الحارث : ٣٠٤ ، ٣٠٥

بشار بن الحارث : ٣٠٤ ، ٣٠٥

بشار بن الحارث : ٣٠٤ ، ٣٠٥

بشار بن الحارث : ٣٠٤ ، ٣٠٥

٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٢

٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣١٠

٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٨

٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٣

٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤٣ ، ٣٥٤

٣٥٨ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨

٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٣٨٠ ، ٣٨١

٣٨٢ ، ٣٩٠ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤

٤٠٧ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤١٥ ، ٤١٥ ، ٤١٥ ، ٤١٥

٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٣ ، ٤٢٣ ، ٤٢٣

٤٢٧ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٣٥

٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٦

٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٩ ، ٤٦١

٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٨

٤٦٩ ، ٤٧٥ ، ٤٧٩ ، ٤٨٦

٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠

٥٠٣ ، ٥٠٤

أبو محمد الجريري : ٤٥٠ ، ٧٥٠ ، ٩٤

١٦٠ ، ٢٣٨ ، ٢٤٨ ، ٢٧٢

٢٨١ ، ٣٠٠ ، ٣٠٥ ، ٤١٤

٤٢٩ ، ٤٤٤

أبو يزيد خيفور بن عيسى السطامي :

٥٧ ، ١٢٨ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥١

٢٢٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٩

٢٦٧ ، ٢٨٠ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨

٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٢٣

٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٨

٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٩

٤٨٠ ، ٥١٥

الحسن بن علي : ٨٢،٤٥ ، ٨١،٨٧ ،
٣٥٨

الحسن بن أبي الحسن البصرى : ١٩٤ ،
٣٩٧ ، ٢٣٥

الحسن بن علي بن حيوية الدامغانى :
٩٨ ، ٨٢ ، ٦٤

حسن القزاز : ٢٢٣ ، ٢٦٨ ، ٣٢٥ ،
٣٩٢

الحسين بن أبي أحمد الرازى : ٣٩١

الحسين بن عبد الله الرازى : ٢٨٧

الحسين بن عبد الله الفارمى : ٥٠٤

حسين بن جبريل المرندى : ٣٠٩

حسين بن المصرى : ٢٦٣

الحسين بن منصور الحلاج : ١٥١ ،
٣٧٨ ، ٣٠٤

الحصرى : ٤٨ ، ١٩٨ ، ٢٨٩ ، ٣٤٢ ،
٤٨١

حكيم بن حزام : ١٩١

حمزة بن عبد الله العلوى : ٣٩٨

حنظلة الكاتب : ١٩٠

(خ)

الحضر : ١٧٩ ، ٢٢٤ ، ٣٢٢

خير النجاج : ٢٥٦ ، ٤١٨ ، ٤٤٨

(ج)

جبريل : ٥٤ ، ٥٥ ، ١١٤ ، ١٤٣ ،
٤٨٢ ، ٤٨١ ، ١٦٣

جملة : ٣٤٣

جريح : ٣٦١

جعفر الخلدى : ١٩٨ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ،

٢٤٣ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ،

٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ،

٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ،

٣٠٩ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٣٢ ،

٣٣٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣ ،

٣٨٠ ، ٤٠٠ ، ٤٠٤ ، ٤٠٧ ،

٥٠٣

جعفر الطيالسى : ٤٣٥

جعفر المبرقع : ٣٥٩

(ح)

الحارث المحاسبى : ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٨٨ ،

٢٨٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٤٩٥ ،

حارثة الانصارى : ١٤٣ ، ١٨٨ ،

حبيب بن مسامة : ١٨٦

حبيب العجمى : ٤١٣

حذيفة بن اليمان : ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٤٥٦ ،

الحراس بن عميرة : ١٨٥

(د)

الدراج : ٢٧٧ ، ٣٥٨

الدقي : ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠

٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٩٥

٣٤١ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩

داود : ١٥٥ ، ٢١٨ ، ٢٣٣ ، ٣٥٢

دلف بن جحدر الشبلي : ٤٧ ، ٥٠

٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٧١

٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٩

٩٢ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٢٤ ، ١٢٧

١٢٨ ، ١٤٥ ، ١٥٦ ، ١٦٢

١٦٣ ، ١٦٤ ، ٢٠٠ ، ٢١٠

٢٢٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٣

٢٥١ ، ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٧٥

٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٥

٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤

٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٢٢

٣٣٠ ، ٣٤٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥

٣٦٤ ، ٣٧١ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢

٤١٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧

٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦

٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩

٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣

٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩

٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٥٠٤

(ذ)

ذو النون المصري : ٤٥ ، ٤٩ ، ٦١

٦٨ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ٩٢

٩٧ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٦٦

٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٦١

٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩

٣٠٠ ، ٣٠٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٨

٣٣٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٦١

٣٦٢ ، ٤٠٥ ، ٤١٣ ، ٤١٥

٤٤٠ ، ٤٤٥ ، ٤٤٩ ، ٤٩٨

٥٠٣

(ر)

رابعة العدوية : ٣٩٨

رويم بن أحمد بن يزيد البغدادي : ٥١

٥١ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٨

١٠٣ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٤٥

٢٥٠ ، ٢٨٦ ، ٢٩٩ ، ٣٣٤

٣٦١ ، ٣٩٨

(س)

سارفة بن أوفى : ١٩٠ ، ٣٥٤

سريق : ٣٥٩

سكريبيا : ٧٧

السفاق : ٢٦٢ ، ٢٧٣ ، ٢٩٥

سهل بن عبد الله التستري : ٦٨ : ٧١

٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٦

٩٨ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٧

١١٨ ، ١٢٥ ، ١٤٦ ، ١٦٤

١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٩٥ ، ١٩٩

٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٧

٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥

٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٥٨

٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٢

٢٧٦ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩٩

٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٢٢ ، ٣٦٥

٣٦٦ ، ٣٧٦ ، ٣٨١ ، ٣٩٠

٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢

٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠

٤٣٤ ، ٤٧٦ ، ٤٩٩

(ش)

الشافعي : ٣٤٨

شان بن أم مكتوم : ١٨٣

شاه الكرماني : ١٢٧ ، ٣١٠

(ص)

صاح المري : ٣٥٤ ، ٣٩٧

الصبيحي : ٢٦٢

صفوان بن محرز المزاني : ١٨٩

صلة بن أوشيم : ٣٩٧

صهيب : ١٩١

زهري : ١٢٩

زياد بن حدير : ١٨٥

زيد بن الخطاب : ١٦٠ ، ١٦٧ ، ١٧٥

زييد : ١٦٠

(س)

السري السقطي : ٧٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠

٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢

٢٦٩ ، ٣١٠ ، ٣٢٢ ، ٣٣٤ ، ٣٥٤

٣٧٢ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٤٠٢

٤٢٧

سعد بن الربيع : ١٩٢

سعد بن معاذ : ١٨٣

السعيد : ٥١

سعيد بن جبير : ٤٦٥

سعيد بن المسيب : ١٨٩ ، ١٩٤ ، ٣٩٧

سفيان الثوري : ٢٦٧ ، ٤٢٥

سليمان : ١٥٥ ، ١٥٦

سليمان الفارسي : ١٨٥ ، ٣٩٦

سليمان بن داود : ٤٨٤ ، ٤٨٥

سمنون : ٤٥ ، ٨٠ ، ١٥١ ، ٢٨٩

٣٢١ ، ٤٩٨ ، ٥٠٣

السفطلي : ٤٠١

عبد الله بن عمر : ١٠٠ . ١٦٣ . ١٦٥ .

٣٩٧ . ٣٤٧

عبد الله بن المبارك : ٢٥٩

عبد الله المروزي : ٢٢٦

عبد الله بن مسعود : ١٠٥ . ١٨٧ .

عبد الواحد بن زيد : ٤٥ . ٣٩٨ .

عتاب بن بشير : ٣٩٧

عتبة الغلام : ٣٤٧

عثمان بن عفان : ١٦٧ . ١٧٦ . ١٧٧ .

١٧٨ . ١٨٢ . ١٩٣ . ٥٠١ .

عدى بن حاتم : ١٩٠

عطاء السلمي : ٣٩٨

عزيز : ٤٧٤

العلاء بن الحضرمي : ٣٩٧

علي بن أبي طالب : ١٦٧ . ١٧٤ . ١٧٩ .

١٨٠ . ١٨١ . ١٨٢ . ١٩٣ .

٣٩٦ . ٤٢٦ . ٤٥٦ . ٤٥٨ .

علي بن عبد الرحيم الفراء : ٤٥٠ . ٤٧٠ .

علي أبو تراب : ٤٠٧

علي أبو الحسن : ٤٠٧ . ٤٠٨ .

٤٠٩ . ٤١٠ .

عبيد بن مسعود الاصمغاني : ٢١٣ . ٢١٠ .

علي بن الموفق : ٣٦٢

عمران بن الحسن : ١٨٧

(ط)

طلحة العصائدي البصري : ٤٠٦

طلحة بن عبيد الله : ١٨٤

الطيالسي : ٣٦١

طيفور بن عيسى : ٤٠٠

(ع)

عامر بن عبد القيس : ٨٤ . ١٠٢ .

٣٩٧ . ٥٠١ .

عائشة : ١٣٦ . ١٣٩ . ١٦١ . ٢٣٢ .

٣٤٥ . ٣٤٦

عبد الرحمن الفارسي : ٦٢

عبد الرحمن بن عوف : ١٩٢

عبد الرحمن بن أحمد : ٤٠٠

عبد الله بن جحش : ١٨٩

عبد الله بن جعفر : ٣٤٦

عبد الله بن رواحة : ١٨٩

عبد الله بن ربيعة : ١٩١ . ١٩٢ .

عبد الله الرباطي : ٤٠٤

عبد الله بن الحسين : ٣١٩

عبد الله بن طاهر الأبهري : ٢٨٧

عبد الله بن عباس : ١٤٣ . ١٨٨ . ٤٧٠ .

عبد الله بن طلحة : ١٨٥

القناد : ٤٦ ، ٤٧ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٩٠ ،

٥٠٣ ، ٤٣٥

قيس بن عمر الحمصي : ٣٦١

(ز)

الكتاني : ٤١٤

كحيل بن زياد : ١٤٦ ، ١٨٠

كردي الصوفي الارموي : ٢٧١ ، ٣١٦

كعب الاحبار : ١٨٧ ، ١٨٨

كلثوم الغساني : ١٩٥

(ل)

اللجج : ١٩٠ - ١٩١

(م)

مالك بن دينار : ٦٧ ، ٣٩٨

مالك بن طوق : ٣٥٨

محمد : ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٨ ،

١٨٤ ، ٣٣٠ ، ٤٤٤ ، ٥١٥

محمد بن اسماعيل : ٢٥٠

محمد بن أحمد بن حمدون الفراء : ٦٢

محمد بن داود : ١٦٠

محمد بن سيرين : ١٩٤

محمد بن علي القصاب : ٤٥ ، ٢٦٤

عمر بن عبد العزيز : ٩٦ ، ١٧٧

عمر بن الخطاب : ١٦٥ ، ١٦٧ ،

١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨١ ،

١٨٢ ، ١٩٢ ، ٢١٢ ، ٣٢١ ،

٣٤٥ ، ٣٩٦ ، ٤٢٥ ، ٤٥٦

عمر الماطي : ٣٣٢

عمر بن الحر : ٣٣٠

عمرو عثمان المكي : ٤٥ ، ١٠١ ، ١٠٠ ،

١٠٢ ، ١١٢ ، ١٦٣ ، ٢٩٢ ،

٢٩٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣١١ ،

٣٧٥ ، ٣٨٢ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ،

٤٢٤ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ،

٤٤١ ، ٤٩٩

عمرو بن هند : ١٨٠

عيسى القصار الدينوري : ٢٠٠ ، ٢٥٠

٢٦٩

(ف)

فاطمة : ٣٩٦

فتح الموصلي : ٢٤٤ ، ٢٦٥

فتح بن شخرف : ٣٠٠

فرقد السخري : ٣٥٨

فرعون : ٤٧٢

(ق)

قشير : ١٩٠

موسى : ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٧١ ، ٢٤٦
 ٣٥٢ ، ٤٥٥ ، ٥٠٨
 شاد الدينورى : ٢٥٤ ، ٢٧١ ، ٣٠٥
 ٣٦٦
 ميكائيل : ٤٨١

(ن)

نساج : ٢٢٢
 نصر بن يحمى : ٧٥
 النورى : ٤٦ ، ٥٠ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٢٧٩
 ٢٨٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٤
 ٣١١ ، ٤٣١ ، ٤٣٥ ، ٤٣٩
 ٤٤٦ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥

(هـ)

هذيل : ١٩١
 هرم بن حبان : ٣٩٧
 هوذ : ٣٥٢

(و)

الواسطى : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١

محمد بن على الكتانى : ١٦٧ ، ٤٢٨

محمد بن كعب : ١٩٠

محمد بن المفضل السمرقندى : ٥٨

محمد بن مسروق البغدادى : ٣٧٠

محمد بن منصور : ٢١١ ، ٢٤٢

محمد بن معبد البانياسى : ٢٧١

محمد بن موسى الفرغانى : ١٦٤ ، ٥٠٦

٥٠٧ ، ٥٠٩

محمد بن واسع : ٦٧ ، ٣٩٨ ، ٤٣٤

محمد بن يعقوب الفرجى : ٣٥٩ ، ٤٣٠

محمد بن يوسف : ٤٠١

مجاهد : ٤٢١ ، ٤٥٥

مروان بن الحكم : ١٨١

مسلم بن يسار : ٣١٧

مصعب بن أحمد : ٢٦٤

المزبن الكبير : ٢٥٠ ، ٢٩٣

مصعب بن عمر : ١٩١ ، ١٩٢

مطرف بن عبد الله بن الشخيرى : ٩٦

١٦٨ ، ٢١٠ ، ٢٩٧

المظفر القرينى : ٢٥٢

معاذ بن جبل : ١٦٧ ، ١٨٥ ، ٢٢٨

معاويه بن أبى سفيان : ٥٠١

مورق : ٤٥٥

موسى بن عيسى : ١٢٤ ، ١٤٥

۰ ۳۳۹ . ۳۳۱ . ۳۲۳ . ۳۱۱
 ۰ ۴۲۹ . ۴۰۳ . ۳۶۸ . ۳۶۴
 ۰ ۴۶۵ . ۴۴۲ . ۴۳۴ . ۴۳۳
 ۰ ۵۰۷ . ۴۷۸

یوسف بن الحسين الرازی: ۰ ۵۰ . ۴۹
 ۰ ۲۷۶ . ۲۶۳ . ۲۳۶ . ۱۵۱ . ۱۴۰
 ۰ ۳۰۴ . ۲۹۸ . ۲۹۱ . ۲۸۸
 ۲۳۵ . ۳۱۸ . ۳۱۱ . ۳۰۹ . ۳۰۸
 ۰ ۴۴۰ . ۳۶۱ . ۳۲۴ . ۳۲۹

یوسف الصایغ : ۲۶۲
 یوسف زندیق : ۳۶۳
 یونس ابن متی : ۴۷۹

وہیب بن الورد : ۱۲۵

الوجین : ۲۶۴ ، ۲۵۶ ، ۲۴۸
 ۰ ۲۸۶ ، ۲۷۴ ، ۲۷۳ ، ۲۶۷
 ۰ ۵۰۴ ، ۳۶۱ ، ۳۵۹ ، ۳۲۰

(ی)

یحی الاصطخری : ۲۸۲

یحی بن الرضا العلوی : ۳۵۴

یحی بن معاذ الرازی : ۰ ۶۱ ، ۵۸
 ۰ ۲۶۷ ، ۲۴۹ ، ۱۷۶ ، ۷۳
 ۰ ۲۹۶ ، ۲۷۹ ، ۲۶۹

فهرس الموضوعات

الصحيفة

الموضوع

- لجنة نشر الأصول الصوفية
مكانه كتابه اللع . من التصوف
التعريف بصاحبه اللع .
مقدمة المؤلف
- ١٧ باب البيان عن علم التصوف ومذهب الصوفية ومنزلتهم من أولى العلم القائمين
بالقسط
- ٢١ باب في نعت طبقات أصحاب الحديث ورسمهم في النقل ومعرفة الحديث
وتخصيصهم بعلمه
- ٢٤ باب ذكر طبقات الفقهاء وتخصيصهم بما ترسموا به من أنواع العلوم
- ٢٦ باب ذكر الصوفية وطبقاتهم وما ترسموا به من العلم والعمل وما خصوا به
من الفضائل وحسن الشرائع
- ٢٨ باب تخصيص الصوفية بالمعاني التي قد ترسموا بها من الآداب والأحوال
والعلوم التي تفردوا بها من جملة العلماء
- ٢٩ باب في تخصيص الصوفية من طبقات أهل العلم في معان أخر من العلم
- ٣١ باب الرد على من زعم أن الصوفية قوم جهلة وليس لعلم التصوف دلالة من
الكتاب والآثار .
- ٣٢ باب في ذكر اعتراض الصوفية على المتفهمة وبيان الفقه في الدين ووجوبه
ذلك بالحجة .
- ٣٦ باب ذكر جواز التخصيص في علوم الدين وتخصيصها لمن يرى بأهله والحمد
على من أنكر علماً برأيه ولم يدفع ذلك إلى أهله وإلى من يكون
ذلك من شأنه
- ٣٨ باب الكشف عن أمم الصوفية ولم يسمهم لهذا الاسم ولم نسبوا إلى هذه
الأمم
- ٤٠

الصفحة	الموضوع
٤٢	باب الرد على من قال : لم نسمع بذكر الصوفية في القديم وهو اسم محدث
٤٣	باب إثبات علم الباطن والبيان عن صحة ذلك بالحجة
٤٥	باب التصوف ما هو ونعته وماهيته ؟
٤٥	باب صفة الصوفية ومن هم ؟
٤٩	باب التوحيد وصفة الموحد وحقيقته وكلامهم في معنى ذلك
٥٦	باب ما قالوا في المعرفة وصفة العارف وحققة ذلك ببيانها
٦١	باب في صفة العارف وما قالوا فيه
٦٣	باب في قول القائل : بم عرفت الله ؟ والفرق بين المؤمن والعارف
	كتاب الأحوال والمقامات
٦٥	باب في المقامات وحقائقها
٦٦	باب في معنى الأحوال
٦٨	باب مقام التوبة
٧٠	باب مقام الورع
٧٢	باب مقام الزهد
٧٤	باب مقام الفقر وصفة الفقراء
٧٦	باب مقام الصبر
٧٨	باب مقام التوكل
٨٠	باب مقام الرضا وصفة أهله
٨٢	باب مراقبة الأحوال وحقائقها وصفة أهلها
٨٤	باب حال القرب
٨٦	باب حال المحبة
٨٩	باب حال الخوف
٩١	باب الرجاء
٩٢	فصل في معنى الخوف والرجاء
٩٤	باب حال الشرق

الصفحة

الموضوع

باب حال الأانس

٩٦

باب حال الطمأنينة

٩٨

باب حال المشاهدة

١٠٠

باب حال اليقين .

١٠٢

كتاب اهل الصفوة في الفهم والاتباع لكتاب الله عز وجل

باب الموافقة لكتاب الله تعالى

١٠٥

باب في تخصيص الدعوة ووجه الاصطفاء

١٠٨

باب ذكر تفاوت المستمعين في خطاب الله تعالى ودرجاتهم في قبول الخطاب

١١١

باب في شرح استنباط لقاء السمع والحضور بالتدبير عند القلاوة وفهم

الخطاب بماخوطب به العبد

١١٤

باب وصف أرباب القلوب في فهم القرآن

١١٦

باب ذكر السابقين والمقربين والأبرار من طريق الفهم والاستنباط

١١٩

باب بيان التشديد في القرآن ووجوه ذلك

١٢٢

باب ما قيل في فهم الحروف والأسماء

١٢٥

باب في وصف من أصاب في الاستنباط والإشارة والفهم في القرآن ووصف من غلط وأخطأ في ذلك

١٢٦

كتاب لأسوة ولافتد برسول الله صلى الله عليه وسلم

باب وصف أهل الصفوة في الفهم والموافقة والاتباع

عليه وسلم

١٢٠

باب ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه وأفعاله وأحواله

التي اختارها الله تعالى له

١٢٤

باب بيان ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرحمة والتوسيع

على الأمة فيما أباح الله تعالى لهم ووجه ذلك في حال الخصوص والعموم

الصحيحة

الموضوع

- ١٤١ في الاقتداء برسول الله صلى عليه وسلم
باب ما ذكر عن المشايخ في اتباعهم رسول الله صلى عليه وسلم
١٤٤ وتخصيصهم في ذلك

كتاب المستنبطات

- ١٤٧ باب مذهب أهل الصفوة في المستنبطات الصحيحة في فهم القرآن والحديث
وغير ذلك وشرحها
في كيفية الاختلاف في مستنبطات أهل الحقيقة في معاني علومهم
وأحوالهم
١٥٠ في مستنبطات أهل الصفوة في تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وشرفه
وفضله على إخوانه عليه السلام من ككات الله عز وجل من طريق
الفهم
١٥٣ في مستنبطاتهم في خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم وفضله على إخوانه
عليهم السلام من الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٥٨ في مستنبطاتهم في معاني أخبار مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من طريق الاستنباط والفهم
١٦٢

كتاب الصحابة رضوان الله عليهم

- في ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعانيهم رضي
الله عنهم
١٦٦ ذكر أبي بكر الصديق رضي الله عنه وتخصيصه بين من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالأحوال التي تعلق بها أهل الصفوة من هذه
الامة وتخلق بذلك واقتدى به
١٦٨ في ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه
١٧٣ في ذكر عثمان رضي الله عنه
١٧٦ في ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه
١٧٩

الصحيفة

الموضوع

١٨٢

باب صفة أهل الصفة رضوان الله عليهم أجمعين

١٨٥

د في ذكر سائر الصحابة في هذا المعنى

كتاب آداب المتصوفة

١٩٤

باب في ذكر الآداب

١٩٧

د آدابهم في الوضوء والطهارات

٢٠٣

د في ذكر آدابهم في الصلاة

٢٠٧

فصل آخر في آداب الصلاة

٢١٠

باب ذكر آدابهم في الزكوات والصدقات

٢١٦

د في ذكر الصوم وآدابهم فيه

٢٢٢

د ذكر آدابهم في الحج

٢٢١

د في ذكر آداب الفقراء بعضهم مع بعض وأحكامهم في الحضر والسفر

٢٣٤

د ذكر آدابهم في الصحبة

٢٣٨

د ذكر آدابهم عند مجاراة العلم

٢٤٢

د ذكر آدابهم في وقت الطعام والاجتماعات والضيافات

٢٤٦

د في ذكر آدابهم في وقت السماع والوجود

٢٤٨

د في ذكر آدابهم في اللباس

٢٥٠

د في ذكر آدابهم في أسفارهم

٢٥٣

د في ذكر آدابهم في بذل الجاء والسؤال والحركة من أجل الأصحاب

٢٥٧

د في ذكر آدابهم إذا فتح عليهم شيء من الدنيا

٢٥٩

د في ذكر آداب من اشتغل بالمسكيب والتصرف في الأسباب

٢٦٢

د في آداب الأخذ والعطاء وإدخال الرفق على الفقراء

٢٦٤

د في آداب المتألمين ومن له ولد

٢٦٧

د في ذكر آدابهم في الجلوس والمجالسة

٢٦٩

د في ذكر آدابهم في الجوع

٢٧١

د في ذكر آداب المرضى في مرضهم

الصحيفة

الموضوع

- ٢٧٣ باب في آداب المشايخ ورفقهم بالأصحاب وعطفهم عليهم
 ٢٧٥ « في ذكر آداب المريدين والمبتدئين
 ٢٧٧ « في ذكر آداب من ينفرد ويختار الخلوة
 ٢٧٩ « في ذكر آدابهم في الصداقة والمودة
 ٢٨٠ « في ذكر آدابهم عند الموت
 ٢٨٢ كتاب المسائل واختلاف أقاويلهم في الأجوبة

كتاب المكاتبات والصدور والأشعار والدعوات والرسائل

- ٣٠٥ باب في مكاتبات بعضهم إلى بعض
 ٣١٣ « في صدور الكتب والرسائل
 ٣١٨ « في أشعارهم في معاني أحوالهم وإشاراتهم
 ٣٢٨ « الدعوات التي كان يدعو بها المشايخ المتقدمون من أهل الصفة
 ٣٣٥ « في وصاياهم التي أوصى بها بعض لبعض

كتاب السماع

- ٣٣٨ « في حسن الصوت والسماع وتفاوت المستمعين
 ٣٤٢ « في السماع واختلاف أقاويلهم في معناه
 « في وصف سماع العامة وإباحة ذلك لهم إذا سمعوا ذكر الترهيب
 ٣٤٤ « والترهيب بالأصوات الطبية ويحثهم ذلك على طلب الآخرة
 ٣٣٩ « في وصف سماع الخاصة وتفاضلهم في ذلك
 ٣٥٢ « في ذكر طبقات المستمعين
 ٣٥٦ « ذكر من اختار سماع القصائد والأبيات من الشعر
 ٣٥٨ « في وصف سماع المريدين والمبتدئين
 ٣٦١ « في وصف المشايخ في السماع وهم المتوسطون العارفون

الصفحة	الموضوع
٢٦٥	باب في وصف خواص الخواص وأهل الكمال في السماع
٣٦٨	« في سماع الذكر والمواظب والحكمة وغير ذلك
٣٧٠	« آخر في السماع
	« فيمن كره السماع والذي كره الحضور في المواضع التي يقرأون فيها القرآن
٣٧٢	بالألحان ويقولون القصائد ويتواجدون ويرقصون

كتب الوجد

٣٧٥	« في ذكر اختلافهم في ماهية الوجد
٣٧٧	« صفات الواجدين
٣٧٩	« في ذكر تواجد المشايخ الصادقين
٣٨١	« في قوة سلطان الوجد وهيجانه وغلباته
٣٨٣	« في الواجد الساكن والواجد المتحرك أيها أتم
٣٨٥	« جامع مختصر من كتاب « الوجد » الذي ألوه أبو سعيد بن الأعرابي

كتب إثبات الآيات والكرامات

٣٩٠	« في معاني الآيات والكرامات وذكر من كان له شيء من ذلك
	« في حجة من أنكر كون ذلك من أهل الظاهر والحجة عليهم في جواز ذلك لأولياء والفرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام
٣٩٢	في ذلك
	« في الأدلة على إثبات الكرامات لأولياء وعلة قول من قال لا يكون ذلك لا يكون إلا للأنبياء عليهم السلام
	« في ذكر مقامات أهل الخصوص في الكرامات وذكر
٤٠٠	شيء من الكرامات ففكره ذلك وحشر المقتد
	« ذكر من كان له شيء من هذه الكرامات فأنظرها لا يحسنه الصدوق
٤٠٤	وطهارته وسلامة قلبه وراحته
	« في ذكر الخصوص وأحوالهم التي لا تعد من الكرامات وهي

الصحيفة

الموضوع

٤٠٦

معانيها أتم وألطف من التكرارات

كتاب البيان عن المشكلات

٤٠٩

باب في شرح الألفاظ المشككة الجارية في كلام الصوفية

٤١١

« بيان هذه الألفاظ

كتاب تفسير الشطحيات والكلمات التي ظهروا مستشنع

وباطنها صحيح مستقيم

٤٥٢

« في معنى الشطح والرد على من أنكرك ذلك برأيه

« تفسير العلوم وبيان ما يشكك على فهم العلماء من علوم الخاصة

٤٥٥

وتصحيح ذلك بالحجة

« في كلمات شطحيات تحكي عن أبي يزيد قد فسر الجنيد

٤٥٩

طرفاً منه

٤٦١

« ذكر حكاية حكيت عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى

٤٦٤

« آخر في تفسير حكاية ذكرت عن أبي يزيد رحمه الله

٤٦٨

« أيضاً في شرح كلام حكى عن أبي يزيد رحمه الله تعالى

« آخر في شرح ألفاظ حكيت عن أبي يزيد رحمه الله وكان يسكفره في

ذلك ابن سالم بالبصرة وذكر مناظرة جرت بينه وبينه في معنى

٤٧٢

ذلك

٤٧٨

« في ذكر كلام حكى عن الشبلي رحمه الله وشرحه عن ذلك

٤٨١

« في معنى حكاية حكيت عن الشبلي رحمه الله

٤٨٣

« آخر في معنى أحوال كانوا ينكرون على الشبلي رحمه الله

« آخر في شرح كلام تكلم به الشبلي رحمه الله وهو مما يشكك فهمه على

٤٨٦

قلوب العلماء والفقهاء وألفاظ جرت بينه وبين الجنيد رحمه الله

الصفحة	الموضوع
٤٩٢	باب في ذكر أبي الحسين النورى رحمه الله
٤٩٥	• في ذكر أبي حمزة الصوفى
٤٩٧	• ذكر جماعة المشايخ الذين رموهم بالكفر
٥٠٢	• في ذكر أبي بكر على بن الحسن
٥٠٦	• في ذكر محمد بن موسى الفرغانى
٥١١	• في بيان ما قاله الواسطى
	• في ذكر من غلط من المتوسمين بالتصوف ومن أين يتمع الغلط وكيفية وجوه ذلك
٥١٦	• في ذكر الفرقة الذين غلطوا وطبقاتهم وتفاوتهم في الغلط
٥١٨	• في ذكر من غلط في الفروع التي لم تؤدهم إلى الضلالة ونبتدى. في ذكر الطوائف الذين غلطوا في الفقر والغنى
٥٢٠	• في ذكر من غلط في التوسع وترك التوسع من الدنيا بالتقشف والتقلل ومن غلط في الاكتساب وترك الاكتساب
٥٢٢	• في ذكر طبقات الذين فتروا في الإيرادات وغلطوا في المجاهدات وسكنوا إلى الراحة
٥٢٥	• في ذكر طبقات الذين غلطوا في ترك الطعام والعرلة والانفراد وغير ذلك
٥٢٧	• ذكر من غلط في الأصول وأداه ذلك إلى الضلالة ونبتدى. بذكر القوم الذين غلطوا في الحرية والعبودية
٥٣١	• في ذكر من غلط من أهل العراق في الإخلاص
٥٣٣	• في ذكر من غلط في النبوة والولاية
٥٣٥	• في ذكر الفرقة التي غلطت في الإباحة والحظر والرد عليهم
٥٣٨	• في ذكر غلط الحلولية وأقاويلهم على ما بلغنى ولم أعرف منهم أحداً ولم يصح عندي شيء غير البلاغ
٥٤١	• في ذكر من غلط في فناء البشرية
٥٤٣	• ذكر من غلط في الرؤية بالقلوب
٥٤٤	

الصحيفة

الموضوع

- ٥٤٧ باب ذكر من غلط في الصفاء والطهارة
- ٥٤٨ د ذكر من غلط في الانوار
- ٥٤٩ د ذكر من غلط في عين الجمع
- ٥٥١ د في ذكر من غلط في الانس والبسط والخشبة
- ٥٥٢ د في ذكر من غلط في فناهم عن اوصافهم
- ٥٥٣ د في ذكر من غلط في فقد الحس
- ٥٥٤ د في ذكر من غلط في الروح
- ٥٥٧ تخريج احاديث كتاب د اللمع

ع



مطبعة السعدية
ميدان احمد مهرانا (المختوم سابقاً)
١١ شارع العدوي - ٧١١٢٩ - ٨٧٨

لغنى ولا لذي مرة سوى ، أنها كانت صدقة يعينها جمعولة للزمنى والمرضى ومن به عاخذة ، لأن قول الله تعالى : « إنهم الصدقات لألقراء والمساكين » (١) ، لم يعلق عليها شرط غير التقدير ، والتقدير هو المعدم في الأصل به ، ثم بعد ذلك له أخلاق وأحوال وتفاضل وأسرار .

يقول : إن اشتد فقر الفقير ، من فقر الظهير مأخوذاً ، والفقر ، هو العظم الذي به قبال الظهير ، فإذا انكسر وضعف واحتاج إلى غيره مما يقبسه ، سمى فقيراً للضعف واحتاجة إلى ما يقبسه . والله أعلم .

ومن كره الصدقة من جهة ما قيل : إنها من أرسخ الناس ، فإنما قيل ذلك على معنى أن الصدقة تحيط من أوزار الناس وطايرهم ، الذين يتصدقون بها ، ولو كان قصصاً ففقراً ، أخذهم الصدقات والكرات ، أو وضعهم من جهة أنها أرسخ الناس للزيم ذلك ، أيضاً ، أمين عليها ، [ولما لئمة ففربهم] ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل .

ومن ليس له شيء ، في الدنيا وقد فانه فضل الصدقات التي يتصدق بها من الأموال [فقد جعل الله له صدقات من الأقوال] والأعمال مما ليس فضلياً بأقل من ذلك ، وهو ما روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « مداراة الناس صدقة » [ومعها فوائد أخريك صدقة] ، « ومن الصدقة أن تلقى أخاك برحمة طلق ، وأن تفرغ من إنك في إن أخيك صدقة » .

وفد كعن ابن جرير الخارث ، أنه كن يقول : يا أصحاب الحديث ، أدوا زكاة الحديث ، قيل : وما زكاة الحديث ؟ قال : اعلموا من كل مائتي [حديث] بخمسة حاجيث ، يعني من كل مائتي حديث تسكبنها وتخطونها .

(١) تنويه : . . .